

القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية

(٣٥٨-٥٦٩هـ / ٩٦٩-١١٧٣م)

دراسة في الحياة الاجتماعية

إعداد

خلود محمد الأحمدى

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار / ٢٠١٠م

تعتد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: التاريخ: ٥/٥/٢٠١٠

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٩هـ/٩٦٩-
١١٧٣م دراسة في الحياة الاجتماعية) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٠/٥/١١

التوقيع

.....

.....

.....

.....

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور عبد العزيز عبد الكريم الدوري، مشرفاً
أستاذ - التاريخ الإسلامي

الدكتور صالح موسى درادكة ، عضواً
أستاذ - التاريخ الإسلامي

الدكتور عصام مصطفى عقلة، عضواً
أستاذ - التاريخ الإسلامي

الدكتور محمد حسين محاسنة، عضواً
أستاذ - التاريخ الإسلامي (جامعة مؤتة)

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع..... التاريخ ٢٠١٠/٥/١١

الجامعة الأردنية

نموذج تفويض

أنا **خلود محمد الأحمدي** أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.



التوقيع:

٢٠١٠ / ٥ / ٢١

التاريخ:

نموذج رقم (١٨)
أقرار والتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها
وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراة

أنا الطالب: خالد محمد عابد الزهدى الرقم الجامعي: ٩٠٦٠٢٦٢
التخصص: تاريخ الكلية: الآداب

عنوان الرسالة / الأطروحة

المساهمة عامية الطلبة الفلسطينيين
دراسة في الحياة الدعوية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير والدكتوراة عندما قمت شخصياً" باعداد رسالتي / اطروحتي ، وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي /اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: [م] التاريخ: ١٥ / ١١ / ٢٠١٠ م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: [م] التاريخ: ٢٠١٠

الإهداء

إلى من كان نور حياتي،، إلى روح أخي الحبيب

خالد، في مثواه، وهو يهز إلي بجزع الحنين، فيساقط علي حباً

جنيماً، إليه وأنا أتفيأ رضاه، فيخضر دربي حباً ورضاً،،

شكر وتقدير

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على انجاز هذه الدراسة، لا يسعني إلى أن أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان، الى استاذي الفاضل الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، الذي تفضل برعاية هذه الرسالة منذ ان كانت فكرة حتى أصبحت على ما هي عليه؛ ولما منحني به من ثقته وعلمه واخلاصه؛ ولما قدمه لي من نصائح وارشادات اعجز عن تقديرها، فشكراً لك استاذي الكبير على عطائك المميز ولك كل التقدير والاجلال.

وكل شكري وخالص عرفاني لكل من الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

وأقدم كل الحب والتقدير والعرفان والامتنان لأسرتي التي تحملت معي عناء رحلتي العلمية، وصبرت على ظروفي كاملة وتقبلتها برحابة صدر وطيب خاطر، وخففت عني متاعب كل ما واجهت في مشواري العلمي، ووفرت لي كل السبل لإنجاز هذا العمل.

ثبت المحتويات

ب	قرار لجنة المناقشة.....
ج	نموذج تفويض.....
د	اقرار والتزام.....
هـ	الإهداء.....
و	شكر وتقدير.....
ز	ثبت المحتويات.....
ط	الرموز والمختصرات.....
ي	الملخص.....
1	مقدمة.....
3	تمهيد.....
7	الفصل الأول تأسيس القاهرة وتطورها.....
8	أولاً: أسباب تأسيس المدينة:.....
9	ثانياً: موقع المدينة:.....
12	ثالثاً: الخطط:.....
40	الفصل الثاني البنية السكانية.....
41	تمهيد :.....
42	أولاً المغاربة.....
57	ثانياً الصقالبة:.....
63	ثالثاً: الأقباط:.....
64	رابعاً: الأتراك.....
75	خامساً السودان:.....
89	سادساً الأرمن:.....
101	سابعاً العرب:.....

107.....	الفصل الثالث الطبقات الاجتماعية
108.....	تمهيد:
113.....	أولاً طبقة الخاصة
157.....	ثانياً الطبقة الوسطى
178.....	ثالثاً طبقة العامة:-
235.....	الفصل الرابع طراز المعيشة
236.....	أولاً: المأكل والمشرب:-
268.....	ثانياً: اللباس:
291.....	ثالثاً: الزينة:
303.....	رابعاً: المسكن:
316.....	خامساً: الأعياد والاحتفالات:-
339.....	سادساً: وسائل التسلية:
359.....	سابعاً: الأسرة:
377.....	الخاتمة
382.....	الملاحق
416.....	قائمة المصادر والمراجع
451.....	Abstract

الرموز والمختصرات

أشير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:
يذكر في الهامش: اسم المؤلف او اسم شهرته، مع كلمة أو أكثر من اسم كتابه، ثم الجزء (في حالة وجود أجزاء) والصفحة.

الرموز والمختصرات العربية:

ت: توفي	ق.م: قبل الميلاد
ج: جزء	ط: طبعة
ص: صفحة	د.ت: دون تاريخ نشر
هـ: هجري	د.م: دون مكان نشر
م: ميلادي، متر	د.ن: دون ناشر
مج: مجلد	ق: قسم
كم: كيلو متر	ع: عدد
م: درجة مئوية	
سم: سنتيمتر	

الرموز والمختصرات الانجليزية:

P: Page

Vol: Volume

No: Number

A.H: Anno Hegirae

A.D: Anno Domini

القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية (358-567 هـ / 569-1171م)

دراسة في الحياة الاجتماعية

إعداد

خلود محمد الأحمدى

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي؛ هادفة إلى توضيح الأحوال السكانية، وأسس الحياة الحضرية، ومظاهرها في القاهرة.

لقد حاولت هذه الدراسة، التركيز على بعض الجوانب التي لم تحظ بالعناية الكاملة، والبحث الواسع. فتناولت خطط القاهرة، وركزت اهتمامها على سكان تلك الخطط، وعلى ربط المعالم الخططية بالسكان، وأصولهم العرقية، ومستوياتهم الاجتماعية، وعلى توضيح امتداد المدينة وتطورها.

وسعت الدراسة إلى التعرف على الأصول الأثنية للسكان، وفاعليتهم في المجتمع. كما بحثت أحوالهم الاجتماعية.

وبينت الدراسة أثر السلطة والمال على مكانة الأفراد الاجتماعية، وتناولت الطبقات الاجتماعية التي تكون منها مجتمع القاهرة، وبينت الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأفراد كل طبقة.

وتضمنت الدراسة الحديث عن أسلوب معيشة الناس - على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية - في سكنهم وطعامهم، ولباسهم، وأعيادهم، ومناسباتهم، ووسائل تسليتهم.

مقدمة

لقد ركزت معظم الدراسات التاريخية على الجوانب السياسية، وقلمما توفرت دراسات تاريخية علمية جادة، تبحث في الجوانب الاجتماعية، التي تلعب دوراً هاماً في تشكيل الأحداث السياسية لأي مجتمع؛ لذلك حاولت هذه الدراسة تغطية الجانب الاجتماعي في مدينة القاهرة – عاصمة الخلافة الفاطمية – إذ أن هذه المدينة جديرة بكل بحث يتعلق بها، أو يكشف بعض جوانب حياتها؛ حيث كانت مركز النشاط الاجتماعي والاقتصادي؛ باعتبارها حاضرة الخلافة.

تركزت منهجية البحث في هذه الدراسة على قراءة المصادر الأولية، التي تنوعت بين مصادر تاريخية، وأدبية، وجغرافية، وكتب التراجم والأنساب، وعلى جمع المعلومات واستقصائها من تلك المصادر، ومقارنتها، وتحليلها، وعلى الاقتراب من الفترة التاريخية موضع الدرس، وتحاشي التعميمات التي يمكن أن تنزع من البحث جديته، وخصوصيته.

لقد واجهت الدراسة طوال فترة البحث بعض الصعوبات التي تمثلت في عدم توازن المادة التاريخية، حيث كانت المعلومات المتعلقة بالجانب الاجتماعي، في فترات الاستقرار التي عاشتها المدينة، تغزر حتى تبلغ السيل، مما يوجد صعوبة في السيطرة عليها. بينما كانت تشح في الفترات التي عاشت فيها المدينة العديد من المشاكل والاضطرابات، والفوضى العسكرية، التي لا تتيح لراوي هذه الأخبار الاهتمام بسواها. وأمام حالات من المعلومات التي كانت تشح أحياناً حتى تبلغ القطرات؛ اضطررت إلى أن أقبل بالحالات الفردية؛ محاولة ربطها بالاطار العام للأحداث الاجتماعية.

احتوت الدراسة على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

تناول الفصل الأول طبوغرافية القاهرة في العصر الفاطمي، وقد تم خلاله دراسة الصلة بين أسباب انشاء المدينة وتخطيطها، والاعتبارات العسكرية والاقتصادية في اختيار موقع المدينة، والتطور العمراني المدني للقاهرة، ودرس العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة. وركز على توزيع الحارات، والمنشآت الدينية، والمدنية، وسعى إلى ربط المعالم الخطية بالسكان، وأصولهم العرقية، وإلى توضيح علاقة الخطط بأسس التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والعسكري.

وتناول الفصل الثاني، التركيب الأثني لأهل القاهرة، ونفوذ العسكر، وأثره على مكانتهم الاجتماعية، وفاعليتهم في المجتمع، كما تحدث عن العلاقات بين المجموعات الأثنية. ودرس الفصل الثالث، أثر السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، وتناول الطبقات الاجتماعية التي تكون منها مجتمع القاهرة، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي لأفراد كل طبقة. وتناول الفصل الرابع طراز معيشة الناس – على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية – في سكنهم، وطعامهم، ولباسهم، وأعيادهم، ووسائل تسليتهم. وتضمنت خاتمة البحث نتائج الدراسة.

تمهيد

وضع مصر قبل الفتح الفاطمي ودخولها تحت حكم الفاطميين:

عني الخلفاء الفاطميون عناية خاصة بامتلاك مصر، منذ قيام دولتهم بالمغرب عام (296هـ/909م)؛ لما لموقعها من عظيم الأهمية سياسياً، وحربياً؛ وخصوصاً وأن ولاية مصر كانت اليهم ولاية الشام والحجاز، في ذلك الوقت، فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين، وتأسيس نفوذ الفاطميين السياسي والديني، في ثلاثة من المراكز الإسلامية الكبيرة، وهي الفسطاط، والمدينة، ودمشق⁽¹⁾.

كما أن امتلاك مصر معناه تمهيد الطريق للوصول إلى بغداد حاضرة العباسيين في ذلك الحين - باعتبار مصر المدخل الرئيسي للمشرق- والاطاحة بالخلافة العباسية سنية المذهب، وإحلال الخلافة الفاطمية اسماعيلية المذهب محلها⁽²⁾.

بدأت المحاولات الأولى للفاطميين لضم مصر إلى أملاكهم منذ السنوات الأولى لحكم الخليفة المهدي (297-322هـ/909-934م)، الذي قام بمحاولتين - عام (301هـ/913م/307هـ/919م)- لم يكتب لهما النجاح. وتكررت المحاولات في زمن ابنه القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م) - عام (323هـ/934م)- ولكنها لم تحقق شيئاً على الاطلاق⁽³⁾. ويرجع فشل هذه المحاولات إلى أن الدولة العباسية- التي كانت مصر ولاية تابعة لها - كانت لا تزال قادرة على إرسال جيوشها إلى مصر للدفاع عنها⁽⁴⁾.

(1) حسن ابراهيم حسن، الفاطميون، ص81، اسميسة، سعد رحومة، (2003م). انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر، الأسباب والدوافع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ص121.

(2) حسن ابراهيم حسن، الفاطميون، ص81.

(3) عن محاولات الفاطميين المتكررة لفتح مصر، راجع: القاضي النعمان، افتتاح، ص326، ابن خلكان، وفيات، ج5، ص19-20، المقرئ، اتعاض، ج1، ص153-161.

(4) المقرئ، اتعاض، ج1، ص153.

وحاول الخليفة المعز لدين الله (341- 365هـ / 952- 975م) إعادة الكرة لغزو مصر، وسار بجيشه إلى حدود هذه البلاد الغربية، فأوقف كافور (5) تقدمه(6).

استطاع كافور بفضل حنكته السياسية(1) من الاحتفاظ بسيطرته على مصر، والقضاء على الفتن والاضطرابات(2)، وتأخير امتلاك الفاطميين لمصر، ويشهد لذلك أن دعاة المعز في مصر كانوا يكتبون له قائلين: " إذا ازال الحجر الأسود " يعني كافور " ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود"(3).

بعد وفاة كافور عام (357هـ / 968م) - اضطربت احوال الديار المصرية غاية الاضطراب"(4)، وانخفض منسوب النيل، ووقع الغلاء، وانتشر القحط والوباء، واضطرب الأمن وكثرت الفتن، ونهبت الضياع، وزاد غضب الناس؛ لارتفاع الأسعار(5). ولم توجد شخصية قوية تخلف كافور في البيت الأخشيدي تتمكن من السيطرة على مصر

(5) خلف محمد بن طغج الأخشيدي في حكم مصر أبناءه، أبو القاسم أنجور، ثم أبو الحسن علي بن الاخشيدي، وكان القائم بأمر مصر، والمدبر الحقيقي لها في عهد كل من هذين الأبنين، هو العبد الحبشي أبو مسك كافور، الذي اشتره محمد بن طغج الاخشيدي، ثم أخذ يرقى في مناصب الدولة، حتى أصبح قائداً في الجيش، ومربياً لأولاد محمد بن طغج الاخشيدي، وصارت له الوصاية عليهما مدة توليها إمارة مصر، ثم أصبح بعد وفاتهما الحاكم الفعلي والرسمي فيها. انظر ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص3، سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشديين، ص60.

(6) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص153-161.

(1) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص8، وانظر محمد سرور، **مصرفي عصر الدولة الفاطمية**، ص110، أيمن سيد، **الدولة الفاطمية**، ص132.

(2) حول هذه الفتن والاضطرابات: انظر ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص6.

(3) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص178، سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشديين، ص383.

(4) ابن إياس، **بدائع**، ج1، ص83.

(5) المقرئزي، **إغاثة**، ص12-13، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص19.

فضلاً عن ضعف الخليفة العباسي المطيع (334-363هـ / 945-973م)⁽⁶⁾ الذي لم يكن له من القوة ما يمكنه من التدخل لوضع حداً لهذا التدهور في مصر الذي يتبع دولته، فيولي من يزود عنه، ويصلح أحواله الداخلية. ولذلك اجتمع رجال الدولة في مصر على تولية أحمد بن علي الأخشيدي، وعمره لم يناهز إحدى عشرة سنة، وأصبح الحسن بن عبد الله بن طنج وصياً عليه، وقام الوزير ابن الفرات⁽⁷⁾ بتسيير الأمور المالية، وأسند لشمول الأخشيدي أمر تدبير العساكر⁽⁸⁾. وهكذا تعددت المراكز في الدولة، وزادت سلطة الوزير، وأساء التصرف، وأخفق في احتواء الأزمة، وبدأت الأمور تفلت من يده شيئاً فشيئاً، وقبض على جماعة من أعيان البلد، وصادهم، فهرب الكثير منهم، وعلى رأسهم يعقوب بن كلس⁽⁹⁾ إلى المغرب، والتقى بالخليفة المعز لدين الله (341-365هـ / 952-975م)، وأطلععه على ما تمر بها مصر من أزمات سياسية، واقتصادية⁽¹⁾. وكانت هذه الأزمات فرصة سانحة اتخذها الخليفة الفاطمي لغزو مصر، حتى أنه رأى بأن امتلاك مصر قد أصبح ممكناً بدون حرب، حيث خاطب المشايخ الذين وجههم مع جوهر لفتح مصر قائلاً: "والله لو خرج هذا وحده (أي جوهر الصقلي) لفتح مصر، وليدخلن إلى مصر... من غير حرب"⁽²⁾.

(6) حول أسباب ضعف الخلافة العباسية الناجم عن سيطرة الشيعة البويهيين. انظر ابن الأثير، الكامل، ج8، ص452، ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص72.
(7) ابن الفرات: جعفر بن الفضل بن جعفر: من أهل بغداد، نزل بمصر، استوزره كافور، ولما توفي كافور، استقل بالوزارة، وتدبير المملكة لأحمد بن علي الإخشيدي بالديار المصرية والشامية. توفي سنة (391هـ / 1001م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج1، ص349.
(8) ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص11.
(9) يعقوب بن كلس: أبو الفرج يعقوب بن يوسف، أصله يهودي، ولد في بغداد سنة (328هـ / 930م)، ثم سافر مع أبيه إلى الشام، ورحل منها إلى مصر سنة (331هـ / 942م)، وتقرب من كافور الإخشيدي، ولما أظهره إسلامه في شعبان سنة (356هـ / 967م). زادت مكانته عند كافور، فأجلسه في ديوانه الخاص، وكان أول وزير للدولة الفاطمية في مصر، وزر للمعز والعزيم، ومات سنة (380هـ / 990م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص47-52، ابن خلكان، وفيات، ج7، ص27-35.
(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص22، سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص383.
(2) الدواداري، كنز، ج6، ص138، المقرئ، تعاط، ج1، ص185-186.

أخذ المعز لدين الله في المحرم سنة (358هـ / 968م) في إعداد الجيوش، والأموال؛ لتجهيز حملته لغزو مصر، كما بعث إلى دعائه في البلاد المصرية أعلاماً، وأمرهم أن يوزعوها على الجند الذين يؤيدون بيعته؛ لينشروها إذا ما اقتربت عساكره من مصر⁽³⁾.

وعهد المعز إلى جوهر الصقلبي⁽⁴⁾ بقيادة الحملة التي أعدها لغزو مصر، وكان معظمها من القبائل البربرية. دخل جوهر الاسكندرية من غير مقاومة، ولما وردت إلى الفسطاط أخبار وصول جوهر إلى الاسكندرية، واستيلائه عليها، شاور الوزير جعفر بن الفرات الأعيان، واستقر رأيهم على مفاوضة جوهر في شروط التسليم، وطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، وانتهت المفاوضة بكتاب الأمان الذي كتبه جوهر، وأعلنه للمصريين⁽⁵⁾.

إلا أنه تبين أن طائفة من الجند غير راضية عن عقد الصلح، وقالوا: " ما بيننا وبين جوهر إلا السيف"⁽⁶⁾، وولوا قائداً من بينهم يسمى (تحرير الإمارة). وعندما علم جوهر بذلك، تقدم بجيشه إلى الجيزة، ودار قتال بين الجيش الفاطمي وبين الجند المصريين، وانجلى القتال بانتصار جوهر الصقلبي، وهروب باقي فلول الجند إلى الشام. عند ذلك بعث الأهالي والأعيان لطلب الأمان من جوهر مرة ثانية، وكتبوا إليه يهنتونه بالنصر، وسألوه الأمان من جديد، فأجاب القائد الفاطمي دعوتهم⁽⁷⁾. وأعاد الأمان، وأذاع على الجند منشور يحرم فيه عليهم أن يقوموا بعمل من أعمال السلب والنهب، ثم خرج الأعيان إلى الجيزة لاستقبال جوهر، وهدأت الحالة في الفسطاط، وعادت الأعمال إلى ما كانت عليه⁽⁸⁾.

(3) المقرئزي، **المقفي**، ج3، ص89.

(4) جوهر الصقلبي: هو أبو الحسن بن جوهر بن عبد الله (ت 381هـ / 991م)، عمل ببلاط الفاطميين ودواوينهم، حتى عرف بال كاتب، كما عرف بالقائد أيضاً؛ وذلك لأنه كان من أكفأ قواد الفاطميين، إذ استطاع إخضاع البربر المناهضين للخلافة الفاطمية في المغرب في سنتي (347-349هـ / 958-960م)، وكان على رأس الجيش الذي قدم إلى مصر لفتحها عام (358هـ / 696م). انظر مجهول، **اللمعة**، ورقة3، علي حسن، **تاريخ جوهر**، ص17-20.

(5) المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص179-181.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص184.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص184، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص32.

(8) المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص184، المقرئزي، **المقفي**، ج3، ص97، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص32.

الفصل الأول

تأسيس القاهرة وتطورها

أولاً: أسباب تأسيس المدينة

ثانياً: موقع المدينة

ثالثاً: الخطط

أولاً: أسباب تأسيس المدينة:

عندما وجه المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) قائده جوهر الصقلي لفتح مصر - عام (358هـ/969م) - حدد له الخطوة التالية للفتح، وهي: أن يبني مدينة للفاطميين " لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط" (1)؛ لتكون "دار خلافة ومنزل ملك" (2)؛ وحتى تجسد مذهباً جديداً هو المذهب الإسماعيلي "مذهب الدولة الفاطمية" (3).

وقد عزى المؤرخون بناء المعز لدين الله للمدينة إلى أسباب أمنية؛ لتكون حصناً منيعاً من الأخطار الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الدولة (4) (3)، ولتكون قلعة سكنية للفاطميين، بحيث تعزل "الخليفة وأصحابه وأجناده... عن العامة" (4) (5)، إذ إن اختلاط الفاطميين بالمصريين، قد يعرضهم لأخطار الدسائس والعداء والثورات، حيث إن الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة للمذهب الإسماعيلي في أرض لا يدين أهلها بهذا المذهب (6).

ويمكن أن يعزى بناء المدينة - أيضاً - إلى عامل اجتماعي وحضاري، ويبدو انعكاس هذا العامل في قول جوهر للمنجمين الذين أحضرهم لوضع أساس المدينة: " أنها - أي المدينة - بنيت للجند، بحيث لا تخرج عن نسلهم أبداً" (7) (5)، إذ إن اختلاط أنساب الجنود بأنساب المصريين سيؤدي إلى تأثيرهم بعاداتهم وأخلاقهم، وبالتالي تأثرهم بالجو الحضري، وجرهم إلى حياة الترف، مما يضعف سماتهم العسكرية التي تميزوا بها، والتي كان من الضروري الحفاظ عليها.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج 2، ص 220.

(2) المصدر نفسه، مج 2، ص 220.

(3) ابن الطوير، **نزهة**، ص 110، القلقشندي، **صبح**، ج 3، ص 558، المقرئزي، **اتعاط**، ج 1، ص 126-127.

(4) المقرئزي، **المواعظ**، مج 2، ص 212.

(5) ابن دقماق، **الانتصار**، ج 4، ص 36.

(6) ابن الطوير، **نزهة**، ص 110، المقرئزي، **اتعاط**، ج 1، ص 126-127.

(7) المقرئزي، **اتعاط**، ج 1، ص 184.

أطلق جوهر على العاصمة الخليفة الجديدة اسم المنصورية⁽⁸⁾؛ تقرباً إلى خليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور⁽⁹⁾، وظلت تعرف بذلك حتى قدم المعز لدين الله إلى مصر – عام (362هـ/ 973م) - فسماها القاهرة؛ تفاؤلاً بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة⁽¹⁰⁾.

ثانياً: موقع المدينة:

كان الموضع الذي اختاره جوهر للقاهرة، عبارة عن سهل رملي فسيح، يحده من الشمال أرض فضاء، ومن الشرق جبل المقطم، ومن الغرب خليج القاهرة⁽¹⁾، ومن الجنوب الفسطاط⁽²⁾.

كان اختيار جوهر لموضع القاهرة اختياراً ينم عن نظرة سياسية وعسكرية سليمة، إذ إنّ المنطقة تمتاز بمزايا طبيعية وعسكرية تؤهلها لتقوم فيها عاصمة حصينة، حيث إنّ جبل المقطم يحدها من الشرق، وخليج القاهرة من الغرب⁽³⁾؛ فيشكلان سوراً دفاعياً يحمي المدينة من جانبيها الشرقي والغربي.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص184.

(9) محمد سرور، تاريخ، ص65.

(10) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص13، الدواداري، كنز، ج6، ص138.

(1) خليج القاهرة: يخرج هذا الخليج من النيل، حفره قدماء ملوك مصر (الفراعنة)، وعندما فتح العرب مصر، جدد عمرو بن العاص حفره؛ ليصل النيل ببحر القلزم (الاحمر)؛ وقد أُطلق عليه عقب تجديد حفره "خليج أمير المؤمنين"، نسبة إلى عمر بن الخطاب الذي أشار إلى تجديد حفره. وعندما أنشأ جوهر القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه، أصبح يعرف بخليج القاهرة. لمزيد من التفاصيل انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص115، المقرزي، المواعظ، مج3، ص466 – 468.

(2) عند تأسيس القاهرة كانت العسكر – الواقعة شمال الفسطاط – والقطانغ – الواقعة إلى الشمال الشرقي من العسكر بين جبل المقطم والعسكر – والفسطاط، قد صاروا مدينة واحدة متصلة العمران، يطلق عليها اسم الفسطاط أحياناً، واسم مصر أحياناً أخرى. انظر المقرزي، المواعظ، مج2، ص210.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص207، 225 – 226.

وتبدو الاعتبارات الاقتصادية في اختيار موقع المدينة، حيث إنّ وقوع خليج القاهرة غربها، جعلها مركزاً حيويّاً لحياة اقتصادية نشطة، إذ إن اتصال الخليج المذكور بنهر النيل¹⁽⁴⁾، أدى إلى تأمين الاتصال بالمدينة نهراً، وشحن البضائع إليها عن طريق النهر²⁽⁵⁾.

كما إنّ الموضع الذي تقع فيه المدينة يبعد عن النيل نحو ميل³⁽⁶⁾؛ مما يجعلها في مأمن من خطر الفيضان؛ "لئلا يصادرها ويأكل ديارها"⁴⁽⁷⁾.

كما إنّ المنطقة التي أقيمت عليها المدينة تستوعب التوسع وتحتل الزيادة في السكان، لوجود شقة يابسة شمال المدينة، تسمح بامتدادات عمرانية جديدة، ووجود منطقة خالية جنوب المدينة تسمح بإضافات مستقبلية على الخطط، وهذا ما حصل -فعلاً- عقب بنائها، حيث اتسعت مبانيها من الجهتين الشمالية والجنوبية⁵⁽⁸⁾.

وكانت الرقعة التي اختارها جوهر لتشييد مدينته، أرضاً فضاء ليس بها عمران سوى بستان، ودير للنصارى⁶⁽⁹⁾، وقصر صغير يسمى قصر الشوك⁷⁽¹⁰⁾. فلم تقيده في تصميمها أبنية مشيدة، مما يسمح له في وضع تصميمها وتنفيذه وتشبيده بالشكل الذي يراه، وبالسعة التي يرتئها.

(4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص115، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص466 – 468.

(5) المسبحي، أخبار، ج40، ص39، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص107.

(6) الميل: مقياس للطول يساوي ثلث فرسخ، والفرسخ حوالي 2 كم4. انظر فالترهنتس، المكايل، ص95.

(7) ابن سعيد، ص25، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص228.

(8) انظر ص18، 21 من الأطروحة.

(9) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص15، الدواداري، كنز، ج6، ص139.

(10) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص15، الدواداري، كنز، ج6، ص139.

على أن المعز (341 – 365 هـ / 952 – 975م) لما جاء إلى مصر لم يعجبه موقع القاهرة، فقال لجوهر "لقد بنيت هذه المدينة في وطئة لا هي بحرية ولا جبلية"⁽¹⁾. وكان قصد المعز أن يبنيها جوهر على سطح جبل الرصد⁽²⁾، فتكون قلعة للفسطاط، أو بمنطقة المقس⁽³⁾؛ "لتكون قريبة من النيل، عذبة مياه الآبار"⁽⁴⁾، "إذ إن الآبار القريبة من النيل عذب ماؤها، وأما البعيدة عنه فمؤها مالحة"⁽⁵⁾.

إلا أن قول المعز واعتراضه لا يستند إلى وجود مزايا جغرافية تجعل المكانين أفضل من موضع القاهرة، فسطح جبل الرصد جنوب الفسطاط لا يصح اتخاذه حصناً للفسطاط؛ لأنّ الخطر الوافد عليها يأتي من شمالها -ليس من جنوبها- متمثلاً آنئذ في القرامطة القادمين من الشام⁽⁶⁾، ومن ثمّ فقيام القاهرة شمال الفسطاط، يجعلها "حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر"⁽⁷⁾. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قيام القاهرة شمال الفسطاط؛ يجعلها في مستقبل الرياح الشمالية - وهو اتجاه الرياح السائد في مصر⁽⁸⁾ - وهذا ما جعلها "أعدل وأجود هواء، وأصلح حالاً"⁽⁹⁾ من الفسطاط⁽¹⁰⁾.

- (1) ابن إياس، بدائع، ج1، ق1، ص188.
- (2) جبل الرصد: يقع جنوب الفسطاط. انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص20، القلقشندي، صبح، ج3، ص393.
- (3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص20، ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص36.
- (4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص20، القلقشندي، صبح، ج3، ص400.
- (5) ناصر خسرو، سفرنامه، ص106.
- (6) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص212. حفر جوهر عند تأسيس القاهرة خندقاً في شمالها من جهة الشام؛ ليمنع اقتحامها من عساكر القرامطة. انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص213، مج3، ص454، 458 - 459، علي مبارك، الخطط، ج1، ص35، عبد الرحمن زكي، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، بحث منشور بكتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج2، ص619-620.
- (7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص212. مدينة مصر: يقصد بها العسكر والقطائع والفسطاط. انظر ص8 هامش (2) من الأطروحة.
- (8) البغدادي، الإفادة، ص140، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص225 - 226.
- (9) ابن رضوان، ص161، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص225 - 226.
- (10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص225.

أما منطقة المقس على شاطئ النيل رغم ميزتها الجغرافية المتمثلة في توفير المياه العذبة للمدينة، فلم يكن اتخاذها موقعاً للمدينة الجديدة ذا صلاحية؛ لخطورة فيضان النيل على المدينة. في حين أن مشكلة توفير المياه العذبة للشرب يمكن تجاوزها بواسطة السقائين، وهذا ما حصل فعلاً عقب بناءها، حيث كان السقاؤون يحملون قرب المياه من الآبار القريبة من النيل وينقلونها إلى المدينة⁽¹¹⁾.

ثالثاً: الخطط:

كان التخطيط يسبق البناء أيام الفاطميين، حيث كان المهندس المفوض في العمل يحضر "فيعمد إلى العرصة"⁽¹⁾²، فيقسمها في ذهنه ويرتبها، ثم يعمد إلى جزء جزء من تلك العرصة، فيعمره ويكمله، بحيث يُنفع به على انفراده ويُسكن، ثم يعمد إلى جزء آخر، ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الأجزاء من غير خلل ولا استدراك⁽²⁾³.

إن التوجيه العام للمهندسين في تخطيط المدينة جاء من جوهر "حسبما أمره المعز"⁽³⁾⁴. أما المشرفين على البناء، فكانوا من كبار رجال الجيش⁽⁴⁾⁵، ويبدو أن هذا الإشراف شمل تنظيم الإنفاق على البناء، ومتابعة سيره، إذ إنَّ جوهرًا "أرصد كل أمير من أمراء عسكره بناء حارة"⁽⁵⁾⁶.

(11) ناصر خسرو، سفرنامه، ص 106.

(1) العرصة: تل من التراب. انظر البغدادي، الإفادة، ص 140 - 141.

(2) البغدادي، الإفادة، ص 141 - 141.

(3) النويري، نهاية الإرب، ج 28، ص 81.

(4) المصدر نفسه، ج 28، ص 81.

(5) المصدر نفسه، ج 28، ص 81.

وبما أن الغرض الأول للمعز من بناء القاهرة، هو أن يتخذها "دار خلافة ومنزل ملك لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط" (6)1، فقد ظهر تأثير ذلك الغرض على تخطيطها، إذ حدد جوهر رقعتها عند تأسيسها بمسافة تتناسب مع عدد من سيقمون فيها، بحيث لم تتجاوز الـ (400 فدان)2(7). ومع نمو المدينة وتزايد سكانها لم تعد قادرة على استيعاب ساكنيها، مما أدى إلى تطوير تخطيطها الأول الذي قرره لها جوهر، فوسعت المدينة خارج الحدود التي رسمها لها جوهر (8)3.

يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحصين؛ إذ إن المدينة بنيت؛ لتكون حصناً للفاطميين وأنصارهم، يحتمون به من الأعداء4(9)؛ ولأجل ذلك شيدت للمدينة الأسوار، التي تضمن لها الأمن والحماية.

بعد أن حددت رقعة المدينة، شيد حولها سور خارجي - على هيئة مربع - كان الضلع الشرقي منه في محاذاة جبل المقطم، والضلع الغربي في محاذاة الخليج، والضلع الشمالي في مواجهة سهل رملي، والضلع الجنوبي في مواجهة الفسطاط5(10).

(6) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص220.

(7) علي مبارك، **الخطط**، مج2، ص110. الفدان: هو مقياس المساحة المصري المفضل، يقدر بـ (6368 متر مربع). انظر فالتر هنتس، **المكايل**، ص98.

(8) حول مراحل التوسع العمراني للمدينة انظر ص 18- 21 من الأطروحة.

(9) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص212.

(10) المصدر نفسه، مج2، ص213.

ضم سور جوهر ثمانية أبواب، لكل ضلع بابان، اثنان في السور الشمالي، هما: باب الفتوح¹(1) وباب النصر²(2)، واثنان في الضلع الجنوبي، هما: بابا زويلة³(3)، واثنان في الضلع الشرقي هما: باب البرقية⁴(4)، وباب القراطين⁵(5)، أما أبواب الضلع الغربي فهما: باب القنطرة⁶(6)، وباب سعادة⁷(7).

وأحاط بدر الجمالي⁸(8) القاهرة - في عام (480هـ/1087) - بسور آخر، ضم الامتدادات العمرانية التي نمت ظاهر المدينة⁹(9). وفتح فيه سبعة أبواب، حملت نفس أسماء أبواب جوهر وقابلتها؛ لتكون عوضاً عنها. غير أنه استبدال البابين اللذين فتحهما جوهر في السور الجنوبي بباب واحدة، أطلق عليها اسم "باب زويلة الكبيرة"¹⁰(10).

- (1) باب الفتوح: يقع منتصف السور الشمالي للمدينة. انظر المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص244-253.
- (2) باب النصر: يقع قرب باب الفتوح، على يمينه الواقف داخله. انظر كرسويل، 1335 هـ، تأسيس القاهرة، مجلة المقتطف، القاهرة، مج85، ج4، ص463.
- (3) بابا زويلة: بابان متلاصقان يقعان منتصف السور الجنوبي. انظر بول كازانوف، تاريخ، ص36، كرسويل، تأسيس، مج85، ج4، ص461 - 462.
- (4) باب البرقية: يقع منتصف السور الشرقي. انظر كرسويل، تأسيس، مج85، ج4، ص464.
- (5) باب القراطين: يقع إزاء نقطة التقاء السور الشرقي بالسور الجنوبي. انظر كرسويل، تأسيس، مج85، ج4، ص463.
- (6) باب القنطرة: يقع إزاء نقطة التقاء السور الغربي بالسور الشمالي. انظر بول كازانوف، تاريخ، ص38، كرسويل، تأسيس، مج85، ج4، ص464 - 465.
- (7) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص213، القلقشندي، **صبح**، مج3، ص397-398، علي مبارك، الخطط، ج1، ص36. باب سعادة: يقع إزاء نقطة التقاء السور الغربي بالسور الجنوبي. انظر كرسويل، تأسيس، مج85، ج4، ص462-463.
- (8) بدر الجمالي: هو بدر بن عبد الله الجمالي أبو النجم، ولد سنة (405هـ/1014م)، وتوفي سنة (487هـ/1094م)، تقدم في الخدمة عند الفاطميين حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر سنة (455هـ/1063م)، ثم ولاء المستنصر إمرة الشام بأسره عام (458هـ/1066م) ثم استدعاه المستنصر إلى مصر؛ ليتولى أمر البلاد، بعدما تعرضت لما يعرف "بالشدة العظمى"، لإصلاح ما فسد من أمور مصر، وأسند إليه منصب الوزارة مضافاً إلى إمرة الجيوش. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص39-40، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص133، 136.
- (9) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص260. ظاهر القاهرة: يطلق اسم القاهرة على كل ما أحاط به السور الذي بناه جوهر، ثم ما حازه السور الذي بناه بدر الجمالي. أما ما خرج عن هذه الأسوار وأضيف مع اطراد اتساع المدينة فقد أطلق عليه "ظاهر القاهرة". انظر المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص210، أيمن سيد، التطور العمراني، ص64.
- (10) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص210، 260 - 268، حسن الباشا وآخرون، القاهرة، ص190.

وضع جوهر أساس القصر الشرقي مع وضع أساس سور القاهرة⁽¹¹⁾ – في يوم الثلاثاء في السابع عشر من شعبان عام (358 هـ / 969م)⁽¹²⁾ – "واختط الناس حوله"⁽¹³⁾. أي أن القصر كان محوراً أساسياً ثابتاً في التخطيط.

* احتل القصر الشرقي المركز الرئيس من القاهرة؛ إذ روعي في موقعه أن يكون في قلب المدينة؛ إلى الجانب الشرقي منها⁽¹⁴⁾، حيث كان له دور كبير في المدينة، فكان مركزاً للحياة السياسية في القاهرة، و"داراً للخلافة الفاطمية"⁽²⁾⁽⁵⁾، ومعقلاً لنشر المذهب الإسماعيلي – مذهب الدولة الفاطمية – فقد كان داعي الدعوة يعقد مجالس الدعوة الإسماعيلية التي يلقيها على المؤمنين بالدعوة في مبنى منه يعرف بـ "المحول"⁽³⁾⁽⁶⁾، كان من "أعظم مباني القصر وأوسعها"⁽⁴⁾⁽⁷⁾.

كما كان القصر الشرقي "منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه، وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة، وفيه بيت المال وخزائن السلاح"⁽⁵⁾⁽⁸⁾، كما كان يجتمع به الناس لتقرأ عليهم فيه السجلات الصادرة عن الخلافة⁽⁹⁾.

وبما أن جوهرأ اختط القصر الشرقي "وفق ترتيب ألقاه إليه المعز"⁽⁷⁾⁽¹⁰⁾، فيفترض أن فكرة وضعه في قلب المدينة هي فكرة المعز، الذي أراد من ذلك - كما يبدو- أن يكون هو المحور والقلب وقصره هو الأساس، حتى يعبر بذلك عن الطابع الأساسي الذي ينشده، وهو إبراز عظمة سلطانه والمحافظة على قداسته، لاسيما وأن الإمام عند الإسماعيلية شخصية مقدسة تتمتع بالعصمة⁽¹¹⁾⁽⁸⁾.

(11) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص13، الدواداري، كنز، ج6، ص139.

(12) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص13، المقرئزي، اتعاط، ج1، ص186.

(13) القلقشندي، صبح، ج3، ص394 – 395.

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، ص104 – 105، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284 – 287.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284 – 287.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص111، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص127، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص305.

(4) ابن الطوير، نزهة، ص111، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص306.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص214.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص215.

(7) المصدر نفسه، مج2، ص284.

(8) الشيرازي، المجالس، ج1، ص19.

ضم القصر الشرقي مجموعة من الأبنية والقصور الصغيرة والقاعات، أطلق عليها "القصور الزاهرة"، وسُمي مجموعها "القصر"⁽⁹⁾.

وبالرغم من سعة القصر الشرقي وتوافر أسباب العيش اللائق فيه⁽¹⁰⁾، إلا أنّ العزيز (365 – 386 هـ / 975 – 996م)، بنى قصراً آخر في غربه، عُرف باسم "القصر الغربي"، خصصه لسكنى ابنته ست الملك⁽¹¹⁾؛ ولعله هدف من بنائه إبعاد ابنته عن "القصر الشرقي" - المركز السياسي للدولة - لما لمسّه من توجه لديها في التدخل في سياسة الدولة⁽¹⁾. ولم تذكر المصادر معلومات حول هوية ساكنيه بعد وفاة ست الملك عام (414 هـ / 1023م)⁽²⁾.

واحتراماً لهيبة القصور وساكنيها، أقام جوهر حولها الأبنية (الرسمية) التي تتولى حمايتها. إذ قامت الحجر - جمع حجرة - شمال القصر الشرقي، وهي التي كان يُقيم فيها الغلمان المختصون بحراسة وحماية الخلفاء والقصور⁽³⁾، كما قامت بين القصرين (الشرقي والغربي) ساحة واسعة تسع عشرة ألف جندي⁽⁴⁾؛ من أجل تأمين الحماية للقصرين. وقامت حول القصور المعالم العمرانية التي نفي بمتطلبات ساكنيها، إذ قام في الشمال الشرقي من القصر الشرقي "المناخ"، الذي يحوي المخازن المخصصة لتموين القصور، والجيش بالمواد الغذائية⁽⁵⁾.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284.

(10) حوى القصر الشرقي خزائن عدة، توافرت فيها ضروريات المعيشة من مأكّل ومشرب وملبس وأثاث للقصور. حول ذلك انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44 - 45، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص355 - 399.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص495.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص209.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص210.

(3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص51، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص453.

(4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص247.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص142، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص456.

وقام في الجنوب الشرقي من القصر الشرقي اسطبل الطارمة⁽⁶⁾، وقام في غرب القصر الغربي اسطبل الجميزة⁽⁷⁾ – الذي سمي بذلك؛ لأنه كان في وسطه شجرة جميز كبيرة⁽⁸⁾ – وهذان الاصطبلان كانا مخصصين؛ لحفظ دواب وخيول الخليفة والجيش⁽⁹⁾.

* وضع جوهر أساس الجامع الأزهر في 24 جمادى الأولى عام (359 هـ/970م)⁽¹⁰⁾.

وكما اختط الناس حول القصر الشرقي، فقد اختطوا أيضاً حول الجامع الأزهر⁽¹¹⁾، مما يدل على أنه هو الآخر – فضلاً عن القصر الشرقي – كان محوراً أساسياً ثابتاً في التخطيط.

أسس جوهر الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي من القاهرة⁽¹²⁾، وبذلك نحاها جوهر عن قلب المدينة، حيث مقر إقامة الخلفاء الفاطميين، رغم أهمية وجوده إلى جانبهم؛ إذ أنه – فضلاً عن القصر الشرقي – كان مركزاً لنشر المذهب الإسماعيلي⁽¹³⁾، فجعله في مكان قريب من الخلفاء؛ يسهل عليهم الإشراف عليه.

ولعل الاعتبارات الأمنية هي السبب في تحية الجامع الأزهر عن قلب المدينة، إذ إن وجوده في مركزها – حيث يقيم الخلفاء الفاطميون – يقتضي توافد عدد كبير من الناس إليه؛ لأداء الصلاة، مما قد يشكل خطراً على سلامة الخلفاء وخواصهم.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص135، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص457. الطارمة: بيت من خشب. انظر الجواليقي، **المعرب**، ص224.

(7) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص518.

(8) المصدر نفسه، مج2، ص518.

(9) ابن الطوير، نزهة، ص135 – 136.

(10) المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق1، ص90 – 91.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص219، مج3، ص28.

(12) المصدر نفسه، مج2، ص218.

(13) المصدر نفسه، مج2، ص307، مج4، ق1، ص389، رمزية الأترقي (1979م). الأزهر في ظل الفاطميين، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع 25، ص115-120.

ومع تنامي أهل المدينة كانت تتم توسعة هذا الجامع، حيث جده العزيز (365 – 386 هـ/ 975 – 996 م)⁽¹⁾ وعمر به أماكن⁽²⁾، ثم جده المستنصر (427 – 487 هـ/ 1035 – 1094 م)، كما جده الحافظ لدين الله (524 – 544 هـ/ 1130 – 1149 م)⁽³⁾.
أما مصلى العيد فقد أقامه جوهر ظاهر المدينة من جهة باب النصر⁽⁴⁾، ولعله أقامه ظاهرها؛ لأنّ الحاجة لم تكن ماسة لإنشائه داخلها، إذ لم تكن تؤدي فيه سوى صلاة عيدي الفطر والأضحى⁽⁵⁾.

لقد اهتم المؤرخون⁽⁶⁾ بتقديم إحصاءات (تقديرية) لعدد المساجد في القاهرة، في فترات مختلفة – سواء الجامعة أم الاعتيادية – وبذكر تطور بنائها، وكأنها مقياس لتوسع المدينة أو ازدهارها.

ويبدو أنّ هناك صلة بين توسع المدينة، ووجود أكثر من مسجد جامع بها، فالأصل أن يكون للمدينة مسجد جامع واحد، فهي وحدة مدنية، ولكن قام للقاهرة مع اطراد اتساعها في عهد العزيز (365 – 386 هـ/ 975 – 996 م)⁽⁷⁾ مسجد جامع آخر؛ لتلبية احتياجات النمو السكاني المطرد بها، وضع أساسه العزيز – عام (379 هـ/ 989 م)⁽⁸⁾، –

(1) القلقشندي، صبيح، ج3، ص410، المقريري، المواعظ، مج4، ق1، ص90-91.

(2) القلقشندي، صبيح، ج3، ص410.

(3) المقريري، المواعظ، مج4، ق1، ص100.

(4) المصدر نفسه، مج3، ص462، مج2، ص478، علي مبارك، الخطط، ج1، ص39.

(5) المقريري، اتعاض، ج1، ص185.

(6) انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص68-85، المقريري، المواعظ، مج4، ق1، ص90-167.

(7) حول النمو العمراني الذي شهدته المدينة في عهد العزيز انظر ص 17-18 من الاطروحة.

(8) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص68.

ظاهر باب الفتوح، ولم يتمه فأكمّله ابنه الحاكم (386-411هـ / 996 - 1020م) فعرف بـ "جامع الحاكم"⁽⁹⁾، ويقال له "الجامع الأنور"⁽¹⁰⁾⁽²⁾. وكان انتهاء بنائه في سنة (393هـ / 1003م)⁽¹¹⁾⁽³⁾، فكان الخليفة "يخطب به جمعة، وفي الجامع الأزهر جمعة وفي جامع ابن طولون جمعة، وفي جامع عمرو بن العاص جمعة"⁽¹²⁾.

لقد فاقت مساحة الجامع الأنور مساحة الجامع الأزهر⁽¹⁾⁽⁴⁾، فكان يقال له الجامع الكبير⁽²⁾⁽⁵⁾؛ ربما تمييزاً له عن الجامع الأزهر الذي يصغره مساحة.

وقامت للقاهرة ثلاثة مساجد اعتيادية، شُيد أولها عام (515 هـ / 1121م) في عهد الأمر (495-524 هـ / 1101-1130م)⁽⁶⁾⁽³⁾، وسمي بالمسجد الأقرم، وافتتح للصلاة عام (519 هـ / 1125م)⁽⁷⁾⁽⁴⁾. ويقع شمال القصر الشرقي، لا يفصله عنه سوى ممر ضيق⁽⁸⁾⁽⁵⁾. وربما كان الباعث لإنشائه؛ تلبية حاجة ساكني القصور؛ بإنشاء مسجد قريب منهم.

وبنى الخليفة الظاهر (544-549 هـ / 1149-1154م) عام (543 هـ / 1148م)، مسجداً نسب إليه عُرف بـ "المسجد الظاهري"، وسمي أيضاً بالمسجد الأقرم، يقع في وسط سوق السراجين⁽⁹⁾⁽⁶⁾. ولعله كان مدفوعاً لبنائه؛ بحاجة أهل السوق لإنشاء مسجد قريب منهم يؤدون فيه الصلاة، كما إن قيامه في السوق يحقق للأخير رواجاً تجارياً، حيث يكون إلى جوار تجمع المصلين.

-
- (9) المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق1، ص107-111.
(10) المصدر نفسه، مج4، ق1، ص107-111.
(11) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص68، ابن إياس، **بدائع**، ج1، ق1، ص197.
(12) المقرئزي، **المواعظ** مج4، ق1، ص102.
(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق1، ص103.
(2) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص70.
(3) ابن ميسر، **أخبار**، ص91، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص73.
(4) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص73، القلقشندي، **صبح**، ج3، ص411-412.
(5) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص73، المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص319.
(6) المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق1، ص164. سوق السراجين: يقع عند بابي زويلة. المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص331.

وبنى الوزير طلائع بن رزيك⁽⁷⁾ مسجداً - عام (555هـ / 1160م) - نسبة إليه، يقع ظاهر باب زويلة الكبير⁽⁸⁾. وربما كان لبنائه صلة بازدياد الكثافة السكانية حوله، لا سيما بعد النمو السكاني الذي شهدته منطقة المسجد - في عهد الأمر (495-524هـ / 1101-1130م) - والذي امتد من ظاهر باب زويلة الكبير حتى المشهد النفيسي⁽⁹⁾.

* روعي في تخطيط المدينة إيجاد شارع رئيسي موازي للخليج، قسم المدينة إلى قسمين متساويين، أطلق عليه "الشارع الأعظم"، كما أطلق عليه "قصبة"⁽¹⁰⁾ القاهرة⁽¹¹⁾؛ كونه يمثل المحور الرئيسي للمدينة؛ لارتباطه بجميع أجزاءها، حيث مدت دروب عدة عن يمينه ويساره، ربطت بينه وبين شرق المدينة من ناحية جبل المقطم، وبين غرب المدينة من ناحية خليج القاهرة⁽¹²⁾.

كما كان الشارع الأعظم عنصر الربط الأساسي بين القاهرة والفسطاط، إذ كان يربط باب الفتوح في الشمال بباب زويلة في الجنوب⁽¹⁾، ويخترق الفسطاط⁽²⁾.

* وتبرز الاعتبارات الأثنية في توزيع سكان القاهرة، فقد كانت خطة جوهر في توزيع الحارات⁽³⁾ على الجيوش التي رافقته من المغرب⁽⁴⁾، تقوم على إسكان كل صنف من جيشه في حارة حسب أعرافهم⁽⁵⁾. وربما كان هدفه من ذلك؛ تلافي قيام المشاكل بينهم،

(7) طلائع بن رزيك: الملقب بالملك الصالح، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر فقيراً، فترقى في الخدمة، حتى ولي منية ابن خصيب من أعمال الصعيد المصري، ثم ولي الوزارة في أيام الخليفة الفاتن (549-555هـ / 1154م - 1160م) والعاقد (555-567هـ / 1160-1171م). توفي سنة (556هـ / 1160م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص526-528.

(8) النويري، نهاية، ج28، ص215، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص451.

(9) حول النمو العمراني الذي شهدته المدينة في عهد الأمر، انظر ص 19-21 من الأطروحة.

(10) القصبة: قصبة البلد مدينته، وقيل معظمة، انظر ابن سيده، المخصص، ج6، ص326.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص244، علي مبارك، الخطط، ج1، ص38.

(12) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص244-253.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص244-253، أندريه ريمون، القاهرة، ص50.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص175، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص316.

(3) الحارة: كل محلة دنت منازلها والمحلة منزل القوم. انظر ابن سيده، المخصص، ج5، ص210.

(4) النويري، نهاية، ج28، ص81.

(5) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص21، الدواداري، كنز، ج6، ص140-141، المقرئزي، المواعظ، مج2،

ص220، مج3، ص37-38.

هذا من جانب؛ وليأمن جانبهم ويضربهم ببعض إذا لزم الأمر من جانب آخر، لا سيما وأن سياسة الدولة الفاطمية سواء في المغرب أم في مصر قامت على أساس حفظ توازن القوى، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر؛ للحد من نفوذه.⁽⁶⁾

لقد اشتملت حارات الفاطميين على الدور والمساجد والأسواق والحمامات⁽⁷⁾. ويرجح أن الحارات قسمت تقسيماً اجتماعياً وعسكرياً، فضلاً عن كونها مركزاً سكنياً، كانت أيضاً مركزاً عسكرياً، فكانت حارة البرقية - كما يقول أسامة بن منقذ (ت584هـ/1188م) - "مجمع دور الأجناد"⁽⁸⁾ منها تخرج السرايا العسكرية الفاطمية - التي تصدت للوزير عباس الصنهاجي⁽⁹⁾ وقواته الخاصة⁽¹⁰⁾ - وإليها تعود⁽¹¹⁾، وإن عدم إشارة كتب الخطط⁽¹²⁾ إلى معسكرات للجيش في القاهرة التي شيّدت "لتكون معقل قتال"⁽¹³⁾؛ ربما يشير إلى الطبيعة المزدوجة للحارة. لم تتركز حارات القاهرة في منطقة محددة منها، بل وزعت في أرجائها، ولعل الهاجس الأمني هو السبب في ذلك، فإذا افترضنا أن كل حارة، هي مركز عسكري - فضلاً عن كونها مركزاً سكنياً- فعند تفريقها في أرجاء المدينة؛ تصبح في القاهرة عدة مراكز عسكرية، فيعمل أهل هذه المراكز على ضبط الأمن والنظام، وعلى تفكيك أية محاولة للثورة ضد السلطة المركزية. قامت بعض حارات المدينة حول أسوارها، بحيث شكّلت نقاط حراسة، لمداخل المدينة، وهي:

(6) انظر ص 78 - 79 من الأطروحة.

(7) المقريري، **المواعظ**، مج3، ص36.

(8) أسامة بن منقذ، **الاعتبار**، ص 23.

(9) عباس الصنهاجي: أصله من المغرب، ترقى في الخدمة حتى ولي الغربية، وزر للخليفة الظافر، وقام بقتل الظافر، فقتله الفرنج بوصاية من نساء القصر سنة (549هـ/1154م)، انظر المقريري، **المواعظ**، مج2، ص55-56.

(10) حول تفاصيل الصراع بين الجيش الفاطمي والوزير عباس الصنهاجي، انظر أسامة بن منقذ، **الاعتبار**، ص23.

(11) المصدر نفسه، ص23.

(12) مثل كتاب ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، والمقريري، **المواعظ** والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

(13) المقريري، **المواعظ**، مج2، ص220.

حارتا الروم: اختط الروم عند تأسيس القاهرة⁽¹⁾ حارتين، حارة عرفت بحارة الروم العليا⁽²⁾ عند باب النصر⁽³⁾ على يسار الداخل منه⁽⁴⁾، والحارة الأخرى عرفت بحارة الروم السفلى⁽⁵⁾ عند بابي زويلة على يمين الداخل منهما⁽⁶⁾. كما قامت حارة الوزيرية عند باب سعادة⁽⁷⁾، وقامت حارة زويلة بجوار البستان الكافوري⁽⁸⁾، بحيث لاصقت السور الغربي للمدينة⁽⁹⁾، وقامت حارة الفرحية عند باب القنطرة⁽¹⁰⁾.

وانتشرت بعض الحارات حول القصور؛ من أجل تأمين الحماية لساكنيها. وهي:

حارة برجوان الواقعة شمال القصر الغربي⁽¹¹⁾، وحارة العطفية التي قامت غرب المناخ السعيد⁽¹²⁾، وحارة البرقية الواقعة شرق القصر الشرقي⁽¹³⁾.

كما التفت حارات أخرى حول الجامع الأزهر، من أجل حمايته على اعتبار أنه مركز لنشر المذهب الإسماعيلي، وهذه الحارات هي:

حارة الديلم والأتراك غرب الجامع الأزهر⁽¹⁴⁾، وقامت حارة الباطلية غرب الجامع المذكور⁽¹⁵⁾، وقابلتها حارة كتامة⁽¹⁶⁾.

- (1) القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.
- (2) المصدر نفسه، ج3، ص400-402، المقرئ، المواعظ، مج3، ص37-38.
- (3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص21، الدواداري، كنز، ج6، ص140-141.
- (4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص21.
- (5) القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.
- (6) الدواداري، كنز، ج6، ص140-141، القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.
- (7) المقرئ، المواعظ، مج2، ص220.
- (8) البستان الكافوري: يقع غرب القصر الغربي. انظر المقرئ، المواعظ، مج2، ص219.
- (9) المصدر نفسه، مج2، ص219.
- (10) المصدر نفسه، مج3، ص39، Ayman Fu'ad Sayyid, La Capitale de L'Egypte Jusqu'alepoque fatimide (al-Qahira et al-Fusta)- P.508.
- (11) المقرئ، المواعظ، مج2، ص219.
- (12) المصدر نفسه، مج2، ص218. المناخ السعيد. يقع في الشمال الشرقي من القصر الشرقي. المقرئ، المواعظ، مج2، ص495.
- (13) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص37، 274، 181، Ayman, Fu'ad Sayyid, op.cit, P.
- (14) المقرئ، المواعظ، مج2، ص219.
- (15) المصدر نفسه، مج2، ص219، 676، Ayman Sayyid Ayman Fu'ad Sayyid op.cit, P.
- (16) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص37، المقرئ، المواعظ، مج3، ص28.

ومع نمو المدينة وتزايد عدد سكانها لم تعد قادرة على استيعاب حارات جديدة في عهد قريب من تأسيسها، بدءاً من عهد العزيز (365-386هـ/975-996م)، مما قاد بدوره العزيز إلى تطوير تخطيطها الأول الذي قرره لها جوهر، فوسع المدينة خارج الحدود التي رسمها لها جوهر. فقام بتأسيس مسجد جامع ظاهر باب الفتوح¹⁽¹⁾، كما قامت في عهد العزيز حارة في ظاهر القاهرة الجنوبي، على يسار الخارج من باب زويلة²⁽²⁾، سميت بحارة اليانسية³⁽³⁾. إلا أنّ الكثافة السكانية التي شهدتها المدينة منذ عهد العزيز سرعان ما تلاشت اثر الشدة المستنصرية⁴⁽⁴⁾، التي نتج عنها خلخلة الكثافة السكانية في المدينة؛ نتيجة لوفاة عدد كبير من سكانها⁵⁽⁵⁾، وهجره البعض الآخر منهم⁶⁽⁶⁾. وإزاء هذه الشدة التي "اختلت بها أحوال مصر، وخربت خراباً شنيعاً"⁷⁽⁷⁾، دعا المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) لإنقاذ البلاد منها قائداً أرمنياً كان يتولى الشام، يدعى بدر الجمالي، وقد لبي الأخير تلك الدعوة⁸⁽⁸⁾.

-
- (1) المقرزي، **المواعظ**، مج4، ق1، ص107.
 - (2) المقرزي، **المواعظ**، مج3، ص46-47.
 - (3) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص409، المقرزي، **المواعظ**، مج3، ص46.
 - (4) الشدة المستنصرية: اصطلح المؤرخون على تسمية الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عهد المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) - في الفترة الزمنية الممتدة من (457-464هـ/1065-1072م). والتي نتج عنها مجاعة رافقها وباء - بالشدة المستنصرية. انظر المقرزي، إغاثة، ص180-181.
 - (5) المقرزي، **المواعظ**، مج2، ص199-200، الصاوي، أحمد، (دب)، المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص31-70.
 - (6) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص255، الشامي، عبد العال، (1973م)، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص352-360.
 - (7) المقرزي، **المواعظ**، مج3، ص366.
 - (8) المصدر نفسه، مج2، ص276.

عندما دخل بدر الجمالي القاهرة عام (466هـ/1074م)، بدا واضحاً عليها أثر الشدة المستنصرية، فكانت - كما يقول المقرئزي (ت845هـ/1442م) - "خاوية على عروشها غير عامرة"⁽⁹⁾، والخراب الذي يشير إليه المقرئزي إنما هو خلوها من السكان، لا تدمير معالمها، إذ نتج عن الشدة المستنصرية مجاعة رافقها وباء⁽¹⁰⁾، الأمر الذي لا يؤدي إلى تدمير معالم المدينة. أباح بدر الجمالي -عام (466هـ/1074م)- "للناس من العسكرية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة"⁽¹¹⁾، مما دفع قسماً من أهل الفسطاط للرحيل إلى القاهرة -نتيجة لخراب مدينتهم أثر الشدة المستنصرية الذي فاق خراب القاهرة- وتعمير منازلهم من أنقاض دور الفسطاط "مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله"⁽¹²⁾ أثر الشدة المستنصرية، الأمر الذي أدى إلى تفوق القاهرة عمرانياً وسكانياً على الفسطاط⁽¹³⁾، التي كانت قبل الشدة المستنصرية (457-464هـ/1065-1072م) تفوق القاهرة في "العظم وكثرة الناس"⁽¹⁾.

لقد فقدت القاهرة مكانتها كمدينة رسمية مخصصة لسكنى الخلفاء، وعساكرهم ومن شرفوه بقربهم فقط⁽²⁾، عقب سماح بدر الجمالي لكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر في القاهرة. وربما هدف بدر الجمالي من إزالة خصوصية المدينة؛ فضلاً عن تعميمها، القضاء على عظمة وأبهة الخلفاء، إذ إن قصر المدينة على سكنى الخلفاء وخواصهم والجيش المرتبط بهم، يثبت فكرة هي أن الخلفاء هم محور المدينة وجيوشهم أساسها، مما يضيء عليهم نوعاً من القوة والعظمة، وهذا ما أراد بدر الجمالي سلبه منهم كخطوة منه؛

-
- (9) المصدر نفسه، مج2، ص222.
(10) المصدر نفسه، مج2، ص200.
(11) المصدر نفسه، مج2، ص222.
(12) المصدر نفسه، مج2، ص222.
(13) ابن رضوان، دفع، ص161-162.
(1) القلقشندي، صبح، ج3، ص418.
(2) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص220.

لإبراز قوته وعظمته وفرض سيطرته هو وجيشه الأرمني على المدينة، لا سيما وأن نية السيطرة كانت في خاطره منذ أن طلب منه المستنصر (427-487هـ / 1035-1094م) المجيء إلى مصر، فاشتراط عليه أن لا يأتي مصر إلا مع عساكره الأرمن، وأن لا يبقى من عساكر مصر أحد⁽³⁾.

أسكن بدر الجمالي عساكره الأرمن في حارات ظاهر القاهرة الشمالي (خارج أسوار جوهر) من جهة باب الفتوح⁽⁴⁾؛ ربما كان ذلك لحرصه على إبقاء تميزهم العسكري، إذ إن سكانهم إلى جانب المدنيين -الذين انتقلوا إلى القاهرة إثر سماح بدر لكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة - المقيمين داخل المدينة⁽⁵⁾، قد يؤدي إلى تأثرهم بعباداتهم وأخلاقهم، وبالتالي تأثرهم بالجو الحضري، وجرهم إلى حياة الترف، مما يضعف سماتهم العسكرية التي تميزوا بها، والتي كان من الضروري الحفاظ عليها.

شهدت القاهرة في عهد الأمر (495-524هـ / 1101-1130م) حركة عمرانية واسعة، لم تشهد مثلها في عهود الخلفاء الذين سبقوه، إذ إن توافد المدنيين إلى المدينة، منذ قدوم بدر الجمالي إليها عام (466هـ / 1074م)، قد أدى إلى استمرار البناء واطراد النمو السكاني بها، حتى وصل كما يبدو في عام (515هـ / 1120م) - العام الذي بدأ به الأمر بتوسعة المدينة⁽⁶⁾ - حداً لم تستطع القاهرة استيعابه، مما قاد بدوره الخليفة الأمر إلى توسعة المدينة؛ من أجل استيعاب ساكنيها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حلم الفاطميين في السيطرة والتوسع نحو المشرق، كان قد انتهى بفقدانهم آخر ممتلكاتهم فيه عام (492هـ / 1099م)⁽¹⁾، الأمر الذي دفع الأمر (495-524هـ / 1101-1130م) إلى توجيه اهتمامه إلى المدينة ونموها وتوسيعها.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص276.

(4) النويري، نهاية، ج28، ص197، القلقشندي، صبح، ج3، ص405.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص222.

(6) المصدر نفسه، مج4، ق1، ص58-59.

(1) نجح السلاجقة عام (451هـ / 1059م) في الاستيلاء على بغداد، وقطع خطبة الفاطميين منها، واستطاعوا مع نهاية عام (468هـ / 1076م) مد نفوذهم على أغلب مدن الشام، وقطع خطبة الفاطميين منها أيضاً، وتمكن الفرنج في عام (492هـ / 1099م) من الاستيلاء على بيت المقدس، وبقيّة مدن الشام الساحلية. انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص238-346، ابن ميسر، أخبار ص69-71، المقرئزي، انعاظ، ج2، ص162.

ركز الأمر عمران المدينة في جميع أنحاء الخالية، فقد أصدر أوامراً صارمة أجبر فيها الناس بتعمير أراضيهم ودورهم التي في موضع الخراب الذي خلفته الشدة المستنصرية، وهو يبدأ من ظاهر باب زويلة الكبير ويتجاوز حدود القاهرة¹⁽²⁾، فيمتد حتى المشهد النفيسي²⁽³⁾ بالفسطاط³⁽⁴⁾. وبعد تعمير موضع الخراب "اتصلت مباني القاهرة بمباني مدينة الفسطاط، بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة"⁴⁽⁵⁾، "لا يتخللها خراب"⁵⁽⁶⁾، و"لا دائر أو دارس"⁶⁽⁷⁾. وأقام الأمر حارتين للعساكر في موضع الخراب المذكور، هما:

حارة المنصورة: التي تقع على يسرة الخارج من باب زويلة⁷⁽⁸⁾، وحارة المصامدة: الواقعة يمينا الخارج من الباب المذكور⁸⁽⁹⁾.

ولعل الأمر كان مدفوعاً لإجبار الناس على تعمير موضع الخراب، وإقامة حارات للعساكر فيه؛ بخوفه من النزارية⁹⁽¹⁰⁾، الذي كان خطرهم قائماً في عهد الأمر¹⁰⁽¹¹⁾، حيث إنّ الأماكن الشاغرة قد تمثل تهديداً للدولة، فتعميرها وإقامة حارات للعساكر بها يؤمن حمايتها، إذ يعمل سكان الحارات العسكرية على ضبط الأمن فيها، وعلى تفكيك أية محاولة للثورة ضد السلطة المركزية.

-
- (2) جامع ابن طولون هو الحد الفاصل من الناحية الإدارية بين القاهرة والفسطاط. انظر المقريري، **المواعظ**، مج2، ص210. ويقع جامع ابن طولون، مقابل بركة الفيل الواقعة على حافة الخليج الشرقية، انظر المقريري، **المواعظ**، مج1، ص339، علي مبارك، الخطط، ج1، ص37.
- (3) المشهد النفيسي: يقع في الفسطاط بين القطائع والعسكر، انظر علي مبارك، الخطط، ج5، ص303-304.
- (4) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص135، المقريري، **المواعظ**، مج4، ق1، ص58-59.
- (5) المقريري، **المواعظ**، مج4، ق1، ص7.
- (6) المصدر نفسه، مج3، ص332-333.
- (7) المصدر نفسه، مج3، ص57.
- (8) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص409.
- (9) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص133، القلقشندي، **صبح**، ج3، ص409.
- (10) الطائفة النزارية: نسبة إلى نزار الابن الأكبر للمستنصر بالله الفاطمي، الذي كان أحق بالإمامة بعد أبيه وفقاً للمذهب الإسماعيلي، إلا أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي كان متغلباً على الدولة بعد وفاة المستنصر، خشي إن ولي نزار الخلافة أن يبعده عن مركزه، فعمد إلى تولية أخيه الأصغر ونعته "بالمستعلي لدين الله" وهو في الوقت نفسه زوج أخته، الأمر الذي أدى إلى انقسام أتباع المذهب الإسماعيلي، إلى نزارية يؤيدون نزار، ومستعلية يؤيدون المستعلي الخليفة القائم في الحكم. راجع عن النزارية، ابن ميسر، **أخبار**، ص59، 63، 97، 103، القلقشندي، **صبح**، ج13، ص237، فرهاد دفتري، حسن الصباح وأصول الحركة الإسماعيلية، بحث بكتاب الإسماعيليين في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ص201.
- (11) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص111، القلقشندي، **صبح**، ج3، ص237.

وشهدت المدينة في عهد الأمر نمواً في ظاهرها الشمالي، إذ قامت به حارة الريحانية⁽¹⁾، على يسرة الخارج من باب الفتوح⁽²⁾، كما حث الأمر (495-524هـ / 1101-1130م) الناس على التعمير في المنطقة الواقعة غرب الخليج⁽³⁾، ويبدو أن التوسع بها كان نشيطاً، بحيث أن والي القاهرة كان يحتاج إلى مناوبة أحد أعوانه لحفظ الأمن فيها⁽⁴⁾، ولا ريب أن وجود الخليج غرب هذه المنطقة قد ساعد على اضطراب العمران بها؛ بسبب اشتغالها على مصدر المياه. كما خطت في عهد الأمر حارة للبيازرة⁽⁵⁾ على شاطئ الخليج من شرقيه مقابل باب القنطرة⁽⁶⁾، وذلك عندما اشتكى رئيس البيازرة في مصر للخليفة الأمر، ضيق دار الطيور بمصر، وسأله أن يفسح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج؛ لحاجة الطيور إلى الماء، فأذن له الأمر في ذلك⁽⁷⁾.

انتهى بمقتل الأمر ازدهار القاهرة - في العصر الفاطمي - فلم يرد ما يشير إلى توسع عمراني في المدينة عقب مقتل الأمر، ويبدو أن المشاكل والاضطرابات التي عاشتها الدولة الفاطمية في مصر منذ مقتل الأمر عام (524هـ / 1130م) حتى سقوطها عام (567هـ / 1171م)⁽⁸⁾، هي التي أدت إلى تدهور عمران المدينة، إذ انشغل الخلفاء الذين جاءوا بعد الأمر في التصدي لتلك المشاكل، ولم ينفر غوا للعمران.

- (1) القلقشندي، صبح، ج3، ص405، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص295.
- (2) الخاصكي آق بغا، التحفة، ص1، القلقشندي، صبح، ج3، ص405، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص259.
- (3) القلقشندي، صبح، ج3، ص408.
- (4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص127.
- (5) البيازير:مدرب الحيوانات والطيور على الصيد . انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص446، سعيد محمد، الألقاب، ج1، ص265.
- (6) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص58.
- (7) المصدر نفسه، مج3، ص58.
- (8) ليس المجال هنا للحديث عن المشاكل والاضطرابات التي عاشتها الدولة الفاطمية في مصر، في الفترة الزمنية الممتدة من (524هـ/1130م إلى 567هـ/1171م) حول ذلك انظر: الطوير، نزهة، ص37-50، 122-140، ابن ميسر، أخبار، ص119-130، النويري، نهاية، ج28، ص298-400، أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص255-309، حسن إبراهيم حسن، الفاطميون، ص292-311.

* لم تلق أسواق القاهرة في العصر الفاطمي عناية كافية من المؤرخين، عدا ما أورده عنها المقرئزي (ت 845هـ/1442م) الذي كان يكتفي غالباً بنسبة الأسواق إلى العصر الفاطمي، دون تحديد سنة قيامها¹⁽⁹⁾، الأمر الذي يوجد صعوبة في تتبع نموها وتطورها. لقد كانت الأسواق محط اهتمام الفاطميين عند اختيار موقع القاهرة، فقد حرصوا على وقوعها غرب خليج القاهرة، إذ إن اتصال الخليج المذكور بنهر النيل²⁽¹⁾، يكفل تمويل أسواق القاهرة بالبضائع عن طريق النهر³⁽²⁾. لقد استنفدت الأزمات الاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع المصري عند الفتح الفاطمي لمصر عام (358هـ/969م)⁴⁽³⁾ الأموال الوفيرة التي حملها جوهر معه من المغرب إلى مصر⁵⁽⁴⁾، مما أدى إلى ضعف السيولة النقدية في المدينة، وحال دون نشوء الأسواق بها عند تخطيطها الأول⁶⁽⁵⁾، فلم تنشأ بها سوى حوانيت صغيرة متفرقة في أرجائها⁷⁽⁶⁾؛ لتلبية المتطلبات الأساسية للسكان. وكانت القاهرة حتى قدوم المعز إليها عام (362هـ/973م) تعتمد على الفسطاط لتزويدها باحتياجاتها، حيث كانت تفتقد وجود ميناء تجاري بها يمددها بمتطلباتها⁸⁽⁷⁾.

-
- (9) انظر المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص 315-335.
(1) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص 115، المقرئزي، **المواعظ**، مج 3، ص 466-468.
(2) المسبجي، **أخبار**، ج40، ص39، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص107.
(3) لقد بدأت تلك الأزمات منذ عام (352هـ/963م) وانتهت عام (361هـ/972م)، انظر المقرئزي، **إغائة**، ص60.
(4) ابن سعيد، **النجوم**، ص102، المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص211.
(5) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص332.
(6) ناصر خسرو، **سفرنامه**، ص 104.
(7) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص304.

إن تزامن وصول المعز إلى مصر - عام (362هـ/973م) - مع انتهاء الأزمات الاقتصادية في البلاد⁽⁸⁾، وبصحبته أموال هائلة من المغرب⁽⁹⁾، فضلاً عن استقرار الفئة الثرية بالمدينة - ممثلة بالخليفة وحاشيته وأقاربه⁽¹⁰⁾ - ذات القوة الشرائية، تطلب نشاطاً تجارياً واسعاً في المدينة، قامت الدولة لتبنيته بإنشاء ميناء تجاري في المدينة؛ ليتولى تزويدها بما تحتاج إليه من سلع، فقد ذكر المسبجي (ت 420هـ/1029م) في أحداث عام (415هـ/1024م) أن المراكب المحملة بالقمح كانت تصل منطقة المقس⁽¹¹⁾، وينقل ما فيها إلى القاهرة⁽¹²⁾، مما يدل على وجود ميناء تجاري بالمقس خاص بالقاهرة؛ إذ إن تلك المراكب لا بد لها من مرسى. ويبدو أن قيام ذلك الميناء تزامن مع قيام دار الصناعة⁽¹³⁾ التي أنشأها المعز في المقس⁽¹⁴⁾، حيث إن وجود دار لصناعة السفن يستلزم قيام ميناء ترسو عنده تلك السفن، وقد رافق قيام ذلك الميناء بداية نشوء الأسواق في القاهرة⁽¹⁸⁾.

ويبدو أن الأسواق شهدت نمواً سريعاً، فقد تحدث ناصر خسرو (ت 481هـ/1088م) -الذي قام برحلته إلى مصر بين سنتي (437-444هـ/1045-1052م) - عن عظمة أسواق القاهرة قائلاً: وكانت في القاهرة عشرين ألف دكان يمتلكها الخليفة جميعاً، ويؤجر الكثير منها بمبالغ تتراوح ما بين دينارين إلى عشرة دنانير شهرياً⁽²⁾، " وكانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر، والنقد، والأمتعة المختلفة، والملابس، بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس"⁽³⁾

(8) المقرئزي، إغاثة الأمة، ص 63.

(9) ابن زولاق، فضائل، ص 46-47، ابن خلكان، وفيات، ج 5، ص 226-227.

(10) أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 452.

(11) منطقة المقس: تقع على شاطئ النيل، الذي يبعد عن القاهرة نحو ميل. انظر المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 602.

(12) أخبار، ج 40، ص 39.

(13) دار الصناعة: اسم لمكان قد أعد لصنع المراكب البحرية التي يقال لها السفن، وهي بمصر على قسمين: حربية ونيلية. فالحربية هي التي تنتشأ لغزو العدو وتشحن بالسلح وآلات الحرب، إضافة إلى المقاتلة، وكانت هذه المراكب الحربية تشكل "الأسطول". وأما المراكب النيلية فإنها تنتشأ لتتنقل بالنيل، ومهمتها حمل الغلال وغيرها. انظر المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 602.

(14) المصدر نفسه، مج 3، ص 403.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 332.

(2) سفرنامه، ص 104.

(3) المصدر نفسه، ص 121.

إلا أن تلك الأسواق لم تلغ اعتماد القاهرة على أسواق الفسطاط بشكل نهائي، فيذكر المسيحي (ت420هـ/1029م) في أحداث عام (415هـ/1024م) أن طائفة من جواري وخدم القصر نزلت للشراء من أسواق الفسطاط¹⁽⁴⁾؛ ربما لأنها كانت "أكثر أرزاقاً وأرخص أسعاراً من القاهرة، لقرب النيل من الفسطاط، فالمرابك التي تصل بالخيرات تحط هناك، ويبيع ما يصل فيها بالقرب منها، وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة، لأنه بعيد عن المدينة"²⁽⁵⁾.

إن الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عهد المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) في الفترة الزمنية الممتدة من عام (457هـ/1065م إلى عام 464هـ/1072م)، والتي نتجت عنها مجاعة رافقها وباء³⁽⁶⁾، فضلاً عن انعدام الأمن في المدينة؛ بسبب فوضى الجند⁴⁽⁷⁾، ربما انعكس أثره على الأسواق وأدى إلى انكماشها وركود النشاط التجاري فيها؛ نتيجة "لتفرق الناس من القاهرة"⁵⁽⁸⁾، وعزوف التجار عن استثمار ثرواتهم في مصر وفرارهم منها⁶⁽⁹⁾.

(4) أخبار، ج40، ص37.

(5) ابن سعيد، النجوم، ص27، المقريري، المواعظ، مج2، ص229.

(6) المقريري، المواعظ، مج2، ص300.

(7) ابن ميسر، أخبار، ص32-33، المقريري، اتعاط، ج2، ص105-106.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص255.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص53.

إن قدوم بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ/1074م)، وتصديه للأزمات الاقتصادية والفتن التي كانت تمر بها البلاد⁽¹⁾، ونجاحه في جذب التجار الذين فروا من مصر إبان الأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد⁽²⁾، فضلاً عن نمو المدينة وزيادة عدد سكانها، أثر سماح بدر للمدنيين بسكانها⁽³⁾، كان له أثر واضح في عودة الحركة التجارية إلى مصر، "فرخصت الأسعار وكثر الجالب من سائر الأصناف"⁽⁴⁾، "وكثر تردد التجار في أيامه (أي بدر) إلى مصر بعد نزوحهم عنها"⁽⁵⁾، وتحسنت أحوال التجار وانتعشت تجارتهم، مما دفع بعضهم إلى مدح بدر الجمالي بقصائد مطولة⁽⁶⁾. ويمكن القول أن النشاط التجاري في المدينة قد انعكس على الأسواق، وأدى إلى نموها؛ لتواكب الوضع الجديد، ولتفي بحاجات النمو السكاني، والتوسع العمراني الذي شهدته المدينة.

لقد شهد عهد الأمر توسعاً كبيراً في النشاط التجاري بالقاهرة، " فتردد المسافرون، والتجار، وجلبت البضائع، وزاد الحاصل في الخزائن من كل صنف، مضافاً إلى ما كان فيها"⁽⁷⁾؛ بسبب اهتمام وزراء الأمر في تدعيم الحركة التجارية، فكان الأفضل بن بدر الجمالي " حسن السيرة في التجار "⁽⁸⁾. وكان المأمون بن البطائحي⁽⁹⁾ " يكرم التجار، ويكف الأذى والضرر عنهم "⁽¹⁰⁾.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص53، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص137-145.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص53.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص222.

(4) الدواداري، كنز، ج6، ص403.

(5) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص148.

(6) ابن ميسر، أخبار، ص53، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص148.

(7) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص218.

(8) المصدر نفسه ، ج2، ص187.

(9) المأمون بن البطائحي: أبو عيد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار، وزر للخليفة الأمر في الفترة الزمنية الممتدة من (515هـ / 1022م إلى 519هـ / 1026م)، أساء معاملة الناس، وقبح سيرة الخليفة الأمر، فقبض عليه، واستولى على أمواله، ثم قتله في سنة (521هـ / 1127م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج5، ص299.

(10) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص212.

إن توسع النشاط الاقتصادي في وزارة المأمون ارتبط في بناء منشآت الخدمات الاقتصادية في القاهرة، فقام المأمون بن البطائحي عام (516هـ/1122م) ببناء أول "دار ضرب" في القاهرة "صار دينارها أعلى عياراً من جميع ما يضرب في جميع الأمصار"⁽¹¹⁾، وقام المأمون في نفس العام ببناء "دار وكالة"⁽¹²⁾ لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار⁽¹³⁾، وحسب تعبير ابن ميسر (ت677هـ/1278م) "لم يسبق إلى ذلك"⁽¹⁴⁾. وإن ازدهار النشاط التجاري، وبداية قيام المنشآت الاقتصادية بالقاهرة في خلافة الأمر، ربما يشير إلى أن المدينة شهدت في خلافة الأمر نمواً ونشاطاً في أسواقها يفوق الفترة التي سبقتها.

يرجح انكماش أسواق القاهرة، وركود النشاط التجاري بها، منذ مقتل الأمر عام (524هـ/1130م) وحتى سقوط الخلافة الفاطمية عام (567هـ/1171م)، نتيجة للأزمات الاقتصادية المتتالية التي عاشتها المدينة في تلك الفترة، وبسبب انعدام الأمن في المدينة في الفترة المذكورة، التي غدت فيها العاصمة وأسواقها مسرحاً للفوضى والاضطراب وكثرة اللصوص، حيث صار "نهب... الأسواق والدور والحوانيت... عادة مستقرة وشيئاً معهوداً في كل فتنة"⁽¹⁵⁾.

(11) ابن المأمون، أخبار، ص38، ابن ميسر، أخبار، ص92، المقرئ، ج6، ص496. وعن دار الضرب انظر ابن الطوير، نزهة، ص167، المقرئ، ج1، ص191، ص187.
(12) عن دار الوكالة: انظر ص 120 - 121 من الأطروحة.
(1) ابن المأمون، أخبار، ص 39، ابن ميسر، أخبار، ص92.
(2) ابن ميسر، أخبار، ص92.
(3) المقرئ، ج2، ص233.

قام أكبر تجمع للأسواق في القاهرة على جانبي شارع القصبة⁽⁴⁾، ولتجمعها عليه صلة بحركة النقل التجاري، إذ أنه كان عنصر الربط الأساسي بين القاهرة والفسطاط – إذ كان يخترق الفسطاط⁽⁵⁾2. وكانت القاهرة إلى حد إنشاء ميناء تجاري خاص بها تستمد كافة متطلباتها التجارية من الفسطاط، كما أنها كانت حتى بعد قيام ميناء بها تستمد بعض سلعها من الفسطاط⁽⁶⁾3.

كما أن ارتباط شارع القصبة بكافة أجزاء المدينة – عن طريق الدروب التي امتدت يمينته ويسرته⁽⁷⁾4 – ييسر لجميع سكان المدينة الوصول إليه، الأمر الذي يحقق للأسواق القائمة عليه رواجاً تجارياً، كما أن ارتباط شارع القصبة بكافة أجزاء المدينة⁽⁸⁾5، ييسر نقل البضائع من الأسواق القائمة عليه إلى كافة الأسواق الفرعية المنتشرة في أنحاء المدينة، مما يجعل أسواقه التي كانت "أعظم أسواق مصر"⁽⁹⁾6، الممول الرئيسي لكافة الأسواق الفرعية في المدينة، مما يحقق لها انتعاشاً تجارياً.

جاء توزيع الأسواق على جانبي القصبة بشكل يخدم التجمعات السكانية، فامتدت بعض أسواق المدينة على جانبي شارع القصبة غربي الجامع الأزهر⁽¹⁰⁾7، بحيث تكون إلى جوار تجمع المصلين، مما يحقق لها أرباحاً وفيرة. وهذه الأسواق هي: سوق باب الصيارف⁽¹⁾8، يليه مباشرة سوق السيوفيين، ويقابل السيوفيين سوق الزجاجيين، الذي ينتهي إلى سوق القشاشين غربي الجامع الأزهر⁽²⁾9، وقام سوق السراجين عند بابي زويلة⁽³⁾10.

(4) المقريري، المواعظ، مج3، ص 315-335.

(5) المصدر نفسه، مج2، ص344-253، اندريه ريمون، القاهرة، ص50.

(6) المسيحي، أخبار، ج40، ص37.

(7) المقريري، المواعظ، مج2، ص244-253.

(8) المصدر نفسه، مج2، ص244-253، وانظر ص 15-16 من الأطروحة.

(9) المصدر نفسه، مج3، ص316.

(10) المصدر نفسه، مج3، ص315-335.

(1) المقريري، المواعظ، مج3، ص323.

(2) المصدر نفسه، مج3، ص323-341، P. 509, Ayman Fu'ad Sayyid, op.cit.

(3) المقريري، المواعظ، مج3، ص331.

وقامت أسواق أخرى على جانبي شارع القصبية، بجوار القصور¹⁽⁴⁾، بحيث تكون إلى جوار الفئة الثرية من السكان، المتمثلة بالخلفاء وحواشيهم وأقاربهم، الذين تعددت متطلباتهم ومشترياتهم، وهذه الأسواق هي:

سوق القماحين الواقعة عند الجامع الأقمر²⁽⁵⁾، وسوق أمير الجيوش³⁽⁶⁾ على رأس حارة برجوان⁴⁽⁷⁾، وسوق الرواسين، على رأس سوق أمير الجيوش⁵⁽⁸⁾ المذكور.

وفضلاً عن الأسواق الرئيسية الأنفة الذكر نشأت أسواق -أخرى- فرعية ألحقت بحارات المدينة؛ لتلبية احتياجاتها اليومية الضرورية. فذكر ابن عبد الظاهر (ت692هـ/1293م) أن "كل حارة من حارات القاهرة بلد مستقلة باليزازين⁹⁽⁹⁾ والبياعين، والجزارين، وغير ذلك"⁶⁽¹⁰⁾، كما ذكر المقرئزي (ت845هـ/1441م)، "أن في حارة العطوفية من الأسواق ما لا يدخل تحت الحصر"⁷⁽¹¹⁾، كما قامت في حارة الريحانية والوزيرية حوانيت عدة⁸⁽¹²⁾. وعندما عمرت منطقة الخراب-الذي تولد عن الشدة المستنصرية- الممتدة من باب زويلة الكبير إلى المشهد النفيسي، نمت بها أسواق⁹⁽¹³⁾.

(4) المصدر نفسه ، مج3، ص 315-335.

(5) المصدر نفسه ، مج3، ص319.

(6) سوق أمير الجيوش: أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي. انظر المصدر نفسه، مج2، ص219، مج3، ص318.

(7) المقرئزي، **المواعظ** ، مج2، ص219، مج3، ص318. حارة برجوان: تقع شمال القصر الغربي. انظر المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص219.

(8) المصدر نفسه، مج3، ص317.

(9) اليزاز: هو بائع الثياب. انظر الجاحظ، الحيوان، ج3، ص30.

(10) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص137.

(11) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص36.

(12) المصدر نفسه، مج3، ص3.

(13) المصدر نفسه، مج3، ص57.

وذكر ابن خلكان (ت681هـ/1282م) أن يعقوب بن كلس "شرع في تحصين داره ودور غلمانه... وعمرت ناحيته بالأسواق"⁽¹⁴⁾، مما يدل على وجود أسواق قرب دار ابن كلس في حياته، ولم يرد منها سوى سوقة الوزير يعقوب بن كلس التي كانت تقع أمام داره⁽¹⁵⁾، وقد عرفت بعد وفاة الوزير يعقوب بن كلس بـ "سوقة دار الديباج"، وعرفت في أواخر العصر الفاطمي بالسوق الكبيرة⁽¹⁾، بعد أن اتسعت وازداد نشاطها التجاري.

ومن الملفت أن المصادر لم تشر إلى أسماء الأسواق التي كانت ملحقة بالحارات، ولعل صغرها وتحديد استعمالها من سكانها المحليين جعلها أقل أهمية.

* لقد بنيت أول حمام (2) إسلامية في مصر على يد الخليفة العزيز⁽³⁾، وإن بداية نشوء الحمامات بمصر الإسلامية في العصر الفاطمي، يشير إلى اهتمام الفاطميين بالناحية الحضارية، ولا ريب في ذلك، حيث بلغ الفاطميون – كما يقول المقرئ – مبلغاً عظيماً من الحضارة (4).

جاء توزيع الحمامات في القاهرة بشكل يخدم التجمعات السكانية، فقامت بعض حمامات المدينة بجوار القصور؛ لتلبية حاجة ساكني القصور بإنشاء حمامات قريبة منهم، وهذه الحمامات هي:

حمام السباط بجوار القصر الغربي⁽⁵⁾، وحمام الصنيمية، وحمام تتر، وحمام ابن أبي الدم، بجوار القصر الشرقي⁽⁶⁾.

(14) ابن خلكان، وفيات، ج7، ص27-35.

(15) دار ابن كلس: كانت داراً للوزارة، أنشأها الوزير يعقوب بن كلس، وتقع مقابل حارة الوزيرية، وقد عرفت بعد وفاة ابن كلس "بدار الديباج"، وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من الشام - عام (466هـ/1074م) - ووزر للمستنصر، فنقل دار الوزارة منها إلى شمال القصر الشرقي، وأطلق عليها "دار الوزارة الكبرى". انظر المقرئ، **المواعظ**، مج2، ص238-239، 519، مج3، ص344-345.

(1) المصدر نفسه، مج3، ص344-345.

(2) حول دور الحمامات في حياة الناس انظر ص 224-225 من الأطروحة.

(3) المقرئ، **المواعظ**، مج3، ص261.

(4) المصدر نفسه، مج3، ص316.

(5) ابن عبد الظاهر، **الروضنة**، ص102، المقرئ، **المواعظ**، مج3، ص263.

(6) المقرئ، **المواعظ**، مج3، ص264-265.

وتوزعت حمامات أخرى في حارات المدينة؛ لتلبية حاجة ساكني الحارات بإنشاء حمامات قريبة منهم، وهذه الحمامات هي:

حمام السيدة العمة في حارة الروم⁽⁷⁾، وحمام الرصافي في حارة الديلم⁽⁸⁾، وحمام الجيوشي في حارة برجوان⁽⁹⁾، وحمام ابن قرفة، وحمام ابن عبود، وحمام الكويك في حارة زويلة⁽¹⁰⁾. وقامت حمامات عديدة في حارة العطفية⁽¹¹⁾.

* افتقدت القاهرة في تخطيطها الأول مظاهر الازدهار المادي، فانتسبت بمظهر الجدية، فكانت خالية من مظاهر الترفيه من منتزهات وغيرها. ولعل نفاذ الأموال التي حملها جوهر معه من المغرب إلى مصر، في معالجة الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد⁽¹²⁾، هو الذي حال دون قيام منشآت الترفيه في المدينة عند تأسيسها. ولا ريب أن سكان القاهرة عند تأسيسها من ذوي السمة العسكرية⁽¹⁾ كان لهم أثر في تقوية طابعها الجدي، إذ يفترض أن تكون منشأتهم بسيطة، لا يراعى فيها الجمال والترف.

لقد أدرك العزيز (365-386هـ/975-996م) الاعتبارات العملية في تخطيط المدينة، بخلوها من المنتزهات، فعندما أعاد تخطيطها الأول⁽²⁾، أنشأ بها منظرين⁽³⁾؛ ترفيهاً ومتعة له، إحداهما تقع في بر الخليج الشرقي، بالقرب من باب القنطرة، تسمى "باللؤلؤة"⁽⁴⁾، يرى الجالس فيها نهر النيل وما حوله من بساتين⁽⁵⁾، والأخرى تسمى منظر السكرة تقع في بر الخليج الغربي⁽⁶⁾، كان يجلس فيها الخليفة للتفرج على الاحتفال المصاحب لفتح الخليج⁽⁷⁾.

(7) المصدر نفسه، مج3، ص262.

(8) المصدر نفسه، مج3، ص270.

(9) المصدر نفسه، مج3، ص270.

(10) المصدر نفسه، مج3، ص266-267، 270.

(11) المصدر نفسه، مج3، ص37.

(12) ابن سعيد، النجوم، ص102.

(1) ابن سعيد، العيون، ص11، ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص36، المقرئ، المواعظ، مج3، ص220.

(2) انظر التوسع العمراني الذي شهدته المدينة في عهد العزيز ص17-18 من الأطروحة.

(3) المناظر: دور أنيقة أنشأها الخلفاء ووزراؤهم؛ لإقامتهم في فترات خروجهم للنزهة أو الاحتفالات. انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص110، المقرئ، المواعظ، مج2، ص522-562.

(4) المقرئ، المواعظ، مج2، ص528-529، ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص46، 524-255.

(5) المقرئ، المواعظ، مج2، ص528-529.

(6) المقرئ، المواعظ، مج2، ص537، علي مبارك، الخطط، ج1، ص48.

(7) ابن المأمون، أخبار، ص78، ابن الطوير، نزهة، ص197.

إن الازدهار الاقتصادي الذي عاشته القاهرة من بعد الشدة المستتصيرية (457-464هـ/1065-1972م) إلى نهاية عهد الأمر (495-524هـ/1101-1130م)¹⁽⁸⁾، أدى إلى تطوير السمة "الرسمية" الأولى للمدينة، فبدأ الطابع الجدي الذي اتسمت به يتلاشى، وحل محله مظهر حضري، وبدأت مظاهر الازدهار المادي تعم المدينة متمثلة في المنتزهات. حيث أنشأ بها الخلفاء ووزراؤهم مناظر اقتصر التنزه بها عليهم²⁽⁹⁾ وهي:

منظرة التاج³⁽¹⁾ والخمس وجوه⁴⁽²⁾، وقبة الهواء⁵⁽³⁾ ومنظرة باب الفتوح خارج باب الفتوح⁶⁽⁴⁾، ومنظرة الجامع الأزهر، بجوار الجامع الأزهر⁷⁽⁵⁾، ومنظرة الغزالة على شاطئ الخليج بجوار منظرة اللؤلؤة⁸⁽⁶⁾، وقامت منظرة دار الذهب على الخليج بجوار الغزالة⁹⁽⁷⁾، كما قامت منظرة البعل⁸⁽⁸⁾ جانب الخليج الغربي¹⁰⁽⁹⁾، وقامت في المقس منظرة عرفت "بمنظرة المقس"¹¹⁽¹⁰⁾، كما قامت منظرة الدكة على ساحل المقس¹²⁽¹¹⁾.

- (8) حول الازدهار الاقتصادي الذي عاشته القاهرة من بعد الشدة المستتصيرية حتى نهاية عهد الأمر انظر ص 24-25 من الأطروحة.
- (9) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص 110، المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 522-562.
- (1) ابن المأمون، أخبار، ص 97، ابن ميسر، أخبار، ص 87.
- (2) ابن المأمون، أخبار، ص 97، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 567.
- (3) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 584.
- (4) ابن المأمون، أخبار، ص 61، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 568.
- (5) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 522.
- (6) ابن المأمون، أخبار، ص 98، ابن الطوير، نزهة، ص 103.
- (7) المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 536.
- (8) البعل: الأرض المرتفعة التي لا يصيبها المطر إلا مرة واحدة في السنة. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص 967.
- (9) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 565.
- (10) ابن المأمون، أخبار، ص 62، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 562.
- (11) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 562.

وقامت في القاهرة بساتين، أعدت لنزهة الخلفاء ووزرائهم، وهي:

"البساتين الجيوشية"، ويمتد بعضها خارج باب الفتوح، والبعض الآخر منها يمتد خارج باب القنطرة⁽¹²⁾. وربما كانت من إنشاء أمير الجيوش بدر الجمالي، فنسبت إليه. كما قامت بساتين أخرى بين القصرين (الشرقي والغربي)⁽¹³⁾، وقام بستان في أرض المقس، سمي "بالدكة"⁽¹⁴⁾. إن المشاكل والاضطرابات التي شهدتها الدولة الفاطمية في مصر، بعد مقتل الأمر عام (524هـ/1130م)، وحتى سقوطها عام (567هـ/1171م)، فضلاً عن الأزمات الاقتصادية المتتالية التي مرت بها الدولة في تلك الفترة، حالت دون قيام منتزهات بها⁽¹⁵⁾، فانشغال الخلفاء ووزرائهم بالتصدي لتلك المشاكل لم يتيح لهم المجال الاهتمام بسواها.

توصلت الباحثة من خلال دراستها لخطط المدينة إلى ما يلي:

- اختيار موقع القاهرة لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، فروعها وقوعه على طرق التجارة، وهذا يوفر التمويل اللازم للجند وللناس. وشكل جبل المقطم وخليج القاهرة في الموقع موانع طبيعية أمام أية هجمات خارجية.
- يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحصين؛ إذ إنَّ المدينة بنيت لتكون حصناً للفاطميين وأنصارهم يحتمون بها من الأعداء؛ ولأجل ذلك شيدت للمدينة الأسوار التي تضمن لها الأمن والحماية.
- كان القصر الشرقي والجوامع محاور أساسية ثابتة في التخطيط، التفت مباني المدينة حولهما.
- تخلصت القاهرة من محتواها السكاني الطبقي، وفقدت مكانتها كمدينة "رسمية" مخصصة للخاصة، بعد أن أباح بدر الجمالي -عام (466هـ/1074م)- للمدنيين على اختلاف طبقاتهم بسكانها. فجمعت حينئذٍ بين التحصينات العسكرية والأغراض المدنية، وصارت مركز التكتل للكثافة السكانية بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك.

(12) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص582.

(13) ناصر خسرو، سفرنامه، ص106.

(14) ابن ظافر الأزدي، أخبار، ج2، ص215.

(15) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص522-562.

- لم يكن النمو العمراني للقاهرة عملية متصلة، فثمة فترات متناوبة من النمو والتقلص عاشتها المدينة، توقفت على الظروف السياسية أو الاقتصادية التي سادت بها.



الفصل الثاني

البنية السكانية

- تمهيد

أولاً: المغاربة

ثانياً: الصقالبة

ثالثاً: الأقباط

رابعاً: الأتراك

خامساً: السودان

سادساً: الأرمن

سابعاً: العرب

تمهيد :

لقد شهدت القاهرة تعددية أثنية، حيث حوت خليطاً من أجناس متعددة الأصول، وأنماط الحياة الاجتماعية؛ إذ سكنها المغاربة، والصقالبة، والأقباط، والأتراك، والسودان، والأرمن، والعرب⁽¹⁾.

كان العصب الرئيس لسكان القاهرة عند تأسيسها من حيث العدد والمكانة من العسكر، بحيث أطلق عليها اسم " المعسكر "⁽²⁾؛ لأنها بنيت لتكون مركزاً للخليفة، والقوة العسكرية التي تسنده⁽³⁾. وظل التفوق العددي في المدينة للعسكر حتى بعد السماح للمدنيين بسكناها- عام (466هـ/ 1074م)⁽⁴⁾— إذ يذكر المؤرخون في أحداث عام (564هـ/ 1169م) — أي قبل سقوط الخلافة الفاطمية بخمس سنوات- أن سكان القاهرة أكثرهم من الجند، وأهل الدولة وأتباعهم⁽⁵⁾.

سوف يتناول هذا الفصل الأصول الأثنية للسكان، وفاعليتهم في المجتمع. ولما كانت السلطة عاملاً رئيسياً في تحديد المنزلة الاجتماعية⁽⁶⁾، فسوف يدرس هذا الفصل نفوذ العسكر وأثره على مكانتهم الاجتماعية. وفي الوقت الذي يمكن فيه وضع سمات عامة لأوضاع العسكر الاجتماعية من كل جنس، حيث كانت أدوارهم وأعمالهم في المجتمع واحدة، فإنه لا يمكن وضع سمات عامة لأوضاع المدنيين الاجتماعية، حيث تفاوتت مكانتهم الاجتماعية بتفاوت أدوارهم وأعمالهم في المجتمع، وتبعاً لذلك ستتم دراسة الأوضاع الاجتماعية لأصناف المدنيين في الفصل الثالث من الأطروحة، في إطار الحديث عن الطبقات الاجتماعية⁽⁷⁾.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج1، ص126، مج2، ص218-219.

(2) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص176.

(3) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص220.

(4) حول ظروف السماح للمدنيين بسكنى القاهرة انظر ص 18-19 من الأطروحة.

(5) ابن الأثير **الكامل**، ج 9 ، ص 218، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص320.

(6) حول أثر السلطة في تحديد المنزلة الاجتماعية انظر ص 84-85 من الأطروحة.

(7) انظر الفصل الثالث من الأطروحة.

أولاً المغاربة

اعتمد الفاطميون في تأسيس دولتهم بالمغرب على قبيلة من سكان البلاد المحليين البربر⁽⁹⁾، وهي قبيلة كتامة⁽¹⁾، حيث توافرت بها خصال جعلتها محط أنظار القوى الفاطمية الراغبة في السيادة والسلطان في المغرب، إذ كانت أوفر القبائل البربرية عدداً⁽²⁾، وتميز رجالها بمقدرتهم القتالية، فقد طبعتهم بينتهم الجبلية⁽³⁾ بطابع الخشونة والجلد والشجاعة⁽⁴⁾، ومعاناة الحروب⁽⁵⁾، فلم يكن " في قبائل افريقية أشد شوكة من كتامة" ⁽⁶⁾.

وقد أضاف الخليفة القائم (322-334هـ/934-945م) إلى صفوف الجيش الفاطمي في المغرب - فضلاً عن قبيلة كتامة - قبيلة صنهاجة⁽⁷⁾، التي امتازت بكثرتها العددية، بحيث " لا يكاد قطر من أقطاره (أي المغرب) يخلو من بطن من بطونها" ⁽⁸⁾. وقد تأثر أفراد هذه القبيلة بطبيعة بلادهم الجبلية والصحراوية⁽⁹⁾، التي أكسبتهم حب الفروسية ومعاناة الحروب، مما دفع القائم إلى تجنيدهم في صفوف الجيش الفاطمي.

-
- (9) عن قبائل البربر وأقسامها وأماكن استقرارها. انظر ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص115-207، بوخالفة، نور الهدى، (1986م) الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي في القرون الثلاثة للهجرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص40.
- (1) حول دور قبيلة كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية، انظر القاضي النعمان، **افتتاح**، ص156-170، ابن عذاري، **البيان**، ج1، ص138-150، موسى لقبال، دور قبيلة كتامة، ص45-406، فرحات الدشراوي، الخلافة، ص165-399.
- (2) ابن عذاري، **البيان**، ج1، ص168.
- (3) تشغل ديار كتامة المنطقة الجبلية الواقعة فيما بين بجاية وقسنطينة. انظر ابن خلدون، **العبر**، مج6، ص176-175.
- (4) ابن خلدون، **العبر**، مج6، ص174. أكد ابن خلدون على أن طبائع البشر وأفكارهم إنما تتأثر جميعها بالظروف الجغرافية المحيطة. انظر ابن خلدون، **العبر**، ج1، ص387-397.
- (5) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص66.
- (6) ابن عذاري، **البيان**، ج1، ص168.
- (7) التجاني، **رحلة**، ص325، العميرة، محمد، (1999م)، الجيش الفاطمي (297-567هـ/909-1171م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص61.
- (8) ابن خلدون، **العبر**، مج6، ص179.
- (9) انتشرت قبائل صنهاجة في أماكن متفرقة من المغرب، فمنهم من أقام في جبل درن، وريف غمارة، ومنهم من أقام في الصحراء الفاصلة بين المغرب والسودان. انظر ابن خلدون، **العبر**، مج6، ص179-183، بوزيان، الدراجي، القبائل، ج2، ص55-59.

ولعل القائم كان مدفوعاً إلى ضم قبيلة صنهاجة لصفوف الجيش الفاطمي – رغم وجود قبيلة كتامة التي امتازت بقوتها ووفرة أعدادها فيه – لتدعيم قواته من الكتاميين بقوى أخرى؛ لأجل تأمين الوجود الفاطمي في المغرب – لاسيما بعد فشل الكتاميين في التصدي لثورة أبي يزيد⁽¹⁾ طوال عهد القائم⁽²⁾ – وتحقيق السياسة الفاطمية التوسعية التي ترمي إلى السيطرة والتوسع نحو المشرق⁽³⁾. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فلعل الثورات التي قام بها أفراد قبيلة كتامة ضد الفاطميين في عهد المهدي (297-322هـ/909-934م)⁽⁴⁾ كانت دافعاً للقائم لضم قبيلة بربرية أخرى لصفوف الجيش الفاطمي، تجنبه سطوة كتامة، فإذا ازدادت سطوتها لجأ إلى تلك القبيلة للحد من نفوذها.

(10) عن ثورة أبي يزيد الزناتي ضد الخلافة الفاطمية عام (332هـ/947م). انظر القرشي، تاريخ، ص265-273، بني خالد، موسى أحمد، (1990)، ثورة أبي يزيد الخارجي ضد الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص40-150.
(11) القرشي، تاريخ، ص265-273.
(12) انظر ص3-5 من الأطروحة.
(1) حول الثورات التي قامت بها قبيلة كتامة ضد الخليفة المهدي، انظر القاضي النعمان، افتتاح، ص247-267، ابن عذاري، البيان، ج1، ص164-165.

لقد تشكل جيش الفتح الفاطمي لمصر من قبيلة كتامة(1)، وصنهاجة(2)، وقبائل بربرية أخرى، لم تحدد المصادر إلى أي القبائل البربرية تنتمي. بعضها من مدينة زويلة(3)، وبعضها سموا بالباطلية(4)، والبعض الآخر منها سموا بالبرقية -نسبة إلى أرض برقة(5) التي جاءوا منها إلى مصر(6) - يرجح أنهم من قبيلة لواته، على اعتبار أن قسماً من أفراد تلك القبيلة قد انتشروا في أرض برقة(7).

إن وجود قبائل بربرية في جيوش الفتح الفاطمي لمصر، غير قبيلتي كتامة وصنهاجة؛ يدل على أن الفاطميين قاموا بتدعيم جيوشهم في بلاد المغرب بقبائل بربرية أخرى غير هاتين القبيلتين. وفي الوقت الذي ألحت فيه المصادر على ذكر الدور العسكري والسياسي، لقبيلتي كتامة وصنهاجة في تاريخ الخلافة الفاطمية في المغرب(8)، لم ترد أي إشارة لدور تلك القبائل، وذلك ربما يشير إلى ضعف أهميتها، وعدم مشاركتها مشاركة فعالة في أحداث المغرب.

(2) القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.

(3) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص358.

(4) النويري، نهاية، ج28، ص761، القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402. زويلة: ضاحية من ضواحي مدينة المهدية، أسسها الخليفة عبيد الله المهدي (297-322هـ/909-934م). انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص159-160.

(5) ناصر خسرو، سفرنامه، ص109. تغزو المصادر تسميتهم بالباطلية إلى أن المعز لما قدم من المغرب إلى مصر عام (362هـ/973م)، وقسم العطاء في الناس، جاءوا إليه يسألوه عطاءً، فقال لهم فرغ ما كان حاضراً، ولم يبق شيء، فقالوا: نحن على باطل، فسموا بالباطلية. انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص42، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص21.

(6) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى، يقع بين الإسكندرية وإفريقية. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص573-575، الحميري، الروض، ص91.

(7) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص42، ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص37.

(8) ابن خلدون، العبر، ج6، ص139.

(9) حول دور قبيلتي كتامة وصنهاجة في تاريخ الخلافة الفاطمية في المغرب، انظر: الفاضي النعمان، افتتاح، ص156-170، ابن عذاري، المغرب، ج1، ص138-150، فرحات الدشاوي، الخلافة، ص165-399.

لقد تميز جيش الفتح الفاطمي لمصر بضخامته؛ إذ وصفه المصريون عقب وصوله إلى بلادهم بأنه " مثل جمع عرفات كثرة وعدة "(1)، إلا أن المصادر لم توضح القوة العددية والمكانة العسكرية لأفراده. ولكن يبدو أن كتامة كانت تمثل العصب الرئيس لهذا الجيش، إذ يذكر المقرئزي (ت 845هـ/1442م) أن أعداد الكتاميين الذين جاءوا لفتح مصر كانت من الكثرة بحيث أدى ذلك إلى انهيار نفوذ كتامة في مواطنها في بلاد المغرب(2).

وإن تخصيص ديوان للكتاميين في مصر للنظر في شؤونهم(3)، دون غيرهم من القبائل البربرية، يدل على أن الكتاميين كانوا أكثر عدداً، وأوسع نفوذاً من القبائل البربرية الأخرى. وتظهر الاعتبارات الأمنية في التنظيم الاجتماعي الذي سار عليه جوهر في إسكان المغاربة في المدينة، فيبدو أنه حاول السيطرة عليهم عن طريق تفتيت وحدتهم، بتفريقهم كتلاً تتوزع حاراتها في المدينة، في مواقع إستراتيجية لها أهمية سياسية ودينية(4)؛ ربما ليكونوا رقباء وعيوناً عليها.

فقد قامت جنوب الجامع الأزهر – الذي كان فضلاً عن القصر الشرقي مركزاً لنشر المذهب الاسماعيلي – حارة كتامة(5)، وقامت حارة الباطلية شرق الجامع الأزهر(6). وقامت حارة البرقية – التي ضمت بربر برقة – شرق القصر الشرقي، ويبدو أنها كانت من السعة، بحيث احتوت الجماعة التي سكنتها، والتي وصفها ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1293م) " بالجماعة الكثيرة" (7).

(10) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص182.

(1) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص290، ابن تغري بردي – **النجوم**، ج4، ص46.

(2) المسبحي، **أخبار**، ج40، ص29، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص15، أحمد، أميرة (1995). الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ص39.

(3) انظر الخارطة المرفقة نهاية الفصل الأول من الأطروحة، والتي يتبين عليها توزيع حارات المدينة.

(4) ابن دقماق، **الانتصار**، ج4، ص37، المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص18.

(5) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص219.

(6) **الروضة**، ص42.

وقامت حارة زويلة – التي سكنها جماعة من البربر – قرب باب سعادة⁽¹⁾، بحيث شكلت نقطة حراسة لمدخل المدينة من جهة باب سعادة. ويبدو أن أعداد الزويليين كانت كثيرة بشكل جعل هذه الحارة "عظيمة ومتشعبة"⁽²⁾.

لم تشر المصادر إلى أماكن سكنى قبيلة صنهاجة، وقد يشير ذلك إلى ضعف أهميتها؛ نتيجة لضعفها العددي، بسبب قلة أعداد الصنهاجيين الذين صاحبوا جيش الفتح الفاطمي لمصر؛ نتيجة لحرص المعز (341-365هـ/952-975م) على إبقاء جل قبيلة صنهاجة في إفريقيا؛ لتقوم بتثبيت النفوذ الفاطمي فيها. كما كان – على ما يبدو – إتجاه الولاة الفاطميين في إفريقيا نحو إبقاء الصنهاجيين في أفريقيا؛ لحاجتهم إلى جهودهم، فعندما طلب العزيز (365-386هـ/975-996م) سنة (371هـ/981م) من باديس بن زيري الصنهاجي – أحد نوابه بإفريقيا – ألف فارس من أبطال صنهاجة اعتذر متعللاً بحاجته إليهم⁽³⁾.

لقد أمر المعز قسماً من المغاربة بالسكنى في أطراف الفسطاط⁽⁴⁾؛ ربما ليكونوا عيوناً ورقباء عليها؛ تحسباً لأخطار الدسائس والعداء والثورات، التي قد تنجم من أهلها الذين شكل أهل السنة قسماً منهم⁽⁵⁾، لاسيما وأن المعز وأسلافه من الخلفاء الفاطميين كانت لهم تجارب صعبة في العيش مع الأوساط السنية في إفريقيا⁽⁶⁾.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص219.

(8) القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.

(1) ابن عذاري البيان، ج1، ص238.

(2) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص210.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص202.

(4) حول المقاومة السنية للفاطميين في إفريقيا انظر المالكي، رياض، ج2، ص74-96.

ولكن المغاربة خالفوا أوامر المعز في السكنى في أطراف الفسطاط "فنزلوا الدور (أي دور الفسطاط) وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة"⁽¹⁾، الأمر الذي أثار حنق أهل الفسطاط وجعلهم يستغيثون بالمعز؛ كي يخلصهم من سطوة المغاربة، فاستجاب المعز لاستغاثتهم وأصدر أمراً بترحيل المغاربة من الفسطاط إلى نواحي عين شمس⁽²⁾، ريثما يتم تنظيم أماكن لسكناهم بالقاهرة. وما لبث المعز في شعبان من عام (363هـ/ 974م) أن قام بنقل المغاربة المقيمين في عين شمس إلى القاهرة⁽³⁾.

ويبدو أن ترحيل المعز للمغاربة من الفسطاط، جاء لمنع حدوث مشاكل اجتماعية بين المغاربة والمصريين قد تهدد الأمن والنظام. كما أن نشوب نزاع بين المغاربة (أعوان الفاطميين) والسنة من أهل الفسطاط⁽⁴⁾، قد يؤدي إلى معارضة السنين للمذهب الاسماعيلي، الأمر الذي قد يحول دون تمكين النفوذ الفاطمي في مصر، مثلما كان حاله في بلاد المغرب؛ بسبب معارضة السنين وإنكارهم للمذهب الاسماعيلي⁽⁵⁾.

كون المغاربة - عقب وصولهم إلى مصر - قوى فاعلة في المجتمع المصري، حيث هيمنوا على كافة شؤون الدولة، فلم يدع جوهر عملاً "إلا جعل فيه مغربياً شريكاً لمن فيه"⁽¹⁰⁾؛ حتى يكتسب المغاربة من المصريين- ذوي الخبرة - المهارات اللازمة للوظائف العامة في الدولة؛ تمهيداً لإحلالهم محلهم من جهة، ولأجل فرض الصبغة الفاطمية على البلاد من جهة أخرى.

-
- (5) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص210.
(6) المصدر نفسه، ج1، ص210، عين شمس: بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ (15كم). انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، ص178.
(7) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص210.
(8) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص202.
(9) المالكي، **رياض**، ج2، ص74-96.
(10) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص189.

لقد اعتمد جوهر على المغاربة في فرض السيطرة على مصر، إذ وجه - عام (361هـ/972م) - القائد أبي محمد الحسن بن عمار المغربي⁽¹⁾ لإخضاع ثورة أهل تنيس⁽²⁾ ضد الحكم الفاطمي⁽³⁾.

حرص المعز (341-365هـ/952-975م) منذ وصوله إلى مصر عام (362هـ/973م) على تأكيد أهمية المغاربة في إدارة الدولة، فقد اعتمد عليهم في مواجهة أعداء الدولة، إذ عهد بتأمين الصعيد، وجنوب مصر إلى القائد حمزة الكتامي - متولي مدينة أسوان⁽⁴⁾ - وسير القائد مشعلة الكتامي على رأس حامية؛ لتولي الحكم في مدينة تنيس ومعالجة أمر ثورة قامت فيها⁽⁵⁾.

لقد بدت بوادر الضعف العسكري على المغاربة في مصر منذ عهد العزيز (365-386هـ/975-996م) حيث فشلوا في إعادة النفوذ الفاطمي على الشام عام (376هـ/978م) - بعد أن سيطر الجيش التركي بقيادة أفتكين على معظم مدن الشام التابعة للفاطميين⁽⁶⁾ - وقد عزى العزيز فشل المغاربة في جبهة الشام إلى تقاعسهم عن القتال⁽⁷⁾. مما دفعه إلى البحث عن كفاءات عسكرية يعزز بها قواته من المغاربة، فكان الحل - كما رأى العزيز - باللجوء إلى الأتراك الذين تميزوا بمقدرتهم القتالية⁽⁸⁾.

-
- (1) لمزيد من المعلومات حول القائد أبي محمد الحسن بن عمار انظر ص 39 من الأطروحة.
 - (2) تنيس: جزيرة تقع في بحيرة قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط. انظر الحميري، الروض، ص 137-138.
 - (3) المقرئ، اتعاط، ج 1، ص 130.
 - (4) المصدر نفسه، ج 1، ص 245-246. أسوان: أحد المدن المصرية القديمة الواقعة في إقليم الصعيد، على الشاطئ الشرقي لنهر النيل، وكانت مركزاً لحركة التجارة بين مصر وبلاد النوبة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 191.
 - (5) ساويرس بن المقفع، تاريخ ج 3، مج 1، ص 417.
 - (6) ابن سنان، تاريخ، ص 234-235.
 - (7) المقرئ، اتعاط، ج 1، ص 287.
 - (8) حول ظروف تجنيد العزيز للأتراك، والخصائص العسكرية التي تميزوا بها انظر ص 50-51 من الأطروحة.

جاء تجنيد العزيز للأتراك إيداناً ببروز قوى اجتماعية أخرى غير المغاربة، وبالتالي فقدان المغاربة دورهم الرئيس في الجيش والدولة، فقد أهمل العزيز المغاربة، ووجه جل اهتمامه إلى الأتراك، حيث أمر جميع المغاربة بالترجل⁽¹⁾ للقائد التركي منجوتكين⁽²⁾، وقدم - عام (370هـ/980م) - الأتراك على المغاربة في العطاء⁽³⁾.

يبدو أن إدخال الأتراك في الجيش لم يقع موقع القبول في نفوس المغاربة، وقد حالت سيطرة العزيز عليهم دون تعبيرهم عن استيائهم، الأمر الذي عبروا عنه في عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م)، مستغلين صغر سنه⁽⁴⁾، حيث تخلف عدد كبير من قادتهم وجنودهم عن مبايعته - في أواخر رمضان سنة (386هـ/966م) - واشتروا لهذه البيعة شرطين، هما: إسناد الوساطة⁽⁵⁾ إلى رجل من المغاربة، وأن تصرف لهم مخصصات مالية تقسط على ثمان دفعات في السنة⁽⁶⁾. وتبدو من هذين الشرطين رغبة المغاربة في استعادة مكانتهم في الجيش والدولة التي نال منها إدخال الأتراك.

وقد حقق الحاكم للمغاربة ما أرادوا، فأعطى الحاضرين منهم ما يخصهم من أموال، وكذا باقي المغاربة الغائبين، وانتدب الحسن بن عمار للوساطة⁽⁷⁾، وألزم سائر الناس وكبار رجال الدولة بالترجل لابن عمار أينما سار⁽⁸⁾.

(9) الترجل: هو النزول عن ظهر الفرس. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص1003.

(10) ابن سعيد، النجوم، ص104-105.

(11) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص299.

(1) تولى الحاكم الخلافة وهو في الحادية عشرة وأشهرًا. انظر ابن ميسر، أخبار، ص177، المقرئزي، اتعاض، ج1، ص325.

(2) الوساطة: رتبة دون الوزارة، وكان ظهورها في الدولة الفاطمية عقب وفاة الوزير يعقوب بن كلس (380هـ/990م) حيث لم يعتمد الخليفة العزيز (365-386هـ/975-996م) على وزراء بعد ابن كلس، بل اعتمد على وسطاء ليكونوا واسطة بينه وبين أصحاب الدواوين وموظفيها وسائر أفراد الدولة، واستمر الأمر على ذلك حتى تولى الوزارة الجرجاني للخليفة الظاهر عام (418هـ / 1027م). انظر حمدي المناوي، الوزارة، ص175.

(3) ابن ميسر، أخبار، ص177-178، المقرئزي، اتعاض، ج1، ص325-326.

(4) ابن ميسر، أخبار، ص177-178، المقرئزي، اتعاض، ج1، ص325-326.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص179.

ويبدو أن تنفيذ الحاكم لشروط المغاربة منحهم شعوراً بالقوة، وأدى ذلك بهم إلى تشكيل طبقة عسكرية بدأت تستبد بالأمور. فقد أدت توليه ابن عمار الوساطة إلى استبداده بالحكم – دون الحاكم مستغلاً صغر سنه – وإلى تفاقم نفوذ المغاربة الذين سعوا في إحداث الفوضى؛ لتحقيق المزيد من النفوذ، فقد تجمعوا – مرة أخرى – في شهر ذي القعدة من سنة (386هـ/966م) عند المصلى؛ للمطالبة بدفعة جديدة من العطاء، فرضخ الحاكم لطلبهم، وشرع في النفقة عليهم⁽¹⁾. وقد اشتط ابن عمار في نهب أموال الدولة وتوزيعها على المغاربة، في حين قطع أرزاق منافسيهم من الأتراك⁽²⁾.

وقد ساء الأتراك اضطهاد المغاربة لهم، وتسلبهم على مقدرات الخلافة، واستنثارهم بالنفوذ من دونهم، مما جعل الصراع بين الطرفين – المغاربة من جهة والأتراك من جهة أخرى – يأخذ منحىً عنصرياً، بحيث أصبح كل طرف يحاول القضاء على الطرف الآخر دون الاهتمام باستقرار الدولة. فقد تحالف الأتراك بقيادة برجوان الصقلي⁽³⁾ – الذي ساءه تسلط المغاربة على مقدرات الخلافة واستنثارهم بالنفوذ – ضد المغاربة، ودارت بين الطرفين عدة معارك تمخض عنها انتصار حلف برجوان⁽⁴⁾.

(6) المصدر نفسه، ص179.

(7) المصدر نفسه، ص181، المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص330.

(1) برجوان الصقلي: خصياً صقلياً، ربي في دار الخليفة العزيز، وكان من خدامه، فلما حضرت العزيز الوفاة وصاه على ابنه الأمير أبي علي منصور لثقته به، ولما مات العزيز أقيم ابنه المنصور في الخلافة ولقب بالحاكم. وكان وقت توليته الخلافة له من العمر إحدى عشرة سنة وأشهرراً. وقد رد الحاكم تدبير أمره إلى برجوان، فعهد إليه بأمر الحرم والقصور، إلا أن الحاكم ما لبث أن استشعر استنثاره بالأمور، فقام بقتله عام (390هـ/1000م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص27-28، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص63.

(2) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص80، المقرئزي، **المقفي**، ج3، ص439-440.

وأخذ المغاربة بعد هزيمتهم أمام الأتراك يتحينوا الفرص لاستعادة مكانتهم في الجيش والدولة، وبدأت تظهر محاولات قادتهم للاستئثار بالسلطة، مما دفع الحاكم إلى الاستبداد بهم، فقد قام عام (394هـ/1004م) بتدبير مؤامرة لقتلهم، وقد اعتمد الحاكم في تنفيذ مؤامراته تلك على الأتراك. وبتنفيذه لهذه المؤامرة تمكن من كسر شوكة المغاربة، الذين لم يجدوا مفرأ من بطش الحاكم، إلا أن يلجأوا إلى أسلوب الاسترحام عسى أن يجدي في رفع الغمة. فخرج الكتاميون في شعبان عام (394هـ/1004م) إلى باب الفتوح، وطلبوا عفو الحاكم فاستجاب لهم "وكتب لهم سجلاً قرئ بالقصر وبالجموع بالرضا عنهم، وإعادتهم إلى رسومهم في التكرمة"⁽¹⁾.

وقد تمهد الأمر كثيراً للحاكم في أعقاب تلك المؤامرة، إذ بات الجميع يتوجسون خيفة أن تشملهم سياسته الانتقامية، وصارت فعلة الكتاميين الأخيرة مثلاً احتذته بقية الفرق المغربية مثل: الزويليين والبرقيين والسنهاجيين، الذين تجمعوا في شهر ربيع الآخر سنة (395هـ/1005م) يطلبون من الحاكم أن يصدر لهم عهداً بالأمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأمر بكتابة سجلات أمان للجميع⁽²⁾.

ويبدو أن كل فرقة من فرق المغاربة شكلت وحدة اجتماعية وعسكرية مستقلة قائمة بذاتها، لا تربطها بالفرق الأخرى أي رابطة تدفعها إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي، الأمر الذي أتاح للحاكم السيطرة عليهم، بحيث صار من الصعب التنسيق بين قادتهم من أجل القيام برد فعل حاسم ضد العقوبات التي أنزلها بهم الحاكم، وقد تأكد هذا الاتجاه فيما بين هؤلاء المغاربة، حينما خرج الكتاميون وحدهم في أعقاب مؤامرة سنة (394هـ/1004م) إلى باب النصر ورؤوسهم حاسرة؛

(3) المقرئزي، اعناظ، ج1، ص354.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص 357-358.

لاستمرار عطف الحاكم و عفوّه. ورغم أن باقي الفرق المغربية حذت حذو الكتاميين والتفتت حول القصر في شهر ربيع الآخر سنة (395هـ/1005م) مطالبة هي الأخرى بعهود أمان لها، غير أنها لم تضطر إلى فعل ذلك إلا بعد أن سرت شائعات بأن الحاكم على وشك التنكيل بها(1).

ويبدو تضاًؤل فاعلية المغاربة كقوى فاعلة في المجتمع في عهد الظاهر (411-427هـ/1020-1035م)، الذي تجنب الاعتماد عليهم وعلى الأتراك في تسيير شؤون الدولة، واعتمد في ذلك على العبيد(2)، حيث قام بتعيينهم في المناصب التي كان يشغلها المغاربة(3). وقد نجم عن الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة في عهد الظاهر، تدهوراً في أحوال المغاربة المالية، التي يبدو أنها قد وصلت إلى درجة كبيرة من السوء؛ بسبب تأخر صرف مستحقاتهم المالية، وقد عبروا للظاهر عن سوء أحوالهم الاجتماعية والمالية، فبينوا له أنهم صاروا على وشك الهلاك؛ بسبب الجوع والفقر، وإذا استمرت أوضاعهم المالية على هذا النحو فلن يستطيعوا القيام بواجباتهم لصالح الدولة، والانتصار لها عند الشدائد(4). وذلك يدل على أنهم لم يرتبطوا بالخلافة بولاء روجي، إذ أصبحوا غير مستعدين لنصرة الخلافة إلا في مقابل الحصول على الأموال.

وعندما لم يستطع الظاهر شراء طاعة الجند المغاربة بالمال – نتيجة للأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة في عهده – تقاعسوا عن نصرة الخلافة، فعندما ألحت ظروف الشام على إدارة الظاهر أن تلجأ للكتاميين، وأعلن القائد عز الدولة معضاد – الخادم الأسود – في شعبان سنة (415هـ/1024م) عن عزم الخلافة على استدعاء الكتاميين والأتراك وسائر الجند؛ لإمدادهم بالسلاح اللازم؛ لتثبيت الحكم الفاطمي في بلاد الشام، كان رد الكتاميين على هذا " قد شغلنا الجوع وطلب الخبز عن هذا"(5).

(1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص 357-358.

(2) بدأ تجنيد العبيد في الجيش الفاطمي منذ عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م) الذي أراد أن يجعل منهم قوة مقابلة للأتراك. انظر ص 58-59 من الأطروحة.

(3) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 23. حول أسباب اعتماد الظاهر على العبيد في تسيير شؤون الدولة انظر ص 60 من الأطروحة.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 26.

(5) المسبجي، أخبار، ج40، ص 61، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 29.

ولم يكتف المغاربة - إزاء عدم قدرة الظاهر على إمدادهم بالأموال - بالتقاعس عن الخلافة، بل حاولوا إثارة الفوضى في الدولة عن طريق الشغب مع الأتراك، فقد شن المغاربة ضد الأتراك عام (420هـ/1029م) حرباً دارت رحاها في مدينة الفسطاط، كان النصر بدايتها حليفاً للأتراك، ثم ما لبثت كفة المغاربة أن رجحت وألحقوا بالأتراك هزيمة ساحقة، واضطروهم إلى الخروج من الفسطاط، على أنه لم يتم للمغاربة الظفر إلا بمعاونة العامة لهم⁽¹⁾. يتبين من ذلك تدني المستوى العسكري للمغاربة، حيث أن الأتراك حديثو العهد بالخدمة - إذا ما قورنوا بالمغاربة - تمكنوا في البداية من الانتصار عليهم، وحتى النصر الذي حققوه إنما يعزى إلى تعاون العامة معهم.

وقد تشير الحروب التي شنّها المغاربة ضد الأتراك إلى ما وصلت إليه أوضاعهم في عهد الظاهر من سوء، الأمر الذي يضطرهم رغم سوء أوضاعهم المالية إلى شن حروب ضد الأتراك، مرهقة لهم عسكرياً ومادياً، ربما تكون من وجهة نظرهم الفرصة الوحيدة للتعبير عن رغباتهم الاجتماعية في حياة أفضل.

وقد تفاقم ضعف المغاربة في عهد المستنصر، بحيث أخفقوا في التصدي للفتن التي تعرضت لها البلاد⁽¹⁾، مما دفع المستنصر إلى الاستعانة ببدر الجمالي - والي الشام وقتئذٍ - لإقرار الأمن في البلاد⁽²⁾.

إن ضعف المغاربة العسكري، جعل بدر الجمالي يقضي على وجودهم في الجيش الفاطمي⁽³⁾، فعقب وصوله إلى مصر - عام (466 هـ / 1074م) - صار الجيش من الأرمن، وتلاشى المغاربة من الجيش الفاطمي، وصاروا " من جملة الرعية "⁽⁴⁾

(6) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 41-42.

(1) حول الفتن التي تعرضت لها الدولة في عهد المستنصر انظر ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص136.

(2) حول ظروف مجيء بدر الجمالي إلى مصر انظر ص 69 - 70 من الأطروحة.

(3) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص136.

(4) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص32.

ويمكن القول أن مكانة المغاربة في الجيش والدولة، أخذت تتراجع تدريجياً إلى أن تلاشت عقب مجيء بدر الجمالي إلى مصر؛ نتيجة لسياسة الدولة المستمرة في إدخال عناصر جديدة في الجيش؛ لتسد بها الفراغ الذي أحدثه ضعف المغاربة العسكري، الذي نجم عن مبالغة الخلفاء الفاطميين في العناية بهم، وفي إغداق الأموال عليهم⁽⁵⁾، حيث أدى ذلك إلى حدوث تطور اجتماعي في حياتهم، فامتدت أحوالهم بعد شظف العيش الذي كانوا يحيونه في بلادهم⁽⁶⁾، " وهلكوا في ترفها وبذخها (أي الدولة الفاطمية) " (7) الأمر الذي أضعف طاقاتهم الحربية وجعلهم يفضلون حياة الترف على حياة الجندية ومتاعبها.

اتسمت علاقة المغاربة بالمصريين بداية استقرارهم في مصر بالجفاء؛ نتيجة لسلوكيات المغاربة ذات النزعة الفوضوية إزاء المصريين، والتي كانت - كما يبدو - انعكاساً لتأثرهم ببيئة الجبلية والصحراوية، التي طبعتهم بطابع القسوة وحدة المزاج⁽⁸⁾. ويبدو أن المعز قد لمس بنفسه أثناء وجوده بالمغرب مدى غلظتهم، الأمر الذي دفعه عند مغادرته

إفريقيا إلى مصر، أن يوصي نائبه في الحكم هناك يوسف بن زيري الصنهاجي باستعمال الشدة مع البربر⁽¹⁾.

ولعل نجاح المغاربة في فتح مصر، منحهم إحساساً بالقوة والتفوق على أهل البلاد، فأرادوا بتصرفاتهم السلبية إزاء المصريين أن يعبروا عن قوتهم وتفوقهم على أهل البلاد.

وقد تجلت سلوكيات المغاربة السلبية تجاه المصريين، بالتطاول على بعض الأشراف من الحسينيين والحسينيين الذين كانت لهم الحظوة في المجتمع المصري؛ لأنهم من آل البيت، وهددوا بقتل كل من يزعم أنه شريف، وقال قائلهم: "وفي الدنيا شريف غير مولانا؟!"⁽²⁾. فلما سمع المعز ذلك أنكره، واعتذر للأشراف وطيب خواطرهم⁽³⁾.

(5) القاضي النعمان، افتتاح، ص112.

(6) المصدر نفسه، ص 114.

(7) ابن خلدون، العبر، ج8، ص302.

(8) المصدر نفسه، مج6، ص174.

(1) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص177.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 147.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 147.

وقام المغاربة في آخر ذي الحجة سنة (361هـ/972م)، بنهب "مواقع بمصر (الفسطاط) فثارت الرعية، فاقتتلوا قتالاً شديداً ----- وغرم جوهر للناس ما نهب منهم"⁽¹⁾. وتخلل الاحتفال بذكرى عيد الغدير الموافق (18 ذي الحجة سنة (362 هـ / 973م) أن "نهبت المغاربة جماعة من الرعية، فركب جوهر في طلب النهاية"⁽²⁾.

وتسلط المغاربة في شهر محرم عام (362 هـ/973م) على نواحي الفسطاط "فنزلوا الدور وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة"⁽³⁾. وقد حنق المعز على المغاربة حين اتصل به تسلطهم على الفسطاط، ومخالفتهم أوامره بسكنى أطراف المدينة، فأمر بترحيلهم إلى نواحي عين شمس⁽⁴⁾، ريثما يتم تنظيم أماكن لسكناهم في القاهرة، وقام المعز في شعبان من عام (363 هـ/974م) بنقل المغاربة المقيمين في عين شمس إلى القاهرة⁽⁵⁾.

وقد زاد تسلط المغاربة على المصريين في عام (387هـ/997م) "فكثر عبث أشرارهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الحرم في الطرقات، وعروا جماعة من الناس، فكثر الشكاية منهم"⁽⁹⁾. إلا أن علاقة المغاربة بالمصريين ما لبثت أن تحولت من الجفاء إلى الانسجام، حيث حتمت المصلحة السياسية على الطرفين التعاون؛ إذ إن اصطناع الخلفاء للأتراك والعبيد أدى إلى ضعف نفوذ المغاربة؛ الأمر الذي حتم عليهم التعاون مع المصريين؛ كي يقفوا إلى جانبهم في صراعهم مع العبدي والأتراك، وفي الوقت ذاته وجد المصريون في المغاربة حليفاً لهم يجنبهم تسلط الأتراك والعبيد عليهم.

-
- (4) المصدر نفسه، ج1، ص 201.
 - (5) المصدر نفسه، ج1، ص209.
 - (6) المصدر نفسه، ج1، ص210.
 - (7) المصدر نفسه، ج1، ص210.
 - (8) المصدر نفسه، ج1، ص210.
 - (9) المصدر نفسه، ج1، ص330.

ومن صور العلاقات السياسية بين المغاربة والمصريين، تعاون المغاربة مع جماهير السكان في الفسطاط - عام (410هـ/1019م) - أثناء حريقها الذي دبره ونفذه العبيد، حيث تصدوا للعبيد وأوقفوهم عند حدهم(1).

كما أن تعاون أهل الفسطاط مع المغاربة في القتال الذي دار بينهم وبين الأتراك في شوارع المدينة عام (420 هـ / 1029م)، قد أسفر عن ترجيح كفة المغاربة، الذين هزموا الأتراك وأجلوهم عن الفسطاط، وذلك بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم في بداية الاشتباكات(2). ويمكن أن يعزى تعاون سكان الفسطاط مع المغاربة ضد الأتراك، إلى استيائهم من الأتراك الذين استأثروا بأموال الدولة، وسعوا لتحقيق أطماعهم على حسابهم(3).

كما أن علاقات العمل حتمت على المغاربة والمصريين التعاون، فقد أورد جروهمان عقد بيع يثبت قيام علاقات تجارية بين المغاربة والمصريين من الأقباط، ورد فيه شراء يخسنس بن شنودة النصراني من عبد العزيز بن مقلب المغربي منزل بأربعة دنائير، وذلك سنة (341 هـ / 952م)(4).

كما أورد جروهمان عقد بيع آخر، يثبت قيام علاقات تجارية بين المغاربة والمصريين، ورد فيه شراء ربحان بن نشوان - من العبيد البربر - من أسطورانس بن بيسه النصراني منزلاً في العشر الأول من شوال سنة (459 هـ / 1067م)(5).

ويفترض زيادة التفاعل الاجتماعي بين المغاربة والمصريين بعد انصهارهم في الحياة المدنية، وذلك عقب أن قضى بدر الجمالي على وجودهم في الجيش الفاطمي - عام (466 هـ / 1074م) - (6) " وصاروا من جملة الرعية" (7).

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص139-140، ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص181-182.

(2) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص41-42.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص253، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص109.

(4) جروهمان، اوراق، ج1، ص163.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص216.

(6) حول ظروف قضاء بدر الجمالي على وجود المغاربة في الجيش الفاطمي انظر ص 42 من الأطروحة.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص32.

إن عدم وجود أي إشارات لعلاقات سلبية بين المغاربة، وطبقات المجتمع المصري بعد أن صاروا أحد قطاعاته، ربما يدل على تفهم المغاربة وجهات المصريين، واكتسابهم عادات الحضرة، وذوبان خصائصهم الاجتماعية بروحها البربرية الخشنة وسط عادات وتقاليد المصريين " الذين كانوا في نهاية اللطافة واللين في الكلام" (1) لقد ساهم اختلاط المغاربة بالمصريين، في إدخال التقاليد المغربية على المجتمع المصري، كما يبدو في بعض ألبسة وأطعمة المصريين(2).

ثانياً الصقالبة:

أطلق لفظ صقالبة على المجموعات البشرية التي عاشت في الأراضي المجاورة لبلاد الخزر عند بحر قزوين(3). لقد شكل الفاطميون أثناء وجودهم في المغرب جيوشاً نظامية من الصقالبة (4)، رغبة منهم بتدعيم قواتهم من الكتاميين بقوات أخرى، لا سيما وأن الصقالبة تميزوا بمقدرتهم القتالية، فكانوا " ذو صولة(5) وبطش" (6)، ولعل الفاطميين أرادوا - أيضاً - من تجنيد الصقالبة أن يوجدوا منهم قوة مقابلة لكتامة، نتيجة للثورات التي قام بها أفراد هذه القبيلة ضد الفاطميين في عهد المهدي (297-322هـ / 909-934م) (7).

(1) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص108.

(2) انظر مبحث المأكل في الأطروحة، ص 181، واللباس ص 207.

(3) ابن فضلان، رسالة، ص67، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص416، بروفنسال، مقال صقالبة، دائرة المعارف الإسلامية، ج7، ص 205.

(4) القاضي النعمان، افتتاح، ص 247، 267، ابن عذاري، البيان، ج1، ص164-165، حول مسالك الرقيق الصقلبي إلى المغرب، انظر توفيق عامر، الحضارة، ص177-186، عبد الإله بنمليح، الرق، ص 190-198.

(5) الصولة: شدة الوثبة. انظر ابن منظور، لسان، مج5، ص433-434.

(6) البكري، جغرافية، ص 181.

(7) القاضي النعمان، افتتاح، ص 247-267، ابن عذاري، البيان، ج1، ص164-165،

لقد أوكل المعز قيادة الجيش الفاطمي الذي وجهه لفتح مصر إلى قائد صقلبي يدعى جوهر؛ وقد يعبر ذلك عن أهمية الصقالبة ومكانتهم عند المعز، الذي بالغ في إضفاء الأهمية على شخص جوهر وعلى عظمة دوره؛ كي يخلص الجند في طاعته ويترفق به زعماء كتامة؛ فعندما وجهه لفتح مصر، وجه حديثاً لشيوخ كتامة قائلاً: "والله لو خرج هذا (أي جوهر) وحده، لفتح مصر ... وليبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا"⁽⁸⁾.

أطلق على الصقالبة الذين رافقوا جيش الفتح الفاطمي إلى مصر "الروم"⁽⁹⁾، في بعض الأحيان، وكان جوهر الصقلبي يسمى في المصادر - أحياناً - بجوهر الرومي⁽¹⁰⁾. فهل أطلقت عليهم تلك التسمية؛ لأنهم كانوا يشكلون جزءاً من الجيش البيزنطي⁽¹⁾؛ أم أن وقوع بلادهم على حدود الولايات البيزنطية⁽²⁾ جعل المؤرخين ينسبونهاهم إلى الروم؟؟ حتى أن ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) - نقلاً عن ابن الكلبي (ت204هـ/819م) - جعل الروم أخوة للصقالبة⁽³⁾. أسكن جوهر الصقالبة - عند تأسيس القاهرة - في حارتين حارة عرفت بحارة الروم العليا، وحارة أخرى عرفت بحارة الروم السفلى⁽⁴⁾. وقد سميت ثلاث حارات من حارات المدينة بأسماء أشخاص صقالبة، وهي: حارة الجوزرية - المنسوبة إلى جوهر الصقلبي⁽⁵⁾ - وحارة برجوان - المنسوبة إلى برجوان الصقلبي⁽⁶⁾ - وحارة اليانسية - المنسوبة إلى يانس الصقلبي⁽⁷⁾.

(8) الدواداري، كنز، ج6، ص137، المقريري، اتعاض، ج1، ص185-186.

(9) المقريري، المواعظ، مج1، ص253.

(10) المقريري، المفقى، ج3، ص496.

(1) عمل الصقالبة كجند نظامي في الجيش البيزنطي. انظر ارشيبالدويس، القوى، ص30-57.

(2) ابن فضلان، رسالة، ص67، ياقوت الحموي معجم البلدان، ج2، ص416.

(3) معجم البلدان، ج2، ص416.

(4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص21، الدواداري، كنز، ج6، ص140-141، القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.

(5) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص54، القلقشندي، صبح، ج3، ص400-402.

(6) ابن خلكان، وفيات، مج1، ص270، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص63، الدواداري، كنز، ج6، ص104.

(7) القلقشندي، صبح، ج3، ص409، المقريري، المواعظ، مج3، ص46.

إن تسمية حارات بأسماء أشخاص يدل على وجود علاقة سكنية بين الحارة ومن سميت باسمه، أي أن الشخص سكن في الحارة المسماة باسمه، لاسيما وأن حارات القاهرة "سميت باسم مقدمها أو الطائفة التي نزلت بها"⁽¹⁾.

غير أن تسمية الحارات بأسماء أشخاص لا يستلزم أنها اقتصررت عليهم، فمن المحتمل أن يكونوا قد سكنوها مع أسرهم، وربما أتباعهم الذين ينتمون لنفس جنسهم؛ على اعتبار أن حارات القاهرة وزعت على أساس أثني⁽²⁾.

ويبدو وضوح الصقالية في الخطاب السياسي في المغرب⁽³⁾، من حيث التوجه إليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم؛ ربما لأنهم كونوا قوى فاعلة في المجتمع المغربي، حيث كان لهم دور مقدر في الجوانب السياسية والعسكرية⁽⁴⁾. في حين يلاحظ غيابهم في الخطابات الرسمية الموجهة إلى الكافة في مصر⁽⁵⁾؛ لأنهم لم يكونوا قوى فاعلة في المجتمع المصري، إذ لم يشكلوا فرقاً عسكرية في جيوش الفاطميين في مصر⁽⁶⁾؛ نتيجة لضعف العددي. ويمكن أن يعزى ضعف الصقالية العددي في مصر؛ إلى قلة أعداد الصقالية الذين صاحبوا جيش الفتح الفاطمي لمصر منهم؛ نتيجة لحرص الفاطميين على إبقاء جلمهم في المغرب؛ حتى يساهموا في تأمين الوجود الفاطمي فيه من جهة، وحتى يحققوا التوازن العسكري في جيوش الفاطميين في المغرب، بجعلهم قوة مقابلة للصنهاجيين – الذين كانوا يشكلون أساس الجيش الفاطمي في المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر⁽⁷⁾ –

(8) النويري، نهاية، ج28، ص81.

(9) حول حارات القاهرة وتنظيم السكن فيها انظر ص 16-18 من الأطروحة.

(10) القاضي النعمان، المجالس، ص246.

(11) المصدر نفسه، ص256-257، الجوزري، سيرة، ص13-15.

(12) انظر المقرئزي، اتعاط، ج1، ص358، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص60.

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، ص94.

(2) ابن عذاري، البيان، ج1، ص115.

من جهة أخرى. لاسيما وأن سياسة الفاطميين في المغرب وفي مصر قامت على أساس تحقيق التوازن العسكري بين عناصر الجند المختلفة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته، لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر للحد من نفوذه⁽¹⁾.

يتبين من الأخبار الشحيحة الواردة عن الصقالبة في الفترة المصرية، أنهم استخدموا في وظائف الدولة الإدارية، والمتعلقة بشؤون القصر والخلافة، فكان رشيق الصقلبي على شرطة الفسطاط في سنة (377هـ / 987م)⁽²⁾، وترقى أبو الحسن يانس الصقلبي في الخدمة زمن العزيز (365-386هـ/975-996م) والحاكم (386-411هـ/996-1020م)، فولاه العزيز شرطة الفسطاط سنة (378هـ / 988م)⁽³⁾، وعهد إليه الحاكم بحراسة القصور الخليفة في سنة (386هـ / 996م)⁽⁴⁾، ثم خلع عليه ووصله بأموال كثيرة، وولاية برقة في سنة (388هـ / 998م)⁽⁵⁾. وتولى خود الصقلبي شرطة الفسطاط عام (388هـ / 998م)⁽⁶⁾.

وولي ريدان الصقلبي وظيفة حمل المظلة⁽⁷⁾ أيام العزيز⁽⁸⁾، كما ولي مسعود الصقلبي وظيفة صاحب الستر⁽⁹⁾ في أيام الحاكم بأمر الله⁽¹⁰⁾، وولي نسيم الصقلبي وظيفة صاحب الستر أيام الحاكم وابنه الظاهر⁽¹¹⁾، وولي صبوح الصقلبي الشرطة سنة (414هـ / 1023م)⁽¹²⁾،

(3) انظر ص 78-79 من الاطروحة.

(4) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص 300-301.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 302.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص318.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 334.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص 334.

(9) حامل المظلة: يقوم بحمل مظلة، يظل بها الخليفة من أشعة الشمس. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص 157، 163.

(10) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص319، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج4، ص123.

(11) صاحب الستر: يتولى ضرب من يأمر الخليفة بضربه. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص 54-55.

(12) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص342، **المقفى**، ج3، ص497.

(13) المسبحي، **أخبار**، ج40، ص176، المقرئزي، **المقفى**، ج3، ص497.

(14) المسبحي، **أخبار**، ج40، ص32.

وشغل مظفر الصقلبي عدة وظائف، منها الشرطة والحسبة وحمل المظلة، وذلك أيام الحاكم وابنه الظاهر (411-427هـ/1020-1035م)⁽¹⁾، إضافة إلى ولاية دمشق في سنة (440 هـ / 1048م)⁽²⁾، وتولى طارق الصقلبي دمشق في عام (440 هـ / 1048م)⁽³⁾.

لقد كان حضور الصقالبة في الميدان العسكري والسياسي حضوراً فردياً، إذ لم يشكل الفاطميون فرقةً عسكريةً صقلبية في الجيش الفاطمي في مصر⁽⁴⁾، إنما اصطفوا من الصقالبة أفراداً توسموا فيهم المقدرّة العسكرية، وأوكلوا إليهم مهمات سياسية وقيادية. حيث قاد جوهر الصقلبي الجيوش الفاطمية غرباً وشرقاً⁽⁵⁾، وظهر من الصقالبة الحسين بن جوهر الصقلبي الذي عين قائداً للقواد في عهد العزيز والحاكم، وقد جعل إليه الحاكم أمر التوقيعات والنظر في أمور الناس وتدبير المملكة⁽⁶⁾.

وبرز من الصقالبة برجوان الصقلبي الذي ربي في دار العزيز، وتولى أمر القصور، وأصبح وصياً على الحاكم عندما ولي الخلافة صغيراً⁽⁷⁾، ولعب دوراً بارزاً في الصراع بين الأتراك وكتامة أيام الحاكم⁽⁸⁾.

لقد تدرج البروز - الفردي - السياسي والعسكري الصقلبي من بروز محتشم إلى اكتساح للميدان السياسي والعسكري، إذ وضح ازدياد نفوذ الصقالبة - الذين تولوا مناصب سياسية وقيادية - بدرجة ملحوظة في عهد الحاكم، مما جعله يقلب ظهر المجن لهم، ويعمل على الإطاحة بهم، فيذكر المقرئزي (ت 845هـ/1442م) أن برجوان الصقلبي "لما بلغ النهاية قصر في الخدمة"⁽⁹⁾، حتى وصل به الأمر إلى درجة الاستخفاف بالحاكم، والاستبداد بالأمر دون الخليفة⁽¹⁰⁾؛ ولأجل ذلك أوعز الحاكم إلى أحد خدام القصر بقتله، وقد تمت مؤامرة قتله أمام أحد أبواب القصر الفاطمي عام (390 هـ / 1000م)⁽¹¹⁾.

(1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص354، 387، ج2، ص29.

(2) ابن ميسر، **أخبار**، ص7.

(3) الذهبي، **سير**، ج15، ص187.

(4) ناصر خسرو، **سفرنامه**، ص94.

(5) مجهول، **اللمعة**، ص3، علي حسن، **تاريخ جوهر**، ص17-20.

(6) المقرئزي، **المقفي**، ج3، ص496.

(7) الصفدي، **الوافي**، ج10، ص110، المقرئزي، **المقفي**، ج2، ص572-573.

(8) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص339.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص339.

(10) ابن خلكان، **وفيات**، ج1، ص270-271.

(11) المصدر نفسه، ج1، ص270-271، المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص339.

ولعل هناك صلة بين ميل الصقالبة للإستبداد، وبين قيام الحاكم في عام (399هـ/1009م) بحرق حارة الصقالبة الموسومة بحارة الروم⁽¹⁾، وبقتل عدد كبير من الصقالبة في نفس العام⁽²⁾. ثم إن الحاكم فوجئ عقب القضاء على ثورة أبي ركوة عام (397هـ / 1007م)⁽³⁾، بانتشار الشائعات التي تفيد بأن الحسين بن جوهر واسطة الخليفة ورئيس جهازه الإداري، على اتصال بالثائر أبي ركوة، مما دفعه لتدبير مؤامرة لقتله تمت عام (401هـ/1010م)⁽⁴⁾. ويبدو أن العد التنازلي للبروز – الفردي – السياسي والعسكري الصقلبي بدأ مع نهاية عهد الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)، بحيث لم يرد في المصادر ما يشير إلى انتشار أفرادهم في مناصب عسكرية أو سياسية بعد عهده. ولعل ميلهم للإستبداد في عهد الحاكم جعل الخلفاء الذين جاءوا بعد الحاكم يتوجسون خيفة منهم، ويستبعدونهم عن الوظائف العليا؛ خوفاً من استفحال طموحهم.

(1) الأنطاكي، تاريخ، ص275، المقرزي، المواعظ، مج3، ص 22-23.

(2) المقرزي، اتعاظ، ج1، ص 373.

(3) عن ثورة أبي ركوة ضد الخلافة الفاطمية عام (396 هـ/1006م) انظر ابن كثير، البداية، ج11، ص337،

المقرزي، اتعاظ، ج1، ص361.

(4) الأنطاكي، تاريخ، ص 287-288.

ثالثاً: الأقباط:

هم سكان مصر الأصليين⁽⁵⁾، وقد شكلوا غالبية سكان مصر في العصر الفاطمي، إذ يذكر ابن حوقل (ت 367هـ/ 977م)، أن "معظم رساتيق مصر وقراها في الحوف والريف، وأهلها نصارى قبط"⁽⁶⁾. وذكر المقرئزي نقلاً عن أمية بن أبي الصلت - الذي زار مصر سنة (510هـ/ 1116م) في خلافة الأمر- أن "سكان مصر أخلاط من الناس مختلفو الأصناف، والأجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وحبشان، وأرمن، وغير ذلك من الأصناف، إلا أن جمهورهم قبط نصارى"⁽⁷⁾. وذكر المقدسي - الذي زار مصر في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري - أن "عامته ذمته (أي مصر) نصارى يقال لهم القبط، ويهود قليل"⁽⁸⁾.

كانت القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ/ 1074م) مقراً للخلافة تقتصر السكنى فيها على الخليفة، وعساكره، وخواصه، والعاملين في الدولة⁽⁹⁾، وتأسيساً على ذلك يمكن القول أن الأقباط الذين سكنوا القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر كانوا في الأساس من العاملين في الدولة، الذين أوجدت لهم صلتهم بالدولة مكاناً للعيش في القاهرة، يقول ابن سعيد: "وأكثر ما يتعيش بها (أي القاهرة) اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب"⁽¹⁾.

ويفترض تزايد اعداد الأقباط النصارى في القاهرة، عقب سماح بدر الجمالي لأهل الفسطاط بالسكنى فيها⁽²⁾، حيث شكل الأقباط النصارى قسماً من سكان أهل الفسطاط⁽³⁾. وبما ان الأقباط شكلوا السواد الأعظم من الذميين، فسيتم الحديث عن أحوالهم الاجتماعية في سياق الحديث عن الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة⁽⁴⁾.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص212.

(6) صورة، ص150.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص126.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص201-202.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص222.

(1) ابن سعيد، النجوم، ص28. حول علاقة الاطباء في السلطة الحاكمة، انظر ص 122-125 من الأطروحة.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص222.

(3) المقرئزي، البيان، ص150.

(4) انظر مبحث أهل الذمة ص 158 - 176 من الأطروحة.

رابعاً: الأتراك

يرجع استخدام الأتراك في الجيش الفاطمي إلى عهد العزيز (365-386هـ/975-996م) الذي استخدم في جيوشه جماعة من الأتراك والديلم، الذين قدموا من الشام إلى مصر مع قائدهم افتكين. وكان هذا القائد التركي قد هرب من العراق إلى بلاد الشام – بعد فتنة الأتراك في بغداد سنة (363 هـ / 973م) (6) – وبصحبته أربعمئة جندي من الأتراك والديلم (7)، وتمكن من الاستيلاء على دمشق بمساعدة أهلها، وإخراج الحامية الفاطمية منها، كما استطاع بمساعدة القرامطة إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي الذي أرسل إليه من مصر بقيادة جوهر الصقلي، إلى أن تمكن العزيز من الخروج بنفسه على رأس الجيش الفاطمي، وألحق الهزيمة به، وبالقرامطة في سنة (376هـ/978م)، وأسره وجنوده من الأتراك والديلم وأحسن إليهم، وأصطحبهم إلى مصر وجعلهم جنداً نظامياً (8).

إن تجنيد العزيز للأتراك جاء – على ما يبدو – تلبية لحاجات عسكرية، إذ إن فشل الكتاميين في إعادة النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام عام (376هـ/978م) جعل العزيز يبحث عن كفاءات عسكرية جديدة يعزز بها قواته من المغاربة، فكان الحل – كما رأى – باللجوء إلى الأتراك والديلم الذين تميزوا بمقدرتهم القتالية، حيث كان الأتراك يعيشون في بلادهم (1)

(6) الأنطاكي، تاريخ، ص179-180، ابن القلانسي، تاريخ، ص10-24، ص29-35.
(7) الديلم: من جند أسرة بني بويه الديلمية الشيعية التي كان موطنها بين طبرستان والجلال وجيلان وبحر الخزر، ثم استولت على السلطة في الدولة العباسية في بغداد عام (334 هـ/946م). لمزيد من التفاصيل انظر عبد العزيز الدوري، دراسات، ص175-210، Beshir: Fatimied Military organization, Der Islam, Berlin, New york, 1978, p. 42
(8) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص288.
(1) حول موطن الأتراك انظر ص50 هامش (5) من الأطروحة.

حياة البداوة⁽¹⁾، التي أكسبتهم الشجاعة وحب الفروسية ومعاناة الحروب⁽²⁾، التي أصبحت هي "تجارتهم ولذتهم وحديثهم حتى صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة وأهل الصين في الصناعات"⁽³⁾. كما تميز الديلم بشجاعتهم وبقابليتهم الحربية⁽⁴⁾.

ولا يستبعد أن استخدام العزيز للأتراك جاء وفق نظرة والده المعز (341-365هـ/952-975م) أو تحقيقاً لما تكهن به، إذ يبدو أنه كان لديه اتجاه نحو استخدامهم في الجيش؛ لما تمتعوا به من خصال قتالية، حيث قال لجرير - كما يروي ابن سعيد - بمناسبة تقديمه أحد الغلمان الأتراك - من أسرى الجيوش الأخشيدية - إليه: "يكون عندك مكتوماً حتى ترى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تنفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة، ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره"⁽⁵⁾.

أسكن العزيز الأتراك والديلم في حارة واحدة، إلا أنه جعل كلاً منهم على حدة في زقاق منفصلة عن بعضها؛ "لتخالفهما في الجنسية"⁽⁶⁾، وجعل العزيز حارة الأتراك والديلم بجوار الجامع الأزهر⁽⁷⁾. وإن وقوع هذه الحارة حول الجامع الأزهر يعتبر مظهراً لتقدير أصحابها. إن المصادر التي عالجت الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بها الدولة الفاطمية في مصر تشير غالباً إلى الأتراك دون الديلم⁽⁸⁾، وحتى عند إشارات النادرة للديلم تفرنهم دائماً مع الأتراك⁽⁹⁾. وقد يشير ذلك إلى تفوق الأتراك على الديلم في الاستئثار بالسلطة والنفوذ - ربما لتفوقهم على الديلم من الناحية العددية - يثبت ذلك تنكيل بدر الجمالي بالأتراك فور وصوله إلى مصر

(2) الجاحظ، رسائل، ج1، ص55، Chase F. Robinson, Medieval Islamic city, Reconsidered, an interdisciplinary Approach to samarra, p 119.

(3) الجاحظ، رسائل، ج1، ص53، ابن صاعد الأندلسي، طبقات، ص117، Osman. A. Ismail, Mutasim and The Turks, p. 19.

(4) الجاحظ، رسائل، ج3، ص166.

(5) عبد العزيز الدوري، دراسات ص177.

(6) ابن سعيد، النجوم، ص105-106، المقرئ، المواعظ، مج2، ص259.

(7) المقرئ، المواعظ، مج3، ص27.

(8) المصدر نفسه، مج2، ص27.

(9) المقرئ، اتعاض، ج1، ص288، ج2، ص26، 6.

(10) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص22.

– عام (466هـ/1074م) - نتيجة لتفاهم نفوذهم⁽¹⁾، في حين لم يرد أنه مس الديلم بسوء، وذلك يدل على قلة عددهم، وضعف دورهم.

لم ترد إشارات تدل على وجود تيار مستمر لجلب الأتراك والديلم – من أماكن استقرارهم – إلى مصر، وذلك يدل على أن زيادتهم العددية في مصر جاءت بتوالدهم لا بقدم روادف جديدة منهم، وقد أكد ناصر خسرو (ت 481هـ/1088م) ذلك بقوله: إن جل الأتراك والديلم ولدوا في مصر⁽²⁾.

وبفضل صفات الأتراك العسكرية من جهة، وضعف المغاربة من جهة أخرى، تمكن الأتراك من الاستئثار بالسلطة والنفوذ في عهد العزيز (365-386هـ/975-996م)، الذي لم يجد وسيلة يدعم بها سلطته سوى الأتراك، الأمر الذي دفعه إلى تقريبهم، حيث قدمهم في العطاء على الكتاميين⁽³⁾، وأمر جميع القادة الكتاميين بالترجل للقائد التركي أفتكين⁽⁴⁾، ولكي يضمّن ولاءهم منحهم كل ما يضيف عليهم أهمية، وعظمة، فأمر لهم "بالذهب والفضة والجوهر، وأمر لهم بالخيل واللباس والضياع والعقار"⁽⁵⁾.

يبدو أن استئثار الأتراك بالنفوذ لم يقع موقع القبول في نفوس المغاربة، الأمر الذي أدى إلى نشوب صراع بين الطرفين في عهد الحاكم؛ لمحاولة كل منهما الاستئثار بالامتيازات والنفوذ دون الآخر، بحيث أصبح كل طرف يحاول القضاء على الطرف الآخر دون الاهتمام باستقرار الدولة، فنشبت حروب عديدة بين الطرفين، نتج عنها هزيمة المغاربة⁽⁶⁾.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 32.

(2) سفرنامه، ص 110

(3) المقرئزي، اتعاض، ج 1، ص 299.

(4) ابن سعيد، النجوم، ص 105

(5) المقرئزي، اتعاض، ج 1، ص 288.

(6) حول هذه الحروب انظر ص 39 – 40 من الأطروحة.

وأخذ المغاربة بعد هزيمتهم أمام الأتراك يتحينون الفرص لاستعادة مكانتهم في الجيش والدولة، وبدأت تظهر محاولات قادتهم للاستئثار بالسلطة، مما دفع الحاكم إلى الاستبداد بهم⁽⁷⁾، وتجنب الاعتماد عليهم، واعتمد على الأتراك في تسيير شؤون الدولة⁽⁸⁾. يبدو ضعف مكانة الأتراك في عهد الظاهر (411-427هـ/1020-1035م)، الذي اعتمد في تسيير شؤون الدولة على السودان⁽⁹⁾، مع تجاهله التام للأتراك والمغاربة⁽¹⁰⁾. لقد ازداد اعتماد الدولة في عهد المستنصر على السودان، الأمر الذي تعارض مع مصالح الأتراك، وأثار حقدهم، إذ عز عليهم أن ينافسهم السودان، لاسيما بعد أن تفوقوا على نفوذ المغاربة. الأمر الذي دفعهم إلى شن حروب عديدة – بقيادة ناصر الدولة ابن حمدان⁽³⁾ الذي توسم به الأتراك الكفاءة العسكرية – ضد السودان⁽⁴⁾، كان النصر فيها – في نهاية الأمر – حليفاً للأتراك، الذين تمكنوا في سنة (460 هـ / 1068م) من هزيمة السودان وقتل أعداد غفيرة منهم، بحيث "لم ينجح إلا القليل منهم وزالت حينئذ دولتهم"⁽⁵⁾.

(7) حول محاولات الحاكم للحد من نفوذ المغاربة انظر ص 40 – 41 من الأطروحة.

(8) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص354.

(9) حول بداية تجنيد السودان في الدولة انظر ص 58 من الأطروحة.

(10) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص23، حول أسباب استعانة الظاهر بالسودان وتجاهله للمغاربة والأتراك انظر ص 60 من الأطروحة.

(1) ناصر الدولة ابن حمدان: هو الحسن بن الحسين حمدان التغلبي، آخر من كانت له إمارة من آل حمدان أمراء حلب وغيرها. قتل سنة (465 هـ / 1074م)، على يد جماعة من الأتراك يتزعمهم القائد التركي الدكز. انظر الذهبي، **تاريخ** (حوادث 461-470هـ)، ص165، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج5، ص24، 92.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص24-26، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص105-106.

(3) ابن ميسر، أخبار، ص 32-33، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص112.

إن انتصار الأتراك على السودان أكسبهم قوة في الدولة – لاسيما بعد انحسار نفوذ المغاربة(1) – فقويت شوكتهم وتمكنوا من الاستئثار بالنفوذ والحكم "فخلت الدولة لهم، وطمعوا في المستنصر، وقل ناموسه عندهم"(2). ونتج عن استبداد الأتراك واستئثارهم بالأموال أن "خلت الخزائن فلم يبق شيء البتة وهم يطالبون"(3) بالأموال(4)، دون تقدير للأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة، فعندما اعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، "طلب ناصر الدولة محتويات خزائن الدولة، فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت إلى الجند"(5). وقد وصل جشع الترك إلى درجة من القوة، حيث قاموا بنهب الأموال من قصور الخلفاء "من غير أن يستحق أحد منهم درهماً واحداً منها"(6)، وهجموا على القصور "وأخذوا ما فيها من قناديل الذهب ومن الآلات"(7).

لم يكن لدى الأتراك انتماء أو ولاء أقوى من الانتماء للمنفعة والمصلحة، إذ سرعان ما نبذوا ابن حمدان ودب الخلاف بينه وبينهم(8)؛ "من أجل أنه قويت شوكته وتفرد بالأمور دون الأتراك، حتى فسدت نياتهم عليه"(9)، وما لبثوا أن سارعوا إلى المستنصر وطلبوا منه إخراج ابن حمدان من القاهرة، فاستجاب لهم وأرسل إلى ابن حمدان يأمره بالخروج من القاهرة، ولم يسع ابن حمدان إلا أن خرج إلى الجيزة، فنهبت دوره ودور حاشيته وأصحابه(10).

(4) حول ظروف انحسار المغاربة والضعف الذي ألم بهم انظر ص 38-39، 42 من الأطروحة.

(5) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص109

(6) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص253.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص253، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص109.

(8) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص253، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص109

(9) المقرئزي، **المواعظ**، ج1، ص416، **اتعاض**، ج2، ص117.

(10) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص124.

(11) ابن ميسر، **أخبار**، ص33، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص113.

(12) ابن ميسر، **أخبار**، ص33-34.

(1) ابن ميسر، **أخبار**، ص34، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص113، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج5، ص13-14.

لجأ ابن حمدان إلى الانتقام ممن ألب الأتراك عليه، واتفق مع تاج الملوك شادي⁽¹⁾ على قتل الوزير خطير الملك والقائد التركي الدكز⁽²⁾ "شيخ الأتراك والمقدم عليهم"⁽³⁾. وبالفعل تم اغتيال الوزير الخطير في إحدى مواكبه، على حين تنبه الدكز للمؤامرة، فنجأ من القتل واستطاع أن يجمع عدداً كبيراً من الجند لقتال ابن حمدان، ونتج عن القتال هزيمة ابن حمدان وفراره إلى الجيزة⁽⁴⁾، التي اتخذها مركزاً جديداً يعاود منه نشاطه المعادي للخلافة الفاطمية⁽⁵⁾. حيث أقدم في عام (462 هـ / 1069م) على مراسلة السلطان السلجوقي ألب أرسلان يطلب منه إرسال جيش؛ لمساعدته على إقامة الدعوة العباسية في مصر، وقد تشجع السلطان السلجوقي على المسير بنفسه إلى مصر، لولا قيام الروم بالتوجه إلى خراسان في ذلك العام، فعدل عن ذلك⁽⁶⁾. ولما علم المستنصر بمراسلة ابن حمدان للسلطان السلجوقي، جهز جيشاً كبيراً التقى مع قوات ابن حمدان عام (463 هـ / 1070م)، ولكن الهزيمة كانت من نصيب جيش المستنصر، وتمكن ابن حمدان من الاستيلاء على معظم الوجه البحري، وقطع الغلال والمواد التموينية عن القاهرة براً وبحراً، كما قام بقطع الخطبة للخليفة المستنصر في حلب⁽⁷⁾.

(2) تاج الملوك شادي: أحد كبار قادة الجيش التركي. انظر ابن ميسر، أخبار، ص34، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص113.

(3) ابن ميسر، أخبار، ص34، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص113.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص13.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص34.

(6) المصدر نفسه، ص34، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص13-14، حمدي المناوي، الوزارة، ص176.

(7) ابن ميسر، أخبار، ص35، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص131، محمد جمال الدين سرور، مصر، ص77.

(8) ابن ميسر، أخبار، ص36، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص131.

واضطر المستنصر رغبة منه في احتواء الأزمة إلى مصالحة ابن حمدان، الذي اشترط لتحقيق الصلح أن يظل مقيماً في الجيزة، وتدفع له الدولة أموال مقررة، ويكون تاج الملوك شادي نائباً عنه في القاهرة في مقابل تعهده بإرسال الغلال إلى القاهرة والفسطاط⁽¹⁾. إلا أن تاج الملوك شادي سعى في الانقلاب عليه، ومنع إرسال الأموال المقررة إليه، واستبد بالأمور في العاصمة، فاستاء ابن حمدان من ذلك وأخذ يستعد لشن هجوم على القاهرة - في أوائل سنة (464 هـ / 1071م) - فجمع جيشاً كان يتألف معظمه من عرب قيس؛ لقتال المنشقين عليه⁽²⁾. وعندما علم تاج الملوك شادي بما عزم عليه ابن حمدان، سار مع نفر من أنصاره الأتراك إلى الجيزة؛ لإيقاف ابن حمدان عند حده، وأثناء القتال الذي دار في الجيزة بين قوات ابن حمدان وقوات تاج الملوك شادي، تمكن ابن حمدان من القبض على تاج الملوك شادي ونفر من أنصاره الأتراك، ثم واصل زحفه إلى القاهرة عن طريق الفسطاط، إلا أنه فقد سيطرته على جنوده الذين أشاعوا النهب والسلب في أحياء الفسطاط وأشعلوا فيها النيران⁽³⁾. ولما استفحل أمرهم، عول المستنصر على محاربتهم، فأنفذ إليهم فريقاً من جنده يشتمل على "طائفة لهم قوة وفيهم منعة"⁽⁴⁾، ودارت بين الفريقين عدة معارك انتهت بهزيمة إتباع ابن حمدان وفراره إلى ناحية البحيرة⁽⁵⁾.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص36، الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث 461-470)، ص19، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص132-134.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص 37-38، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص132-134.

(1) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 259، جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 226-227.

(2) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص133.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص133. البحيرة: كورة واسعة من نواحي الاسكندرية. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص351.

لقد أدى إفلاس الخزينة في عهد المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) إلى "اضمحلال أمره (أي المستنصر) وبطلان ذكره وتفرق الناس من القاهرة"⁽¹⁾، و "مملأة كثير من الأتراك له"⁽²⁾. وذلك يدل على أن الأتراك لم يرتبطوا مع المستنصر بولاء روحي، إذ تحالفوا معه حينما تمكن من تأمين وضعهم المالي، وانفضوا عنه عندما عجز عن الإنفاق عليهم؛ نتيجة لخلو الخزينة من الأموال أثر تسلطهم عليها⁽³⁾ من جهة، ونتيجة للأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد⁽⁴⁾ من جهة أخرى.

وعندما تيقن ابن حمدان عجز المستنصر بعد أن انفضت عنه القوى التي كان يعتمد عليها، شرع في المسير على رأس قواته إلى القاهرة، فدخل الفسطاط في شهر شعبان سنة (464 هـ / 1072م) وسيطر عليها، ودخل القاهرة خلال ذلك الشهر. وعندما شعر الأتراك برجحان كفة ابن حمدان، وسيطرته على المستنصر مالوا إلى مصالحته⁽⁵⁾.

غير أن ابن حمدان لم يهنأ بالانفراد بالأمر في القاهرة طويلاً، إذ سرعان ما انقلب عليه قادة الأتراك، وقاموا بقتله في شهر شعبان من سنة (465 هـ / 1073م)، وفتكوا بأفراد أسرته في السنة ذاتها⁽⁶⁾. وذلك عندما شعروا بمحاولاته الاستتار بالأمر دونهم⁽⁷⁾، حينما أخذ في إبعاد كبار قادتهم عن القاهرة إلى الولايات "وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي ولا يمكنه العمل مع وجودهم (أي الأتراك)"⁽⁸⁾.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص255.

(5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص133.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص253، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص109.

(7) الدواداري، كنز، ج6، ص271، المقرئزي، اغائة، ص60.

(8) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص133-134، عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر، ص178.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص39، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص135.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص39، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص135.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص256.

ولم يكن قتل ابن حمدان نهاية لمتاعب المستنصر، إذ سرعان ما حل الدكر محل ناصر الدولة في الاستبداد بالمستنصر، الذي ضاق به وبأتباعه ذرعاً، ولما آيس المستنصر من إيجاد حل لإيقاف الأتراك عند حدهم، اضطر في سنة (466 هـ / 1074م) إلى استدعاء واليه على على الشام بدر الجمالي، إذ أرسل إليه يطلب منه الحضور؛ ليتولى تدبير شؤون الدولة، وإصلاح ما فسد منها، وتطهيرها من كافة المفسدين⁽¹⁾.

وعقب وصول بدر إلى القاهرة شرع في التودد إلى قادة الأتراك الذين طغى نفوذهم على المستنصر في العاصمة، وتعهد أن يذكر المستنصر أمامهم بالسوء "وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق"⁽²⁾. ثم نجح في تدبير مذبحة جماعية لهؤلاء القادة⁽³⁾، وأخذ في "القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم أحداً يشار إليه"⁽⁴⁾. وبذلك تمكن من استئصال شأفتهم "فلم يبق أحد منهم في مصر والقاهرة حتى قتله"⁽⁵⁾.
يتبين من دراسة الأتراك ما يلي:

* بفضل ضعف المغاربة العسكري، وتغلب الأتراك على السودان من جهة، وما تمتع به الأتراك من صفات عسكرية من جهة أخرى، زادت فاعلية الأتراك كقوة فاعلة في المجتمع، وأصبحوا أصحاب السلطة العليا، وأخذ اعتماد الخلافة عليهم يزداد، الأمر الذي منحهم إحساساً بالقوة والتفوق، فحاولوا إبراز قوتهم وتفوقهم بهدف أن تبقى سلطتهم هي الأقوى، فبدت تظهر أطماعهم في الاستئثار بالنفوذ والسلطة.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص39-40، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136-137.

(4) ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136-137.

(5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص137.

(6) ابن ميسر، أخبار، ص40.

* كان لتقريب الأتراك ولتعاظم نفوذهم آثار سيئة مؤلمة في نظام الخلافة، فالترك شعب بدوي ميزته الوحيدة مقدرته القتالية؛ ولم تكن لهم تقاليد حضرية سابقة – يسميهم الجاحظ بدو العجم⁽¹⁾ – أو إدراك لشؤون السياسة ولا خبرة لهم بالإدارة ومجردون من كل ثقافة⁽²⁾. فلا غرابة إن كان تقديم الترك عاملاً مهماً في إرباك الخلافة وإضعاف مؤسساتها العامة. إذ سرعان ما استفحل نفوذهم وعملوا على التلاعب بمقدرات الخلافة. ونتج عن استبدادهم واستئثارهم بالأموال فراغ الخزينة، وتدهور الأحوال المالية، حيث كثرت حركات جشعهم دون تقدير للأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة. وإليهم يسند الدور الأكبر في إحداث الفساد والإرباك الاجتماعي، بحيث أصبح نفوذ الترك من أهم مشاكل الخلافة التي دفعت بالمستنصر إلى دعوة بدر الجمالي – والي الشام – للقضاء على نفوذهم.

* لم يكن لدى الأتراك انتماء أو ولاء أقوى من الانتماء للمنفعة والمصلحة، فولاء الأتراك كان يتحول حسب مصالحهم الشخصية، ولمن يبذل لهم الأموال. فتارة ينضمون إلى ابن حمدان، وتارة أخرى ينضمون إلى المستنصر، فكانوا يتذبذبون في ولائهم بين هذا وذاك بما يتفق ومصالحهم.

* لقد أسهمت الموارد الاجتماعية التركية في حياتهم العسكرية، إذ حافظ الأتراك على موروثهم القبلي⁽³⁾ وتمسكوا به، فكانوا من الناحية الاجتماعية شخصيات قبلية لا رجال دولة، فكان قواد الأتراك ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شيوخ عشيرة لا قادة عسكريين، فكان مقدمهم يلقب بشيخ الأتراك⁽⁴⁾. ولم يعايشوا مفهوم الدولة ولم ينصهروا بها،

(7) رسائل، ج3، ص166.

(8) عبد العزيز الدوري، النظم، ص123، دراسات، ص14، العصر العباسي، ص260.

(1) كان التنظيم الاجتماعي التركي تنظيمياً قَبلياً. حول قبائل الترك وتفرعاتها، وموجز عن تاريخها القديم، انظر بارتولد، "مادة ترك" في دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص34-57.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص13.

ولم يرتبطوا بها بولاء روحي، حيث تحالفوا معها في الوقت الذي تمكنت فيه من توفير متطلباتهم، و انفضوا عنها عندما عجزت عن توفير إحتياجاتهم. في حين كان تعصبهم وولاء بعضهم لبعض قوياً— كما في نظام القبيلة — إذ شكلوا كتلة اجتماعية وعسكرية، كانت تربطها روابط تدفعها دائماً إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي. فلم يرد ما يشير إلى حدوث منازعات فيما بينهم سوى ما قام به القائد التركي تاج الملوك شادي عندما تحالف مع ابن حمدان ضد القائد التركي الدكز — مقدم الأتراك — حتى يحل محله في قيادة الأتراك، إلا أنه ما لبث أن عاد وتحالف مع الأتراك، ونبذ ابن حمدان. ولعل تكتل الأتراك وتعاونهم مع بعضهم هو الذي حقق لهم مزيداً من النفوذ.

* جاء الأتراك إلى مصر حاملين معهم تقاليدهم القبلية، مما جعل المصريين ينظرون إليهم نظرة متدنية. فعندما شاهد عامة المصريين أفتكين التركي والأسرى الأتراك — عقب مجيئهم إلى مصر مع العزيز عام (376هـ/978م) - بهيئتهم الرثة، قالوا سخرية واستهزاءً عن قائدهم أفتكين: "ما هذا التركي!؟"⁽¹⁾ ولما بلغ العزيز ذلك أمر إظهاراً لأبهة الدولة بأن يشهر⁽²⁾ قائدهم أفتكين بأجمل حال⁽³⁾.

* لقد أثارت سيطرة الأتراك نقمة المصريين، خاصة بعدما ثبت لهم أنهم لا يسعون إلا إلى الاستئثار بالأموال وتحقيق أطماعهم، وقد تجلى كرههم لهم عندما تعاونوا مع المغاربة ضدهم عام (420هـ/1029م) الأمر الذي أسفر عن ترجيح كفة المغاربة وانتصارهم عليهم⁽⁴⁾.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص288.

(4) شهره: أي أظهره. انظر ابن منظور، لسان، ج5، ص218-219.

(5) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص288.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص41-42.

وقد انطلقت السنة المصرية بالعديد من الأمثال الشعبية التي تعبر عن كرههم للأتراك، فقالوا: "آخر خدمة الترك علقه"⁽¹⁾. أي أنه إن أخلصت لهم وخدمتهم يكافنونك في آخر خدمتك بالضرب. وكذلك سخروا من الترك قائلين "زي شحات الترك جيعان ويقول موش لازم"⁽²⁾. وقالوا: "زي التركي المرفوت يصلي على ما يستخدم"⁽³⁾. وقالوا: "زي التركي ما فيه الاشببات"⁽⁴⁾.

ويمكن تفسير أساليب الفوضى والنهب التي مارسها الأتراك في سبيل حصولهم على الأموال، بأنها كانت انعكاساً لتأثرهم الشديد ببيئتهم الصحراوية⁽⁵⁾، التي طبعتهم بطابع الخشونة وحدة الخلق، وجعلتهم "عجماً جفاه"⁽⁶⁾، يلتمسون معاشهم في ظلال السلب والنهب.

خامساً السودان:

لقد استخدم الطولونيون السودان في جيوشهم⁽⁷⁾، وتبعهم الأخشيديون في ذلك⁽⁸⁾. ولم يتم استخدام السودان كجند نظامي في الجيش الفاطمي إلا منذ عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م)⁽⁹⁾ الذي سار - على ما يبدو - على سياسة أبيه العزيز في تجنبه الاعتماد على عنصر بعينه في تسيير شؤون الدولة. إذ إن اعتماد الحاكم على الأتراك دون المغاربة؛

(2) محمد شكري المكي، مخطوط مجمع الأمثال العامية، دار الكتب المصرية، ورقة 1.

(3) المصدر نفسه، ورقة 42.

(4) المصدر نفسه، ورقة 42.

(5) المصدر نفسه، ورقة 42.

(6) يذكر الجاحظ (ت 255هـ/868م) أن الأتراك كانوا "ساكني صحارى". انظر الجاحظ، رسائل، ج1، ص55.

(7) الطبري، تاريخ، ج9، ص18. وعن صفات الأتراك: انظر خلود الأحمدى، سامراء، ص65-66.

(8) الأسدي، التيسير، ص67، ابن إياس، نزهة، ص133، هويدا رمضان، المجتمع، ج1، ص277. Beshir: Fatimid, p4

(9) ابن إياس، نزهة، ص133، سيدة كاشف، مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين، ص257، 258.

(10) ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص181-182.

ربما أثار مخاوفه من محاولة الأتراك الاستئثار بالسلطة، الأمر الذي دفعه إلى تجنيد السودان في الجيش، حتى إذا زاد نفوذ الأتراك لجأ إليهم للحد من تسلط الأتراك، لاسيما وأن السودان تميزوا بخصائص عسكرية عالية، فقد اشتهروا بالشجاعة⁽¹⁾، والمهارة في رمي القوس⁽²⁾ والقدرة على رفع الأحجار، وحمل الأثقال التي تعجز عن حملها جماعة⁽³⁾، فضلاً عن تميزهم بطاعتهم وإخلاصهم لأسيادهم، حيث كانوا "لا يعرفون رباً إلا ساكن قصره"⁽⁴⁾.

كما أن سيولة الاتصال التجاري والبشري بين مصر وبلاد النوبة⁽⁵⁾ - نتيجة للقرب الجغرافي بينهما - قد أتاح للدولة الفاطمية بدءاً من عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م) وحتى سقوطها، النزود من الرقيق النوبي⁽⁶⁾، الذي تعددت روافده إلى مصر، ويمكن حصرها في ثلاثة طرق هي:

* الضريبة: التي فرضها المسلمون على ملك النوبة منذ أن وطأت أقدامهم أرض مصر⁽⁷⁾، والتي تضمنت إرسال 360 رأساً من الرقيق إلى مصر سنوياً⁽⁸⁾.

(11) الجاحظ، رسائل، ج1، ص138.

(12) البلاذري، فتوح، ص276

(1) الجاحظ، رسائل، ج1، ص138.

(2) مفرج، ج3، ص292.

(3) النوبة: تقع في جنوب اسوان في صعيد مصر، وكان يحكمها ملك خاص بها، وكان النوبيون يدينون بالنصرانية، ولم تكن النوبة تابعة للخلافة الفاطمية. انظر ناصر خسرو، سفرنامه، ص96، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، ص309، عطية القوصي، تاريخ، ص41.

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص96، ل. سيمونوف، (1972م). حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر، المجلة التاريخية، بغداد، ع2، ص198.

(5) البلاذري، فتوح، ص59.

(6) لما فتح عمرو بن العاص مصر أرسل فرقة من جيشه بقيادة "عبد الله بن أبي السرح" لإخضاع بلاد النوبة؛ لأجل تأمين حدود مصر الجنوبية. وقد تمكن ابن أبي السرح من هزيمة النوبيين، وعقد معهم هدنة تعهد فيها ملك النوبة بإرسال أربعين عبداً سنوياً إلى والي مصر. انظر البلاذري، فتوح، ص276-277، عبد الله سليم، (1978م)، العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي (358-568هـ / 969-1171م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ص120.

* التجارة: لقد قامت علاقات تجارية بين مصر والنوبة، فكان التجار المصريون يذهبون إلى النوبة لبيع الأمشاط والمرجان، ويستوردون منها الرقيق والجلود⁽¹⁾. وإن إطلاق مسمى "عبيد الشراء"⁽²⁾ على السودان في مصر، لمما يؤكد أن تجارة الرقيق والشراء الرسمي للعبيد من قبل الدولة الفاطمية، هو أكثر الطرق التي جلب بها السودان شيوعاً.

* الهدايا: لقد حرص ملوك النوبة على إرسال نفر من الرقيق والإماء السوداني إلى الخلفاء الفاطميين في مصر – فضلاً عن الضريبة المقررة – بصفة هدايا⁽³⁾.

ومع تجنب الحاكم استخدام المغاربة في تسيير شؤون الدولة، فقد اعتمد على الأتراك في ذلك⁽⁴⁾، ولم يرد ما يشير إلى احتلال السودان مكانة متقدمة على الأتراك في عهده؛ ربما لحدثة دخولهم في الخدمة العسكرية، وبالتالي ضآلة أعدادهم التي لم تنتج لهم البروز على سواهم.

لقد أصبح السودان في عهد الظاهر (411-427هـ/1020-1035م) الركن العسكري للدولة، حيث شهد عهده هبوطاً في نفوذ الأتراك، والمغاربة، الأمر الذي ساعد على زيادة فاعلية السودان كقوى اجتماعية في المجتمع والدولة، حيث عمل الظاهر على إسباغ رعايته واهتمامه الشديدين بهما، في حين تجاهل المغاربة والأتراك في تسيير شؤون الدولة، حيث أوكل للسودان مناصب إدارية وأخرى عسكرية كانت بحوزة المغاربة، إذ يشير المقرئزي (ت 845هـ/1442م) إلى أن الظاهر قام في رجب عام (415 هـ/1024م)

(7) ناصر خسرو، سفرنامه، ص 96.
(8) الانطاكي، تاريخ ص 275، المقرئزي، اتعاظ، ج 1، ص 394.
(9) المسبجي، أخبار، ج 40، ص 31، 56.
(10) حول ظروف تجنب الحاكم استخدام المغاربة في تسيير شؤون الدولة، واعتماده في ذلك على الأتراك. انظر ص 40-41 من الأطروحة.

بتعيين بقی الخادم الأسود في منصب شرطة القاهرة والفسطاط بعد أن كان يشغلها جلال الدولة ابن كافي الكتامي. كما عين بقی الخادم الأسود في منصب الحسبة الذي كان يشغله دواس بن يعقوب الكتامي⁽¹⁾. كما خضع ديوان الكتاميين في عام (415 هـ/1024م) لإشراف القائد الأسود عز الدولة أبي الفوارس معضاد الخادم⁽²⁾، بعد أن كان يشغله المغربي شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان⁽³⁾. ولعل اعتماد الظاهر على السودان دون غيرهم في تسيير شؤون الدولة، جاء بتأثير زوجته الجارية النوبية التي شرعت في الاستكثار من العبيد السود⁽⁴⁾، إذ "أخذت في شرائهم وجعلتهم طائفة لها واستكثرت منهم"⁽⁵⁾، وسعت من أجل زيادة نفوذهم "فخصتهم بالنظر وبسطت لهم في الرزق ووسعت عليهم، حتى أمطرتهم بالنعم"⁽⁶⁾، حتى أصبح لهم من القوة والبأس شأنًا عظيمًا، بحيث "صار العبد بمصر يحكم حكم الولاة"⁽⁷⁾.

ويبدو أن رغبة زوجة الظاهر (أم المستنصر) في زيادة نفوذ السودان في الدولة، تعارضت مع مصالح الأتراك، وجعلهم يعتقدون أن الخليفة المستنصر وأمه يرميان إلى كسر شوكتهم والقضاء عليهم، مما أثار حقدهم، إذ عز عليهم أن ينافسهم السودان، لاسيما بعد أن تفوقوا على نفوذ المغاربة. وقد عبر أحدهم عن استيائه، واستياء الأتراك من سياسة أم المستنصر، بقيامه عام (454هـ/1062م)

-
- (1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص23.
 - (2) عز الدولة أبو الفوارس معضاد: خادم أسود ترقى في خدمة الظاهر حتى أصبح قائداً. انظر المسبحي، أخبار، ج40، ص45-50.
 - (3) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص15. شمس الملك أبو الفتح ابن طاهر الوزان، تولى الوزارة في ذي الحجة عام (409هـ / 1018م) إبان خلافة الحاكم، وظل فيها حتى صرف في جمادي الآخرة سنة (411هـ / 1024م) انظر المقرئزي، **المقفى**، ج6، ص112.
 - (4) المصدر نفسه، ج2، ص106.
 - (5) ابن ميسر، أخبار، ص25، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص106، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج5، ص18.
 - (6) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص106.
 - (7) ابن ميسر، أخبار، ص25، المقرئزي، **اتعاظ**، ج، ص106.

بالتعدي على بعض عبيد الشراء، الأمر الذي دفع السودان إلى قتله، مما أسفر عن نشوب قتال بين الطرفين انتهى بهزيمة السودان(1).

إن انتصار الأتراك على السودان أكسبهم نفوذاً وقوة في الدولة – لاسيما بعد انحسار نفوذ المغاربة - فقويت شوكتهم وتمكنوا من الاستئثار بالنفوذ والحكم، ونهبوا أموال الدولة، الأمر الذي أثار حنق العبيد، ودفعهم لشن حرب ضد الأتراك عام (459هـ/1067م)، "انكسر فيها السودان وانهزموا"(2).

ويبدو أن هزيمة العبيد أمام الأتراك أدت بهم إلى التحرص المستمر بالأتراك، الأمر الذي دفع ابن حمدان – قائد الأتراك – للذهاب في نهاية عام (459هـ/1067م) مع جماعة من الأتراك للشكوى للمستنصر، ففوجئ عقب وصوله إلى المستنصر بقوة من العبيد أرسلتهم أم المستنصر للنيل من الأتراك، ما لبثوا أن باغتوا الأتراك وهجموا عليهم وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، مما أسفر عن نشوب حروب شديدة بين الطرفين(3) "كانت فيها لابن حمدان النصر على العبيد، فأسرف في القتل فيهم حتى لم يبق بمصر والقاهرة منهم إلا القليل"(4).

وقد عزم ابن حمدان بعد تلك الحرب على استئصال شأفة السودان، حيث سار عام (460هـ/1068م) بجماعة من الأتراك إلى الصعيد لمحاربة السودان – الذين "قد كثر شرهم وفسادهم"(5) – فنشبت بين الطرفين حرب(6) "آلت إلى كسرة الأتراك وعودهم منهزمين"(7)، ثائرين على المستنصر متهمين إياه بإمداد العبيد وتحريضهم(8)، ولما أنكر المستنصر ذلك وأرضاهم بالنفقة، عادوا لقتال العبيد حتى هزموهم، وقتلوا كثيراً من أعدادهم؛ بحيث "لم ينج إلا القليل منهم وزالت حينئذ دولتهم"(9).

- (1) ابن ميسر، أخبار، ص24-26، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص105-106، ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص18-19.
- (2) ابن ميسر، أخبار، ص31.
- (3) المصدر نفسه، ص31-32. الذهبي، سير، ج15، ص19، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص109-110.
- (4) ابن ميسر، أخبار، ص32.
- (5) المصدر نفسه، ص32.
- (6) المصدر نفسه، ص32-33، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص111-112.
- (7) ابن ميسر، أخبار، ص32-33.
- (8) المصدر نفسه، ص32-33، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص111-112.
- (9) ابن ميسر، أخبار، ص32-33، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص112.

لقد اختفى السودان من الساحة العسكرية، منذ تنكيل الأتراك بهم حتى عهد الحافظ (524-544هـ/1130-1149م) الذي قام بإعادة تجنيدهم في الجيش⁽¹⁾؛ ليسد بهم الفراغ الذي أحدثته غياب الأرمن عن الساحة العسكرية⁽²⁾.

لقد تمتع السودان بنفوذ واسع منذ عهد الحافظ وحتى سقوط الخلافة الفاطمية عام (567هـ/1171م)، إذ شكلوا في هذه الفترة عماد الجيش الفاطمي - نتيجة لغياب الأتراك والمغاربة عن الساحة العسكرية⁽¹⁾، وأن إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي عقب عهد الحافظ لم يؤثر على مكانة السودان في الجيش، حيث تلاشى الأرمن أمام القوة العددية التي تمتع بها السودان⁽²⁾ - والقوة التي استندت عليها الخلافة في الإطاحة بالمتآمرين عليها، حيث استعان بهم الخلفاء للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع وزرائهم، الذين عملوا على الاستئثار بالنفوذ والسلطة من دونهم، ويبدو أن تسلطهم على الوزراء كان من العنف، بحيث كانوا إذ "قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه وأذلوه واستباحوه واستحلوه"⁽³⁾. فحينما تفاقم نفوذ الوزير رضوان بن ولخشي وطلب من الحافظ عشرين ألف دينار وليس له حق فيها، بعث إليه الخليفة الحافظ مقدمي السودان لقتله، فقتلوه وأخاه - في ذي القعدة عام (542هـ/1147م) - وأخذوا رأسيهما إلى الخليفة⁽⁴⁾. كما استعانت بهم ست القصور⁽⁵⁾ على قتل الوزير طلائع بن رزيك؛ بسبب مضايقاته المستمرة لأهل القصر، فقتلوه في 19 رمضان سنة (556هـ/1161م)⁽⁶⁾.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص138.

(11) تم تجنيد الارمن في الجيش الفاطمي مع مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ/1074م)، وتلاشوا من هذا الجيش عقب الحرب التي شنّها ضدّهم رضوان بن ولخشي في عهد الحافظ، وما لبثوا أن عادوا للظهور في الجيش الفاطمي عقب عهد الحافظ. انظر ص 70-76 من الأطروحة.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص32. حول ظروف غياب المغاربة والأتراك، عن الساحة العسكرية انظر ص 42، 56 من الأطروحة.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص31، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص109.

(3) أبو شامة، الروضتين، ص30

(4) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص32، ابن ميسر، أخبار، ص138.

(5) ست القصور: أخت الخليفة الظافر (544-549هـ/1149-1154م) الصغرى. انظر المقرئزي، اتعاط، ج2، ص289-290.

(6) عماد الدين الأصفهاني، البستان الجامع، ص341، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص289-290.

ولما ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي وتجلت استبداده بالأمور ، وعزمه على "إزالة الدولة" (7) حنق عليه رجال القصر ودبروا المكائد للتخلص منه، وكان يتزعمهم جوهر مؤتمن الخلافة (8)، وقد اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر، فإذا خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه (9).

على أن صلاح الدين ما لبث أن وقف على ما دبره له أعداؤه، فشدد الرقابة على مؤتمن الخلافة، وأرسل إليه جماعة من قواته الكردية (10) تمكنوا من القضاء عليه أواخر سنة (564هـ/1169م). فأدى ذلك إلى ثورة جند الخليفة من السودانيين - وكانوا يزيدون على خمسين ألفاً - وانضاف إليهم الأرمن، وقد دار بينهم وبين قوات صلاح الدين قتال عنيف في المكان المعروف بين القصرين بالقاهرة، وحلت بهم الهزيمة، ومضت فلولهم إلى الجيزة (1)، وما زال صلاح الدين يتتبعهم في الجيزة "بالجيش فأبادهم بالسيف، ولم ينج منهم إلا الشريد، وأمر صلاح الدين بتخريب المنصورة (حارة السودان) وصيرها بستاناً وذهبت آثارهم من مصر" (2). كما "أخذ صلاح الدين في القبض على دور العبيد والأرمن وأسكن فيها أصحابه معه بالقاهرة" (3).

(7) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص205.

(8) جوهر بن عبد الله مؤتمن الخلافة: خصي أسود كان بقصر العاضد الفاطمي، وله الحكم على أهل القصر، لقب بزمام القصر، وبمقدم السودان، وكان إليه الإشراف الكامل على شؤون القصر، توفي عام (564هـ / 1169م). انظر أبو شامة، **الروضتين**، ص 450-451.

(9) ابن واصل، **مفرج**، ج1، ص174-175، ابن الفرات، **تاريخ**، م4، ج1، ص67-69.

(10) الأكراد: شكلوا جزءاً من جيش نور الدين زنكي في الشام، ثم انتقل هذا العنصر إلى مصر مع حملات شيركوه - الذي جاء من الشام إلى مصر لتمكين شاور ضد زرغام - إلى مصر إذ صاحبت شيركوه جماعات كردية، اعتمد عليها صلاح الدين في محاربة قوات الجيش الفاطمي من السودان والأرمن. وقد شكل الأكراد نواة الجيش الأيوبي الذي حل محل الجيش الفاطمي في مصر مع قيام الدولة الأيوبية. انظر محسن حسين، **الجيش الأيوبي**، ص68.

(1) أبو شامة، **الروضتين**، ص450-452، ابن الفرات، **تاريخ**، م4، ج1، ص70-71، ابن تغري بردي، **مورد**، ورقة 56ب-57أ، Lanne pool: saladin and the fall of the King dom of Jerusalem, Beirut, 1964, P. 100-102.

(2) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص330.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص330.

ويمكن أن يعزى موقف السودان في مواجهة صلاح الدين، إلى رغبتهم في المحافظة على مكانتهم في الجيش والدولة التي أضحت مهددة باستقرار صلاح الدين بالوزارة، الذي حاول إحلال جيشه الكردي محلهم، وقام بتوزيع مساحات كبيرة من أراضي مصر كاقطاعات لجيشه الكردي(1).

يتبين من دراسة السودان ما يلي:

* لقد أضفت كثرة السودان العددية بعداً إيجابياً على مكانتهم الاجتماعية، فمع اطراد نمو أعدادهم منذ عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م) وبلوغها الذروة بداية عهد المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) "صار منهم بالقاهرة ومصر وما في ظواهرهما من القرى قدر خمسين ألفاً"(2)، مما منحهم قوة وبأساً عظيماً، بحيث "صار العبد بمصر يحكم حكم الولاة"(3). ومع إعادة تجنيد السودان في الجيش الفاطمي في عهد الحافظ(4) (524-544هـ/1130-1149م) تضخمت أعدادهم، وأحدث نموها المطرد تغييراً ملموساً في البنية الاجتماعية، منحهم شأناً عظيماً، فصار لهم "بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيعة مكاناً مفرداً لا يدخله وال ولا

(4) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص205.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص31، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص109.

(6) ابن ميسر، أخبار، ص25، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص106.

(7) ابن ميسر، أخبار، ص138.

غيره احتراماً لهم"⁽¹⁾.

وقد نسبت إلى العبيد حارات عديدة في القاهرة نمت بنمو أعدادهم⁽²⁾، تميزت بعظمتها وسعتها⁽³⁾، وهي:

- حارة العطوفية: المنسوبة لطائفة من العبيد يقال لهم العطوفية، نسبة إلى مقدمهم عطوف الخادم⁽⁴⁾. وقد اختطت في عهد الحاكم⁽⁵⁾، وكانت "من أجل مساكن القاهرة، فيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق مالا يدخل تحت الحصر"⁽⁶⁾، بحيث استوعبت فضلاً عن العطوفية، طائفة أخرى من العبيد يقال لها الجيوشية⁽⁷⁾. ويرجح أن وجود السودان زال من هذه الحارة عقب تشيبتهم على يد الأتراك عام (460هـ/1068م)⁽⁸⁾، فعندما قام صلاح الدين بالتنكيل بالسودان - عام (564هـ/1169م) - ورد أنه أزال مساكنهم التي في القاهرة الكائنة في حارة المنصورة⁽⁹⁾، في حين لم يرد أنه قضى على مساكنهم الكائنة بالعطوفية، مما يرجح زوال وجودهم منها عقب تشيبتهم على يد القوات التركية.

- حارة الحسينية: اختطت بعد الشدة المستنصرية (457-464هـ/1065-1072م)، أقام بها طائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية، ويبدو أنها كانت من السعة، بحيث استوعبت فضلاً عن الحسينية طائفة أخرى من العبيد يقال لها الريحانية⁽¹⁰⁾.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص53.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص109.

(3) المصدر نفسه، مج3، ص36، 53.

(4) عطوف الخادم: أحد خدام القصر، كان قد خدم ست الملك أخت الحاكم، قتله الحاكم بجماعة من الأتراك، وقفوا له في دهليز القصر، واحتزوا رأسه سنة (401هـ/1010م) انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص48، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص36-37.

(5) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص48-49، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص36.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص36.

(7) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص48-49، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص5، 36.

(8) ابن ميسر، أخبار ص32-33، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص112.

(9) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص330.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص453.

- حارة الفرحية: تقع داخل باب القنطرة⁽¹⁾، سكنها طائفة من العبيد يقال لهم الفرحية⁽²⁾، كما أقام قسم من طائفة الفرحية في المقس⁽³⁾، ولما ضاق عليهم انتقلوا إلى قبالة منظره اللؤلؤة التي كانت منتزهاً للخلفاء الفاطميين، وبنوا هناك حارة عرفت بحارة اللصوص – لتعديهم فيها على الناس-⁽⁴⁾ وعندما اتخذ الأمر اللؤلؤة منتزهاً له منع السودان من سكنها؛ حتى يُقيم بها حواشي الخليفة لحراسته، وأمر بنقل طائفة الفرحية من قبالة اللؤلؤة إلى خارج باب زويلة⁽⁵⁾، وبنوا هناك حارة سميت بحارة المنصورة، وعرفت أيضاً بحارة الهلالية⁽⁶⁾. ويبدو أن سكانها كانوا من الكثرة، حيث أنها "كانت كبيرة متسعة جداً"⁽⁷⁾.

* لعب السودان أدواراً هامة في تاريخ الدولة الفاطمية وكونوا قوى فاعلة في مجتمعها، وقد زادت فاعليتهم في المجتمع عقب إعادة تجنيدهم في الجيش في عهد الحافظ – عن الفترة التي سبقتها⁽⁸⁾ – حيث شكلوا عماد الجيش والقوة التي استندت عليها الخلافة في الإطاحة بالمتأمرين عليها، إذ استعان بهم الخلفاء للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع وزرائهم الذين عملوا على الاستئثار بالسلطة دونهم⁽⁹⁾.

كما كان للعبيد أثر فعال في بقاء الدولة الفاطمية، إذ لم يستطع صلاح الدين القضاء على الخلافة الفاطمية الا عقب هزيمتهم، إذ أنه بعد قضائه عليهم "قوي أمره وتلاشى العاضد وانحل أمره"⁽¹⁰⁾، مما مكن صلاح الدين من القضاء على الخلافة الفاطمية عام (567هـ/1171م)⁽¹¹⁾.

(11) المصدر نفسه، مج3، ص39، ص72. Ayman Fu'ad Sayyid, op.cit, p.508.

(12) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص5، ص39.

(13) القلقشندي، صبح، ج3، ص407.

(14) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص112 المقرئزي، المواعظ، مج3، ص72.

(1) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص137.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص58.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص53.

(4) حول أسباب زيادة فاعلية السودان في المجتمع في الفترة التي تلت عهد الحافظ (524-544هـ/1130-

1149م) عن الفترة التي سبقتها، انظر ص 62 من الأطروحة.

(5) انظر ص 62 من الأطروحة.

(6) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص330.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص335-336.

وكما كون السودان قوة فاعلة في المجتمع من حيث إحداث الاستقرار فيه، فقد كان لهم أيضاً دور في إحداث الفوضى فيه، إذ تحولوا في بعض الأحيان إلى عصابات تثير الفوضى وتقلق الأمن، فقاموا بحركات تمرد وعصيان، ساهموا من خلالها في إحداث إرباكات اجتماعية، وعدم استقرار اجتماعي، وإرهاق اقتصادي لدى المناطق المغزوة.

إذ يبدو أن اعتماد الدولة على العبيد في تسيير شؤونها، أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص في الدولة، ومنحهم إحساساً بالقوة، والتفوق على أهل البلاد، وجعلهم يسعون لتحقيق مصالحهم الاقتصادية على حساب سكان البلاد، فعندما قام السودان بنهب بلد الأشمونيين⁽¹⁾، وقام أهلها

برفع شكاية إلى معضاد الخادم الأسود - صاحب الشرطة - كان جوابه "متقبل من عبيد مولانا"⁽²⁾. ويذكر المسبحي (ت 420هـ / 1029م) أن في جواب معضاد ما يدل على فساد الأحوال وإطماع العبيد في النهب⁽³⁾.

وهجم العبيد في سنة (410هـ / 1019م) على الفسطاط بأمر من الحاكم وكسروا دكاكينها، ونهبوا ما فيها، ثم كبسوا سوق النحاسين وعدة مواضع أخرى ونهبوها نهائياً، وأحرقوا قيسارية الخليج وعدة منازل على الساحل "وأسروا خلقاً من النسوان وافترسوهن، وتهارب جماعة منهم إلى الجامع تحراًماً به"⁽⁴⁾.

(8) الأشمونيين: ولاية تقع في الوجه القبلي جنوب البهنسا، وكانت عملاً واسعاً، كثير الزرع، مركزها الأشمونيين على الشاطئ الغربي للنيل، أما ولاية البهنسا فتقع قبلي ولاية الجيزة في الجنوب، وقاعدتها مدينة البهنسا بالبر الغربي من النيل، وهما في إقليم الصعيد. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 200، 516، ابن مماتي، قوانين، ص 104-107.

(1) المسبحي، أخبار، ج 40، ص 82.

(2) المصدر نفسه، ج 40، ص 82.

(3) الانطاكي، تاريخ، ص 346-347.

واجتمع في عام (415هـ/1024م) ألف عبد عند سفح جبل المقطم، وقصدوا نهب مصر، فأرسل الظاهر (411-427هـ/1020-1035م) إليهم قواده؛ ليمنعهم من فعل ذلك، وأباح دمهم لأهل مصر⁽¹⁾، فاستعد الناس لقتالهم؛ ليمنعهم من فعل ذلك، وتقووا بإذن الخليفة لهم بقتل من يتعرض لهم من العبيد، وخرج قواد الظاهر وطالبوهم بالعودة إلى حارتهم، فردوا بأنهم ما فعلوا ذلك إلا لاشتداد الجوع حتى أكلوا الكلاب، فوعدهم قواد الخليفة بالنفقة فيهم، فرجعوا إلى حاراتهم⁽²⁾.

وقد تجمع العبيد في عهد الظاهر مرة أخرى، ونزلوا الفسطاط وقصدوا السواحل، ونهبوا دار سيدة تدعى ست ياقوت بساحل الشعير، وأشعلوا فيها النار، ونهبوا ما وجدوه في الدكاكين من القمح والشعير والحبوب، وكبسوا المنازل الخاصة بأهل الساحل، فخرج إليهم عامة المصريين بالسلاح، وحاربهم الرجال والنساء من أعلى المنازل بالحجارة والطوب والجرار، فهزمهم وأغلق الناس الطرق وحفروا دون الطرق خنادق، فلم يستطيعوا الاقتراب، ونزل إليهم قواد الخليفة فطردهم من البلاد إلى المقس وقتل البعض منهم⁽³⁾.

ويبدو أن حالات الفوضى التي كانت تحدث عقب أي حرب كانت فرصة مناسبة للسودان ليقوموا بأعمال السلب والنهب، فعندما انتشرت حالة الاضطراب والفوضى العامة بعد حرق

شاوور للفسطاط عام (564هـ/1169م)، قام السودان بنهب أموال عامة أهل الفسطاط، وفي أثناء الحريق كان النهابة يحفرون ويبحثون عن الخبايا⁽⁴⁾. وقد تشير ثورات السودان ذات المدلولات المالية- التي رافقت الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة⁽⁵⁾-

(4) المسيحي، أخبار، ج40، ص87، المقريري، اتعاض، ج2، ص36-37.

(5) المسيحي، أخبار، ج40، ص87، المقريري، اتعاض، ج2، ص36-37.

(6) المسيحي، أخبار، ج40، ص87، المقريري، اتعاض، ج2، ص36-37.

(1) المقريري، اتعاض، ج2، ص319.

(2) انظر المقريري، اغائة، ص37-40.

والتي كانت عدم كفاية الأوقات وقلة الأرزاق من بين الأسباب المحركة لها، إلى تردي أوضاعهم الاقتصادية، الأمر الذي دفعهم لشن تلك الفتن لأجل تأمين احتياجاتهم الاقتصادية بكل طريقة أو وسيلة ممكنة، دون تقديرهم للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة، والتي حالت دون مقدرتها على توفير أسباب العيش اللائق لهم. وقد تكون تلك الفتن من وجهة نظرهم فرصة للتعبير عن الرغبات الاجتماعية لهم في حياة أفضل.

ويمكن أن تعطي نتائج حروب السودان صورة عما تحدثه مثل هذه الحروب من أثر اجتماعي واقتصادي سلبي، من حيث تخريب المدن وتدهور أوضاعها، فقد كانت نتائج حروب السودان من الشدة على المصريين؛ لما يرافقها من قتل ونهب، فقد "عم الكافة أذاهم وإفسادهم"⁽¹⁾، "فكان الضرر بهم عظيماً؛ لامتداد أيديهم إلى أموال الناس وأهاليهم"⁽²⁾. وتبعاً لذلك أصبح العبيد لا يعرفون عند المصريين إلا باللصوص؛ نتيجة "لتنديهم عليهم"⁽³⁾.

وقد أثار السودان الرعب في نفوس الناس، حتى أن المسيحي (ت 420هـ/1029م) يروي أن دُبباً عظيماً سقط على المصريين من الجبل إلى داخل المقابر، فخاف الناس منه وتهاربوا مندفعين، فظن الباقون الذين رأوهم "أنها كبسة لحقتهم من العبيد"⁽⁴⁾، فتهاربوا وسقط بعضهم على بعض⁽⁵⁾. ويذكر ابن تغري بردي (ت 874هـ/1470م) أن السودان كانوا يقفون في الأزقة يصطادون النساء بالكلايب فيأكلون لحومهن⁽⁶⁾، ورغم ما في هذا الخبر من مبالغة، إلا أنه يشير إلى شراسة السودان وحالة الرعب التي أثاروها في نفوس الناس.

وقد تجلت غلظة العبيد وروحهم العدوانية، عندما قاموا عام (399هـ / 1008م) بنبش قبور الموتى المدفونين بكنيسة مريم القنطرة بالفسطاط، وطرحوا عظامهم، فأكلت الكلاب لحم من كان قريب العهد منهم⁽⁷⁾.

-
- (3) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص111.
 - (4) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص53-54.
 - (5) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص112، المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص72.
 - (6) المسيحي، **أخبار**، ج40، ص112. وانظر أيضاً المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص34.
 - (7) المسيحي، **أخبار**، ج40، ص112.
 - (8) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج5، ص17.
 - (9) الانطاكي، **تاريخ**، ص279.

ويمكن تفسير غلظة السودان وروحهم العدوانية، بأنها كانت انعكاساً لتأثرهم ببيئتهم الصحراوية(1) التي طبعتهم بطابع الخشونة وحدة الخلق. وقد تعطي تلك الطباع دلالة على شراسة السودان في الحروب، وبالتالي مدى الأضرار التي يمكن أن يلحقوها بالمناطق التي يهاجمونها. ولعل شراستهم هي التي دفعت الحاكم لتكليفهم دون غيرهم بحرق الفسطاط ونهبها - عام (410هـ/1019م) - رداً على ما قام به أهلها إزاءه(2).

* شكل السودان كتلة اجتماعية وعسكرية مترابطة، إذ كانت تربطهم روابط متينة، تتمثل في المصالح المشتركة، التي كانت تدفعهم دائماً لاتخاذ موقف واحد وجماعي، فكان انتماءهم لبعضهم قوياً، إذ رغم توزعهم على عدة فرق عسكرية(3)، لم يرد ما يشير إلى حدوث خلافات أو إنشقاقات فيما بينهم. كما أن حركة الانشقاق التي يقوم بها سوداني كانت تجر وراءها أعداداً كبيرة من السودان، إذ إن انشقاق مؤتمن الخلافة - مقدم السودان - عن صلاح الدين الذي أدى إلى مصرعه على يد جند صلاح الدين، جر جميع السودان للتأثر من صلاح الدين على مقتل مقدمهم مؤتمن الخلافة(4).

-
- (1) تكتنف النوبة - التي وفد السودان الي مصر منها - صحراء جافة جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة. انظر مصطفى المناوي، جغرافية، ص120.
 - (2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص139-140، ابن العميد، تاريخ، ص150.
 - (3) ذكر المقرئ من الفرق العسكرية السودانية: الريحانية والجوشية والفرحية والعطوفية والحسينية. انظر المقرئ، المواعظ، مج3، ص5، 36، 453.
 - (4) ابن تغري بردي، مورد، ورقة 56ب-57أ.

سادساً الأرمن:

أطلقت تسمية أرمن على المجموعات البشرية التي استقرت في المنطقة الممتدة من دجلة إلى البحر الأسود، ومن الفرات حتى الخزر⁽¹⁾. بعد أن تمكنت الدولة البيزنطية من إخضاع أرمينيا لسلطتها عام (455هـ / 1062م)، عقدت اتفاقاً مع أمراء أرمينيا يتم بموجبه تنازلهم عن أقاليمهم في أرمينيا، على أن تمنحهم بيزنطة بدلاً منها اقطاعات في بلاد الشام في إقليم قليقية⁽²⁾ وقيادوقيا⁽³⁾، ومدناً عديدة في أعالي الفرات أبرزها الرها⁽⁴⁾، مضافاً إليها مدينة أنطاكية⁽⁵⁾ والمناطق المحيطة بها. ومن جراء هذا الاتفاق شهدت تلك المناطق هجرات أرمينية متتالية⁽⁶⁾. وعقب أن تمكن السلاجقة من الانتصار على البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام (463هـ / 1071م)، وفرضوا هيمنتهم على جُل أرمينيا، وفدت إلى تلك المناطق هجرات أرمينية - أخرى - واسعة تمت آخرها وأكبرها مع نهاية عام (463هـ / 1071م)⁽⁷⁾.

-
- (5) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص213، بارتولد، مقال أرمينية، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص637، هارون بني عامر، (2002م)، الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ص18.
- (6) قليقية: تقع شمال شرق البحر المتوسط على منعطف تركيا وسوريا عند خليج مرسين واسكندرونة. انظر فتحي عثمان، الحدود، ص226.
- (7) قيادوقيا: تقع إلى الشمال من قليقية. انظر المؤرخ المجهول، أعمال، ص46.
- (8) الرها: هي من الناحية السورية من بلاد ما بين النهرين، تبعد حوالي 20 ميلاً عن نهر الفرات، ومائة ميل عن انطاكية. انظر فوشيه، تاريخ الحملة، ص52.
- (9) انطاكية: مدينة كبيرة شديدة التحصين، منبعا الموقع، تقع على ضفة نهر العاصي. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص266-270.
- (1) أديب السيد، أرمينية، ص 213-220، عاطف مرقص، (1986م)، الأرمن وعلاقتهم بالبيزنطيين والمسلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، ص162.
- (2) سعيد عاشور، بحوث، ص228، عبد الحفيظ علي، المسلمون، ج2، ص172.

إن وجود الأرمن في بلاد الشام أتاح للمستنصر (427-487هـ/1035-1094م) الاستعانة بأحدهم ويدعى بدر الجمالي في ولاية دمشق؛ عام (455هـ/1063م)⁽¹⁾؛ وما لبث بدر أن فارق دمشق عام (456هـ/1064م)، "فراراً من أهلها؛ لثورتهم عليه"⁽²⁾. ويبدو أن كفاءة بدر الإدارية حالت دون استغناء المستنصر عنه، فقد ولاه عام (458هـ/1066م) الشام بأسره⁽³⁾.

ويبدو أن ثورة أهل دمشق على بدر قد دفعته عندما تولى إمرة الشام إلى تجنيد بني جلدته من الأرمن في جيوشه⁽⁴⁾؛ ربما ليكونوا فرقة خاصة به، يأترون بأمره ويكونون عوناً له وقت الحاجة، يساندوه فيما لو تعرض لثورات من أهل الشام. ويبدو أن أعداد الأرمن في جيوش بدر كانت من الكثرة، بحيث فاقت أعداد الفرق العسكرية الأخرى، وهذا ما أشار إليه المؤرخ المسيحي موهوب بن منصور – الذي عاش في القرن (6هـ/12م) - في قوله: "وكان معظم عسكر أمير الجيوش أرمن"⁽⁵⁾.

وعندما عجز المستنصر عن التصدي للفتن والأزمات الاقتصادية التي مرت بها مصر في عهده⁽⁶⁾، اضطر إلى استدعاء بدر الجمالي؛ لنجدته وإصلاح حال الدولة⁽⁷⁾؛ لما أثبتته بدر من مقدرة في ولاية الشام، وألح عليه بسرعة الحضور⁽⁸⁾.

-
- (3) ابن الصيرفي، الإشارة، ص55، ابن ميسر، أخبار، ص52-54، الصفدي، الوافي، ج10، ص95، المقرئ، اتعاض، ج2، ص107.
- (4) ابن ميسر، أخبار، ص29، المقرئ، اتعاض، ج2، ص108.
- (5) ابن ميسر، أخبار، ص29، المقرئ، اتعاض، ج2، ص109.
- (6) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1026.
- (7) المصدر نفسه، ج3، مج2، ص1026.
- (8) حول هذه الفتن والأزمات، انظر ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئ، اتعاض، ج2، ص136.
- (9) ابن الصيرفي، الإشارة، ص55، ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئ، اتعاض، ج2، ص136.
- (10) المقرئ، المقفي، ج2، ص395، ابن حجر، رفع الأصر، ج1، ص131.

وقد لبي بدر هذه الدعوة التي تمنحه الفرصة لفرض نفوذه وسيطرته على مصر، لاسيما بعد أن وعده المستنصر بأن يكون هو المتولي والمسيطر على شؤون الدولة⁽¹⁾، مما يشبع ميوله الجانحة نحو "السطوة والبطش"⁽²⁾. ومما يثبت أن رغبته في السيطرة هي التي دفعته للموافقة على المجيء إلى مصر، إشتراطه على المستنصر في حال حضوره إلى مصر أن لا يأتي إلا مع عساكره الأرمين⁽³⁾؛ وألا يبقى من عساكر مصر أحد⁽⁴⁾، حيث يصعب عليه هو وجيشه الأرميني السيطرة مع وجود عساكر أخرى. ومع دخول بدر الجمالي مصر "قامت دولة الأرمين بديار مصر"⁽⁵⁾

وفي خطوة أخرى من بدر لأجل تحقيق سيطرته على البلاد، أقبل على تنفيذ الشرط الذي اشتراطه على المستنصر المتمثل في القضاء على عساكر مصر، وقد ابتداء برؤساء الأتراك المستبدين في البلاد، إذ عين – ذات ليلة – لكل أمير أرمني قائداً من الأتراك ليقتله، وما أن ظهر صباح اليوم التالي حتى كانت رؤوس قادة الأتراك بين يدي بدر⁽⁶⁾ "واستولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان له"⁽⁷⁾. كما تمكن بدر بواسطة جيوشه الأرمينية من استئصال شأفة الأتراك من مصر "فتتبعهم حتى لم يدع منهم أحداً يشار إليه"⁽⁸⁾. ولكي يضمن السيطرة المطلقة على البلاد قام بحل الطبقة العسكرية المغربية من الجيش الفاطمي⁽⁹⁾، رغم أنه لم يكن لها حول ولا قوة⁽¹⁰⁾.

(11) ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص40، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136.

(3) ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص136.

(4) المقرئزي، المفقى، ج2، ص402.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص40.

(6) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص137،

(7) المصدر نفسه، ج2، ص137.

(8) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص32.

(9) حول ضعف المغاربة العسكري وأسبابه انظر ص 38، 41-42 من الأطروحة.

إنّ قضاء بدر على الأتراك وحله للطبقة العسكرية المغربية، وغياب السودان عن الساحة العسكرية أثر تنكيل الأتراك بهم عام(460هـ/1068م)⁽¹⁾، أحدث تحولاً جذرياً في البنية البشرية للجيش الفاطمي، حيث أصبح الأرمن يشكلون النواة الرئيسية للجيش الفاطمي وهذا ما أشار إليه المقرئزي (ت 845هـ/1442م) في قوله: "أنه عندما قدم أمير الجيوش بدر من عكا

قتل رجال الدولة (من الأتراك) وأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن فصار من حينئذٍ معظم الجيش من الأرمن، وذهبت كتامة وصارت من جملة الرعية"⁽²⁾.

وما أن فرغ بدر من فرض سيطرته على العاصمة، حتى بدأ يوجه عنايته إلى بقية أقاليم مصر، وقام بتطهيرها من المفسدين، مستعيناً في ذلك بجنوده الأرمن⁽³⁾.

وقد تشير قدرة الأرمن على إعادة الأمن والنظام إلى البلاد، إلى قوتهم العددية ومقدرتهم القتالية، حيث اشتهروا بأساليبهم المميزة في القتال، فقد كانوا رماة سهام بارعين⁽⁴⁾.

عمل بدر على إسباغ رعايته واهتمامه الشديدين على الأرمن؛ تحفيزاً لهم على مواصلة دورهم في حماية الدولة من جهة، وكى يضمّن ولاءهم من جهة أخرى. حيث عمل على تأمين الوضع المالي لهم، إذ يشير أبو صالح الأرمني إلى أنه أقطع ناحية طر⁽⁵⁾ لجماعة من الأرمن القادمين في صحبته⁽⁶⁾، كما أقطعهم أرضاً تبلغ مساحتها أربعة آلاف وخمسمائة وسبعون فداناً⁽⁷⁾.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص32-33، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص112.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص32.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص 41-47، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص137-145.

(3) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص329.

(4) طر: قرية في شرق النيل، قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ص24.

(5) كنانس، ص61.

(6) أبو صالح الأرمني، كنانس، ص116. الفدان: هو مقياس المساحة المصري المفضل، يقدر بـ(6368متر مربع). انظر فالترهنتس، المكابيل، ص98.

لقد اهتم بدر بشؤون الأرمن الدينية، فقد أكثر من بناء الكنائس للأرمن التي تتيح لهم ممارسة جميع شعائرهم الدينية، وقد خصص لهم كنيسة شمال غرب القاهرة؛ ليقموا بها صلواتهم⁽¹⁾. وعندما زار أغريغوريس – ابن أخت بطرك الأرمن القديم – مصر عام (480هـ/1087م) استقبله بدر بحفاوة بالغة⁽²⁾، وخلال هذه الزيارة تم تعيينه بطريركاً للأرمن في مصر؛ ليتولى تنظيم شؤونهم الدينية⁽³⁾.

وربما جاء اهتمام بدر بشؤون الأرمن الدينية – رغم أنه كان مسلماً⁽⁴⁾ – تلبية للحاجة النفسية لهم، بتوفير الأجواء الدينية المناسبة لهم، حتى لا يشعروا بأي غربة في المكان الجديد الذي انتقلوا إليه، مما يخلق اطمئناناً نفسياً لديهم؛ يدعم الموقف القتالي لهم.

يبدو أن هيمنة الأرمن على الساحة العسكرية؛ نتيجة لغياب العناصر الأخرى، دفعت بهم إلى الاستئثار بالسلطة، فاستشرى نفوذهم حينما ظهر بوضوح ميل القادة الأرمن للاستبداد بالأمر، حتى أنهم أصبحوا يتدخلون في تعيين الوزراء، حيث ضغطوا على المستنصر كي يعين الأفضل⁽⁵⁾ في الوزارة؛ تنفيذاً لرغبة سيدهم بدر الجمالي، وكانت الوسيلة التي اتبعوها لإرغامه على ذلك من القوة والعنف، بحيث شهروا السيوف في وجه المستنصر "ولم يبق إلا وقوع الشر"⁽⁶⁾، مما اضطر المستنصر للإذعان لطلبهم⁽⁷⁾.

(7) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1058-1059.

(8) المصدر نفسه، ج3، مج2، ص1027-1029.

(9) المصدر نفسه، ج3، مج2، ص1027.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص123-124.

(1) الأفضل: هو الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، تولى الوزارة بعد وفاة أبيه سنة (487هـ/1094م) وظل طوال الثمانية والعشرين عاماً التالية حتى وفاته في سنة (515هـ/1121م) هو الحاكم الفعلي للبلاد في ظل خلفاء صغار السن – وهم المستعلي (487-495هـ/1094-1101م) والأمر (495-524هـ/1101-1130م) – لاحول لهم ولا قوة. انظر ابن المأمون، أخبار، ص4، ابن خلكان، وفيات، ج2، ص448-451.

(2) المقرئ، اتعاض، ج2، ص149.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص149.

ويبدو تراجع الدور العسكري للأرمن في وزارة الأفضل⁽¹⁾، الذي مني بهزيمة أمام الصليبيين في عسقلان عام (493هـ / 1100م)⁽²⁾، نتيجة لتقاعس جنوده الأرمن عن القتال⁽³⁾، وعندما تيقن الأفضل أن الهزيمة التي مني بها كانت بسبب جنده الأرمن، تنكر لهم "فلم ينتفع أحد من الأجناد بعد هذه الهزيمة بالأفضل، وحظر عليهم نعوتهم، ولم يسمع لأحد منهم كلمة"⁽⁴⁾. بدأ الأفضل نتيجة لضعف قواته الأرمنية بعملية إصلاح شاملة للجيش الفاطمي؛ للاستعاضة عن قصور قواته الأرمنية، تركزت هذه الإصلاحات في اعداد محاربين جدد - لم تحدد المصادر أصولهم - سموا بالصبيان الحجرية⁽⁵⁾، نسبة إلى الحجرات التي تعلموا فيها فنون القتال والفروسية⁽⁶⁾. وقد جعل الأفضل لكل مائة منهم رئيساً، وجعل على رأسهم جميعاً أميراً يقال له الموفق. واستغنى الأفضل بهؤلاء عن الأرمن وأصبح يجهزهم للمهمات التي تطرأ له بقيادة أميرهم الموفق⁽⁷⁾.

ويمكن أن يعزى تراجع الدور العسكري للأرمن في وزارة الأفضل، إلى سياسة سلفه بدر الجمالي، الذي بالغ في العناية بالأرمن وأغدق عليهم الأموال وأقطعهم الاقطاعات⁽⁸⁾، الأمر الذي أفسد روحهم القتالية تدريجياً، وجعلهم يفضلون حياة الترف والدعة، وجمع الأموال على حياة الجندية ومتاعبها.

(4) بتولي بدر الجمالي وزارة التفويض وإمرة الجيوش بدأ عصر جديد في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، عصر تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف أطلق عليه "عصر نفوذ الوزراء"، حيث أصبح الخلفاء الفاطميون منذ هذا التاريخ رؤساء رمزيين لسلسلة من الوزراء المتحكمين. (انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص56، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص445). ولذا فعند تحديدنا لأوضاع الأرمن في الدولة، سيتم - غالباً - ربطها بعصور الوزراء.

(5) ابن الطوير، **نزهة**، ص 3-4، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص198.

(6) ابن الطوير، **نزهة**، ص4

(7) المصدر نفسه، ص4.

(8) ابن الطوير، **نزهة**، ص 3-4، المقرئزي، **المواعظ**، مج 2 ، ص453-455.

(9) المقرئزي، **المواعظ**، مج 2 ، ص 193.

(10) ابن الطوير، **نزهة**، ص3-4،

(11) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، 61، 116.

وقد استمرت الدولة في الاستعاضة عن الأرمن بالمحاربين الحجرية، حتى وزارة بهرام⁽¹⁾، التي استعاد فيها الأرمن مكانتهم في الجيش، حيث شرع بهرام فور توليه الوزارة بتعزيز الدور العسكري للأرمن وتقويتهم عن طريق جلب أجيال جديدة منهم – لتبعث فيهم قدراً من القوة - من بلادهم ومن منطقة تل باشر⁽²⁾ "فأخذوا يردون إلى القاهرة من كل جهة حتى صار بها منهم عالم عظيم"⁽³⁾. وقد تمكن بهرام بما تمتع به من صفات عسكرية⁽⁴⁾ من السيطرة على الأرمن، بحيث جعلهم تحت نطاق تأثيره المباشر "منقادين إليه لا يخالفونه في شيء من الأشياء"⁽⁵⁾. ولم يكتف بهرام بتعزيز دور الأرمن في الجيش، بل قام بتعزيز دورهم أيضاً في الدولة حيث أصبح لهم "في أيام دولته نفاذ كلمة وعزة نفس وكل تصرف جليل من الدواوين الكبار الذي للخليفة والوزراء في أيديهم، وكان منهم النظار والمشارفين في جميع أرض مصر قبلها وبحريها وثورها"⁽⁶⁾. وربما يعزى موقف بهرام النصراني في تعزيز دور الأرمن في الجيش والدولة، إلى محاباته لأهل ملته الأرمن النصارى.

إن محاباة بهرام للأرمن أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص عنده، وأدى ذلك بهم إلى تشكيل طبقة عسكرية بدأت تستبد بالأمور، وتتعالى على المسلمين، الذين "أصابوا من النصارى الأرمن جور عظيم"⁽⁷⁾.

-
- (1) ابن الطوير، **نزهة**، ص28. بهرام: ظل يرتقي في الخدمة لدى الفاطميين لمدة خمسين عاماً حتى وصل إلى رتبة والي على الغربية، ثم وزيراً للحافظ عام (529هـ/1134م)، وكان أول نصراني يعتلي وزارة تفويض للفاطميين، وقد صرف عن الوزارة عام (531هـ/1136م) أثر هزيمته أمام رضوان بن ولخشي. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص123-124.
- (2) تل باشر: حصن يقع شمال حلب، يبعد نحو30 ميلاً نحو غربي ممر الفرات. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص40، ابن العديم، **بغية**، ج1، ص321-322.
- (3) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص241.
- (4) ابن ميسر، **أخبار**، ص122.
- (5) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص243.
- (6) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج3، مج2، ص1288-1289.
- (7) ابن ميسر، **أخبار**، ص124.

ويبدو أن معاملة الأرمن السلبية للمسلمين كانت بتعزيز من الوزير بهرام الأرمني، الذي سار نحو محاباة بني ملته النصارى الأرمن على حساب المسلمين، بدليل أن فترة الوزراء الذين سبقوه – وتزامنت مع دخول الأرمن في الجيش الفاطمي في مصر عام (466هـ/1074م) - لم تشهد توتراً في العلاقات بين الأرمن والمسلمين، حيث تولى فيها منصب الوزارة – الذي أتاح لمن تولاه في تلك الفترة السيطرة على الدولة(1) – وزراء جميعهم مسلمين(2)، لم يفسحوا المجال للأرمن النصارى النيل من المسلمين.

وقد ضاق المسلمون ذرعاً بتصرفات الأرمن واشتد كرههم لهم، وأثارت سيطرتهم موجة من النقمة ضدهم، وأخذ الصراع بين المسلمين والأرمن يأخذ منحىً مذهبياً، فعندما تمادى الأرمن في الإعلان عن عقيدتهم النصرانية وأكثروا من بناء الكنائس والأديرة(3)، "خاف أهل مصر أن يغيروا الملة الإسلامية ويغلبوا على البلاد ويردوها دار كفر"(4). ورأوا التخلص من نفوذهم وسلطانهم في البلاد، وذلك بالقضاء على عهد بهرام الأرمني فاجتمع نفر من الأمراء والمسلمين عامة، واستنجدوا برضوان بن ولخشي(5) وكتبوه قائلين "وما للمسلمين من ينقذهم من اهانة الأرمن غيرك فإن قوا أكثر من هذا تنصر كثير من المسلمين"(6).

ولما وصلت المكاتب إلى رضوان جمع من الأجناد والعربان – الذين في الغربية – نحو (30 ألفاً) وتوجه بهم صوب القاهرة(7). وحاول شحذ همتهم بتأكيد الصفة الدينية لحربه ضد الأرمن، حيث "خطب خطبة بليغة حرضهم فيها على الجهاد"(8)، "في سبيل الله والاجتماع لقتال بهرام وشيعته النصارى من الأرمن"(9). وكان الحرب المقبلة باتت بين المسلمين والنصارى.

(8) انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص56، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص445.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص 123-124.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص124، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص242.

(2) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص242.

(3) رضوان بن ولخشي: متولي الغربية في عهد الحافظ، ثم تولى الوزارة سنة (531هـ / 1136م)، وحينما استشرى نفوذه، وقام بالتطاول على الخليفة الحافظ، وهم بخلعه بعث إليه الحافظ مقدمي السودان لقتله، فقتلوه عام (542هـ / 1147م) انظر: المقرئزي، المواعظ، مج2، ص201.

(4) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1288-1289.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص45، ابن ميسر، أخبار، ص125، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص343.

(6) ابن ميسر، أخبار، ص124، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص243.

(7) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص243.

وعندما علم بهرام بمكاتبة المسلمين لرضوان، خشى على نفوذه أن يتأثر إن استمر على سياسته الموالية للأرمن ضد المسلمين، وما لبث أن حاول التخلي عن تلك لسياسة، واجتمع بالأرمن وخاطبهم بلهجة شديدة قائلاً: "اعلموا أننا قوم غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة، والآن فقد كثر بغضهم لأيامنا، وما كنت الذي أكون عبد قوم وأخدمهم من حال الصبا، فلما بلغني الكبر أقاتلهم، لا أضربن في وجوههم بسيف أبدا"(1).

إلا أن خروج رضوان بجموعه نحو القاهرة للقضاء على بهرام وقواته الأرمنية، اضطر بهرام إلى الخروج بعساكر مصر لمحاربة رضوان، وأسفرت المواجهة التي حصلت بين الطرفين عن هزيمة بهرام وعساكره الأرمنية، وهروبهم إلى الصعيد، وذلك عام (531هـ/1136م)(2).

ويبدو أن الثورة ضد الأرمن كانت عارمة أحاطت بكل من هو منتسب للأرمن، فبعد أن تمت هزيمتهم على يد رضوان، قام العامة من أهل القاهرة بنهب دورهم وكنيستهم التي في الحسينية ظاهر باب الفتوح(3).

إن تقلص الأرمن في الجيش الفاطمي عقب المواجهة التي جرت بينهم وبين قوات رضوان، لم يكن يعني نهاية وجودهم كقوى فاعلة في المجتمع، إذ ظهر منهم في الدولة بعد تلك الحرب، بنو رزيك(4).

(8) المصدر نفسه، ج2، ص243.

(9) ابن الطوير، نزهة، ص44-45، ابن ميسر، أخبار، ص124-125، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص243-244.

(1) ابن الطوير، نزهة، ص45-46.

(2) بنو رزيك: ممثلون بالوزير طلائع بن رزيك وابنه رزيك، توليا الوزارة في الدولة الفاطمية في الفترة الزمنية الممتدة من سنة (549-558هـ / 1154-1163م). لمزيد من التفاصيل عن بني رزيك انظر: سليمان الخرابشة، أسرة بني رزيك، ص 11-74.

كما يبدو حرص الدولة على إعادة تجنيدهم في جيوشها، فعندما فر بهرام وجماعته من الأرمن النصارى إلى الصعيد أرسل الحافظ (524-544هـ/1130-1149م) إلى بهرام عهد أمان ليعود مكرماً إلى قصر الخلافة، وتضمن هذا الأمان إقرار الأرمن النصارى من "طائفته على اقطاعاتهم"⁽¹⁾، وتقرر الحال في النهاية على أن يقيم بهرام في قصر الخلافة⁽⁴⁾، وقد فارقه أكثر الأرمن فمنهم من سار إلى بلاده، ومنهم من أثار أن يصبح فلاحاً في أراضي مصر، فطلبوا مواضع لهم يسكنوها فافردت لهم جهات في صعيد مصر⁽⁵⁾.

وإذا كانت خطوة الحافظ في إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي لم يكتب لها النجاح في عهده، فقد تم تنفيذها على ما يبدو عقب عهده، إذ أكد المقرئزي انضمام أعداد كبيرة من الأرمن إلى جانب السودان في قتالهم جيش صلاح الدين سنة (564هـ/1169م)⁽⁶⁾.

كما أكد المقرئزي حضور الأرمن في الجيش الفاطمي عند سقوط الخلافة الفاطمية عام (567هـ/1171م)، حيث قال: "فلما زالت دولتهم (الفاطميين) على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن، واستجد عسكرياً من الأكراد والأتراك خاصة"⁽⁷⁾. وقد أكد ابن إياس (ت 930هـ/1524م) ما ذهب إليه المقرئزي حيث قال: "لما انفرد صلاح الدين بملك مصر والشام أزال ما كان بمصر من العساكر الملققة، وكانوا ما بين أرمن وشتائرة العرب، وطائفة من العبيد السود، فمحا هذه الطوائف كلها، واستجد بمصر عساكر من الأكراد"⁽⁸⁾.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص48، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص244.

(4) ابن الطوير، نزهة، ص48.

(5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص329.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص329.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص254.

(8) بدائع، ج1، ص242.

ويمكن تفسير حرص الفاطميين على إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي في الفترة التي تلت حربهم مع رضوان وتزامنت مع إعادة تجنيد السودان في الجيش الفاطمي على يد الحافظ – عقب تشتيتهم من الجيش الفاطمي على يد الأتراك عام (460هـ/1086م) (1) - إلى رغبتهم في حفظ التوازن العسكري في الجيش الفاطمي؛ كي يوجدوا منهم قوة مقابلة للسودان، فإذا ازداد نفوذ السودان لجأوا إليهم للحد من نفوذهم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن سعي الفاطميين لتجنيدهم جاء – على ما يبدو – تلبية لحاجات عسكرية، حتى تنتفع الدولة بجهودهم؛ وتعزز قواتها من السودان بقوات أخرى، لاسيما وأن الأرمن اشتهروا بأسلوبهم المميز في القتال، حيث كانوا رماة سهام بارعين (2).

وقد جاءت نهاية الأرمن – كما جاءت نهاية السودان – على يد صلاح الدين وجيشه، فعندما انضموا للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (564هـ/1169م) "وانكوا الأكراد (جيوش صلاح الدين) بشدة رميهم السهام ومنعواهم أن يتجاوزوا عن مواضعهم إلى محاربة العبيد" (3)، كلف صلاح الدين جيوشه بحرق المواضع التي كانوا يرمون منها، فلما احترقت عليهم لم يكذب يفلت منهم أحد (4)، وتتبع جيش صلاح الدين السودان والأرمن في كل مكان واستولت على دورهم وممتلكاتهم، وأغلق صلاح الدين ديرهم الكائن بالزهرري "وأبعد البطريرك الأرمني ورهبان الأرمن من هذا الدير" (5)

يتبين من دراسة الأرمن ما يلي:

* في غياب السودان عن الساحة العسكرية أثر تنكيل الأتراك بهم، وقضاء بدر الجمالي على الأتراك، وحله للطبقة العسكرية المغربية، انفرد الأرمن بالساحة العسكرية، وزادت فاعليتهم كقوى فاعلة في المجتمع، بما تمتعوا به من مقدرة عسكرية، فشكوا النواة الرئيسية للجيش الفاطمي، والقوة التي استندت عليها الدولة في ضبط أمورها واستتباب الأمن فيها.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص32-33، المقريري، اتعاض، ج2، ص112.

(2) المقريري، اتعاض، ج2، ص329.

(3) المقريري، اتعاض، ج2، ص329.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص329، Hamblin, op.cit, p.22

(5) أبو صالح الأرمني، كنانس، ص3.

إلا أن مكانة الأرمن كقوى فاعلة في المجتمع تضاعفت في الفترة التي تزامن وجودهم فيها في الجيش مع السودان، بحيث لم يرد لهم نشاط عسكري طيلة تلك الفترة سوى انضمامهم للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (564هـ/1169م).

ولعل قلة تأثيرهم في الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة في الفترة التي تزامن وجودهم فيها مع السودان، مرده إلى انعدام التكافؤ العددي بينهم وبين السودان، بحيث تلاشوا أمام القوة العددية التي تمتع بها السودان⁽¹⁾، الذين ربما أتاحت لهم كثرتهم العددية فرض نفوذهم على الأرمن. وإن عدم ذكر حدوث مشاكل أو تنافس بين الطرفين كالتي كانت تحدث دائماً بين كل قوتين عسكريتين متزامنتين في خدمة الدولة⁽²⁾، ربما يدل على تفوق السودان العددي على الأرمن، الذي لم يتح للأرمن الدخول في نزاع مع السودان على السلطة والنفوذ.

* شكل الأرمن كتلة اجتماعية وعسكرية مترابطة، فيما أنهم اتحاد عرقي الأساس، بالإضافة إلى كونهم ائتلاف ديني⁽³⁾، فقد ربطتهم روابط عرقية ودينية، دفعتهم دائماً إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي، بحيث لم يرد ما يشير إلى حدوث منازعات أو تنافس فيما بينهم على السلطة والنفوذ. وربما ساهم تعاونهم مع بعض، مضافاً إليه مقدرتهم القتالية، في تدعيم موقفهم القتالي، بحيث تمكنوا فور وصولهم إلى مصر مع بدر الجمالي عام (466هـ/1074م) من إقرار الأمن في البلاد بقضائهم على الفتن والاضطرابات التي سادت فيها، كما قاموا عام (564هـ/1169م) بالتصدي لصلاح الدين وجيوشه بحزم وشجاعة.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص31، المقريري، اتعاظ، ج2، ص109.
(2) انظر الصراع الذي حدث بين المغاربة والأتراك ص39-41 من الأطروحة. وانظر الصراع الذي حدث بين الأتراك والسودان في ص 60-62 من الأطروحة.
(3) لقد كان جميع الجيش الأرمني على النصرانية. انظر المقريري، اتعاظ، ج2، ص242.

* كان الاتجاه العام في مصر بالعصر الفاطمي نحو تعايش المسلمين مع النصارى سواء أكانوا أرمن أو غيرهم في جو من الانفتاح والعيش المشترك⁽¹⁾. وإن ما حدث في وزارة بهرام من توتر في العلاقات بين المسلمين والنصارى الأرمن يمثل جوانب شاذة – فرضتها ظروف معينة – في علاقات المسلمين المصريين مع الأرمن النصارى. إذ إنَّ عدم توتر العلاقات بين المسلمين والأرمن سوى في وزارة بهرام، لمما يؤكد أن علاقة المسلمين المصريين بالنصارى الأرمن في وزارة بهرام، لم تكن قاعدة عامة مثلت العلاقة القائمة بين المسلمين المصريين والأرمن.

سابعاً العرب:

لقد شكل الفاطميون جيوشاً نظامية من العرب، وهذا ما أشار إليه المقرئ صليح الدين يوسف بن أيوب أزال جنود مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن واستجد عسكرياً من الأكراد، والأتراك خاصة⁽²⁾. وقد أكد ابن إياس (ت930هـ/1524م) حضور العرب في الجيش الفاطمي في قوله: "لما انفرد صلاح الدين بملك مصر والشام أزال ما كان بمصر من العساكر الملققة، وكانوا ما بين أرمن وشتاترة العرب، وطائفة من العبيد، فمحا هذه الطوائف كلها، واستجد بمصر عساكر من الأكراد"⁽³⁾. وبلغت الانتباه ندرة المعلومات حول العسكر العرب، وقد يشير هذا إلى ضعف أهميتهم، وعدم مشاركتهم مشاركة فعالة في الجيش الفاطمي؛ ربما نتيجة لضعفهم العددي، بحيث تلاشوا أمام القوى العسكرية الأخرى في الجيش الفاطمي.

(4) انظر مبحث أهل الذمة ص 172-176 من الأطروحة.

(1) المواعظ، مج1، ص254.

(2) ابن إياس، بدائع، ج1، ص242.

ويمكن أن تعزى قلة أعداد العرب في الجيش الفاطمي، إلى تجنب الفاطميين تجنيدهم في جيوشهم على نطاق واسع، حيث أن استخدامهم للعرب المصريين – الذين يمثلون أغلب أهل السنة - (1) في جيوشهم بشكل واسع، قد يمثل خطورة على نظامهم، لاسيما وأنه كانت لهم تجارب صعبة في العيش مع الأوساط السننية في افريقيا(2). بالإضافة إلى العسكريين العرب، يفترض وجود مدنيين عرب في القاهرة، تزامن مجيئهم إليها مع انتقال أهل الفسطاط إلى القاهرة(3) – عام (466هـ/1074م) – الذين شكل العرب قسماً منهم(4).

يتبين من دراسة العناصر البشرية التي عاشت في القاهرة ما يلي:

- لم يعمل الفاطميون على تثبيت التوجهات التي تؤمن الاستقرار والانسجام بين جيوشهم الذين جاءوا من أماكن عديدة مع تقاليدهم وأساليب حياتهم المتنوعة، فقد أخفقوا في تكوين جو من التفاهم والتعاون بينهم، حيث قامت سياسة الدولة الفاطمية على أساس حفظ توازن القوى في الدولة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر للحد من نفوذه. مما جعل علاقة تلك العناصر مع بعضها أقرب إلى التداخل منها إلى التكامل، فاشتد النزاع بين عناصر الجيش؛ لمحاولة كل عنصر الاستئثار بالامتيازات والنفوذ دون الآخر. وأصبح كل عنصر يحاول القضاء على العنصر الآخر دون الاهتمام باستقرار

(3) الشيرازي، المجالس، ص390.

(4) حول المقاومة السننية للفاطميين في افريقيا انظر المالكي، رياض، ج2، ص74-96.

(5) القلقشندي، صبح، ج3، ص418

(6) المقرئزي، البيان، ص140.

الدولة(1). وأصبح الجيش الخطر الرئيس على الدولة، ومصدر البلاء على الرعية، فقد أدت خصوماته إلى حدوث إرباك في الإدارة وفي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، وفي عرقلة الأعمال الحضرية المفيدة. إذ تذكر المصادر التاريخية أنه من سنة (444هـ/1052م) بدأت أحوال البلاد بالاضطراب، وبلغت ذروة الاضطراب الفترة من (457هـ/1066م إلى 466هـ/1072م) حيث أصاب البلاد في هذه الفترة ما يعرف بالشدة العظمى(2)، ولم يقتصر سبب هذه الشدة على قصور النيل وحده، وإنما كان أيضا " من اختلاف الكلمة، ومحاربة الأجناد، وكان من نتائج ذلك أنه لا يوجد في الأقاليم من يزرع الأراضي، ولا من يقيم الجسور من كثرة الاختلاف، وتواتر الحروب، وانقطاع الطرقات في البر والبحر، ولم يوجد من يبذر الأرض للزراعة"(3)، وارتفعت الأسعار وانتشرت الأوبئة، واضطرب الأمن، وهلك كثير من البشر(4). إذن فالتعددية الأثنية كانت عاملاً مهماً في التدهور الحضاري، وفي اختلال في الاستقرار والأمن، وهما أرسخ دعائم الحياة الحضرية.

ولما كانت نتائج الحروب التي نشبت بين عناصر الجيش المختلفة شديدة على المصريين، فقد انطلقت ألسنتهم بالعديد من الأمثال الشعبية التي تعبر عن سخطهم على عناصر الجيش. فقالوا: "من عاشر غير جنسه دق لهم صدره"(5). وقالوا: "راحت من الترك هاربة قابلوها المغاربة"(6). أي أنها هربت من شر فوجدت أشر منه. وذلك يدل على تعرض المصريين لأذى عناصر الجيش المختلفة، ومنهم الترك والمغاربة.

-
- (1) حول نزاع الأتراك مع المغاربة، انظر ص 39-41 من هذه الأطروحة ، وحول نزاع الأتراك مع السودان انظر ص 60-61 من الأطروحة.
 - (2) ابن ظافر الأزدي، أخبار، ج1، ص 223-224، ابن ميسر، أخبار، ص134، الدواداري، كنز، ج6، ص381، المقرزي، اغائة، ص37-38.
 - (3) المقرزي، اتعاض، ج2، ص130.
 - (4) الدواداري، كنز، ج6، ص271، المقرزي، اتعاض، ج2، ص307، اغائة، ص60.
 - (5) الأبيشي، المستطرف، ج1، ص87.
 - (6) محمد شكري المكي، مخطوط مجمع الأمثال العامية، دار الكتب المصرية، ورقة، 40.

* حضور العناصر البشرية في المجتمع قام على أساس مقدرة رجالها العسكرية، إذ عمل الفاطميون على اصطناع العناصر التي تميزت بالمقدرة القتالية، كالمغاربة (7) والصقالبة (8) والأتراك (9) والسودان (10) والأرمن (11).

* لقد تراوحت أهمية العناصر السكانية في القاهرة، حسب قوة مشاركتها في الأحداث العامة وتأثيرها على المجتمع، الأمر الذي إرتبط إرتباطاً كبيراً بحجمها ودرجة قوتها. فقد تمكن المغاربة بما تمتعوا به من مقدرة عسكرية، وقوة عددية من التأثير على الأوضاع العامة. إلا أن الضعف العسكري الذي ما لبث أن اعتراهم قد جنب الفاطميين الاعتماد عليهم، وأدى إلى زوال نفوذهم وتلاشي تأثيرهم في المجتمع "وأصبحوا من جملة الرعية بعدما كانوا من أكابر أهلها" (1). ويبدو أن عامل المقدرة القتالية كان أقوى من عامل الكثرة العددية، في التأثير على الأوضاع العامة في المجتمع، فرغم تفوق المغاربة العددي على الأتراك، إلا أن الأتراك استطاعوا هزيمتهم، والتغلب عليهم في التأثير على الأوضاع العامة؛ بسبب تفوقهم القتالي عليهم (2). ورغم تفوق السودان العددي على الأتراك، إلا أن الأتراك استطاعوا عام (460هـ / 1068م) تشتيتهم، وكسر شوكتهم (3)؛ نتيجة - على ما يبدو - لتفوقهم القتالي عليهم (4).

(7) حول خصائص المغاربة العسكرية انظر ص 34-35 من الأطروحة.

(8) حول خصائص الصقالبة العسكرية انظر ص 45 من الأطروحة.

(9) حول خصائص الأتراك العسكرية انظر ص 51 من الأطروحة.

(10) حول خصائص السودان العسكرية انظر ص 58 - 59 من الأطروحة.

(11) حول خصائص الأرمن العسكرية انظر ص 71 من الأطروحة.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص32.

(2) انظر ص 38-40 من الأطروحة.

(3) ابن ميسر، أخبار، ص32-33، المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص112.

(4) انظر ص 51 من الأطروحة.

وإن قوة الأرمن العددية، ومقدرتهم القتالية، مكنتهم فور وصولهم إلى مصر عام (466هـ/1074م) من ضبط أمور الدولة واستتباب الأمن فيها⁽⁵⁾. إلا أن فاعليتهم في المجتمع قد تضاءلت مع تسرب الضعف العسكري إليهم⁽⁶⁾، مما دفع بهرام إلى تعزيز دورهم العسكري بجلب أجيال جديدة منهم من بلادهم، بعثت فيهم قدراً من القوة، فوصلت سيطرتهم على البلاد إلى درجة من القوة، أثارت المسلمين وحدثت بهم إلى الاستتجاد برضوان بن ولخشي والي الغربية وقتئذٍ؛ ليخلصهم من تسلط الأرمن عليهم. وقد جمع رضوان أجناداً من الغربية تمكنت - ربما لتفوقها العددي والقتالي على الأرمن - من الانتصار على الأرمن والقضاء على وجودهم في الجيش الفاطمي، وذلك عام (531هـ/1136م)⁽⁷⁾.

وقد تزامن إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي مع وجود السودان في الجيش، الذين أتاحت لهم مقدرتهم القتالية وقوتهم العددية السيطرة على البلاد، والتفوق على الأرمن، الذين تلاشوا أمام قوة السودان العددية، ولم يرد لهم نشاط عسكري طيلة الفترة التي تزامن وجودهم فيها مع السودان، سوى انضمامهم للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (564هـ/1169م)⁽⁸⁾.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص41-47، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص137-145.

(6) حول بداية وأسباب ضعف الأرمن العسكري انظر ص 72 من الأطروحة.

(7) ابن الطوير، نزهة، ص44-45، ابن ميسر، أخبار، ص124-125، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص243-

244.

(8) ابو شامة، الروضتين، ص450-452، ابن تغري بردي، مورد، ورقة 56ب-57أ.

* هناك ارتباط بين النفوذ السياسي والعسكري للعناصر البشرية وبين الثروة. فعندما انفرد المغاربة بالساحة العسكرية تمتعوا بنفوذ واسع تبعه تقدم ملموس في أوضاعهم الاقتصادية(1). ومع تناقص دورهم السياسي والعسكري نتيجة لتجنيد الأتراك وحلولهم محلهم في الاستئثار بالنفوذ، شهدت أوضاعهم الاقتصادية تراجعاً ملحوظاً(2)، حيث استأثر الأتراك الذين أصبح لهم النفوذ بأموال الدولة – من دون المغاربة – حتى أفرغوا خزانة الدولة(3). وعندما شكل الأرمن الواصلون مع بدر النواة الرئيسية للجيش الفاطمي، تمتعوا بنفوذ واسع تبعه تقدم في أوضاعهم المالية(4)، وصل إلى درجة من القوة، بحيث أفسد خصائصهم العسكرية(5). أما السودان فقد تزامن نفوذهم السياسي والعسكري مع الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة، والتي حالت دون تمتعهم بأوضاع اقتصادية رهيبة(6).

-
- (1) المقريري، **اتعاظ**، ج1، ص99.
 - (2) المصدر نفسه، ج1، ص299.
 - (3) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص253، المقريري، **اتعاظ**، ج2، ص109.
 - (4) أبو صالح الأرميني، **كنانس**، ص61، 116.
 - (5) حول بداية وأسباب ضعف الأرمن العسكري انظر ص 72 من الأطروحة.
 - (6) المسبجي، **أخبار**، ج40، ص208-209، المقريري، **اتعاظ**، ج2، ص36-37.

الفصل الثالث

الطبقات الاجتماعية

- تمهيد:

- أولا: طبقة الخاصة

- ثانيا: الطبقة الوسطى

- ثالثا: طبقة العامة

تمهيد:

تعني الطبقة في المفهوم الفاطمي المنزلة، ففي الخطاب الذي وجهه الأمر (495-524هـ/1101-1130م) لتعزية الكافة في وفاة الوزير الأفضل، خاطب العساكر وفق ترتيب معين، حسب منازلهم، وتلك المنازل عبر عنها بكلمة " طبقة"، فقال قارئ الخطاب المذكور: " هذا كتاب من الامام الأمر بأحكام الله، بما رآه، وأمر به من تلاوة على كافة من بمدينة مصر، من الأمراء، ورجال العساكر المؤيدة، على اختلاف طبقاتهم، فارسهم، ومترجلهم، وراجلهم" (1) لقد قام نظام تفصيلي للطبقات الاجتماعية في العصر الفاطمي، يتجلى صداه في اهتمام مؤرخي العصر الفاطمي بالتعبير عن الفروق الاجتماعية في مناسبات متعددة، وعبر وسائل مختلفة.

فقد ذكر الأنطاكي (ت 458هـ / 1066م) في أحداث عام (397هـ / 1007م)، أن الحاكم بأمر الله "بذل سيفه في إراقة الدماء في سائر الناس على طبقاتهم، حتى أفنى ... وجوه دولته وأصاغرهم" (2).

وذكر ناصر خسرو (ت 481هـ/1188م)، أن المستنصر كان " يقيم .. مأدبة في كل من العيدين، ويأذن بالاستقبال في قصره للخوادم والعوام، وتنصب مأدبة الخوادم في حضرته، ومأدبة العوام في سرايات أخرى" (3)

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص184.

(2) تاريخ، ص257.

(3) سفرنامه، ص122.

وورد مفهوم الطبقات الاجتماعية عند ابن المأمون (ت 588هـ / 1192م)، فذكر أنه في عيد الغدير من عام (516هـ / 1122م)، " هاجر إلى باب الأجل (يعني الوزير المأمون البطائحي)، الضعفاء ... ومن انضم إليهم من العوالي والأدوان "(4). وذكر ابن المأمون، أن المأمون بن البطائحي، أمر بتفرقة الكباش في عيد النحر " للخصوص دون العموم" (5)، وحضر في العيد المذكور " الكبراء وبياض البلدين للهناء بالعيد"(6).

ويذكر المقرئزي (ت 845هـ / 1442م) أن الدخول على الخليفة كان وفق ترتيب معين يدخل فيه الرجال كل حسب منزلته، فكان " الناس من الشيوخ والرؤساء على سائر طبقاتهم يبكرون إلى داره (أي الحاكم) والباب مغلق فيفتح بعد وقت، فيدخل إليه الوجوه فيجلسون في قاعة الدار على حصير وهو في مجلسه لا يدخل إليه أحد، فإذا مضت لهم ساعة أذن للوجوه، فالقاضي، وبعده كتامة والقواد، فيدخل أعيانهم، ثم يأذن لسائر الناس فلا يقدر أحد على الوصول إليه، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض... ومنهم من يقبل ركبته" (1).

لقد بنيت الهرمية الاجتماعية في المجتمع الفاطمي على أساس السلطة والثروة:

أولاً: السلطة: يعد العمل في أجهزة الدولة أحد العوامل الهامة في تحديد الفوارق الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية. فكان العمل في الإدارة الرسمية الفاطمية يكسب صاحبه مكانه خاصة، بحيث يصبح من " أرباب الرتب" (2)، وهم عسكريون أو مدنيون يكونون بحضرة الخليفة(3).

(4) أخبار، ص42.

(5) المصدر نفسه، ص43.

(6) المصدر نفسه، ص43.

(1) اتعاط، ج1، ص330.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص16.

(3) المصدر نفسه، ص84.

ويعدد القاضي النعمان (ت363هـ / 973م) فئات المجتمع وفق ترتيب معين، الجند، ثم أعوان الخليفة، من القضاة والعمال والكتاب، ثم أهل الخراج من ملاك الأراضي، ثم التجار، وذوي الصناعات، وأخيراً الطبقة السفلى، وهم أهل الحاجة والمسكنة(4). وهو في موقفه هذا يستخدم مقياسي السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، إذ يفرد العامة ويجعلها في نهاية السلم الاجتماعي.

وكان العمل عند إخوان الصفا هو المعيار الأساسي في تحديد الطبقة، حيث اعتبروا أن اختلاف طوائف الناس مرتبط باختلاف صنائعهم، وتصاريفهم في طلب معاشهم(5).

واستخدم الدمشقي (ت 570هـ / 1174م) مقياس السلطة في تحديد الطبقة الاجتماعية، فقال "الرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم، فأما السيف فللملوك والأمراء، والحجاب وقواد العساكر، ووجوه العشائر ورؤساء القبائل، وأما رياسة القلم فللوزراء والكتاب والقضاة والخطباء، ومن يجري مجراهم. وأصحاب السيوف هم الحماة، وأصحاب الأقلام هم الكفاة. وكل صناعة غير هاتين فليس يذكر صاحبها بعز"(6)

وقد عبر ابن خلدون (ت 808هـ / 1406م) عن انقسام المجتمع الإسلامي إلى طبقات، ويستند ذلك المفهوم إلى الموقع من السلطة، وتلك المستويات التي يقسم المجتمع على أساسها إلى طبقات، جمعها ابن خلدون في كلمة "الجاه"، الذي هو متوزع بين الجماعات بشكل متدرج ينتهي أعلاه بطبقة الحكام، وينتهي أسفله بطبقة الخدام الفقراء. فهو يقول: "ثم أن الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة... في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية، وفي السفلى إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه"(1)

(4) دعائم، ج1، ص366.

(5) إخوان الصفا، رسائل، ج3، ص384.

(6) الإشارة، ص63.

(1) العبر، ج1، ص190.

ثانياً: الثروة : وكان للمال أثره في المنزلة الاجتماعية مقابل السلطة، فقد حظي كبار التجار بمكانة كبيرة في المجتمع نتيجة لثرائهم الواسع⁽²⁾. وكان لدى الناس شغف بحب المال من أجل تحقيق السعة في العيش والمنزلة اللائقة، وأخذ بعض الأشراف يمارسون التجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة⁽³⁾.

وبعد أن اعتمد الدمشقي عامل السلطة في تحديد المنزلة الاجتماعية⁽⁴⁾، يشير في موضع آخر، إلى عامل الثروة في تحديد المرتبة الاجتماعية، حيث فضل المهنيين على عمال السلطان، واعتبر التجارة أفضل المعاش وأسهل للناس، وصاحبها موسع عليه، وله مروءة، أما من يتصرف مع السلطان، فلعل يده تقصر في بعض الأوقات عن نفقته⁽⁵⁾.

ويميز المقرئ بين طبقات المجتمع باعتبار الثروة، فيقول: الناس في مصر سبعة أصناف: الصنف الأول، أهل الدولة، والصنف الثاني، أهل اليسار من التجار، وأولي النعمة من ذوي الرفاهية. والصنف الثالث الباعة، وهم متوسطو الحال من التجار، ويلحق بهم أصحاب المعاش، وهم السوقية. والصنف الرابع أهل الفلاح، وهم أهل الزراعات والحرث، والصنف الخامس، الفقراء. والصنف السادس، أرباب الصنائع والأحرار أصحاب المهن. والصنف السابع، ذو الحاجة والمسكنة، وهم السوّال الذين ينكفون الناس، ويعيشون منهم⁽⁶⁾.

(2) انظر ص 119- 122 من الأطروحة.

(3) ابن زولاق، أخبار، ص31، المسبجي، أخبار، ج40، ص108.

(4) الدمشقي، الإشارة، ص63.

(5) الإشارة، ص 100.

(6) اغائة، ص73- 76.

وثمة ترابط بين مؤشري الموقع من السلطة والثروة، المعتمد عليهما في تحديد المنزلة الاجتماعية، حيث إنّ العمل في السلطة يؤدي إلى زيادة الثروة. وقد لاحظ المؤرخون الصلة بين الثروة والعمل في السلطة، فقال ابن المقفع: " ولما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها، وتدبير أمورها كلهم نصارى ، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبنخوا ... بديار مصر... وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر... " (7). وقال المقرئزي: عندما تمكن النصارى في عهد الحاكم " في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاضموا؛ لاتساع أحوالهم، وكثرة أموالهم " (8).

كما أن ازدياد الثروة قد يؤدي إلى الاقتراب من السلطة وبلوغ الجاه، حيث أن ثروات بعض التجار أعانتهم على توسيع نفوذهم، لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فمن التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة (1).

ويبدو أن عامل السلطة كان أقوى من عامل الثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فرغم ثراء التجار، إلا أنهم لم يندرجوا في طبقة الخاصة (2)؛ لعدم مشاركتهم في السلطة. واعتماداً على عاملي الموقع من السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فيمكن تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات:

(7) تاريخ، ج3، مج 1، ص818.

(8) المواعظ، مج 4، ق2، ص1007.

(1) انظر ص 169-171 من الأطروحة.

(2) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص357، ج2، ص147.

أولاً طبقة الخاصة

وتضم جميع المشاركين في السلطة، الذين يتمتعون بالنفوذ والثراء⁽⁴⁾، والذين عبر عنهم المقريري " بأهل الدولة " ⁽⁵⁾، ويمثلون في الخلفاء والوزراء والقواد والكتاب والقضاة والدعاة والمحتسبين.⁽⁶⁾

وطبقة العامة⁽⁷⁾: وتضم غير المشاركين في السلطة ⁽⁸⁾، الذين يعانون من الفقر والعوز والحرمان⁽⁹⁾. ويمثلون بالباعة والصناع والفلاحين، وقطاع الطرق والعاطلين عن العمل، والرقيق من الخدم والجواري⁽¹⁰⁾.

والطبقة الوسطى: تنتمي إليها الفئات التي يفصلها عن الخاصة عدم مشاركتها في السلطة، ويرفعها عن العامة ثراؤها. وتتمثل في التجار والأطباء والعلماء والشعراء⁽¹¹⁾. وقد أشار الخطاب السياسي الفاطمي إلى طبقة الخاصة والعامة⁽¹²⁾، ولم يصنف الطبقة الوسطى التي كان التشكل الاجتماعي لها قائماً – كما بينا- حيث صنفها الوزير رضوان بن ولخشي عندما ضاعف الجزية على النزميين، فجعلها ثلاث طبقات: على العليا أربعة دنانير وسدس، وما دونهم دينارين وقيراطين، أما عامتهم فدينار واحد وثلاث وربع⁽¹³⁾.

(4) حول ثراء طبقة الخاصة انظر ص 92-93، 101-102، 106-109، 114 من الأطروحة.

(5) **اتعاط**، ج2، ص42.

(6) حول فئات طبقة الخاصة انظر ص 89-117 من الأطروحة.

(7) ابن المأمون، أخبار، ص43، المسبجي، أخبار، ج40، ص24، 27، المقريري، **اتعاط**، ج2، ص14.

(8) انظر مبحث العامة ص 134 من الأطروحة.

(9) حول المستوى الاقتصادي لطبقة العامة انظر ص 133 – 134 من الأطروحة.

(10) حول فئات طبقة العامة انظر ص 141، 143، 146 من الأطروحة.

(11) حول المستوى الاجتماعي والاقتصادي لفئات الطبقة الوسطى انظر ص 117 – 132 من الأطروحة.

(12) ابن المأمون، أخبار، ج 40، ص43، المسبجي، أخبار، ص24، 27، المقريري، **اتعاط**، ج2، ص14.

(13) ساويرس بن المقفع: **تاريخ**، ج3، مج 2، ص1294.

ولعل التقسيم الثنائي للمجتمع - بين خاصة وعامة- الذي ظهر في الخطاب السياسي الفاطمي، يبدو مقبولاً في ضوء النظرية السياسية لحكم الفاطميين، التي تضع غير المشاركين بالسلطة في إطار اجتماعي واحد هو " الرعية " (1)، مما يجعلنا نفسر ذلك في ضوء التمايز الطبقي الحاسم بين الحكام والمحكومين، وهو ما أشار إليه ابن خلدون تحت مسمى " دولة وعامة" (2).

كانت الطبقة الاجتماعية الواحدة على مستويات، فهي قد تضم بين ثناياها أفراداً يتفاوتون من حيث درجة الثراء، أو يتفاوتون من حيث مستوى مهنتهم. فقد ظهرت درجات متفاوتة من المراتب الاجتماعية بين عمال السلطة، فتكون قيمة عمل ما أعلى من غيره، ونتيجة لذلك كان من يمارس ذلك العمل يتمتع بمكانه أكبر، فعندما عرضت وظيفة الحسبة على ابن العميدي (3) رفض أن يقبلها، وقال " كنت بالأمس جليس أمير المؤمنين، وصاحب خريطته، أصير اليوم محتسباً، لم أكن لأفعل" (4).

(1) انظر مثلاً الخطاب الذي وجهه الأمر لتعزية الكافة في وفاة الوزير الأفضل، الذي عدد فيه أهل الدولة، ممثلين في الأمراء والعسكر والقضاة والشهود، ثم وضع فيه غير المشاركين بالسلطة في إطار اجتماعي واحد هو "الرعية"، حيث قال قارئ الخطاب المذكور: " هذا كتاب من ... الامام الأمر بأحكام الله، بما رآه وأمر به من تلاوة على كافة من بمدينة مصر، من الأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم، فارسهم ومترجلهم وراجلهم، والقضاة، والشهود، وجميع الرعايا... ". انظر المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص184.

(2) **العبر**، ج2، ص667-674.

(3) ابن العميدي: محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد، كان يتولى ديوان الترتيب، وعزل عنه سنة (413هـ/1022م) ثم تولى ديوان الانشاء أيام المستنصر، عوضاً عن ولي الدولة ابن خيران. توفي سنة (433هـ/1011م) . انظر ياقوت الحموي معجم الأدياء، مج6، ص402-403.

(4) المسبحي، أخبار، ج4، ص14.

وقد عبرت المصادر عن التفاوت بين فئات طبقة الخاصة في مناسبات شتى، فذكر ابن المأمون انه في عيد الغدير من عام (516هـ / 1122م)، فرقت الأموال " على الأمراء المميزين" (5). وذكر ابن الطوير ان ديوان المجلس يختص بتفريق العطايا على " أرباب الرتب على اختلاف الطبقات" (6). وذكر الفلقشندي (ت 821هـ / 1418م)، " أدوان الأمراء" (7). وقال المقرئزي: جلس في مجلس الأمر " الخواص على مراتبهم" (8)، وأشار المقرئزي إلى وجوه خاصة الخليفة العزيز (9).

وترد اشارات تدل على التباين بين طوائف العامة، فحين يتحدث العمري (749 هـ / 1348 م) عن العامة، كان ينيبه إلى التباين بين أفرادها، وهذا ما أشار إليه في قوله : " فاما أخلاط عامة الناس فتختلف أحوالهم في الملابس والزي، حتى أن الفقراء وإن جمعهم زي الفقر .. فانهم تتباين حالاتهم في الملابس وأطوارهم في التشكلات" (1).

وذكر ابن دقماق (ت 809 هـ / 1406م)، " أوباش العامة" (2)، وذكر المقرئزي " بياض العامة" (3). أي وجوه العامة - وذلك يعني ان في العامة طوائف متباينة. وأشار المقرئزي إلى التفاوت الاقتصادي بين طوائف العامة، عندما ذكر ان الخليفة كان يمد سماط عيد الفطر ويدعو عامة الناس لتناول الطعام، فمنهم من " يأكله في يومه، ومن يدخره لغده، ومن لا حاجة له به فيبيعه" (4).

-
- (5) أخبار، ص44.
 - (6) نزهة، ص75.
 - (7) صبح، ج3، ص169.
 - (8) اتعاض، ج2، ص181.
 - (9) المصدر نفسه، ج1، ص316.
 - (1) مسالك، ج3، ص450.
 - (2) الانتصار، ج4، ص52.
 - (3) المواعظ، مج3، ص224.
 - (4) المصدر نفسه، مج2، ص294.

ويصح القول أن المجتمع المصري في العصر الفاطمي اعترف بمراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحاً على بعض، فكان من الممكن أن يرتقي الفرد من فئة أدنى إلى أعلى، أو أن ينحدر من فئة أعلى إلى أدنى، تبعاً لموقعه من الثروة والسلطة. وقد أشار ابن خلدون إلى معنى حركية الطبقات الاجتماعية وخضوعها للتطور، إذ يقول: " ثم ان كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق، وكل واحدة من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه، والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي في صاحبه..." (5).

وقد أشارت الأمثال الشعبية إلى معنى حركية الطبقات الاجتماعية، ف قيل في وصف من يتبدل حاله بعد الفقر ويظهر بمظهر الرفاهية " بقي للكلب سرج وغاشية وغلان وحاشية" (6)، وقيل " بعد الجوع والقلة بقي لك حمار وبغلة" (7).

(5) العبر، ج1، ص225.

(6) الأبيهي، المستظرف، ج1، ص82.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص82.

وخير من يمثل حركية الطبقات الاجتماعية ابن مصال (8) فقد كان يعمل خادماً في البيدرة (9)، "فتقدم في الخدم حتى نال الوزارة" (10)، وقد دهشت امرأة لشأنه كانت تعرفه في حال فقره (1)، فقالت له استهزاءً: "سليم وزرت؟ فقال لها: نعم، قالت: والله ما وزرت وبقي أحد، فضحك وأمر لها بصلة" (2). وكان يعقوب بن كلس تاجراً، فترقت أحواله حتى أصبح وزيراً (3) وكان ابن أبي نجدة (4) بقالا " فترقت أحواله حتى ولي الحسبة" (5). وكان الأدفوي (6) في أول أمره خشبياً، فعلت منزلته حتى أصبح شيخاً للديار المصرية (7). وترقت احوال كثير من الكتاب، حتى أصبحوا وزراء، ورؤساء دواوين (8). وكان أبو عبد الله بن فاتك قائداً، فترقت احواله حتى ولي الوزارة عام (515 هـ / 1121 م) (9). ويمكن أن نتمثل السمات الاجتماعية للطبقات الاجتماعية، من خلال دراسة فئاتها، على النحو الآتي:

- (8) ابن مصال: نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد: كان اعتباراً من سنة (539 هـ / 1144 م)، ناظراً في الأمور من غير أن يطلق عليه اسم الوزارة، استوزره الظافر عام (545 هـ / 1150 م). - بوصية الحافظ بذلك- ولم يلبث في الوزارة سوى شهرين، حيث حسده الأمير علي بن السلار- والي البحيرة والاسكندرية- على منصبه، فدبر له مكيدة وقتله، وحل محله في منصب الوزارة. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص 55-57، ابن خلكان، **وفيات**، ج3، ص 417. الدواداري، **كنز**، ج6، ص 521، 540، 553.
- (9) نَبْدَرَةُ : من قرى بخارى. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 524.
- (10) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 267.
- (1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 267.
- (2) المصدر نفسه، ج2، ص 267.
- (3) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص 19-21، المقرئزي، **المواعظ**، مج 3، ص 13، خضير محمد، (1976 م).
- يعقوب بن كلس التاجر الذي أصبح وزيراً وقيهاً للفاطميين، مجلة الدارة، ع2، ص 178.
- (4) ابن أبي نجدة: ولي الحسبة في عهد الحاكم (386-411 هـ / 996-1020 م)، ودخل فيما لا يليق به، وأساء في معاملة الناس، فاعتقل، ثم قطعت يده ولسانه وشهر على جمل وضربت عنقه عام (391 هـ / 1001 م). انظر المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص 351.
- (5) المصدر نفسه، ج1، ص 351.
- (6) الأدفوي: أبو بكر محمد بن علي بن أحمد المصري المقرئ، المفسر، النحوي، أخذ النحو عن أبي جعفر لنحاس، فأكثرت وأتقن الرواية، وألف التفسير في مائة وعشرين مجلداً، وكانت له حلقة كبيرة للعلم. توفي سنة (388 هـ / 998 م). انظر الأدفوي، الطالع، ص 252-253.
- (7) المصدر نفسه، ص 252-253.
- (8) ابن الطوير، **نزهة**، ص 105.
- (9) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص 189.

(أ) الخاصة، وتشمل:

1- الخلفاء وأقرباؤهم:-

لقد أسبغ الخلفاء الفاطميون على أنفسهم مظاهر العظمة والجلال، حيث حرصوا في أقوالهم وكتيبهم على تأكيد أن الامام ممثل الله على الأرض⁽¹⁰⁾، وبأنه المفسر الأول للشرع، ومصدر كل العلم، وأنه " وليّ الله " الشافع لهم جميعاً⁽¹¹⁾؛ ربما كان ذلك للحفاظ على قداستهم⁽¹²⁾، وسمو مكانتهم، وتركيز السلطة الدينية العليا، والزعامة الروحية في شخص الإمام.

ان مظاهر العظمة والجلال التي أسبغها الخلفاء الفاطميون على أنفسهم، قد أضفت بعداً ايجابيا على مكانتهم الاجتماعية، فكان التجار عند مرور موكب الخليفة يزينون حوانيتهم، ويعرضون بضاعتهم حتى تعمها البركة بنظر الخليفة اليها.⁽¹³⁾

وكان الخاصة والعامة يسارعون بالسجود وتقبيل الأرض عند رؤية الخليفة⁽¹⁾، فذكر النويري (ت 733هـ / 1333م) أن الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م) " لم يذكر في محفل أو غيره إلا سجد من سمع بذكره، وقبل الأرض إجلالاً له " ⁽²⁾.

(10) السجلات المستنصرية، ص35.

(11) المصدر نفسه، ص35.

(12) الإمام عند الاسماعيلية شخصية مقدسة تتمتع بالعصمة. انظر الشيرازي، المجالس، ص19.

(13) ابن المأمون، أخبار، ص58، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص462.

(1) ابن الطوير، نزهة، ص174، ابن عبد الظاهر، الروضة ص37-38.

(2) نهاية، ج28، ص169.

كما أشار المقرئزي (ت 845 هـ / 1442م) إلى أن العامة كانوا يمارسون عادة تقبيل الأرض في عهد الحاكم وابنه الظاهر (411-427هـ / 1020-1035م) (3). وذكر ناصر خسرو- الذي قام برحلته إلى مصر بين سنتي (437هـ / 1045م- 444/1052م) - أنه في عهد المستنصر كانت " العادة في مصر أن يسجد الرجال للسلطان وأن يدعو له كلما قرب منهم" (4). وذكر المقرئزي أن العامة والخاصة كانوا يقبلون الأرض عند رؤية الخليفة الأمر (495-524هـ / 1101/1130م) (5).

لقد تميز بلاط الفاطميين بالفخامة والعظمة، حيث كان يعج بعدد كبير من الموظفين الذين يقومون بخدمة الخليفة، وأفراد أسرته، وهم:

أ- الموظفون من أرباب السيوف، وهم:

صاحب الباب (6)، وحامل مظلة الخليفة (7) في المواكب العظام (8)، وحامل سيف الخليفة في المواكب (9)، وحاملو السلاح في المواكب، وكان عددهم يزيد على ألف رجل، يمشون في المواكب حول الخليفة (10).

(3) اتعاض، ج1، ص330، ج2، ص42.

(4) سفرنامه، ص112.

(5) اتعاض، ج2، ص181.

(6) حول مهام صاحب الباب انظر ص 39 من الأطروحة.

(7) حول مظلة الخليفة انظر ص47 من الأطروحة.

(8) القلقشندي، صبيح، ج3، ص190.

(9) المصدر نفسه ج3، ص190-191.

(10) المصدر نفسه، ج3، ص193.

ب- الأستاذون المحنكون(11): و " هم أصحاب الأنس لهم (أي الخلفاء) ... وهم المطلعون على أسرار الخليفة" (12). ومنهم شاد العمامة التي يلبسها الخليفة في الأعياد(13)، وصاحب المجلس الذي يشرف على نظام جلوس الخليفة الرسمي في القصر(1)، وصاحب الرسالة المكلف بإبلاغ أوامر الخليفة إلى الوزير، وكبار الموظفين.(2)

ج- موظفو القصر الآخرون، وهم:

أطباء القصر: وكان عددهم أربعة أو خمسة يرأسهم طبيب خاص(3) ، والفراشون بالقصور، وكان عددهم كبيراً، ويسند اليهم خدمة القصور وتنظيفها(4). وقراء الحضرة الذين يقرأون القرآن الكريم في الأعياد الدينية التي تحتفل بها الدولة(5)، ومتولي دار الضيافة الذي يتولى استقبال ضيوف الدولة، سواء أكانوا قادمين من خارج مصر أم من خارج القاهرة من الولايات(6).
لقد اتسمت حياة الخلفاء الفاطميين بالترف والرفاهية، فقد ذكر ابن ميسر (ت 677هـ / 1278م): أنه رأى مجلداً في نحو عشرين كراسة يشمل تسجيلاً بالأمثلة والوثائق والجواهر والطيب، التي أخرجت من خزائن القصور وبيعت أيام الشدة المستنصرية(7).

-
- (11) سُموا بالأستاذين المحنكين؛ بسبب زيهم المعروف باسم الحنك، وهو أن يمر طرف العمامة تحت الحنك؛ ليصعد من الجهة المقابلة، ويلتف من جديد حول الرأس. انظر ابن الطوير، نزهة، ص106.
(12) المقرئزي، المواعظ، مج 26، ص292.
(13) ابن الطوير، نزهة، ص156، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص292.
(1) ابن الطوير، نزهة، ص162، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص292.
(2) ابن الطوير، نزهة، ص153، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص292.
(3) القلقشندي، صبح، ج3، ص492.
(4) ابن المأمون، أخبار، ص82، ابن الطوير، نزهة، ص85.
(5) ابن المأمون، أخبار، ص36، ابن الطوير، نزهة، ص84، 115، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص291.
(6) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص509.
(7) أخبار، ص37.

ويذكر ابن الأثير (ت630هـ/ 1233م)، أنه وُجد في القصر الشرقي عند استيلاء صلاح الدين عليه سنة (567هـ/1171م)، " ما تخلو الدنيا عن مثله، ومن الجواهر التي لم توجد عند غيرهم" (8). وذكر المقرئزي أنه وجد في القصر لدى استيلاء صلاح الدين عليه من " الجواهر والنحاس والملبوس والأثاث والقماش والسلاح، ما لا يفى به ملك الأكاسره، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة، ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة" (9).

والشواهد على ترف الخلفاء كثيرة، فقد بلغت جوارى العزيز " عشرة آلاف جارية، وبلغ راتب مطبخه ومائدته في كل يوم مائلاً عظيماً، وكان يعلف له من الخيل في كل يوم، والبغال، والحمير، والجمال عشرين ألف رأس، منها لركوبه ألف فرس، سوى البغال" (10). وعاش الخليفة الظاهر عيشة ناعمة، " فكان مشغولاً باللهو، محباً للغناء، واستكثر من شراء الجواهر" (11). ويتجلى بذخ الظاهر في هيئة جلوسه، فيروي المقرئزي أنه كان يجلس في قصر أبيه بباب الذهب على سريره المصقول المذهب، وعليه ثوب ديبقي معلم، وعمامة شرب مذهبية، وتحته فرش ديبقي مذهب" (1).

وكان الخليفة المستنصر يميل إلى الترف، فذكر ناصر خسرو أن أحد صناعات تنيس نسج له عمامة، فأمر له بخمسائة دينار ذهب " ويقال انها تساوي (أي العمامة) أربعة آلاف دينار" (2).

(8) الكامل، ج9، ص244.

(9) المواعظ، مج2، ص609.

(10) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص321.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص193.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص18.

(2) سفرنامه، ص92.

وقد تجلى ترف الخلفاء في نفقاتهم الوفيرة على مناسباتهم العديدة، وأعيادهم، وهباتهم، ومن هذه النفقات ما يلي:-

وجوه الانفاق	قيمة النفقات سنوياً
كسوة الصيف والشتاء ⁽³⁾	بلغ ما أنفق على الناس من الكسوات في عام (513هـ/ 1119م)، "ثمانية آلاف وسبع مائة وخمس وسبعون قطعة" ⁽⁴⁾ وبلغ ما أنفق على الناس من الكسوات في عام (516هـ/ 1122م)، "أربعة عشر ألفاً، وثلاث مائة، وخمس قطع" ⁽⁵⁾
خزانة الشراب ⁽⁶⁾	6.500 دينار ⁽⁷⁾
دار الفطرة ⁽⁸⁾	7000 دينار ⁽⁹⁾
خزانة التوابل ⁽¹⁰⁾	50.000 دينار ⁽¹¹⁾

- (3) كسوة الصيف والشتاء: كانت توزع على أولاد الخلفاء وأقاربهم ونسائهم، وأرباب الرتب على اختلاف طبقاتهم. انظر ابن المأمون، أخبار، ص94، ابن الطوير، نزهة، ص75، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص359.
- (4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص36، 599.
- (5) المصدر نفسه، مج2، ص360.
- (6) خزانة الشراب : تحفظ فيها أصناف الأدوية والمشروبات. انظر ابن المأمون، أخبار، ص90، ابن الطوير، نزهة، ص131، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44.
- (7) ابن المأمون، أخبار، ص90، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص24، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387.
- (8) دار الفطرة : كانت تعمل فيها الحلويات التي توزع على الناس في الأعياد. انظر ابن المأمون، أخبار، ص93، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص401.
- (9) ابن الطوير، نزهة، ص75، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص403.
- (10) خزانة التوابل : تحتوي على كثير من التوابل والعمور، والبخور، وكانت توزع محتوياتها على قصور الخلافة. انظر ابن المأمون، أخبار، ص90-91، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387-389.
- (11) ابن المأمون، أخبار، ص44، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص388.

دار التعبئة ⁽¹⁾	كان ينفق عليها 10 دنانير في اليوم ⁽²⁾ أي (3.650) في السنة.
احتفال رأس السنة الهجرية	3000 آلاف دينار، وثمان الخراف التي تذبج فيه يقرب من 2000 دينار ⁽³⁾
أسمطة ⁽⁴⁾ سحور شهر رمضان	3000 دينار ⁽⁵⁾
سماطا عيد الفطر والنحر	4000 دينار، وهذا خارج عما يطلق للناس من المآكل والمشارب ⁽⁶⁾
عيد النوروز	4000 دينار ذهباً، و1500 درهم فضة ⁽⁷⁾
احتفال فتح الخليج	2000 دينار، غير ما ينفق على المآكل ⁽⁸⁾
خميس العهد	500 دينار ⁽⁹⁾
عيد الغدير عام (516هـ / 1122م)	ما يخص العساكر من الهبات العينية 790 دينار، ومن الكسوات 144 قطعة ⁽¹⁰⁾
عيد النحر عام (515هـ / 1121م)	3370 دينار، غير ما ينفق على الناس من الكسوات، ويذبج من البهائم ⁽¹¹⁾
أسمطة عيد النحر عام (516هـ / 1122م)	1326 دينار، غير ما ينفق على قطع الطوى ⁽¹²⁾

- (1) دار التعبئة: خزانة تحفظ فيها الزهور والورود التي تجلب من بساتين الخليفة التي في القاهرة والفيوم والاسكندرية، وكانت توزع تلك الزهور على القصور. انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص43، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص392.
- (2) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص43، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص392.
- (3) ابن الطوير، نزهة، ص75.
- (4) السماط: هو ما يمد من الطعام. انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص419، الزبيدي، تاج، ج5، ص159.
- (5) ابن الطوير، نزهة، ص75، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص293.
- (6) ابن الطوير، نزهة، ص75.
- (7) ابن المأمون، أخبار، ص65، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص601.
- (8) ابن الطوير، نزهة، ص75.
- (9) ابن المأمون، أخبار، ص95، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص605.
- (10) ابن المأمون، أخبار، ص43.
- (11) المصدر نفسه، ص25.
- (12) المصدر نفسه، ص42.

هذا بالإضافة لما كان ينفق في شكل هبات يمنحها الخلفاء للعاملين في الدولة⁽¹⁾، " من ذوي الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء " ⁽²⁾. ويضاف إلى ذلك ما كان ينفقه الخلفاء في شتى مناسباتهم الخاصة مثل الاحتفال بمواليدهم⁽³⁾ ، وولاية العهد لأولادهم، ومناسبات زواجهم⁽⁴⁾. ويتنظم في طبقة الخاصة أقارب الخليفة من الأشراف الطالبين، الذين حظوا بمكانة رفيعة في المجتمع، فقد كانوا أرفع الناس قدراً بعد الخليفة؛ لشرف انتسابهم للبيت النبوي⁽⁵⁾، مما جعلهم يحظون دون غيرهم بسكنى القاهرة فور تأسيسها، مع الخليفة ورجال الدولة⁽⁶⁾، حيث اعتبروا " من خواصه (أي الخليفة) الذين شرفهم بقربه فقط" ⁽⁷⁾.

لقد شكل الاشراف طائفة اجتماعية مميزة، ففي ضوء التمايز الاجتماعي بينهم وبين العامة، فقد منعتهم الدولة من التزاوج من العامة، فكان على نقيب الاشراف الطالبين أن " يحتاط في أمر المناكح (أي مناكح الطالبين) ويصنها من العوام" ⁽⁸⁾.

ويبدو انعكاس مكانة الاشراف في المجتمع في وضوحهم في الخطاب السياسي الفاطمي، من حيث التوجه اليهم مباشرة من اجل استقطابهم وكسب ودهم، فقد تصدروا السجل الذي أمر الخليفة الأمر أن يكتب؛ لتعزية الكافة في وفاة الوزير الافضل بن بدر الجمالي، فسبق ذكرهم في هذا السجل " الأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم.. والقضاة والشهود والأمثال وجميع الرعايا"⁽⁹⁾.

-
- (1) ابن سعيد، المغرب، ص73.
(2) ناصر خسرو، سفرنامه، ص111.
(3) ابن ميسر، أخبار، ص109، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص224.
(4) ابن ميسر، أخبار، ص170، المسيحي، أخبار، ج40، ص71، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص193.
(5) ابن الزيات، الكواكب، ص87، رغم انتساب العباسيين إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم يرد ما يشير إلى تمتعهم بمكانة متميزة في المجتمع والدولة في العصر الفاطمي، ولم يخصص لهم الفاطميون نقابة للنظر في شؤونهم أسوة بالأشراف الطالبين، حيث أن منافسة الفاطميين للعباسيين على الخلافة جعلتهم ينظرون إلى العباسيين نظرة شك، مما حال دون احتوائهم لهم. حول موقف الفاطميين السياسي من العباسيين. انظر حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، ص180-190.
(6) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص43، خصصت القاهرة لسكنى الخلفاء وعساكرهم وخواصهم، ولم يكن مسموحاً للعامة بالاقامة فيها حتى مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ / 1074م). انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص220.
(7) المصدر نفسه، مج2، ص220.
(8) القلقشندي، صبح، ج6، ص113.
(9) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص184.

لقد كان حضور الاشراف في المناسبات الهامة أمراً ضرورياً، فقد بدأ ظهور دورهم تجاه الفتح الفاطمي لمصر منذ وصول الجيوش الفاطمية إلى الاسكندرية – في جمادى الآخرة سنة (358هـ / 969م) – إذ كان الشريف أبو جعفر مسلم (1) على رأس الوفد الذي فاوض جوهر الصقلبي على دخول البلاد مسلماً دون قتال(2).

وخرج أبو جعفر مسلم – في 17 من شعبان عام (358هـ / 969م) - وسائر الاشراف مع كبار رجال الدولة للقاء جوهر في الجيزة، وعند وصول جوهر الجيزة ظهر تكريمه وإجلاله للشريف أبي جعفر، فقد اوقفه على يمينه، بينما وقف الوزير جعفر بن الفرات على يساره، وبينما أمر الجميع بالسجود على الأرض لجوهر أستثنى من ذلك الشريف والوزير فقط(3). وعندما قدم اهل مصر يقدمون هداياهم إلى جوهر لم يقبل من أحد سوى الشريف أبي جعفر(4). وعندما قدم المعز إلى مصر- في رمضان سنة (362هـ / 973م) – خرج الأشراف لاستقباله، وعلى رأسهم الشريف أبو جعفر، وقد أظهر المعز كثيراً من التقدير لهذا الشريف، " حيث أمر غلامه بتظليله بمظلة محلاة بالذهب، لأن الحر كان شديداً(5).

(1) ابو جعفر مسلم: محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر، كان صديقاً لكافور المتغلب على الاخشيدية بمصر، وكان يدبر أمره، ولم يكن بمصر في عصره أوجه منه. وهذه المكانة التي تمتع بها الشريف ابو جعفر جعلت منه أحد الشخصيات البارزة التي كان لها دورها عند الفتح الفاطمي لمصر. توفي سنة (366هـ / 977م). انظر ابن خلدون، العير، ج1، ص233.

(2) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص178.

(3) القرشي، عيون، ص154.

(4) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص184.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص202.

كما حضر شيوخ الأشراف الاجتماع الهام الذي عقد في القصر في عهد الأمر؛ لإثبات حق المستعلي في الخلافة⁽⁶⁾. ويروي المقرئزي ما يؤكد النفوذ الواسع الذي تمتع به الأشراف، فيقول: قرر الشريف الكبير أبو طالب الحسني مع كبار رجال الدولة " أن يكون دخولهم على الظاهر في كل خلوة، ... والا يستدعى معهم أحداً، ويمضون ويشيرون ويفعلون في أمر الدولة ما يرونه"⁽⁷⁾.

وكان حضور الأشراف في مجالس الخلفاء عادة بارزة، فكانت لنقيب الأشراف الطالبين مكانة متقدمة في مجالس الخليفة، وفي الدخول للسلام عليه⁽⁸⁾. وقد كانت للأشراف التقدمة على "الأولياء وسائر وجوه الدولة"، في الدخول للسلام على الخليفة المعز⁽⁹⁾. وكان الأشراف ضمن كبار رجال الدولة الذين يتقدمون لتهنئة الخليفة بعيد النحر⁽¹⁰⁾.

ولقد تفاوتت المكانة التي تمتع بها الأشراف الطالبين بتفاوت مراتبهم في النسب، فقد احتل الأشراف من أسرة الخليفة⁽¹⁾ - الذين عرفوا " بالأشراف الاقارب"⁽²⁾، وبالإشراف الاسماعيليين⁽³⁾ - مرتبة اجتماعية متقدمة على غيرهم من الأشراف، فكانت لهم التقدمة على الأشراف الطالبين عند الدخول إلى مجلس الخليفة⁽⁴⁾، كما كانت مقر إقامتهم في القصر الشرقي⁽⁵⁾، في حين سكن الأشراف الطالبين في حارة عرفت " بحارة الأمراء"⁽⁶⁾.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص196.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص21.

(8) ابن المأمون، أخبار، ص52، ابن الطوير، نزهة، ص209.

(9) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص204.

(10) ابن المأمون، أخبار، ص27.

(1) يوجد خلاف حول انتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب. حول ذلك انظر: ابن حزم، جمهرة، ص59-

60، المقرئزي، اتعاط، ج1، ص118-125، القرشي، عيون، ج4، ص351-404.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص209.

(3) القلقشندي، صبح، ج3، ص216.

(4) ابن الطوير، نزهة، ص209.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص608.

(6) المصدر نفسه، مج3، ص43.

ووجه الخلفاء الفاطميون عنايتهم إلى " الأشراف الأقارب"، فقد منحوهم في المناسبات والأعياد الملابس والهدايا والهبات(7)، علاوة على ما كان موقوفاً على معيشتهم من الضياع والأملك والاقطاعات(8). وعينوا مشرفاً خاصاً بهم، سُمي " بزمام الاقارب" (9). ويلاحظ في خطاب تقليد زمام الأشراف الأقارب مدى اهتمام الفاطميين بأبناء أسرتهم، فقد كلفوا الزمام بالحفاظ على الأخلاق والآداب بين الأشراف الأقارب، وأن ينفذ أوامر الخليفة المتعلقة بهم، وأن يعمل على الحفاظ على أنسابهم من التمازج بالتزاوج بمن هم أقل منهم، وأن يرفعى الشباب بما يكفل حسن نشأتهم وتثقيفهم. بل إن الخليفة منح الزمام حق استخدام الشدة مع من يخرج منهم عن الآداب بعد أن يكون قد استخدم أسلوب اللين بالتنبيه والنصيحة، وكذا على الزمام أن يشرف على الأملاك والضياع والاقطاعات والرسوم والهبات الخاصة بالأشراف(10).

ولم تقتصر رعاية الخلفاء الفاطميين على أبناء أسرهم من الأشراف الاسماعيليين، حيث وجهوا عنايتهم أيضاً إلى جميع أقاربهم من الأشراف الطالبيين، فأوقفوا على معيشتهم كثير من الضياع والأملك والاقطاعات(11)؛ وخصصوا لهم مرتبة تنظيمية عرفت بنقابة الاشراف الطالبيين(12)، يترأسها نقيب يتولى المحافظة على حقوقهم المالية والاجتماعية، فيتأكد من أنسابهم " ويعود مرضاهم، ويسعى في حاجاتهم، ويشيع جنازهم كواحد منهم"(13).

وقد تجلت مكانة الاشراف الطالبيين في الاحتفال الذي كان يصاحب تولية نقيبهم، والذي بلغ حد الروعة والفخامة؛ للتعبير عن مكانة النقيب، فكان " يخلع عليه (في ذلك الاحتفال) فيسير بالطلبل والبوق، والبنود مثل الأمراء" (1).

(7) ابن المأمون، أخبار، ص 49-51، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 362.

(8) القلقشندي، صبح، ج 3، ص 216.

(9) زمام الأقارب: هو الذي يقوم بالاشرف على أعمال أقارب الخليفة، والمحافظة على حقوقهم المالية والاجتماعية بوصفهم من آل البيت. انظر القلقشندي، صبح، ج 3، ص 216.

(10) المصدر نفسه، ج 6، ص 120.

(11) المصدر نفسه، ج 3، ص 114.

(12) ابن الطوير، نزهة، ص 113، المقرئزي، اتعاط، ج 1، ص 377.

(13) ابن الطوير، نزهة، ص 113، 115.

(1) المقرئزي، اتعاط، ج 2، ص 347.

لقد حظي الأشراف باحترام وتقدير المصريين؛ لاعتقادهم " علو منزلتهم في الدين " (2). فأصبحت بيوتهم ملجأ لكثير من المصريين، وتوثقت علاقتهم بهم (3). وقد تجلى تقدير المصريين لأهل البيت في اتخاذهم قبورهم مزارات(4).

واتخذ المصريون من آل البيت وسيلة لكشف البلاء، فأنشد أحدهم يشتكى من سوء أحواله

قائلاً(5)

صبراً لحكمك يا إله وللقضا	أنا صابر إن كان فيه لك الرضا
---------------------------	------------------------------

فقد ضقت بالامر الذي قد نالني فوسيلتي آل النبي المرتضى

ووجدت على قبور الأشراف أشعار كتبها المصريون تدل على ما يكونه من حب للأشراف، ومنها:

يا آل طه وحق الله حيكم	فرض من الله في القرآن انزله(6)
------------------------	--------------------------------

وانعكس تعاطف المصريين مع أهل البيت في أيمانهم، حيث يقول المقدسي (ت388هـ/997م) وهو يصف المصريين " يمينهم الكبرى ورأس الله، والصغرى وحق علي"(7)

(2) الأصفهاني، مقاتل، ص597.

(3) ابن زولاق، أخبار سيوييه، ص31.

(4) السخاوي، تحفة، ص70.

(5) مجهول، الف ليلة وليلة، ج1، ص69.

(6) ابن الموفق، مرشد الزوار، ص55، 66، 67.

(7) أحسن التقاسيم، ص205.

2- الوزراء:

كان جل وزراء الفاطميين قبل وزارة بدر الجمالي عام (466هـ/1074م)، من " أرباب الأقاليم"⁽¹⁾، ويطلق عليهم وزراء تنفيذ⁽²⁾. وقد كانت للخليفة كل السلطة عليهم، ويراجع جميع أفعالهم⁽³⁾، فكانوا بذلك وزراء معينين ذو سلطات محدودة.

لقد دخلت البلاد في الفترة الزمنية الممتدة من عام (457هـ/1065م) إلى عام (464هـ/1072م) في طور من الضعف، وابتدأت سيطرة القواد، وقامت الفتن بين فرق الجيش، وتفاقت المجاعات في البلاد⁽⁴⁾. وساعد في اشتداد الأزمة ضعف الوزراء الذين لم يستطيعوا حفظ أمن البلاد⁽⁵⁾، مما حدا بالخليفة المستنصر – الذي حار امام الفتن والأزمات التي كانت تتفاقم يوماً بعد يوم – إلى اللجوء إلى قائد عسكري، هو والي الشام بدر الجمالي استدعاه؛ لا نقاذ عرشه. وفور أن انتهى بدر من إعادة النظام إلى الدولة، فوضه الخليفة المستنصر جميع سلطاته، وخوله الاشراف العام على شؤون الدولة⁽⁶⁾، وأسند إليه منصب الوزارة، مضافاً إلى إمرة الجيوش " وصارت الوزارة من ذلك الوقت وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش"⁽⁷⁾.

-
- (1) ابن الطوير، نزهة، ص105. المقرئزي، المواعظ، مج2، ص443، أرباب الأقاليم: هم الكتاب وسموا بذلك؛ لأنهم يعملون بأقاليمهم، ووصل بعضهم إلى منصب الوزارة. انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص99.
 - (2) المصدر نفسه، ج3، ص170.
 - (3) المصدر نفسه، ج3، ص172.
 - (4) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص307.
 - (5) ابن الصيرفي، الإشارة، ص55، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص276.
 - (6) ابن ميسر، أخبار، ص56، عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص333.
 - (7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص444.

ومنذ تولي بدر الجمالي وزارة التفويض أصبح وزراء الدولة الفاطمية الذين تولوا بعده أرباب سيوف⁽⁸⁾، أي قادة للجيش في نفس الوقت⁽⁹⁾. وقد بلغوا مرتبة عالية في المجتمع، وأصبحوا الحكام الفعليين للدولة، حيث كان لهم من القوة والنفوذ ما سيطروا بها على الدولة سيطرة تامة⁽¹⁰⁾، وأصبح وزير السيف هو: "سلطان مصر وصاحب الحل والعقد، واليه الحكم في الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية، وهو الذي يولي أرباب المناصب الديوانية والدينية"⁽¹¹⁾، وفوض الإشراف على القضاء والدعوة؛ بالإضافة إلى مناصبي الوزارة وإمرة الجيوش، فأصبح القاضي والداعي "نواباً عنه وتقاليدهم تكتب في مجلس نظره"⁽¹⁾.

إن نفوذ الوزراء جعلهم يحتلون مكانة اجتماعية متقدمة، فقد حظوا بمصاحبة الخلفاء في مواكب الأعياد والاحتفالات، فكان الوزير يسير في تلك المواكب وفي ركابه نحو خمسمائة رجل، وقد خُصت لهم عشرة من الخيل محلاة بالذهب والفضة، مرصع بعضها بالجواهر، وفي أعناقها أطواق الذهب وقلائد العنبر⁽²⁾. كما حظي الوزراء بالصعود على المنبر مع الخليفة أثناء خطبة عيد الفطر⁽³⁾. وكان وزير السيف يتولى أحياناً مهمة امامة الصلاة، والخطبة في الأعياد نيابة عن الخليفة⁽⁴⁾.

(8) أرباب السيوف: هم العسكر، وغالبهم من الأمراء، وسموا بهذا الاسم لتربيتهم عسكرية على القتال وفنون الحرب والجهاد. ومنهم أمير الجيوش، ومن أرباب السيوف من تولي الوزارة. انظر القلقشندي، **صبح**، ج4، ص214.

(9) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص444.

(10) المصدر نفسه، مج2، ص444.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص445، سليمان خرابشة، المأمون، ص166.

(1) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص56.

(2) ابن الطوير، **نزهة**، ص152، القلقشندي، **صبح**، ج4، ص69، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص248.

(3) ابن المأمون، **أخبار**، ص88، ابن الطوير، **نزهة**، ص179.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج5، ص173-174.

وقد تجلت مكانة وزراء السيوف في الاحتفالات التي كانت تصاحب توليتهم الوزارة، إذ بلغت حد الروعة والفخامة، للتعبير عن مكانة الوزير، والصلاحيات المطلقة التي أصبح يتمتع بها⁽⁵⁾. وكان الاحتفال يقام في الايوان في القصر الفاطمي، ويقراً فيه سجل التعيين ويحضره كل من الخليفة وأبناء الوزير، وكبار القادة ورجال الدولة، والقضاة والدعاة، كما يسمح للناس بحضوره، وبعد الانتهاء منه يعود الوزير إلى داره - وعليه خلعة الوزارة - في موكب حافل، ويسير القادة والأمراء وكبار رجال الدولة مشاة بين يديه⁽⁶⁾.

ومنح الخلفاء الفاطميون وزراءهم القاباً كانت بمثابة التكريم لهم، فلقب الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م) وزيره علي بن جعفر بن فلاح الكتامي⁽⁷⁾ بلقب هو " وزير الوزراء، ذو الرئاستين، الأمير المظفر قطب الدولة "⁽⁸⁾، ولقب الخليفة المستنصر وزيره اليازوري⁽⁹⁾ بلقب " الوزير الأجل ، الأوحده، المكين، سيد الوزراء، تاج الأصفياء، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين "⁽¹⁾. ولقب المستنصر وزيره صدقة بن يوسف الفلاحي " بالوزير الأجل، تاج الرئاسة، فخر الملك، مصطفى أمير المؤمنين "⁽²⁾.

(5) حمدي المناوي، الوزارة، ص51، سليمان خرابشة، المأمون، ص171.

(6) القلقشندي، صبح، ج6، ص129.

(7) علي بن جعفر بن فلاح الكتامي: كان أوجه الأمراء في دولة الحاكم، فكان الناظر في جميع شؤون الدولة، فاسندت إليه ولاية الاسكندرية وتنبس، ودمياط، ثم عين وزيراً للحاكم في شوال سنة (406هـ/1015م)، وقتل سنة (409هـ/1018م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص30-32، ابن سعيد، النجوم، ص66، الزركلي، الاعلام، ج4، ص269.

(8) ابن الصيرفي، الإشارة، ص62.

(9) اليازوري: هو الحسن بن علي بن عبد الرحمن، من أهل يازور، وهي قرية من قرى الرملة في فلسطين، تولى القضاء في الرملة، ثم عزل، فتوجه إلى القاهرة، وعمل في خدمة أم الخليفة المستنصر، ثم تولى القضاء سنة (441هـ/1049م)، ثم أضاف إليه المستنصر سنة (443هـ/1051م) وظيفة الوزارة والقضاء والدعوة معاً. توفي سنة (450هـ/1058م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص40-45، ابن ميسر، أخبار، ص162، ابن حجر، رفع، ص134.

(1) ابن الصيرفي، الإشارة، ص40، المقرئ، ج3، ص366.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص37، محاسنة، محمد حسين، (2003م) الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، م30، (ع 2)، ص290.

وُلِّقَ بدر الجمالي " بالسيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الاسلام، ناصر الامام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين"⁽³⁾. وُلِّقَ المأمون بن البطائحي بلقب " السيد الأجل، المأمون، تاج الخلافة، عز الاسلام، فخر الأنام، نظام الدين، خالصة أمير المؤمنين"⁽⁴⁾، وُلِّقَ رضوان بن ولخشي بلقب " الملك الصالح، ناصر الأئمة، كاشف الغمة، الأفضل أمير الجيوش، سيف الاسلام، غياث الانام، كافل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين"⁽⁵⁾. وُلِّقَ عباس الصنهاجي⁽⁶⁾ " بسيف الدين، الأفضل أمير الجيوش، ركن الاسلام"⁽⁷⁾، وحمل طلائع بن رزيك لقب " السيد الأجل، الملك الصالح، ناصر الأئمة، كاشف الغمة، أمير الجيوش، سيف الاسلام، غياث الانام، كامل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين"⁽⁸⁾، ولقب رزيك بن طلائع " بالملك العادل، مجد الاسلام"⁽⁹⁾، وحمل ضرغام بن سوار لقب " الملك المنصور"⁽¹⁰⁾، وُلِّقَ صلاح الدين الايوبي "بالملك الناصر"⁽¹¹⁾.

لقد تجلّى تقدير الخلفاء الفاطميين لوزرائهم في منحهم ابناء الوزراء وإخوانهم مرتبات مقررّة، تتراوح ما بين مائتي دينار وثلاثمائة دينار في الشهر⁽¹²⁾. كما قرر الخلفاء لاتباع الوزير وخدمه وحاشيته رواتب تتراوح ما بين ثلاثمائة الى خمسمائة دينار في الشهر⁽¹³⁾.

(3) ابن الصيرفي، الإشارة، ص55، ابن ميسر، أخبار، ص45، الدواداري، كنز، ج6، ص399.

(4) ابن الصيرفي، الإشارة، ص62.

(5) ابن الطوير، نزّهة، ص47، ابن ميسر، أخبار، ص126، الدواداري، كنز، ج6، ص521.

(6) عباس الصنهاجي: هو عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، أصله من المغرب، ترقى في الخدمة حتى ولي الغربية، وزر للخليفة الظافر، وقتل الخليفة الظافر، فقتله الفرنج بوصاية نساء القصر سنة (549هـ/1154م). انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص99.

(7) ابن الطوير، نزّهة، ص66.

(8) ابن ميسر، أخبار، ص150-151، الدواداري، كنز، ج6، ص566.

(9) النويري، نهاية، ج28، ص240.

(10) المصدر نفسه، ج28، ص240.

(11) ابو شامة، الروضتين، ص173.

(12) ابن الطوير، نزّهة، ص83.

(13) المصدر نفسه، ص83، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص346.

وكان من الوزراء من ينزل منزلة خاصة لدى الخلفاء، فعندما ولد للوزير يعقوب بن كلس ولد " أرسل اليه العزيز مهدياً من صندل مرصعاً، وثلاثمائة ثوب، وعشرة آلاف دينار، وخمسة عشر فرساً بسروجها... وطيب كثير، فكان مقدار ذلك مائة الف دينار"⁽¹⁾. وعندما اشتدت وطأة المرض على الوزير يعقوب بن كلس عاده العزيز، وقال له: " وددت لو أنك تبتاع فأبتاعك بملكي، أو تقدي فأفديك بولدي"⁽²⁾، وعندما توفي ابن كلس حزن عليه العزيز حزناً شديداً⁽³⁾. ويذكر ابن الصيرفي (ت542هـ/1148م) ان الحاكم عاد وزيره علي بن جعفر بن فلاح وأعطاه خمسة آلاف دينار⁽⁴⁾.

وكان المأمون بن البطائحي مبعثاً عند الخليفة الأمر الذي " زاد في اكرامه .. وأمر بأن يدخل المأمون لمؤاكلته .. ولم يتقدمه أحد من الوزراء بمثل ذلك، يعني بهذه المنزلة"⁽⁵⁾. ويعد الوزراء من أصحاب الثراء؛ لضخامة إيراداتهم من إقطاعاتهم، ومن إيرادات رواتبهم، فكان الوزير يتقاضى مرتباً شهرياً ضخماً قدره خمسة آلاف دينار⁽⁶⁾. والشواهد على ثراء الوزراء كثيرة، فقد كان إقطاع يعقوب بن كلس في مصر والشام يغل مائتي ألف دينار في السنة⁽⁷⁾، وخلف ابن كلس عند وفاته ثروة ضخمة، " فوجد له جوهر بأربعمائة الف دينار، وبز من كل صنف بخمسمائة الف دينار"⁽⁸⁾.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص293.

(2) الانطاكي، تاريخ، ص219، ابن الصيرفي، الإشارة، ص23.

(3) ابن الصيرفي، الإشارة، ص23.

(4) الإشارة، ص31.

(5) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص217.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص83، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص346، عطية مشرفة، نظم، ص135.

(7) الدوادري، كنز، ج6، ص225، المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص392.

(8) ابن الصيرفي، الإشارة، ص23، المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص392.

ووجد للوزير الجرجاني بعد وفاته " سبعمائة صينية من ذهب وفضة، ومائة ألف مثقال من العنبر، وغير ذلك " (9). وكان الوزير اليازوري واسع الثراء، فعندما سُعي به عند المستنصر خشي على أمواله، فرحها في توأبيت عند أهله بالشام(10).

وخلف بدر الجمالي بعد وفاته سنة (487هـ/ 1094م)، " من المال ... ستة آلاف ألف دينار، وأربعمائة الف درهم، ومن الجواهر والياقوت أربعة صناديق، ومن الفضة، والذهب ما يعجز عن وصفه"(11).

وترك الأفضل بن بدر الجمالي وراءه ثروة ضخمة، " فيقال إنه وجد له من العين ستة آلاف كيس، ومن الورق خمسين أردباً (1)، وأما الديباج الملون والمتاع البغدادي والاسكندري، والطرف الهندية والصينية، فما لا يعلمه إلا الله تعالى لكثرتة، ووجد له من العود والعنبر والمسك ما أذهل الناس " (2).

وكان المأمون بن البطاحي يمتلك الأموال الوفيرة، فقد وجد له بعد وفاته " سبعون سرجاً من ذهب مرصع، ومائتا صندوق مملوءة كسوة بدنه"(3).

(9) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص48.

(10) ابن الصيرفي، الإشارة، ص45.

(11) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص149.

(1) الارذب: مكيال مصري للحنطة، يقدر بـ 6 و 69 كغم من القمح، أو 56.1 كغم من الشعير على التوالي، أو - بوصفه مكيالاً- حوالي 90 لتراً. انظر فالتر هنتس، المكايل، ص58.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص8.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص213- 214.

وامتلك طلائع بن رزيك الأموال الوفيرة، حيث شرع فور توليه الوزارة " في الميل على المستخدمين، وأخذ أموالهم، وتتبع أرباب البيوتات والنعم والأعيان فسلبهم نعمهم"(4). ويتجلى ثراء طلائع بن رزيك في الجهاز الذي نقله مع ابنته – التي زوجها للعاضد- الذي لم يسمع بمثله، كما يقول ابن سعيد(5).

وكان من أثر الحياة المترفة لهؤلاء الوزراء أن دفعهم ذلك أن يتخذوا لأنفسهم المواكب الحافلة في غدوهم ورواحهم، فكان الوزير يأتي من داره مع حاشيته إلى مجلس الخليفة بالقصر الفاطمي على حصان وبين يديه الأمراء، وينصرف إلى داره والأمراء في خدمته(6). واتخذ الوزراء ممالك وحجاباً لخدمتهم، وعدو ذلك من تمام هيئتهم، فقد وجد لابن كلس بعد وفاته " من العبيد المماليك أربعة آلاف غلام"(7)، ورتب ابن كلس " في داره الحجاب ثوباً على مراتب، وألبسهم الديباج، وقلدهم السيوف"(8). وخلف بدر الجمالي سبعمائة غلام(9).

(4) المقرئزي، اعطاء، ج2، ص278.

(5) ابن سعيد، النجوم، ص461.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص205-211.

(7) ابن الصيرفي، الإشارة ص23.

(8) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص16.

(9) المقرئزي، اعطاء، ج2، ص149.

3- القواد:-

لقد شكل قادة الجيش أحد دعائم الحكم⁽¹⁾، فقد عول المعز على القائد جوهر في فتح مصر، فقال لشيوخ كتامة الذين رافقوا جوهر لفتح مصر " والله لو خرج هذا (أي جوهر) وحده، لفتح مصر.. وليبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا"⁽²⁾. وقد عبر المقرئ عن دور القادة في حماية الدولة حينما اعتبر أن قتل ضرغام للقواد البرقية كان السبب في تعجيل نهاية الدولة الفاطمية، فقال: " واختلت الدولة وضعفت بذهاب أمرائها (البرقية) وأولي الرأي فيها"⁽³⁾.

إن دور القادة في حماية الدولة أكسبهم مكانة رفيعة في المحيط الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، ويبدو انعكاس تلك المكانة في شغل بعض القادة منصب الوزارة مع احتفاظهم بمناصبهم القيادية في الجيش⁽⁴⁾. ومما يدل على قوة مركز القواد في الدولة، تدخلهم في بعض الأحداث السياسية، فعندما اشتدت علة المعز، اجتمع عدد من القادة، فقالوا للمعز: " نريد أن تبصرنا رشدنا وتعلمنا لمن الأمر"⁽⁵⁾، فلم يجبه المعز، فقال له جوهر: " كنت قد سمعت منك قولاً في هذا استغنيت به عن إعادة السؤال، غير أنهم (أي القادة) أكرهوني على الدخول"⁽⁶⁾. فقال لهم المعز: " قابلتموني بما لا يجب وبكى"⁽⁷⁾.

وكانت للاسفسلار⁽⁸⁾ المنزلة المكيمة في المجتمع، فقد كان " زمام كل زمام واليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم"⁽⁹⁾

-
- (1) ليس المجال هنا للحديث عن دور القادة في حماية الدولة، حول ذلك انظر: الدواداري، كنز، ج6، ص137، ابن ميسر، أخبار، ص138، المقرئ، اتعاض، ج1، ص245-246.
 - (2) الدواداري، كنز، ج6، ص137.
 - (3) المقرئ، اتعاض، ج2، ص298.
 - (4) المقرئ، المواعظ، مج2، ص444.
 - (5) المقرئ، اتعاض، ج1، ص277.
 - (6) المصدر نفسه، ج1، ص277.
 - (7) المصدر نفسه، ج1، ص277.
 - (8) الاسفسلار: كلمة أعجمية معناها قائد الجيش. انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص190، محمد البقلي، التعريف، ص32.
 - (9) ابن الطوير، نزهة، ص123.

وقد حظي الاسفهلار بشرف مصاحبة الخليفة في خروجه، وفي مواكبه المختلفة مع كبار موظفي الدولة⁽¹⁰⁾. كما حظي القواد بالصعود على المنبر مع الخليفة اثناء خطبة عيد الفطر.⁽¹¹⁾ وكانت للقائد جوهر الصقلي منزلتة عالية، فعندما وصل المعز الى القاهرة عام (362هـ/876م) حرص على تكريم قائده جوهر الصقلي، فخلع عليه خلعة مذهبة، وعمامة حمراء، وقلده سيفاً، واعطاه خمسين الف دينار، ومائتي الف درهم⁽¹⁾. وعندما اعتل القائد جوهر عاده الخليفة العزيز، وبعث له خمسة آلاف دينار⁽²⁾. ولما توفي عام (381هـ/991م)، أمر العزيز بتكفينه في سبعين ثوباً من الذهب، وصلى عليه⁽³⁾. وإن تأليف المؤرخ ابو عبد الله اليميني (ت 400هـ/1009م) كتاباً عن "سيرة جوهر القائد"⁽⁴⁾، يعد انعكاساً لمكانة جوهر في الدولة والمجتمع.

وكانت للقائد سعادة بن حيان⁽⁵⁾ الحظوة في المجتمع، فعندما توفي سنة (362هـ/973م) حضر جوهر الصقلي جنازته، وصلى عليه الشريف مسلم⁽⁶⁾ وعلت منزلتة القائد الفضل ابن صالح عند المعز، فقد خلع عليه ثوباً مذهباً، وأعطاه مائة الف درهم⁽⁷⁾.

(10) المصدر نفسه، ص150.

(11) المصدر نفسه، ص179، المقريري، اتعاض، ج1، ص369-370.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص160.

(2) المقريري، اتعاض، ج1، ص305.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص305.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص376.

(5) سعادة بن حيان: قائد مغربي، قدم من المغرب الى مصر- في جمادى الاولى من سنة (360هـ/971م) - على رأس جيش كبير؛ لتوطيد الأمن في مصر، وفي شوال من سنة (360هـ/971م) عينه القائد جوهر الصقلي والياً على الرملة. توفي سنة (362هـ/973م). انظر المقريري، اتعاض، ج1، ص198-201.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص201.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص289.

ولقد بلغ القائد افتكين من الرفعة وعظم المنزلة مبلغاً عظيماً، فعندما قدم من الشام الى القاهرة عام (376هـ/978م)، أمر العزيز أن يشهر في أجمل حال، وانزله في دار، واوصله بالعتاء والخلع حتى قال : " لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا العزيز بالله، ونظري اليه مما غمرني من فضله واحسانه "(8). وأكرم العزيز القائد أبي القاسم علي - ابن القائد الفضل بن صالح- فعندما رزق بولد بعث اليه ثلاثين ثوبا فاخرة، وعشرة عمائم (9).

وكانت للقائد الحسين بن جوهر (10) الحظوة عند الخليفة الحاكم، حيث أوكل اليه النظر في أمور الناس وتديبر المملكة، وخلع عليه عام (386هـ/996م) ثوباً ديباجاً، وقلده سيفاً عليه ذهب (11).

وأكرم الحاكم القائد أبي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح (12)، ففي عام (386هـ/996م) خلع عليه، " وقلد السيف، وحمل على فرس بمركب ذهب، وحُمل بين يديه ثياب كثيرة من كل نوع"(1). وكانت للقائد غين (2) المنزلة العالية عند الخليفة الحاكم، ففي عام (402هـ/1011م) ، " قدمه على جميع أهل دولته، ورؤساء مملكته"(3). وعندما اشتدت عليه وطأة المرض عادته الخليفة الحاكم، وأعطاه خمسة آلاف دينار، وخمسة وعشرين فرساً(4).

(8) المصدر نفسه، ج1، ص289.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص304.

(10) الحسين بن جوهر الصقلبي: ابن القائد جوهر الصقلبي، عينه العزيز قائد بعد وفاة ابيه جوهر عام (381هـ/991م) ، وأوكل اليه الحاكم تديبر المملكة عام (390هـ/1000م)، ورأى من حال الحاكم ما أخافه، فهرب هو وولده وصهره، فأرسل اليهم الحاكم من أعادهم وطيب قلوبهم، وأنسهم مدة، ثم حضروا للخدمة في قصره بالقاهرة، فأمر الحاكم بالقبض على الحسين بن جوهر وقتله. انظر المقرئزي، اتعاض، ج1، ص305، 327، ابن تغري بردي، النجوم، ج2، ص134.

(11) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص383.

(12) أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح: قائد مغربي من قواد الخليفة المعز، كان شجاعاً، وسيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلها، وبعثه جوهر الى الشام، فامتلك الرملة سنة (358هـ/969م)، ثم امتلك دمشق سنة (359هـ/970م). وقتله بها الحسن بن احمد القرمطي. انظر ابن خلكان، وفيات ، ج1، ص113، الزركلي، الاعلام، ج3، ص126.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص327.

(2) غين: كان غلاماً من خدم الحاكم، قربه اليه الحاكم، وعينه قائداً، ثم نقم عليه، فقطع يده اليمنى، وأعقب ذلك بالزيادة في عطاياه والانعام عليه. توفي سنة (404هـ/1013م). انظر الأنطاكي، تاريخ، ص309-311، حسن الباشا، (1956م) طبق من الخزف باسم (غين) مولى الحاكم بأمر الله، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج18، ص84.

(3) الأنطاكي، تاريخ، ص309.

(4) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص381.

وكان القائد أبي عبد الله بن فاتك مبعثاً عند الخليفة الأمر، ففي عام (515هـ/1121م)، خلع عليه " بذلة مذهبة وخلع على ولده بذلة مذهبة، وعلى جميع اخوته بمثل ذلك" (5). وكان الأمر يستشير القائد ابي عبد الله بن فاتك في جميع أموره و"لا يخرج شيء عن نظره" (6). وما زال يتقدم عنده حتى عينه -عام (515هـ/1121م)- وزيراً له (7).

ولما كان القواد رمز الأمن، فقد حرص الخلفاء الفاطميون على توفير الاسباب المؤدية الى صون هيبتهم، فمنحواهم الألقاب التي تضفي عليهم مظاهر الاجلال والهيبة في احتفالات عظيمة شارك فيها الخاصة والعامة. فقد وصف المقرئزي حفل تلقيب القائد صالح بن علي، فقال: اصطفت في عام (399هـ/1008م) جموع عظيمة حول القصر من سائر العرائف والأولياء، وأكثر أهل البلد، واصطفت العساكر حول القصر بالسلاح، فتعجب الناس لهذا الاجتماع، واذا بالقائد صالح بن علي يخرج " بالخلع على فرس بسرج ولجام ذهب، وبين يديه فرسان ثياب، وسجل يتضمن انه لقب ثقات السيف والقلم" (8).

كما وصف المقرئزي حفل تلقيب القائد غين الخادم، فقال: خلع على غين الخادم عام (402هـ/1011م) في حفل عظيم، " وقد بسيف، وقرىء سجله بأنه لقب بقائد القواد، فلُيُكاتب بذلك ويكاتب به" (9).

(5) المصدر نفسه، ج2، ص189.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص189.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص189.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص372.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص380.

ووصف المسيحي حفل تلقيب القائد معضاد⁽¹⁰⁾، فقال: جُمع عام (415هـ/1024م) الناس كافة الى الايوان بالقصر، وخرج القائد أبو الفوارس معضاد الخادم الأسود، ومعه سجل قرىء على العامة والخاصة، بتلقيبه بالقائد عز الدولة وسنانها أبي الفوارس معضاد الظاهري، ثم حُمِل بعد قراءته " على أربعة من الخيل ... وعليه سيف ذهب مقلد به، وخرج وسائر القواد، والناس معه إلى داره، وكان يوماً حسناً عظيماً " (1).

ولقب العزيز القائد الحسين بن جوهر – ابن القائد جوهر- " بالقائد ابن القائد" (2) ولقب القائد منصور البكجوري (3) " بمخلص الدولة" (4).

لقد تمتع القادة بالثروات الطائلة؛ لضخامة إيراداتهم من اقطاعاتهم⁽⁵⁾، وبفعل أعطيات الخلفاء لهم⁽⁶⁾، الذين كانوا بحاجة إلى صدق ولانهم، واستمرارهم على الارتباط بهم. ويمكن أن تدرك ضخامة ثروة جوهر الصقلبي من خلال هداياه، فقد اهدى المعز هدية ثمينة اشتملت على " مائة وخمسين فرساً، منها مذهب، ومنها مرصع، ومنها بعنبر وتسع نوق مزينة، وثلاثة وثلاثون بغلاً، وتسعون نجيباً، وأربعة صناديق وفيها أواني الذهب والفضة، ومائة سيف محلى بالذهب والفضة⁽⁷⁾.

وكان ثراء الحسين بن جوهر كبيراً، فقد ظهر له بعد وفاته مال عظيم⁽⁸⁾. وكان القائد منصور البكجوري " ذا يسار عظيم، يقال ان ماله يشتمل على ستين الف دينار"⁽⁹⁾.

(10) معضاد: خادم أسود، ترقى في خدمة الظاهر حتى أصبح قائداً. انظر المسيحي، أخبار، ج40، ص24-27.
(1) أخبار، ج40، ص24-27.
(2) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص305.
(3) منصور البكجوري : كان من وجوه القواد الحمدانية الواردين من دمشق، توفي عام (415هـ/1024م)، ودفن في مقابر القاهرة. انظر المسيحي، أخبار، ج40، ص104.
(4) المصدر نفسه، ج40، ص104.
(5) ابن المأمون، أخبار، ص109، ابن الطوير، نزهة، ص83، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص168.
(6) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص289، 305، 376، ج2، ص261.
(7) المصدر نفسه، ج1، ص204.
(8) المصدر نفسه، ج1، ص383.
(9) المسيحي، أخبار، ج40، ص104.

الكتاب (رؤساء الدواوين):-

ان ثقافة الكتاب ودرايتهم في الأمور السلطانية⁽¹⁰⁾؛ فضلاً عن تدبيرهم لشؤون دواوين الدولة⁽¹¹⁾، جعلهم يكسبون مكانة رفيعة في المحيط الاجتماعي، فقد وصل الكثير منهم الى منصب الوزارة⁽¹²⁾، ووصفهم الجهشيارى (ت 331هـ/943م) بأنهم " نظام الأمور، وكمال الملك، وبهاء السلطان، وهم الالسنة الناطقة عن الملوك، وخزان أموالهم، وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم"⁽¹³⁾. ووصفهم ابن الصيرفي (ت 542هـ/1148م) : " برؤساء الدولة"⁽¹⁴⁾.
وقد أشار ساويرس بن المقفع إلى جاه وسلطة الكتاب في قوله " لما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبيرها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم..."⁽¹⁾. وقد أفاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء الكتاب، فنذكر ابن الطوير أنهم حظوا بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية، ففي تلك المواكب كان " يُخرج .. لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات.. من الحلي .. ما يقرب عدته من ثلاثمائة مركب على خيل وبغلات"⁽²⁾.

(10) ابن المدبر، الرسالة، ص36.

(11) ابن الطوير، نزهة، ص74-81، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص322-325.

(12) ابن الطوير، نزهة، ص105، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص443.

(13) الوزراء، ص204.

(14) الإشارة، ص30.

(1) تاريخ، ج3، مج1، ص818.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص153.

كما حظي الكتاب بشرف الدخول على الخليفة مع كبار رجال الدولة؛ لتهنئته بعيد النحر⁽³⁾. وكانوا يحصلون في احتفالات الدولة على أصناف الأطعمة⁽⁴⁾، فضلاً عن الكسوات⁽⁵⁾. فكان نصيب ابن ابي اسامة⁽⁶⁾ من كسوة عيد الفطر، بدلة مذهبة عدتها خمس قطع⁽⁷⁾، كما أعطي لأبي البركات يوحنا بن أبي الليث⁽⁸⁾ في هذه المناسبة- ايضاً- بدلة مذهبة عدتها خمس قطع⁽⁹⁾.
لقد بلغ متولي ديوان الانشاء من الرفعة وعظم المنزلة مبلغاً عظيماً، وهذا ما أشار اليه القلقشندي في قوله: " فرفعة محله (أي متولي ديوان الانشاء) وشرف قدره، فأرفع محل وأشرف قدر، يكاد ان لا يكون عند الملك أخص منه، ولا ألزم لمجالسته"⁽¹⁰⁾. كما أشار المقرئزي إلى منزلة متولي ديوان الانشاء في قوله: " وربما بات (أي متولي ديوان الانشاء) عند الخليفة ليال ... ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقصر، ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص، وله حاجب من الامراء والشيوخ، وفراشون"⁽¹¹⁾.

وروى المقرئزي ما يدل على سمو مكانة صاحب ديوان الانشاء عند الخليفة، فقال: أن الخليفة الأمر أمر بإحضار أبي الحسن بن أبي أسامة، لينشئ سجلاً للدولة، فوجد أبا الحسن بالفسطاط، فتقدم إلى والي القاهرة بأن يمضي إلى مصر لاحضاره، فظن والي القاهرة أنه طُلب لغير ذلك، فمضى اليه وسببه، ولما علم الأمر بصنيع الوالي أمر بخلع اخفاه من رجليه، وصفعه بهما، وصرفه عن الولاية⁽¹⁾.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص211.

(4) المصدر نفسه، مج 2، ص599.

(5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص269.

(6) ابن أبي أسامة: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن، حلبي الأصل، مصري الدار، صاحب ديوان الانشاء في أيام الخليفة الأمر. توفي سنة (522هـ/1128م) انظر ابن ميسر، أخبار ص90.

(7) ان المأمون، أخبار، ص52، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص364.

(8) أبو البركات يوحنا بن أبي الليث النصراني: صاحب ديون المجلس، ظل يليه الى ان صرّف عنه سنة (527هـ/1132م)، توفي مقتولاً في سنة (528هـ/1133م). انظر ابن ميسر، أخبار، ص77، 108، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص236.

(9) ابن المأمون، أخبار، ص53، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص365.

(10) صبح، ج3، ص300.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص336.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص217.

ووصف ابن ميسر (ت 677هـ/1278م)، منزلة ابي الفتح بن قادوس⁽²⁾ بقوله: " كان من أمثال المصريين وكتابهم مقدماً عند ملوكهم" ⁽³⁾. وقد كان ابن قادوس مبعثاً عند طلائع بن رزيك، فعندما توفي حزن عليه طلائع كثيراً، وقدم من القاهرة الى مصر للصلاة عليه، وسار في جنازته⁽⁴⁾. وكان متولي ديوان المجلس جليل القدر، فكان يخلع عليه، وله الحاجب⁽⁵⁾. وكانت لمتولي ديوان التحقيق المنزلة العالية، فكانت له الخلع والحاجب⁽⁶⁾. وكانت لصاحب ديوان الجيش مكانة مميزة؛ فكانت " له مرتبة على غيره؛ لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس ... وبين يديه الحاجب"⁽⁷⁾.

وكانت لابن العميدي - الذي كان يتولى ديوان الرواتب حتى عام (413هـ/1022م)، ثم ديوان الانشاء في عام (433هـ/1042م) - مكانة متميزة عند الخليفة الظاهر، ويشهد لذلك أنه لما عرضت وظيفة " الحسبة " عليه رفض أن يقبلها - وعلى ما يبدو رأى في ذلك إخلالاً بمكانته - وقال " كنت بالامس جليس أمير المؤمنين (أي الظاهر) وصاحب خريطته أصير اليوم محتسباً، لم أكن لأفعل"⁽⁸⁾

(2) ابو الفتح بن قادوس: متولي ديوان الانشاء في بلاط الحافظ، توفي سنة (553هـ/1108م) انظر ابن ميسر، أخبار، ص157.

(3) أخبار، ص97.

(4) العماد الاصفهاني، خريدة، ج1، ص226-234.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص75، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص322.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص81-82، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص332.

(7) ابن الطوير، نزهة، ص82، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص333.

(8) المسبحي، أخبار، ج40، ص14.

وقد منح الخلفاء الفاطميون رؤساء الدواوين الألقاب التي تضفي عليهم مظاهر الاجلال والهيبة، تكريماً وتقديراً لهم. فقد لقب رئيس ديوان الانشاء بـ كاتب الدست الشريف⁽⁹⁾ كما لقب بالأجل⁽¹⁰⁾، ولقب أبو محمد بن محمد الزيدي الحسيني⁽¹¹⁾ " بسناء الملك"⁽¹²⁾، ولقب أبو الحسن بن أبي أسامة

" بالشيخ الأجل".⁽¹⁾، ولقب ابو الفضل صاعد بن مسعود⁽²⁾ " بعميد الملك زين الكفاة"⁽³⁾.

لقد تمتع الكتاب بالثروات الطائلة، وهذا ما أشار اليه ساويرس بن المقفع في قوله: " لما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبيرها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبذخوا... بديار مصر.. وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر"⁽⁴⁾.

ويمكن أن يعزى ثراء الكتاب إلى ما كانوا يحصلون عليه من روايت⁽⁵⁾، فضلاً عن منح وأعطيات الخلفاء لهم⁽⁶⁾، وتسلب بعضهم على أموال الناس⁽⁷⁾. والشواهد على ثراء الكتاب كثيرة، فكان صاحب ديوان الانشاء يتمتع بالثروات الطائلة؛ " فكان جاريه مائة وعشرين ديناراً في الشهر، وهو أول أرباب الاقطاعات، وأرباب الكسوة والرسوم"⁽⁸⁾.

-
- (9) ابن الطوير، نزهة، ص87، المقرزي، المواعظ، مج2، ص336.
(10) ابن الطوير، نزهة، ص87، المقرزي، المواعظ، مج2، ص336، النعيمات، محمد، (2006). ابن الصيرفي كاتباً، رساله ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص11.
(11) أبو محمد بن محمد الزيدي الحسيني: كان وافر الفضل، جيد الشعر، له التصانيف المفيدة في التاريخ والأدب، تولى ديوان الانشاء في عهد الخليفة الأمر، توفي سنة (542هـ/1147م)، انظر المقرزي، اتعاظ، ج2، ص227، 257-258.
(12) المقرزي، اتعاظ، ج2، ص227.
(1) المقرزي، اتعاظ، ج2، ص217.
(2) أبو الفضل صاعد بن مسعود: متولي ديوان الشام حتى عام (441هـ/1049م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص39.
(3) المصدر نفسه، ص39.
(4) تاريخ، ج3، مج1، ص818.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص84-85، المقرزي، المواعظ، مج2، ص336.
(6) المقرزي، المواعظ، مج2، ص328-329.
(7) المقرزي، اتعاظ، ج2، ص221.
(8) المقرزي، المواعظ، مج2، ص336.

ووصل رزق ابن خيران⁽⁹⁾ ثلاثة آلاف دينار في السنة، وكان له من كل ما يكتبه من السجلات والعهودات، وكتب التقليدات رسوم يستوفيهها⁽¹⁰⁾.

وقد كان ابي الحسن بن العداس - متولي ديوان الخراج عام (381هـ/991م) - واسع الثراء، فقد حدث أن الخراج اضطرب على يديه، فأمر الخليفة العزيز بمطالبته بعدما حوسب على ذلك، فضمن الخسارة⁽¹¹⁾، مما يدل على امتلاكه الثروات الطائلة.

وامتلك أبو البركات بن أبي الليث - متولي ديوان المجلس - الأموال الطائلة، حيث كان له يومياً ادراراً من بيت المال والخزائن والمطابخ السلطانية⁽¹²⁾.

وقد تمتع أبو نجاح بن قنا⁽¹³⁾ بالثروات الطائلة إذ قيل أنه " صادر ... عامة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم"⁽¹⁴⁾.

وكان مبلغ ترف أبي نجاح بن قنا كبيراً " فكان يركب الحمر المحلاة بالذهب والفضة"⁽¹⁾. وقد تعجب المقرئ من ترف أبي نجاح بن قنا، فقال: " ولما قتل (أي نجاح بن قنا) وجد له في مقطع ثلاثمائة طراحة⁽²⁾ سامان محشوة جدداً لم تستعمل، قد رُصّت إلى قرب السقف، وهذا من نوع واحد، فكيف ما عداه!"⁽³⁾.

(9) ابن خيران: وليّ الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد. تولى ديوان الانشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة (414هـ/1023م). انظر المسيحي، أخبار ج40، ص31، 44-46.

(10) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج4، ص5.

(11) ابن الصيرفي، الإشارة، ص24.

(12) المقرئ، المواعظ، مج2، ص328.

(13) أبو نجاح بن قنا: خدم في أول أمره أبا البركات بن يحيى بن أبي الليث متولي ديوان المجلس، ثم اتصل بالخليفة الأمر، وبذل له في مصادرة قوم من النصاري مائة ألف دينار، فاسترسل أذاه، وأطلقت يده في مصادرات الناس جميعاً، وضجوا بالشكوى منه، فأمر الأمر بقتله، فقتله والي مصر عام (523هـ/1128م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج5، ص299-230، المقرئ، اتعاض، ج2، ص223.

(14) ابن النقاش، المذمة، ص91.

(1) المقرئ، اتعاض، ج2، ص222.

(2) الطراحة: مرتبة يفرشها السلطان للجلوس، انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص75-76.

(3) المقرئ، اتعاض، ج2، ص223.

وكان ابو المليح زكريا بن مينا المعروف بمماتي⁽⁴⁾ واسع الثراء، فكان يخرج من بيته اثناء الشدة المستنصرية (457-464هـ / 1065-1072م) ما يسد حاجة الأطفال المسلمين، وينقذهم من الموت⁽⁵⁾.

وامتلك الأخرم بن أبي زكريا النصراني⁽⁶⁾، وحاشيته من الكتاب النصارى الأموال الوفيرة، حيث ضايقوا المسلمين في أرزاقهم، واستولوا على الأوقاف الشرعية⁽⁷⁾، وعاشوا حياة مترفة، فبالغوا في إظهار الفخر، وتظاهروا بالملابس الفخمة، وركبوا البغلات الرائعة، والخيول الموسومة بالسروج المحلاة باللجم⁽⁸⁾ الثقيلة⁽⁹⁾.

5

- القضاة -

لقد حظي القضاة بنفوذ كبير في المجتمع الفاطمي؛ لكونهم يتمتعون بسند ديني، ويعتبرون ممثلين للشرع⁽¹⁰⁾. فكان قاضي القضاة⁽¹¹⁾، أعظم زعيم ديني في الدولة، ورتبته أجل رتب أرباب الوظائف الدينية⁽¹²⁾، وأرباب الاقلام⁽¹³⁾.

(4) ابن مماتي: الخطير أبي سعيد مهذب أبي مليح، عمل كاتباً لـديوان الجيش بمصر في أواخر أيام الفاطميين وأول أيام بني أيوب مدة. توفي سنة (577هـ / 1181م) انظر ابن خلكان، وفيات، مج1، ص212-213، المقرئزي، المقفى، ج2، ص83.

(5) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص213.

(6) الأخرم بن أبي زكريا النصراني: تولى نظر الدواوين في مدة وزارة بهرام الأرمني (529-531هـ / 1134-1136م)، ثم صرفه رضوان بن ولخشي في سنة (532هـ / 1137م). بالمرتضى أبي عبد الله محمد بن الحسن الطرابلسي المحتك، إلى أن أعاده الخليفة الحافظ في سنة (533هـ / 1138م) بعد عزل رضوان، وظل إلى أن نقم عليه وقتله بعد ذلك بيسير. انظر النابلسي: تجريد سيف الهمة، 142-143.

(7) المصدر نفسه، ص142-143.

(8) اللجم: الحديد في فم الفرس. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص1160.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص121-122.

(10) ابن الطوير، نزهة، ص107، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص343.

(11) قاضي القضاة: هو الذي يعين سائر قضاة الانحاء. انظر المقرئزي، اتعاض، ج1، ص307، ابن حجر، رفع، ص283.

(12) أرباب الوظائف الدينية: هم قاضي القضاة وداعي الدعاة والمحتسب، ومتولي وكالة بيت المال، والقراء. انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص183.

(13) ابن الطوير، نزهة، ص107، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص340.

وتجلى جاه القضاة في شغلهم المناصب العليا في الدولة مع احتفاظهم بمناصبهم القضائية، ففي كثير من الأحيان كانت تضاف الدعوة إلى مهام قاضي القضاة⁽¹⁾، وتولى في كثير من الأحيان قاضي القضاة مهام دعي الدعاة ومهام الوزارة معاً⁽²⁾.

كما شارك القضاة في الأحداث السياسية، فكان قاضي القضاة يتدخل في أمر المبايعة لولي العهد، والمبايعة للخليفة الفاطمي الجديد، فعندما بويع الأمير العزيز بولاية العهد في سنة (365هـ/975م) دخل عليه القاضي أبو طاهر الذهلي⁽³⁾ ومعه جماعة من الشهود والفقهاء، فسلموا عليه بولاية العهد⁽⁴⁾، وتمت المبايعة للحاكم بالخلافة بحضور قاضي القضاة محمد بن النعمان⁽⁵⁾، وبعد وفاة الظاهر في سنة (427هـ/1035م) بويع لابنه المستنصر بالخلافة

-
- (1) ابن الطوير، نزهة، ص107، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص340. حول القضاة الذين أسند إليهم منصب دعي الدعاة انظر المقرئزي، اتعاط، ج1، ص314، 355، 369، ابن حجر، رفع، ص141، هاينزهايم، الفاطميون، ص75-76.
- (2) حول القضاة الذين أسندت إليهم مهام الوزارة، انظر: ابن الصيرفي، الإشارة، ص40-41، ابن ميسر، أخبار، ص11، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص62، ابن حجر، رفع، ص58، 61.
- (3) ابو طاهر الذهلي: تولى القضاء بمصر سنة (348هـ/959م)، وبقي في هذه الوظيفة حتى أصيب بمرض الفالج سنة (366هـ/976م) فاستعفى من القضاء قبل وفاته سنة (317هـ/977م). انظر المقرئزي، المقفى، ج5، ص189-199، ابن حجر، رفع، ص330-352.
- (4) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص276-277.
- (5) المقرئزي، المقفى، ج5، ص87. محمد بن النعمان: منصور بن حيون ابو عبد الله المغربي القيرواني: ولد في المغرب سنة (340هـ/951م). وقدم القاهرة بصحبة المعز، وكان ينوب عن أخيه علي بن النعمان في القضاء، وبعد وفاة أخيه علي قلده العزيز وظيفة القضاء في سنة (374هـ/984م). ولما توفي العزيز وخلفه ابنه الحاكم أقر ابن حيون على القضاء. وتوفي سنة (389هـ/999م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج3، ص207-208، المقرئزي، المقفى، ج7، ص347-353، ابن حجر، رفع، ص422-426.

فجلس قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي⁽⁶⁾ " يحلف الناس للمستنصر بالله⁽⁷⁾ بمبايعته بالخلافة⁽⁸⁾.

وقد أفاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء القضاة. فورد أن أهل الدولة كانوا يمشون في ركاب القاضي⁽⁹⁾، والخلفاء يعظمونه، فيجلسونه معهم على المنابر في الأعياد احتراماً واجلالاً⁽¹⁰⁾. وكان الخلفاء الفاطميون يقدمون لقضائهم في المناسبات المختلفة الأموال والهدايا، والخلع المذهبة⁽¹¹⁾.

وقد تجلت مكانة القضاة في الاحتفالات التي كانت تصاحب توليتهم القضاء، التي بلغت حد الروعة والفخامة، للتعبير عن مكانة القاضي والصلاحيات الممنوحة له. فكان القاضي الذي يقع عليه اختيار الخليفة يستدعى إلى القصر، حيث يقيم الخليفة، فيصدر له سجل (مرسوم) بتعيينه، ويطلع عليه، ويحمل على بغلة إلى الجامع – الأزهر أو جامع عمرو بن العاص- في حفل يشترك فيه الأعيان والشهود والفقهاء، وفي المسجد يقرأ سجل تعيينه⁽¹⁾، وبذا يتم تنصيبه في القضاء.

(6) عبد الحاكم بن سعيد الفارقي: تولى القضاء سنة (419هـ/1028م)، فاستمر به إلى أن صرف عنه في سنة (427هـ/1036م). توفي سنة (435هـ/1043م). انظر الكندي، الولاية، ص 497 – 500، 614، ابن حجر، رفع، ص 208.

(7) النويري، نهاية، ج 28، ص 112.

(8) المصدر نفسه، ج 28، ص 123.

(9) المقرئزي، اتعاض، ج 2، ص 344.

(10) ابن الطوير، نزهة، ص 108، المقرئزي، اتعاض، ج 2، ص 334.

(11) ابن الطوير، نزهة، ص 108، المقرئزي، اتعاض، ج 2، ص 344، ابن حجر، رفع، ص 486.

(1) الكندي، الولاية، ص 611، ابن حجر، رفع، ص 73.

ولما كان القضاة رمز العدالة، فقد اسبغ عليهم الخلفاء الفاطميون مظاهر العظمة والجلال، فحرصوا على توفير الأسباب المؤدية إلى صون كرامتهم في مجالسهم، إذ ألزم القاضي إذا جلس بمجلس الحكم الا يقوم لأحد⁽²⁾، كما " مُنع أن يقضي وهو راكب أو ماش" ⁽³⁾. وألزم الخصوم باحترام مجلس القاضي، فذكر ابن حجر (ت852هـ/1448م) أنه في سنة (394هـ/1004م) زل لسان أحد الخصوم في حق القاضي " الحسين بن النعمان" ⁽⁴⁾، فأمر الوالي بضربه ⁽⁵⁾.

وكان القاضي إذا انتهى من قضاياها، وانفض المجلس انصرف إلى داره بهيئة جميلة، إذ يركب عائدا ومعه الشهود والأمناء والتجار، ويكون الجمع وافرًا⁽⁶⁾.

وكان من القضاة من ينزل منزلة خاصة لدى الخلفاء، مثل القاضي محمد بن النعمان " فعلت منزلته حتى جاز حد القضاة"⁽⁷⁾؛ " لما فيه من العلم والصيانة .. وإقامة الحق والهيبة" ⁽⁸⁾. ولعل ذلك يدل على أن ماتمتع به القضاة من مكانة اجتماعية، إنما جاء بفضل علمهم وثقافتهم في أمور الدين التي يستمدون منها أحكامهم.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص108، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص344، المواعظ، مج2، ص341.

(3) القاضي النعمان، دعائم، ص179.

(4) الحسين بن النعمان المغربي: ولد في المغرب سنة (553هـ/963م). وقدم مع أبيه وجده إلى القاهرة وهو صغير، استخلفه عمه قاضي القضاة محمد بن النعمان للحكم بين الناس، فولاه الحاكم القضاء بعد وفاة عمه محمد في سنة (389هـ/998م). عزل عن القضاء في السنة التي توفي فيها سنة (395هـ/1004م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج3، ص210، ابن حجر، رفع، ص139-143.

(5) ابن حجر، رفع، ص188.

(6) المصدر نفسه، ص129.

(7) المقرئزي، المقفي، ج7، ص351، اتعاظ، ج1، ص337.

(8) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص209، ابن حجر، رفع، ص424، ابن العماد، شذرات، ج3، ص262.

وقد تجلت منزلة محمد بن النعمان عند الخليفة المعز عند وفاته، فعندما توفي خرج المعز والحزن ظاهراً عليه، وصلى عليه، واضجعه في التابوت بنفسه⁽⁹⁾. وكان القاضي محمد بن النعمان موضع تقدير من الخليفة العزيز، الذي كان يجلسه معه على المنبر في أيام الجمع والأعياد⁽¹⁰⁾. وعندما اشتدت وطأة المرض على الخليفة العزيز استدعى محمد بن النعمان، واستشاره في تولية ابنه المنصور أبي علي الحاكم، وأوصاه به⁽¹¹⁾.

وحظي القاضي أبو الحسن بن النعمان⁽¹⁾ عند الخليفة العزيز، فكان يجالسه ويؤاكله، ويسايره⁽²⁾، وكان قاضي القضاة الحسين بن النعمان مقرباً من الحاكم، ملازماً له، وكان القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان⁽³⁾ أثيراً عند الحاكم، فكان يُصعده معه المنبر في أيام الجمع والأعياد⁽⁴⁾. واختص القاضي أبو العباس أحمد بن أبي العوام⁽⁵⁾ بالخليفة الحاكم، فكان لا يغيب عن الحاكم، ويسايره⁽⁶⁾. وكان القاضي أبو العباس أحمد بن أبي العوام مبعلاً عند الخليفة الظاهر، فعندما توفي صلى عليه الظاهر، وأضجعه في التابوت بنفسه⁽⁷⁾.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص178، السيوطي، حسن، ج2، ص141-142.

(10) الذهبي، العبر، ج2، ص178، السيوطي، حسن، ج2، ص141-142.

(11) المقرئ، اتعاظ، ج1، ص318.

(1) أبو الحسن علي بن النعمان المغربي، ولد في القيروان سنة (328هـ/940م)، وقدم مصر مع والده بصحبة المعز لدين الله، فأشركه المعز في قضاء مصر مع القاضي أبا طاهر الذهلي، وعندما تعرض الذهلي لمرض عطله، قلده العزيز وظيفة القضاء في صفر سنة (366هـ/976م)، واستمر في منصب القضاء حتى وفاته في رجب سنة (374هـ/984م). انظر القضاة، الإنبياء، ص363، 367، ابن خلكان، وفيات، ج3، ص207-208، محاسنة، محمد حسين، (2004م). القضاء في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله، مجلة جامعة مؤتة، م19، ص156.

(2) الكندي، الولاية، ص590.

(3) عيد العزيز بن محمد النعمان بن حيون: أصله من القيروان، نشأ بمصر وولي القضاء سنة (394هـ/1004م) وعظمت مكانته عند الحاكم، ثم عزله سنة (399هـ/1009م)، وقتله غيلة. انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص169، الزركلي، الاعلام، ج4، ص25.

(4) ابن حجر، رفع، ص247.

(5) ابو العباس أحمد بن أبي العوام: ولي القضاء في أيام الحاكم سنة (405هـ/1014م)، ثبت في القضاء إلى أن توفي سنة (418هـ/1027م). انظر المقرئ، اتعاظ، ج1، ص393، ابن حجر، رفع، ص71-75.

(6) المقرئ، المقفى، ج1، ص605.

(7) الكندي، الولاية، ص611، ابن حجر، رفع، ص73.

وعظمت مكانة القاضي أبي محمد الحسن اليازوري، حتى أمرته أم الخليفة المستنصر الا يقوم لأحد كائناً من كان، واصبح الخليفة المستنصر لا يقطع أمراً دونه، ولا يخاطب الوزير الا على لسانه(8). وكان القاضي يونس بن محمد القرشي جليل القدر " فكان من الأعيان النزهين الأنفس، العظيمين القدر"(9).

لقد عاش القضاة في منتدى من السعة والازدهار، فقد اهتم بهم الخلفاء وأكرمواهم غاية الاكرام؛ لكي يضمنوا عدم مد أيديهم إلى أموال الناس، وبالتالي نزاهة القضاء. فنكر الرحالة ناصر خسرو- الذي زار مصر بين سنتي (439هـ/1047م - 444هـ/1052م) - أن مرتب قضاة القضاة في مصر كان ضخماً، حيث بلغ الفي دينار في الشهر " حتى لا يطمع القضاة في أموال الناس أو يظلمونهم"(10). إن ضخامة رواتب القضاة كانت دافعاً لميل البعض الى الاشتغال بالقضاء، فالقاضي " مجلي بن جُميع (1) يعلن انه ما أدخله القضاء الا حاجته إلى راتبه، لأن ظروفه المادية كانت قاسية، إذ يذكر واصفاً حاله: " والله لم أدخل في الحكم (القضاء) الا للضرورة، وقد بعد عهد أهلي باللحم، فأخذت لهم منه، فما هو الا أن وضعوا أيديهم مرة ثم لم يضعوها ثانية"(2).

والشواهد على ثراء القضاة كثيرة، فقد كان القاضي محمد بن النعمان واسع الثراء، عاش مترفاً في حياته، فكان شديد التأنق " والاستعمال للطيب والبخور في مجلسه، وان أعطى أعطى كثيراً وافرأ"(3).

(8) ابن حجر، رفع، ص199.

(9) المصدر نفسه، ص199.

(10) سفرنامه، ص125.

(1) مجلي بن جُميع القرشي: تولى القضاء سنة (547هـ/1152م)، عزله الصالح طلائع بن رزيك في شعبان عام (549هـ/1154م)، ثم عاد وتولى القضاء، وثبت به إلى ان توفي سنة (550هـ/1155م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص308-309، الأسنوي، طبقات، ج1، ص247-248، ابن حجر، رفع ص322-323.

(2) الاسنوي، طبقات، ج1، ص278.

(3) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص337.

وكان الحسين بن علي واسع الثراء؛ بفضل الاقطاعات والصلوات العظيمة التي منحها له الحاكم(4). وامتلك القاضي أبو العباس أحمد بن ابي العوام الاقطاعات الواسعة(5). وعاش القاضي محمد بن هبة الله بن ميسر القيسراني(6) عيشة ناعمة، فكان " كريماً، جواداً، سخياً، وكان له نعمة وهمة، وكان يعمل للناس الأطعمة والسماطات المختلفة، والهلوى الكثيرة.."(7) ولقد عظمت ثروة مالك بن سعيد الفارقي، فأقطع الدور المفروشة بأفخم الأثاث، والضياع العديدة الواسعة(8). وقيل انه كان يتصدق على الفقراء بالرباعيات الذهب(9). واهتم الفاطميون بتأمين الحياة الكريمة لقضاتهم حتى بعد عزلهم من وظيفة القضاء، فيذكر ابن حجر أنه: " إذا عزل (اي القاضي) بسبب من الأسباب يقرر له .. مال.. في الشهر عشرة دنانير وما يكفيه وعياله من القمح في كل سنة"(10). ويصدق ذلك على القاضي مسلم بن علي ابي الفتح الرسعني(11) فعندما صرف عن القضاء عام (516هـ/1122م) قدر له راتب في كل شهر(12).

- (4) الكندي، الولاية، ص597، ابن سعيد، النجوم، ص71.
(5) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص394، ابن حجر، رفع، ص74.
(6) محمد بن هبة الله بن ميسر القيسراني: تولى القضاء بمصر في سنة (521هـ/1127م)، واستمر ينظر بمهام القضاء إلى خلافة الحافظ، الذي عزله سنة (526هـ/1131م)، ثم أعيد سنة (528هـ/1133م)، فاستمر إلى أن عزل في سنة (531هـ/1136م) عن شؤون القضاء، ثم نفي إلى تنيس، فلما وصل إليها قتل بها. انظر المقرئزي، المقفي، ج7، ص398-401، ابن حجر، رفع، ص426.
(7) المقرئزي، المقفي، ج7، ص400.
(8) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص392.
(9) ابن حجر، رفع، ص318.
(10) المصدر نفسه، ص486-487.
(11) مسلم بن علي ابو الفتح الرسعني: تولى القضاء في سنة (513هـ/1109م) واستمر عليه حتى صرف عنه سنة (516هـ/1122م). انظر ابن حجر، رفع، ص435-436، السيوطي، حسن، ج2، ص145.
(12) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص203.

6- الدعاة:-

ان المعلومات حول أوضاع الدعاة الاجتماعية ضئيلة، ويرجع ذلك إلى تركيز المؤرخين على دور الدعاة في نشر المذهب الاسماعيلي، وعدم اهتمامهم بذكر أحوالهم الاجتماعية. ولكن يبدو أنهم تمتعوا بمنزلة رفيعة في المجتمع، لأنهم كانوا أحد دعائم المذهب الاسماعيلي⁽¹⁾. فقد احتلوا مكانة عالية بين أرباب الوظائف في الدولة، فكانت منزلة داعي الدعاة⁽²⁾، قريبة من منزلة قاضي القضاة، فكان " يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزيا بزيه في اللباس"⁽³⁾.

وقد تجلت مكانة داعي الدعاة في الاحتفال الذي كان يصاحب توليته الدعوة، الذي بلغ حد الفخامة، للتعبير عن مكانة الداعي والصلاحيات الممنوحة له، فكان الداعي الذي يقع عليه اختيار الخليفة يسير في موكب حافل، يتخلله الطبل والبوق⁽⁴⁾ والبنود⁽⁵⁾ الخاص⁽⁶⁾.

ومما يدل على قوة مركز الدعاة، تدخلهم أحياناً في الأحداث السياسية، فعندما بلغهم موت المستنصر اختلفوا فيمن يبائعونه من بعده، فدعا بركات – وهو أمين الدعاة⁽⁷⁾ - لعبد الله بن المستنصر ، ونعته بالموفق، مما أثار حنق الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، فقبض عليه وقتله⁽⁸⁾. وإن عزم الظاهر – عام (423هـ/1033م) - على قتل دُعاته⁽⁹⁾ ربما كان؛ لما لمسه لديهم من توجه في التدخل في سياسة الدولة.

(1) حول جهود الدعاة في نشر المذهب الاسماعيلي، انظر القاضي النعمان، ال مجالس، ص 25-80، المقريري، المواعظ، مج 2، ص 308-320.

(2) داعي الدعاة: هو الذي يشرف على الدعوة الاسماعيلية، وكان يُعد ويُلقى مجالس الدعوة الاسماعيلية في القصر الفاطمي، ويأخذ العهد على من يعتنق المذهب الاسماعيلي، وبين يديه من نقباء المؤمنين إثنا عشر نقيباً، وله نواب في سائر البلاد. انظر ابن الطوير، نزهة، ص 110-112، المقريري، المواعظ، مج 2، ص 305-308.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص 110، المقريري، المواعظ، مج 2، ص 305.

(4) البوق: شيء ينفخ فيه ويزمر، فيعلو صوته، فيعلم المراد به. انظر ابن منظور، لسان، ج 1، ص 553.

(5) البنود: الاعلام الكبيرة. انظر القلقشندي، صبح، ج 3، ص 178.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص 108، المقريري، اتعاظ، ج 2، ص 344، ابن حجر، رفع، ص 486.

(7) المقريري، اتعاظ، ج 2، ص 153.

(8) المصدر نفسه، ج 2، ص 153.

(9) المصدر نفسه، ج 2، ص 43.

وقد كانت للدعاة الحظوة في المجتمع، فقد حظوا بشرف مصاحبة الخليفة في مواكبه المختلفة مع كبار موظفي الدولة⁽¹⁰⁾، وحظوا بحضور مجلس الخليفة مع كبار رجال الدولة، للاحتفال بذكرى مقتل الحسين⁽¹¹⁾، وحظوا بالدخول على الوزير المأمون " وشرفهم بجلوسهم معه" ⁽¹²⁾. وكانوا يحصلون في احتفالات الدولة على أصناف الأطعمة⁽¹³⁾، وتخلع عليهم في المواسم الخلع المذهبة⁽¹⁴⁾. وقد كانت للدعاة المنزلة العالية عند الخليفة المعز، فعندما وصل إلى القاهرة سنة (362هـ/973م)، وزع على " الأصحاب والحواشي الهبات العينية" ⁽¹⁾، " وتميز في ذلك اليوم (أي يوم وصول المعز للقاهرة) خاصة ما يختص بالقاضي وشهوده، والداعي الذين يختصون عن سواهم بمقامهم.. أمام سرير الخلافة المنسوب مدة النهار"⁽²⁾.

وقد كانت للدعاة المنزلة المكيمة عند الخليفة الأمر، فعندما توفي الوزير الأفضل عام (515هـ/1122م) أمر الخليفة صاحب الباب بإحضار القاضي والداعي والامراء؛ لمشاورتهم في مراسم دفن وتكفين الوزير⁽³⁾، وأمر الخليفة داعي الدعاة بغسل وتكفين الأفضل ، وعقب انتهائه من ذلك أخرج له " بذلتان، مذهبة، وحرير ... ودفع للداعي ألف دينار"⁽⁴⁾.

-
- (10) ابن الطوير، نزهة، ص185، 218، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص485.
(11) ابن المأمون، أخبار، ص35، ابن الطوير، نزهة، ص223-224، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص419.
(12) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص484.
(13) ابن الطوير، نزهة، ص217.
(14) ابن المأمون، أخبار، ص52، ابن الطوير، نزهة، ص108، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص341.
(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص280.
(2) القاضي النعمان، المجالس، ص114.
(3) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص182.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص183.

وقد كان الداعي أبو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل⁽⁵⁾ مبعثاً عند الخليفة الأمر، وملازماً له، ويجالس⁽⁶⁾؛ ولفرط ثقة الأمر به، كان يرسله إلى الولايات - التابعة للفاطميين - في مهام سياسية⁽⁷⁾. لقد حظي الدعاة باحترام وتقدير الرعية، نظراً لعلو منزلتهم في الدين⁽⁸⁾. وقد روى المقرئ ما يدل على اجلال الرعية للدعاة، فذكر انه عندما عزم الظاهر على قتل دُعائه عام (423هـ/1033م) " اضطربت الرعية، وكثير من الجند لذلك"⁽⁹⁾. ويبدو أن ثورة الرعية ضد الظاهر كانت من الشدة، حتى أن المقرئ يعزو انتهاء هذه الثورة إلى ما أنفقه الخليفة من أموال في استرضاء الرعية⁽¹⁰⁾. وكان المؤمنون بالدعوة الاسماعيلية يسارعون بتقبيل يدي الداعي عقب فراغه من اللقاء دروس الدعوة الاسماعيلية عليهم⁽¹¹⁾، ويعد ذلك انعكاساً لاحترام المؤمنين بالدعوة للداعي.

(5) أبو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوي: من بقايا أنصار الفاطميين بمصر بعد ذهاب دولتهم، اتفق مع جماعة من الاسماعيلية وغيرهم على اغتيال السلطان صلاح الدين الايوبي، وعلم السلطان بخبرهم، فأحاط بهم، وشنقهم في أماكن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار في جملتهم، وذلك سنة (569هـ / 1174م). انظر المقرئ، السلوك، ج1، ص53.

(6) المقرئ، اتعاط، ج2، ص172.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص172.

(8) المقرئ، المواعظ، مج2، ص305.

(9) اتعاط، ج2، ص43.

(10) المصدر نفسه، ج2، ص43.

(11) ابن الطوير، نزهة، ص111، المقرئ، المواعظ، مج2، ص306.

7- المحتسب:

الحسبة منصب ديني أساسه الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله⁽¹⁾. إن المعلومات حول أوضاع المحتسب الاجتماعية شحيحة، ويرجع ذلك إلى تركيز المؤرخين على مهام المحتسب⁽²⁾، وعدم اهتمامهم بذكر أحواله الاجتماعية. ويمكن القول أن المحتسب تبوأ مكانة مرموقة في المجتمع بصفته ممثلاً للشرع، وقد تجلت مكانة المحتسب في الرسوم الفخمة التي كانت تصحب توليته منصبه، فكان يخلع عليه عند توليته " جبة مثقلة، ومنديل ذهب، ويحمل بين يديه ثياب كثيرة، ويقلد بسيف"⁽³⁾، ويقراً سجل تعيينه بالمساجد بمصر والقاهرة⁽⁴⁾.

وقد تمتع المحتسب بمركز قوي، فكان له الجلوس بجامعة القاهرة ومصر يوماً بعد يوم⁽⁵⁾ وكان له مساعدون ونواب، وأعاون وغلما، يتقوى بهم على المخالفين⁽⁶⁾. لقد بلغ المحتسب من القوة والحصانة شأنًا عظيمًا، فكان " لا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها"⁽⁷⁾، وكان ينتشد في صلاحياته إلى درجة أثارت استياء المصريين، الذين انطلقت السنتهم ساخرة من شخصه، كقولهم عن يفعل دون ادراك لعواقب الأمور، ودون تفكير " زي المحتسب الغشيم ناقص إرمي، زايد إرمي"⁽⁸⁾.

(1) الماوردي، الاحكام، ص240، الشيزري، نهاية، ص6، ابن الأخوة، معالم، ص13.
(2) للوقوف على المحتسب وعمله والشروط الواجب توافرها فيه، انظر: الشيزري، نهاية ص6-25، ابن الأخوة، معالم، ص13، سهام ابو زيد، الحسبة، ص43، 105، السيد الباز العريني، (1950م) الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مج3، (1ع)، ص157-159.
(3) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص343.
(4) ابن الطوير، نزهة، ص117، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص517، اتعاط، ج2، ص347.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص116، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص517، اتعاط، ج2، ص347.
(6) ابن الطوير، نزهة، ص116، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص516، اتعاط، ج2، ص347.
(7) ابن الطوير، نزهة، ص117، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص517.
(8) محمد شكري المكي، الأمثال، ورقة 43.

ثانياً الطبقة الوسطى

وتشمل:

1- التجار:-

هم الذين يزاولون مهنة التجارة التي كانت تقوم على أدوات الترف الغالية الثمن، كالمجوهرات والرياش والثياب الفاخرة، والأنيب والرقيق. وكان اعتمادهم في بيعها بالدرجة الأولى على الخليفة وحاشيته، وكبار رجال الدولة والأغنياء⁽⁹⁾. وهم بذلك يختلفون عن الباعة من حيث البضاعة، ومن حيث الناس الذي يجري عليهم تصريف البضائع⁽¹⁰⁾.

تمتع التجار بحالة واضحة من اليسر، وسعة المال؛ لكثرة ما كانت تدره عليهم تجارتهم من أرباح طائلة، فقد استنفد ثمن الأمتعة التي كان يبتاعها رجال السلطة الحاكمة من التجار اموالاً جزيلة من نفقات بيت المال⁽¹⁾. وقد أشار ابن مماتي إلى ثراء التجار في قوله: " ان أقباط مصر اتسعوا في الأموال، حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر، والمواشي والتحف، والأملك، والجواهر، إلى غير ذلك من أنواع المال"⁽²⁾

وأشار ابن تغري بردي إلى ثراء أحد التجار في قوله: " ومات في أيام الظاهر عام (417هـ/1026م) مبارك الأنماطي البغدادي التاجر، وكان له مال عظيم"⁽³⁾. وكان التاجر النصراني أبو سعيد إبراهيم التستري واسع الثراء، يتاجر بالبضائع الثمينة⁽⁴⁾، وكان التاجر ابراهيم بن زرة السرياني واسع الثراء، ذائع الصيت، كما اشتهر بالكرم والسخاء، وإغداق الصدقات ومساعدة الضعفاء⁽⁵⁾.

(9) ساويرس بن المقفع، تاريخ ج3، مج1، ص427، Ashtor, E., A social and Economic History of The Near East in the Middle Ages, PP.125-126.

(10) عن الباعة انظر ص 141 – 142 من الأطروحة.

(1) ابن المأمون أخبار، ص70-71.

(2) قوانين، ص73.

(3) النجوم، ج4، ص252.

(4) المقرئ، المواظ، مج2، ص398.

(5) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص427.

وتحدث ناصر خسرو، عن ثراء تاجر قبطي، كان يمتلك مراكب وأموالاً وأملاكاً لا يمكن أن تعد، وقد طلب منه الخليفة المستنصر أن يقرض الدولة، حين نقص النيل واشتد الغلاء، فقال النصراني: " وأسعد الله السلطان والوزير، ان لدي من الغلة ما يمكنني من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات"(6). واشتهر تاجر قبطي - في عهد الأمر- يسمى طيب بن يوسف السرياني بثرائه(7). ولفرط ثراء بعض التجار تمكنوا في أوج الشدة المستنصرية (457-464هـ/ 1065-1072م) من اقراض المال والغلال لبدر الجمالي عند وصوله إلى مصر عام (466هـ/1074م)(8). واتجه التجار لكثرة أموالهم إلى التصدق ببعض مالهم على الفقراء في المناسبات المختلفة(9). لقد كانت أرباح التجار الطائلة إغراءً كبيراً لإقبال الناس على الاشتغال بالتجارة، حتى أن الرؤساء الدينيين لليهود كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مباشرة مهامهم الدينية(10). وهناك اشارات توضح أن بعض الاشراف مارسوا الأعمال التجارية، فقد كانت دار الشريف أبي جعفر مسلم مليئة بأدوات السفر، وخزائن الأموال، واليها يقد التجار. كما كان أخو الشريف أبي جعفر يعمل بالتجارة، ويسافر من أجلها، وجنى منها أرباحاً كثيرة(11). كما عمل الشريف أبو اسماعيل ابراهيم وأبوه في التجارة وأعمال الوكالة(1)، وحققوا من وراء ذلك ثروة كبيرة، يقول عنهم المسبحي (ت420هـ/1029م) : " وكان قد أقبل (أي الشريف ابو اسماعيل ابراهيم) اقبالا حسناً، واتجه في الوكالة للتجار، وحملت البضائع اليه، والتجارات من كل ناحية، وخلف مالا كثيراً جما.. وخلفا جميعاً (الأب والابن) ما قدره مائتا ألف دينار عيناً، سوى المستغلات الحسنة النفيسة القدر، الكثيرة الاجرة، وسوى التجارات والبضائع على أصنافها"(2).

(6) سفرنامه، ص121.

(7) ابن العميد، تاريخ، ص299.

(8) ابن ميسر، أخبار، ص40، المقريزي، اتعاض، ج2، ص136.

(9) المسبحي، أخبار، ج40، ص39-40، المقريزي، اتعاض، ج2، ص18.

(10) Mann: The Jews, p.94

(11) ابن زولاق، أخبار سيبويه، ص31.

(1) حول أعمال الوكالة انظر ص 120-121 من الأطروحة.

(2) المسبحي، أخبار، ج40، ص108.

لقد اتجه التجار لترجمة أهميتهم الاقتصادية إلى أهمية اجتماعية، فأقاموا علاقات مع رجال البلاط الفاطمي، الذين كانوا يجدون فيهم أعواناً لهم، فعن طريق الثروة التي كانوا يمتلكونها نشأت لهم صلة قوية مع كبار رجال الدولة، فكانت الدولة تلجأ اليهم عند الحاجة، فأصبح باستطاعتهم اقراض الدولة عندما تصاب ميزانيتها بعجز مالي⁽³⁾.

وكانت بين التاجر ابراهيم بن زرعة السرياني وبين " المعز ورجال دولته جميل عظيم؛ لأجل بضايعه وأمتعته التي كانت تتواصل، وكان يعاملهم فيها، وكان جميع أراخنة مصر يحبونه ويكرمونه"⁽⁴⁾.

ونشأت بين التجار وبين العزيز علاقات متينة، فعندما بلغ العزيز مسير الروم الى بلاد الشام عام (385هـ/995م)، شرع في التأهب للمسير اليهم، ولفرط محبة التجار للعزيز، خشوا عليه وخرجوا اليه مرتين يسألونه المقام، والا يخرج من مصر، ويُسير العساكر، فشكرهم، وقال: انما اسير لنصرة الاسلام، وصيانة أهله⁽⁵⁾.

وقامت بين الخليفة الأمر والتاجر طيب بن يوسف السرياني صلات متينة، فكان يحمل في تجارته الثياب الغالية، وكان يبتاع للخليفة أجودها، حتى أن الخليفة قربه اليه، وخلع عليه، بل أمر عمال الضرائب بألا يحصلوا منه ضرائب على تجارته، كما أقطعته قرية من أعمال الحوف، فأقام في مصر، واتخذها ميداناً لتجارته بتشجيع من الخليفة ورجال دولته⁽⁶⁾.

لقد احتل التجار منزلة اجتماعية عالية، حيث أعانتهم ثرواتهم على توسيع نفوذهم، وتقوية مركزهم؛ لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فنجد من هؤلاء التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة⁽⁷⁾.

(3) ناصر خسرو، سفرنامه، ص121.

(4) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص427.

(5) المقرئ، اتعاظ، ج1، ص316.

(6) ابن العميد، تاريخ المسلمين، ص299.

(7) انظر ص 169-170 من الأطروحة.

وتبدو انعكاس مكانة التجار في وضوحهم في الخطاب السياسي الفاطمي من حيث التوجه اليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم، فعندما ثارت الرعية لمقتل برجوان عام (390هـ/1000م)، أمر الحاكم بقراءة سجل على الرعية، قال فيه: " فأقبلوا معاشر التجار والرعية على معايشكم، واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعود لشأنكم، ولا تطغوا في أمر أنفسكم، فلأمير المؤمنين الرأي فيه وفيكم، فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة، فليمض إلى أمير المؤمنين بها، فإنه مباشر ذلك بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه... وأنتم رعايا أمير المؤمنين المفتحة لها أبواب عدله، وإحسانه، وفضله..." (1). وورد في سجل صادر من دار الخلافة في نهاية العصر الفاطمي أن " التجار هم عين الحلال والحرام" (2)

وقد حظي التجار بالمشاركة في الاستقبالات الرسمية ضمن وجوه الدولة، فقد كانوا في استقبال جوهر الصقلي عند وصوله إلى مصر عام (358هـ/969م) (3)، كما كانوا ضمن كبار رجال الدولة في استقبال الخليفة المعز عند وصوله إلى مصر عام (362هـ/973م)، وقد خرج التجار مع وجوه الدولة - عام (363هـ/974م) (4) - لتهنئة الأمير عبد الله بن المعز بانتصاره على القرامطة (5).

ولما كان التجار أحد الدعائم الرئيسية للنشاط الاقتصادي المصري، لما كانوا فيه من " عدة وافرة، ولهم أموال عظيمة" (6)، فقد دعمت الدولة نشاطهم، وقدمت لهم المساعدة، فأقامت لهم "دور وكالة" (7)، وجعلت عليها رؤساء، سُموا " بوكلاء التجار"، وكان وكيل التجار يعمل كممثل قانوني وتجارى للتجار الآخرين، فكان يقوم بمهمتين: الأولى، كما يشير إليها لقبه كوكيل قانوني للتجار، فكان أي شخص تكون له دعوة ضد مدين مقترض للمال متأخر في السداد في بلدة أخرى، يُعطي توكيلاً له؛ لكي يمثله أمام القضاء،

- (1) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص340-341.
- (2) القلقشندي، صبيح، ج10، ص351، 423.
- (3) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص184.
- (4) المصدر نفسه، ج1، ص202.
- (5) المصدر نفسه، ج1، ص262.
- (6) القلقشندي، صبيح، ج3، ص459.
- (7) ابن المأمون، أخبار، ص39، ابن ميسر، أخبار، ص92.

سواء أكان هذا الوكيل يعيش في البلد الآخر أم سيسافر بدلاً منه. وهذا الدور القانوني للوكيل يفسر – كما يقول جويتاين- لماذا كان هناك عدد لا بأس به من الوكلاء المسلمين المذكورين بالجنيزة يتولون منصب القاضي⁽⁸⁾. أما المهمة الثانية للوكيل، فكانت الاشراف على تخزين بضائع التجار وتسويقها، ولذلك كان لوكيل التجار مخزن يملكه يسمى "دار الوكالة"، يقوم بهذه الوظيفة المزدوجة⁽⁹⁾.

وقد قامت دور الوكالة في المدن الكبرى، ذات النشاط الاقتصادي الواسع؛ مثل الفسطاط، والاسكندرية، ودمياط، وعيذاب، والقاهرة⁽¹⁾، التي قامت بها أول دار وكالة في عهد الأمر⁽²⁾؛ لتواكب توسع النشاط الاقتصادي في عهد الأمر⁽³⁾.

وقد بلغ من اهتمام الحكومة الفاطمية بأمن التجار، أن أصبح شعار التجار في السوق أن الخليفة " لا يظلم أحداً، ولا يطمع في مال أحد " ⁽⁴⁾. وقد عبر الرحالة ناصر خسرو عن اعجابه باهتمام الدولة الفاطمية بأمن التجار ومتاجرهم، فقال: " أما الأمن الذي رأيت هناك (أي في مصر) فإني لم أره في بلد من قبل"⁽⁵⁾، فقد " بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين، وتجار الجواهر.. لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شيء منها"⁽⁶⁾.

وقد وجه الخليفة العزيز رعايته إلى التجار، حيث تصدى للمسلمين الذين قاموا- عام (386هـ/969م) – بقتل مائة وسبعة رجال من تجار الروم الواردين إلى مصر، فأمر بقتل ثلثهم، وضرب ثلثهم، واطلاق الثلث⁽⁷⁾.

(8) Goitein: op.cit, v.1, p.187.pp.191-192.

(9) Ibid, v.1, p.187.

(1) Goitein: op.cit, v.1,p.190

(2) ابن المأمون، أخبار، ص39، ابن ميسر، أخبار، ص92.

(3) حول النشاط الاقتصادي الذي شهدته المدينة في عهد الأمر انظر ص 24-25 من الأطروحة.

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص12.

(5) سفرنامه، ص121.

(6) سفرنامه، ص121.

(7) الانطاكي، تاريخ، ص232، 234.

ويروي ناصر خسرو ما يؤكد حرص الخليفة الحاكم على التجار، وتعففه عن أموالهم، فيقول: لما اعتدى جند الخليفة الحاكم على تاجر يهودي من تجار الجواهر وقتلوه، كتب أخو التاجر المقتول لما ملكه الفزع رسالة إلى الخليفة يقول فيها: انه مستعد لتقديم مائتي الف دينار مغربي حالاً لخزانة السلطان " فأمر الخليفة بعرض الرسالة على الناس، وتمزيقها على الملأ، وقال: كونوا أمنين ، وعودوا إلى بيتكم، فليس لأحد شأن بكم، ولسنا بحاجة لمال أحد"(8). وأمر الحاكم بإحضار قتلة التاجر لمحاسبتهم.(9)

ورغم المجاعة الشديدة التي تعرضت لها مصر في سنة (415هـ/1024م)، وندرة الأقوات، واضطراب الأحوال، فإن الخليفة الظاهر لم يلجأ إلى مصادرة أموال التجار، فعندما تحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار، منعهم الظاهر من ذلك.(10)

وذكر المسبجي في أحداث عام (415هـ/1024م)، ما يوضح اهتمام الخليفة الظاهر بأمن التجار، فيقول: اجتمع في قافلة خلق من التجار، ومعهم أموال تقارب مائتي الف دينار، فتعذر جلب القافلة عن الجيزة، وأنذرهم بعض العرب أن جماعة من العبيد تجمعوا لنهب القافلة (1)، ولما علم الخليفة بذلك، أرسل غلماناً من الرماة وغيرهم - وصل عددهم نحو الثلاثمائة فارس، وأربعمائة من الرجالة - لحماية القافلة(2).

وقد وجه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي عنايته إلى التجار، فاشتهر بحسن السيرة، والعدل في الرعية، والتجار " على صفة جميلة، تجاوز ما سُمع قديماً، وشوهد أخيراً، ولم يعرف أحدٌ صودر ولا ضبط عليه"(3).

وقد اهتم الوزير المأمون بن البطاحي بالتجار، فتقدم عام (518هـ/1124م) إلى والي عسقلان أن " يكرم التجار، ويكف الأذى والضرر عنهم"(4).

(8) سفرنامه، ص124.

(9) المصدر نفسه، ص124.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص191.

(1) المسبجي، أخبار، ج40، ص36.

(2) المصدر نفسه، ج40، ص36.

(3) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص187.

(4) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص212.

2- الأطباء:

إن حاجة الخلفاء الفاطميين إلى من يتولى علاجهم، وتوفير الصحة لهم، جعلهم يرعون الأطباء ويقربونهم إليهم، ويخصصون لهم المرتبات والهبات. فقد خصص الخلفاء للأطباء مرتبات شهرية تراوحت ما بين خمسين ديناراً وعشرة دنانير⁽⁵⁾، هذا عدا عن الدور⁽⁶⁾، والخلع⁽⁷⁾، والجوائز⁽⁸⁾، التي كان يمنحها الخلفاء لهم.

إن إغداق الخلفاء الأموال على الأطباء، جعل مهنة الطب من المهن المربحة، فقال ابن رضوان⁽⁹⁾ عن نفسه: " ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى (أي القاهرة) وأجهدت نفسي في التعلم، ولما أقيمت أربعة عشر سنة، أخذت في تعلم الطب والفلسفة، ولم يكن لي مال أنفق منه، فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة، فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم، ومرة بصناعة الطب، ومرة بالتعليم. ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين، فإني اشتهرت فيها بالطب، وكفاني ما كنت أكسبه بالطب، بل وكان يفضل عني إلي وقتي هذا، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين. وكسبت مما فضل عن نفقتي أملاكاً في هذه المدينة (أي القاهرة) إن كتب الله عليها السلامة، وبلغني سن الشيخوخة كفاني في النفقة عليها"⁽¹⁾.

وثمة تفاوت في المستوى المعيشي بين الأطباء، فيذكر القلقشندي: أن الأطباء في العصر الفاطمي كانوا يمنحون بيوتاً مجهزة بأفخم الأثاث والفرش، كما كانوا يعطون مرتبات شهرية متفاوتة، وذلك تبعاً لمنزلة الطبيب⁽²⁾.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص84، القلقشندي، صبح، ج3، ص492، 521، المقريري، المواعظ، مج2، ص334.
(6) المقريري، اتعاط، ج1، ص369، 354.
(7) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص549، المقريري، اتعاط، ج1، ص369.
(8) ابن المأمون، أخبار، ص71، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص570-571.
(9) ابن رضوان: أبو الحسن علي، كان طبيباً ذكياً فاضلاً، خبيراً بصناعة الطب، له عدة تصانيف مشهورة، عينه الحاكم رئيساً لأطبائه. توفي سنة (453هـ/1158م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص171.
(1) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص516.
(2) القلقشندي، صبح، ج3، ص492، 521.

لقد أفاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده الأطباء، فقد حظي طبيب الخاص في السكنى بقصر الخليفة، فكان له مكان معروف فيه؛ ليسهل استدعائه عند الحاجة، فيقول القلقشندي: " وكان للخليفة طبيب يعرف بطبيب الخاص، يجلس على باب دار الخليفة كل يوم، ويجلس على الدكك التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر، دونه أربعة أطباء أو ثلاثة، فيخرج الأستاذون ، فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص..." (3)

وقد كان الطبيب موسى بن العازار الاسرائيلي (4) موضع تقدير المعز، ومقرباً منه(5)، فعندما توفي حزن عليه المعز كثيراً " لموضعه منه؛ وكفايته"(6). وكان الطبيب ابو سهل (7) جليل القدر عند الخليفة العزيز (8). كما كانت للطبيب أبي الحسن سهلان(9) مكانة رفيعة عند الخليفة العزيز (10).

-
- (3) القلقشندي، صبح، ج3، ص492.
(4) موسى بن العازار الاسرائيلي: كان مشهوراً بالتقدم والحنق في صناعة الطب، خدم الخليفة المعز عند قدومه من المغرب. انظر المقرئزي، اتعاط، ج1، ص209، Goitein: op.cit, v.2.p.243.
(5) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص545، Goitein: op.cit, v.2.p.243.
(6) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص545.
(7) ابو سهل: كيسان بن عثمان بن كيسان: نصراني، ملكاني المذهب، ماهراً في تشخيص الداء، وتحضير الدواء. خدم الخليفة العزيز والمعز. توفي سنة (378هـ/988م). انظر القفطي، أخبار، ص176.
(8) المصدر نفسه، ص176.
(9) أبو الحسن سهلان: ابن عثمان بن كيسان: طبيباً نصرانياً، من أهل مصر من الملكانيين، ذاع صيته في خلافة العزيز، توفي سنة (380هـ/990م) انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص503.
(10) المصدر نفسه، ص503.

وكانت للطبيب منصور بن مقشّر⁽¹⁾ المنزلة المكيّنة عند العزيز، الذي كان يصغي الى مشورته، ويجالسه⁽²⁾. وبلغ ابن مقشّر عند الحاكم " أعلى المنازل وأسناها، ولما مرض ... عاده الحاكم بنفسه"⁽³⁾، وقد أفرط الحاكم في اغداق الاموال عليه، مما جعله " في حياته واسع المال"⁽⁴⁾، ولما " مات اسف عليه (اي الحاكم) واطلق لمخلفيه مالا جزيلا وافرأ " ⁽⁵⁾. وقد كانت علاقة الخليفة العزيز بطبيبه يوسف النصراني⁽⁶⁾ قوية، حيث عينه بطيركا على بيت المقدس في السنة الخامسة من خلافته⁽⁷⁾. وكان الطبيب صقر اليهودي مقدراً عند الخليفة الحاكم، حيث أمر بحمله على بغلة؛ تكريماً له، كما أهداه ثلاث بغلات ومنحه أفخم الثياب، وأعطاه داراً لسكناه، فرشت وزينت، وعلق على ابوابها الستور، وزوده بكل ما يحتاج اليه، وقد قدرت جملة هدايا الحاكم اليه بعشرة آلاف دينار. ⁽⁸⁾

-
- (1) منصور بن مقشّر: من أشهر اطباء مصر في العصر الفاطمي، وأحدقهم في الطب، خدم الخليفة العزيز والحاكم، وتوفي في خلافة الحاكم (386-411هـ/996-1020م). انظر ابن ابي اصيبعة، عيون، ص504.
- (2) القفطي، أخبار، ص219.
- (3) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص504.
- (4) القفطي، أخبار، ص285.
- (5) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص504.
- (6) يوسف النصراني: كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب، فاضلاً في العلوم، مات ودفن في كنيسة مارثوادرس. انظر ابن ابي اصيبعة، عيون، ص500.
- (7) المصدر نفسه، ص500.
- (8) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص369.

وكانت للطبيب الحقير النافع (9) الحظوة عند الخليفة الحاكم، فعندما تمكن من معالجته، منحه مكافأة تقدر بألف دينار، كما خلع عليه (10). وكان الطبيب ابن نسطاس (11) جليل القدر عند الخليفة الحاكم، فأمر عام (394هـ/1004م) بحمله على بغلتين، وأهداه أفخم الثياب، وأعطاه داراً لسكناه مفروشة ومزينة (12). ولكثرة عطايا الحاكم له، أصبح واسع الثراء، " فترك (أي بعد وفاته) زيادة على عشرين ألف ديناراً عيناً، سوى الثياب وغيرها" (13). وعندما توفي أمر الحاكم سائر أهل الدولة أن يمشوا في جنازته (1). وكان الطبيب ابن رضوان مقرباً من الحاكم، محبباً إليه، وما زال يتقدم لديه حتى عينه رئيساً لأطبائه (2).

وكانت للطبيب موفق الدين أبي نصر عدنان بن نصر بن منصور (3) المنزلة المكيمة عند الخليفة الظاهر، الذي أنعم عليه، ونال من عطاياه الكثير (4).

(9) الحقير النافع: من أهل مصر، كان طبيباً جراحياً، حسن المعالجة، تمكن من تركيب دواء عالج به جرح مزمن في رجل الحاكم، فشفي في خلال فترة قصيرة، لا تتجاوز الثلاث أيام، فعندئذ ارتفع شأنه عند الحاكم. ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 549.

(10) المصدر نفسه، ص 549.

(11) ابن نسطاس: يعقوب النصراني، كان طبيب وقته، عارفاً بالطب والموسيقى، آبه في الحفظ، خدم الحاكم، مات سكران في بركة ماء عام (397هـ/1007م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 141، المقرئزي، اتعاط، ج 1، ص 367-368.

(12) المقرئزي، اتعاط، ج 1، ص 354.

(13) المصدر نفسه، ج 1، ص 368.

(1) المقرئزي، اتعاط، ج 1، ص 368.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 171.

(3) موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور: برع في الطب والمنطق، والفت فيهما مؤلفات عظيمة، وفد إلى مصر من بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته عام (548هـ/1153م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 570-571.

(4) المصدر نفسه، ص 570-571.

وكان الطبيب افرائيم بن الزفان⁽⁵⁾ أثيراً عند الخلفاء الفاطميين الذين خدمهم، فقد أكرموه غاية الإكرام، ومنحوه الأموال الجزيلة⁽⁶⁾. وكانت للطبيب هبة الله⁽⁷⁾ الحظوة عند الخلفاء الذين خدمهم، حيث خصصوا له الصلات السخية، والجوائز الثمينة⁽⁸⁾.

3- العلماء⁽⁹⁾:-

لما كانت الفلسفة والتأويل من خصائص المذهب الاسماعيلي⁽¹⁰⁾، فقد احتاج المذهب الاسماعيلي إلى متعلمين حتى يستطيعوا فهم أسرارهم، وأصوله، ولذا كان المعز يحث على العلم، حيث قال: " أنا لنسر بمن نراه من أولياننا يطلب العلم والحكمة، ويرغب في الخير، كما نسر بذلك في الولد"⁽¹¹⁾

ان ارتكاز دعائم المذهب الاسماعيلي على العلم، جعل الفاطميين يقدرون العلماء؛ كونهم أداة فعالة في نشر العلم والثقافة. فاحتفى الفاطميون بهم، وأكرمهم غاية الإكرام، مما جعل لهم مقاماً اجتماعياً رفيعاً. فقد حظي الفقهاء بمجالسة الخلفاء⁽¹²⁾،

(5) افرائيم بن الزفان: من الأطباء المشهورين بديار مصر، خدم الخلفاء الفاطميين - لم يذكر ابن أبي أصيبعة أسماءهم - كانت له مكتبة كبيرة تضم الكثير من الكتب الطبية. انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص567-568.

(6) المصدر نفسه، ص580.

(7) هبة الله الاسرائيلي: كان مشهوراً بالطب، حسن المعالجة، خدم بعض الخلفاء الفاطميين بصناعة الطب. تولى رئاسة اليهود في مصر عام (555هـ/1160م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص580. Goitein: op.cit, v.2,pp.244- 248

(8) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص580.

(9) يبدو أن لفظ عالم في العصر الفاطمي، قد أطلق على جميع المشتغلين في البحث في العلوم المختلفة، ولم يقتصر على الفقهاء، حيث لقب الحاكم بأمر الله، النحوي أبي الفضل جعفر، " بعالم العلماء". انظر الكندي، الولاية، ص610.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص308.

(11) القاضي النعمان، ال مجالس، ص211.

(12) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص488.

وكانوا يحضرون الاستقبالات الرسمية للخلفاء، ضمن كبار رجال الدولة والأشراف، وعلية القوم. فعندما إتجه المعز إلى مصر قادماً من المغرب عام (362هـ/973م)، " جمع جوهر الناس للقاء المعز، فتأهبوا لذلك، وخرج أبو طاهر القاضي، وسائر الشهود والفقهاء، ووجوه التجار إلى الجيزة مبرزين للقاء المعز، فأقاموا بها أربعين يوماً حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقه، فسار القاضي ومن معه" (1).

وقد خرج الفقهاء مع وجوه الدولة - عام (363هـ/974م) - لتهنئة الأمير عبد الله بن المعز؛ بانتصاره على القرامطة (2).

وحظي العلماء بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية، فكانوا ضمن كبار المدعوين لموكب فتح الخليج، وهذا ما اشار اليه ناصر خسرو في قوله: " وكذلك وجد في يوم فتح الخليج طبقات أخرى من الرجال من ذوي الفضل والأدباء والشعراء، والفقهاء، ولكل منهم أرزاق معينة" (3). وكان الخلفاء الفاطميون يفرقون لحوم الأضاحي في عيد النحر على العلماء والمتصدرين في جوامع القاهرة (4).

وقد أسبغ الفاطميون على العلماء مظاهر التعظيم والاحلال، فحرصا على تمام هيئتهم، سمحوا لهم أسوة بكبار رجال الدولة بركوب الخيل، في حين مُنع من ذلك التجار، والقرويون وأصحاب الحرف (5)، الذين أُجبروا على ركوب الحمير (6).

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص202.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص262.

(3) سفرنامة، ص111.

(4) ابن الطوير، نزهة، ص185.

(5) ناصر خسرو، سفرنامة، ص121.

(6) المصدر نفسه، ص121.

وقد أكرم الخليفة العزيز العلماء، فعندما سأله الوزير يعقوب بن كلس في صلة رزق جماعة من الفقهاء " أطلق لهم (أي العزيز) ما يكفي كل واحد منهم من الرزق النَّاضِ" (7)، وأمر بشراء دار لهم، فبنيت بجانب الجامع الأزهر، وخلع عليهم العزيز في يوم عيد الفطر، وحملهم على بغلات(8). وكانت للشابشتي(9) مكانة رفيعة عند العزيز، فكان لا يغيب عن مجالسه، ويقرأ له الكتب، ويحاوره فيها(10).

وقد احتفى الخليفة الحاكم بالعلماء، فكان يعقد المجالس العلمية، ويدعو إليها رجال العلم، لبحث ما يثار من القضايا، وكذلك مناقشة آراء وقضايا علمية قد تعرض على المجتمعين، فيروي المقرئ انه في سنة (403هـ/1012م): أمر الحاكم بإحضار جماعة من أهل الحساب والمنطق، وجماعة من الأطباء إلى حضرته؛ للمناظرة بين يديه. وكانت تحضر كل طائفة على انفراد، ثم يخلع الحاكم على الجميع، ويصلهم(1).

وكان الحاكم شديد الإعجاب بأبي الفضل جعفر(2)، فقد خلع عليه، ولقبه بعالم العلماء، وكان يستشيريه في معظم الأمور(3). وقد كانت لابن الهيثم(4) المنزلة المكيبة عند الحاكم، فقد جعل له من يخدمه، ويقوم بمصالحه(5).

(7) المقرئ، **المواعظ**، مج 4، ق1، ص94. النَّاضِ: هو الرزق اذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً. انظر ابن منظور، لسان، ج4، ص18.

(8) المقرئ، **المواعظ**، مج4، ق1، ص94.

(9) الشابشتي: ابو الحسن علي بن محمد بن اسحاق، كان مؤرخاً وأديباً فاضلاً من أدياب مصر و علمائها ومؤرخيها المشهورين، له عدة تصانيف منها: كتاب الديارات، وكتاب مراتب الفقهاء، وكتاب التوفيق والتخويف. توفي سنة (388هـ/998م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج3، ص319.

(10) المصدر نفسه، ج3، ص319.

(1) المقرئ، **المواعظ**، مج2، ص503.

(2) أبو الفضل جعفر: من أهل العلم بالنحو واللغة، من أشهر العلماء الذين أتوا إلى مصر في عهد الحاكم. توفي سنة (405هـ/1014م). انظر الكندي، الولاة، ص610.

(3) المصدر نفسه، ص610.

(4) ابن الهيثم: أبو علي محمد بن الحسن، خبير بأصول صناعة الطب وقوانينه، ويعلم الرياضة. أصله من البصرة، ثم انتقل إلى مصر واستوطن بها إلى آخر عمره. انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص550-551.

(5) الفطحي، أخبار، ص115، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص505، خطاب عطية، التعليم، ص89.

وتمتع سعيد بن سعيد الفارقي⁽⁶⁾ بمركز قوي " فداخل الحاكم في أمور الدولة، وقرأ عليه الرقاع، واستأذنه في الأمور كهيئة الوزراء"⁽⁷⁾. وقد وصل نفوذه إلى درجة من القوة، بحيث اتفق مع الأتراك على قتل الحاكم، فأمر الحاكم بقتله، وقد تم ذلك عام (391هـ/1001م)⁽⁸⁾. وكانت للعالم ابي محمد حسن بن آدم⁽⁹⁾ المنزلة المكيبة؛ نظراً لمكانته العلمية، فكان يدعى بالقاضي " لأبوتة، وسنه، واشتهاره بالعلم"⁽¹⁰⁾، وقد حظي بتقدير الدولة بدرجة مكنته من أن يسمح له بحضور الاجتماعات السياسية التي كان يدعى إليها كبار رجال الدولة، فقد روى المقرئزي: أن المأمون بن البطاحي عقد اجتماعاً هاماً؛ ليبين فيه عدم أحقية نزار في الخلافة، وقد حضر هذا الاجتماع فقهاء الاسماعيلية وقاضي القضاة، وداعي الدعاة، وجماعة من الأمراء، ودُعي إليه " أبو محمد بن آدم"⁽¹¹⁾. وما زالت منزله أبي محمد بن آدم تسمو حتى شغل عام (513هـ/1154م) منصب داعي الدعاة⁽¹²⁾.

وكان القضاعي⁽¹³⁾ جليل القدر عند الخليفة المستنصر، وما زالت منزلته تعلقو عنده حتى ولاه منصب القضاء⁽¹⁾. وقد أكرم الخليفة الأمر العلماء، فقد أمر أن يعطى كل واعظ حضر عزاء الأفضل ثمانين ديناراً، وقد أثار ذلك دهش أحد رجال الدولة، فقال: " يا مولانا هذا مال كثير"⁽²⁾.

(6) سعيد بن سعيد الفارقي، عالم نحوي، له مصنفات، أشهرها: تقسيمات العوامل وعللها في النحو، وتفسير المسائل المشككة في أول المقتضب. توفي سنة (391هـ/1001م). انظر ياقوت، معجم الأدياء، ج4، ص240، السيوطي، بغية الوعاة، ص255.

(7) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص350-351.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص350-351.

(9) أبو محمد حسن بن آدم: عالم في الدين، تولى دار العلم سنة (516هـ/1153م). وشغل منصب داعي الدعاة عام (517هـ/1154م)، وأضيفت إليه الخطابة بالجامع الأزهر. انظر المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص196، 211.

(10) المصدر نفسه، ج2، ص211.

(11) ابن ميسر، أخبار، ص99، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص196.

(12) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص211.

(13) القضاعي: أبو عبد الله بن سلامة بن جعفر، فقيه ومحدث ومؤرخ، له عدة مصنفات في الفقه والتاريخ، توفي سنة (452هـ/1060م). انظر ابن عساكر، **تاريخ**، ج53، ص167-170، اليافعي، **مرآة**، ج3، ص58، السبكي، طبقات، ج4، ص150-151.

(1) السبكي، طبقات، ج4، ص150-151، اليافعي، **مرآة**، ج3، ص58.

(2) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص189.

وكان للعالم القزاز (3) مقاماً اجتماعياً رفيعاً؛ بفضل علمه وثقافته، فكان مهيباً عند العلماء، محبوباً عند العامة (4). وقد بلغ ابو بكر الأدفوي (5) من الرفعة وعظم المنزلة مبلغاً عظيماً؛ نظراً لمكانته العلمية، التي أتاحت له أن يصبح شيخاً للديار المصرية (6). وكان العالم ابن بابشاذ (7) موضع تقدير، حيث كان يشرف على كل ما يصدر من ديوان الانشاء، ويعالجه نحويًا ولغويًا، وكان له على ذلك راتب يصرف له من الخزانة كل شهر (8). وقد حذا الوزراء الفاطميون حذو خلفائهم في الاهتمام بالعلماء، فقد كان ابن كلس يقدر أهل العلم ويقربهم اليه (9)، ويجزل لهم العطايا. فكانت داره ملتقى العلماء، حيث "رتب في داره الكتاب والاطباء يفتون بين يديه، وجعل فيها العلماء والأدباء، والشعراء والفقهاء والمتكلمين ... لكل طائفة مكان مفرد، وأجرى على كل منهم الأرزاق" (10). كما خصص ابن كلس يومين في داره لاجراء المناظرات بين العلماء والأدباء، فإذا جاء يوم الثلاثاء "نصب له مجلسا في داره... ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه" (11)، وكان ابن كلس "يجلس في يوم الجمعة ايضاً، ويقراً مصنفاًته على الناس بنفسه، وفي حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة" (12).

-
- (3) القزاز: ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي: عالم نحوي، صنّف للعزير كتباً عديدة، توفي عام 412هـ/1021م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص374-375.
- (4) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص374-375.
- (5) انظر ترجمة ابي بكر الأدفوي، ص 89 من الأطروحة.
- (6) الأدفوي، الطالع، ص252-253.
- (7) ابن بابشاذ: أبو الحسين طاهر بن أحمد، إمام عصره في علم النحو، تعلم في العراق ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات لساعته، عام (469هـ/1077م). انظر ابن خلكان، وفيات ج2، ص515-517، السيوطي، بغية الوعاة، 272، 427.
- (8) ابن خلكان، وفيات، ج2، ص515، 517.
- (9) الأنطاكي، تاريخ، ص202.
- (10) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص16.
- (11) المصدر نفسه، مج3، ص16.
- (12) المصدر نفسه، مج3، ص16.

وكان ابن كلس ينفق ما قيمته الف دينار كل شهر على أهل العلم والوراقين ومجلدي الدفاتر (13). وكان لجماعة من الفقهاء " من مال الوزير (أي ابن كلس) صلة في كل سنة" (14). وكان ابن كلس " ينصب مائدة لخواصه من أهل العلم" (1)، " ويقوم في شهر رمضان الأطعمة للفقهاء" (2).

وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يغدق الأموال على الفقهاء (3). وعني الوزير المأمون بن البطاحي بالعلماء، فكان أبو الحجاج يوسف بن أيوب (4) جليل القدر عنده، وما زال يتقدم لديه حتى ولاه قضاء القضاة (5). وكان الطرطوشي (6) مبعثاً عند الوزير المأمون، فعندما وصل إلى القاهرة عام (516هـ/1122م) أكرمه المأمون " وأمر بانزاله في المجلس المهيأ للأخوة ... ولما شاهده وقف عن المرتبة، وجلس بين يديه.. وصار المأمون يستدعيه في يَوْمِي راحته، ويبالغ في كرامته، ويقضي شفاعته" (7).

(13) الأنطاكي، تاريخ، ص202.

(14) المقرئزي، المواعظ، مج4، ق1، ص94.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص17.

(2) المصدر نفسه، مج3، ص17.

(3) ابن المأمون، أخبار، ص102.

(4) ابو الحجاج يوسف بن أيوب: كان اولاً قد اقرأ المؤتمن أخوا المأمون بن البطاحي القرآن والنحو، ثم ولاه المأمون قضاء الغربية، ثم نقل منها إلى قضاء القضاة. انظر المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص219، ابن حجر، رفع، ص473-474.

(5) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص219.

(6) الطرطوشي: محمد بن الوليد القرشي الأندلسي، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ، من أهل طرطوشة بشرقى الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة (476هـ/ 1083 م). فحج وزار العراق، وأقام مدة في الشام، وسكن الاسكندرية، فتولى التدريس، واستمر فيها إلى أن توفي. انظر ابن خلكان، وفيات، ج1، ص479، المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص368.

(7) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص199-200.

وقد اهتم طلائع بن رزيك بالعلماء، حيث كان أديباً وكاتباً وشاعراً فاضلاً⁽⁸⁾، فكان " لأهل العلم عنده نفاق، ويرسل اليهم العطايا الكثيرة"⁽⁹⁾، مما جعل مصر محط أنظار العلماء في فترة وزارته، فعندما سمع الواعظ زين الدين بن نجا الأنصاري⁽¹⁰⁾ " بسعة أرزاق مصر قدم إليها في وزارة الصالح ابن رزيك، فأقبل عليه، وحصل له من إنعامه، ومما أخذه له من العاضد في ثلاث سنين ما يناهز عشرين الف دينار، وسوغه عدة دور"⁽¹¹⁾. وقد أكرم طلائع ابن الدهان⁽¹²⁾، فعندما علم أنه شرح بيتاً من شعره منحه هدية⁽¹³⁾. وكان للعلماء مكانة رفيعة عند الوزير ضرغام، فكان " يحب العلماء والأدباء، ويقربهم"⁽¹⁾.

4- الشعراء:

لقد ازدهر الشعر في العصر الفاطمي، ومما يؤكد كثرة الشعر ورواج سوقه في الدولة الفاطمية، ما رواه العماد الأصفهاني (ت597هـ/1200م)، فقد ذكر أن الخليفة الحافظ مل طول الشعر وكثرته، فأمر أن يختصر الشعراء مدائحهم، فلم يَرُقْ ذلك للشعراء، فقال أحدهم يخاطب الخليفة، ويمدحه:⁽²⁾

(8) عمارة اليمنى، النكت، ص48.

(9) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص291.

(10) زين الدين بن نجا الأنصاري: الملقب زين الدين الحنبلي، واعظ دمشقي مشهور، وفد إلى مصر في وزارة طلائع بن رزيك، ثم عاد إلى دمشق، وتوفي سنة (599هـ/1202م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص527.

(11) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص301.

(12) ابن الدهان: سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري: عالم بالغة والأدب، وشاعراً لطيف الشكل، حسن المعاشرة، من أهل الموصل، انتقل إلى مصر بعد أن ضاقت به الحال. وقصد طلائع بن رزيك، فمنحه الأموال الوفيرة. انظر العماد الأصفهاني، خريدة، ج2، ص279، ابن خلكان، وفيات، ج2، ص527، ج3، ص57-61.

(13) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص291.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص305.

(2) الخريدة، ج2، ص64. انظر المقرئزي، اتعاض، ج2، ص253.

أمرتنا أن نَصُوغَ المدح مختصراً	لم لا أمرت ندى كفيك يختصر
والله لا بُدَّ أن تَجري سوابقتنا	حتى يبين لها في مدحك الأثر

وبسبب الكثرة في الشعراء، قسم العماد الأصفهاني الشعراء طوائف، وميزهم أصنافاً، فشعراء العلماء، وشعراء الكتاب، وشعراء الشرفاء، وشعراء الوزراء، ثم شعراء طائرون على البلاد، وآخرون نشأوا فيها⁽³⁾. وقد كان الشعراء المختصون بالوزير طلائع بن رزيق من الكثرة، بحيث عقد لهم العماد الأصفهاني " باباً خاصاً"⁽⁴⁾.

ويمكن أن يعزى ازدهار الشعر في العصر الفاطمي، إلى الاهتمام الكبير، والدعم المتواصل الذي كان يسبغه الخلفاء ووزرائهم على الشعراء، لما كان لهم من دور فاعل في تدعيم كيان الفاطميين، حيث غدا الشعر بوق دعاية للمذهب الاسماعيلي، فأصبح بمثابة خطب منبرية تدعو للخلفاء، وتبث مذهبهم، وترسخ حبهم في قلوب الرعية⁽⁵⁾، وتمجد الوزراء⁽⁶⁾.

وقد أفاضت المصادر في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء الشعراء، فقد حظي الشعراء بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية⁽⁷⁾، وخصصت الدولة لهم رواتب شهرية من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير⁽⁸⁾. وكانت لهم هبات مقررة من بيت المال في كل سنة⁽⁹⁾.

(3) الخريدة، ج1، ص211.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص120-121.

(5) حول الأشعار التي تدعو للخلفاء الفاطميين، وتبث مذهبهم، وترسخ حبهم في قلوب الرعية انظر: تميم بن المعز، ديوان تميم، ص381،320،315،381،409،38، ظافر الحداد، ديوان ظافر الحداد، ص235، 264، ابن حيوس الدمشقي، ديوان، ج1، ص285، ابن قلاص، ديوان ابن قلاص، ص92.

(6) حول الأشعار التي تمجد الوزراء انظر: عماره اليمني، النكت، ص(171، 348-351، 381-320، 245، العماد الأصفهاني، الخريدة، ج1، ص190.

(7) ناصر خسرو، سفرنامه، ص111.

(8) ابن الطوير، نزهة، ص84، المقرئ، المواعظ، مج2، ص334.

(9) ابن المأمون، أخبار، ص71.

وكانت الهدايا تقدم للشعراء في الأعياد⁽¹⁰⁾، هذا عدا عما كانوا يحصلون عليه من هبات في المناسبات المختلفة. ففي يوم عاشوراء كان يخرج " الرسم المطلق للمتصدرين والقراء، والوعاظ، والشعراء، وغيرهم على ما جرت به عادتهم" ⁽¹⁾. وعندما توفيت زوجة العزيز فُرق على الشعراء الذين رثوها الف دينار⁽²⁾، وقد أجزت جميع الشعراء الذين رثوا الوزير يعقوب بن كلس، البالغ عددهم مائة شاعر⁽³⁾.

وبلغ من سمو المنزلة الاجتماعية للشعراء، أن ارتادوا دور الخلفاء والوزراء، فكانوا يقصدون قصر الخليفة؛ للتهنئة في الأعياد⁽⁴⁾، وجُعل لهم في مجالس الخلفاء نظام في الانشاد يتعاقبون عليه، فذكر ابن الطوير - عند الكلام عن فتح الخليج- أنه بعد جلوس الخليفة يُؤمر صاحب الباب بتقديم الشعراء واحداً بعد واحد " ولهم منازل على مقدار أقدارهم، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد"⁽⁵⁾.

وكان للشعراء حضور فاعل في مجالس الخليفة الحاكم، فكانوا ينهضون وينشدون القصائد بين يدي الخليفة، ويتبارون في مدحه، ومدح أجداده، وقد كان الحاكم من الحنق بذلك، فعقب انشاد الشعراء قصائدهم يقرر لكل منهم المكافآت والعطايا، وذلك بقدر تفرد كل شاعر في شعره، ومبلغه من صناعته⁽⁶⁾.

(10) المصدر نفسه، ص89، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص488.

(1) ابن المأمون، أخبار، ص35.

(2) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص317.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص19.

(4) ابن المأمون، أخبار، ص89، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص488.

(5) نزهة، ص199.

(6) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص332.

وقد كانت للشعراء الحظوة عند الخليفة الأمر، يؤكد ذلك ما ذكره المقرئزي في حديثه عن بركة الحبش بقوله: " إن الخليفة الأمر بنى على المنطرة (أي التي تشرف على بركة الحبش)(7) منظر من خشب مدهونه، فيها طاقات تشرف على خُصرة بركة الحبش، وصور فيها الشعراء، كل شاعر وبلده، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح ... وكتب ذلك عند رأس كل شاعر، وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب، فلما دخل الأمر، وقرأ الأشعار أمر أن يُحط على كل رف صُرة فيها خمسون ديناراً، وأن يدخل كل شاعر، ويأخذ صرته بيده، ففعلوا..."(8)

ويبدو أن العاضد كان ميالاً إلى الأدب وأهله، فقد أعدق الأموال على الشاعر عمارة اليميني(9). وقد أكرم الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الشعراء، حيث أمر بتفصيل ظروف ديباج، وجعل فيها أموالاً عظيمة، ومن هذه الظروف كان يغدق العطايا على الشعراء الذين يقصدونه(1). وقرب الوزير المأمون بن البطائحي الشعراء، فكانوا يقصدون داره، ويهنئونه بالأعياد، وينشد له كل منهم ما سمحت به قريحته(2).

(7) بركة الحبش: طولها ميل، تشرف على نيل مصر، خلف القرافة، وهي من أجل منتزهات مصر. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص401، المقرئزي، المواعظ، مج1، ص209.

(8) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص581-582.

(9) عمارة اليميني، النكت، ص223. عمارة اليميني: أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكيمي، من تهامة باليمن، ولد ونشأ بها، كان فقيهاً شافعيًا، كما كان شاعراً مجيداً، متكسباً، سيره صاحب مكة، رسولاً إلى مصر، فوصلها في ربيع الأول سنة (550هـ/1115م)، وأقام بمصر إلى شوال من السنة، ثم فارقها إلى مكة، وعاد إلى مصر ثانية في سنة (551هـ/1156م) واستقر فيها، وصار من جملة خدام الدولة الفاطمية. توفي في مصر عام (569هـ/1173م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج3، ص431-435.

(1) ابن المأمون، أخبار، ص101.

(2) المصدر نفسه، ص26-27.

وقد احتوى الوزير طلائع بن رزيك الشعراء، فقد وصفه عمارة اليميني (ت569هـ/1174م)، بقوله : " كان مرتاضاً قد شَم أطراف المعارف، وتميز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم الاخشونة مجردة، وكان شاعراً يحب الأدب وأهله، ويكرم جلسه، ويبسط أنيسه"⁽³⁾.
وقد كان الشاعر ابن الزبير⁽⁴⁾، من جلساء طلائع بن رزيك، ومن المختصين به، حتى قيل أن أكثر الشعر الذي دون في ديوان طلائع بن رزيك إنما دون من شعر المهذب، وقد أنفق عليه طلائع الأموال الوفيرة⁽⁵⁾. وكان ابن الدهان⁽⁶⁾ من جلساء طلائع، وقد مدح طلائع بقصيدة، فأنعم عليه طلائع بالمال⁽⁷⁾.

(3) النكت، ص48.

(4) ابن الزبير: أبو محمد الحسن بن علي بن إبراهيم، الملقب بالمهذب: من أهل اسوان، كان كاتباً مليح الخط، جيد العبارة، حسن اللفظ، وكان شاعراً ماهراً. توفي في ربيع الآخر سنة (561هـ/1166م). انظر الأصفهاني، خريدة، ج1، ص204-225، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص51-52، الكتبي، فوات، ج1، ص337-341.

(5) العماد الأصفهاني، خريدة، ج1، ص204-225.

(6) انظر ترجمة ابن الدهان ص 129 من الأطروحة.

(7) العماد الأصفهاني، خريدة، ج2، ص279، ابن خلكان، وفيات، ج2، ص527، ج3، ص57-62.

ثالثاً طبقة العامة:-

العامة خلاف الخاصة⁽⁸⁾ في عدة أمور، أولها: في كثرتهم العددية، حيث فاقت أعداد العامة أعداد الخاصة، فيذكر الصفي (ت 764هـ/1362م): أن سبب تسمية العامة بهذا الاسم يعود إلى كثرتهم العددية⁽⁹⁾. ومصادقاً لذلك، وصفهم ابن عساكر (ت 571هـ/1175م)، " بالسواد الأعظم"⁽¹⁰⁾. أي أنهم كانوا يشملون القطاع الأوسع من الشعب.

أن قوة العامة العددية جعلت المصادر تعبر عنهم بالخلق والناس، فعلى سبيل المثال يتحدث النويري، عن مقتل شاوور سنة (564هـ/1169م) فيقول: " ولما قتل شاوور استدعى العاضد أسد الدين شيركوه⁽¹⁾، فدخل إلى القاهرة في الساعة التي قتل فيها شاوور، فرأى العوام وقد اجتمعوا فهاله ذلك، فقال لهم: " إن مولانا العاضد لدين الله أمير المؤمنين يأمركم أن تنهبوا دوره، فتفرق الناس عنه ونهبوها"⁽²⁾. ويذكر ابن واصل (ت 691هـ/1217م) الخبر السابق ذاته، فيقول: " ودخل أسد الدين القاهرة، ورأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خاف منه على نفسه، فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دور شاوور"⁽³⁾، فقصدها الناس، فنهبوها، وتفرقوا عنه⁽⁴⁾.

(8) الجوهرى، تاج، ج5، ص1993، ابن منظور، لسان، ج12، ص462، الفيروز آبادي، القاموس، ص154، الزبيدي، تاج، ج8، ص410.

(9) نكت، ص10.

(10) تبين كذب المفترى، ص351.

(1) أسد الدين شيركوه: أبو الحارث بن شاذي بن مروان، عم صلاح الدين الأيوبي، كان مقدم العساكر لقوات نور الدين التي جاءت مع شاوور لتمكينه ضد ضرغام، وقد تولى الوزارة للعاضد سنة (564هـ/1168م)، وأقام بها شهرين، وتوفي في نفس السنة. انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص479.

(2) نهاية، ج28، ص312.

(3) ابن واصل، مفرج، ج1، ص163.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص163.

ان كثرة العامة العددية جعلت المقريري (ت845هـ/1442م) يصفهم " بسائر الرعية"، فعندما تحدث عن الشونة التي أعدها الحاكم عام (395هـ/1005م)، قال: " فتخوف الناس منها كافة، من يتعلق بخدمة الدولة من الأولياء والقواد، والكتاب، وسائر الرعية من العوام"(5).

واختلف العامة عن الخاصة في مستوى المعيشة، فواردهم لا يكاد يكفي لضروريات عيشتهم، ولهذا عدهم ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1293م) في زمرة الفقراء(6)، ووضعهم القاضي النعمان (363هـ/973م) في صف مقابل للمياسير وأهل الثروة(7).

ان عيشة الكفاف التي كان العامة يحيونها، دفعتهم الى ممارسة أعمال السلب والنهب؛ لسد حاجاتهم الضرورية، فكانت حالات الفوضى التي تحدث عقب أي حرب فرصة مناسبة لهم ليقوموا بأعمال السلب والنهب، فعندما انتشرت حالة الاضطراب والفوضى العامة عقب الحرب التي شنها بهرام الأرمني ضد الموالين لحسن بن الحافظ عام (529هـ/1134م)، " نهب أوباش الناس ما قدروا عليه"(8). وبعد أن تمت هزيمة الأرمن على يد رضوان بن ولخشي عام (531هـ/1136م)، قام العامة من أهل القاهرة بنهب دور وكنائس الأرمن(9).

ولم يتورع بعض العوام عن سرقة مقتنيات المساجد، فيروي المسيحي أن عامياً سرق قنديلاً من الجامع، ولما علم القاضي بذلك، أمر بإحضار العامي وعنفه، فرد العامي: بأنه سرق مال ربه، وأنه فقير وبناته جياع(1).

ويروي ابن دقماق (ت809هـ/1406م) أن أحد الأغنياء اشتكى للمستنصر انه اشترى اردباً من القمح بسبعين ديناراً، فنهبه منه العامة(2).

(5) المقريري، اتعاض، ج1، ص357.

(6) الروضة، ص63.

(7) دعائم، ج1، ص366.

(8) المقريري، اتعاض، ج2، ص240.

(9) ابن الطوير، نزهة، ص45-46.

(1) المسيحي، أخبار، ج40، ص139.

(2) الجوهر الثمين، ص208-209.

ولعل ممارسات العامة المستمرة لأعمال النهب هي التي دفعت العاضد، لتكليفهم دون غيرهم بنهب دور شاور عقب مقتله عام (564هـ/1169م)⁽³⁾، فقال أسد الدين شيركوه للعامة: " إن مولانا العاضد لدين الله أمير المؤمنين يأمركم أن تنهبوا دوره (أي شاور)، فتفرق الناس عنه ونهبوها"⁽⁴⁾.

كما اختلفت العامة عن الخاصة في كونهم ليسوا من أصحاب السلطة، ومصداقاً لذلك أسماهم البعض بالسوقة⁽⁵⁾؛ لأن الملوك تسوقهم وفق إرادتهم⁽⁶⁾.

وقد اتسمت العامة بقصور العقل والجهل، فقد جعل ابن الجوزي (597هـ/1201م) العوام في صف مقابل للعلماء، حيث قال: " قد غمني في هذا الزمان أن العلماء لتقصيرهم في العلم قد صاروا كالعامة..."⁽⁷⁾ وعرف الذهبي (748هـ/1347م) العامي بأنه الامي الذي لا يستطيع القراءة أو الكتابة⁽⁸⁾.

(3) حول أسباب حرق العاضد على شاور، ومن ثم تعاونه مع أسد الدين شيركوه على مقتله. انظر المقرئزي، **انتعاض**، ج2، ص320-322.
(4) النويري، **نهاية**، ج28، ص312.
(5) الجاحظ، **الحيوان**، ج1، ص44، الخوارزمي، **مفاتيح**، ص128، الخطيب البغدادي، **تاريخ**، ج5، ص92.
السوقة من الناس، من لم يكن ذا سلطان. انظر الجوهري، **تاج**، ج4، ص1499، المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص315.
(6) الحريري، **درة**، ص98، ابن منظور، **لسان**، ج10، ص170.
(7) **صيد الخاطر**، ص263.
(8) **العبر**، ج3، ص132.

إن فقر العامة وجهلهم، فضلاً عن عدم مشاركتهم في السلطة، جعل أفراد المجتمع ينظرون اليهم نظرة ازدراء وتحقير، " فالرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم، وكل صناعة غيرها هاتين فليس يذكر صاحبها بعز"(9). ومصدقاً لذلك، فقد قال الطرطوشي (ت 520هـ/1126م)، عن العوام: بأنهم " لا يباليون أن يلحقوا البار بالفاجر، والمؤمن بالكافر، ويفرطون في سلك المزاح، والمهاترة والكذب"(1). وقد وردت في المصادر عدة تسميات تحط من شأن العوام، مثل الغوغاء(2)، والأوباش(3) والسفلة(4)، والرعاع(5). وإن احتقار الدولة للعامة جعلها تمنع الاشراف من التناكح منهم(6).

ورغم تدني مكانة العامة الاجتماعية، إلا أنهم شكلوا قوة كانت تحسب لهم الدولة حساباً، فكان الخلفاء " يراعون مصر وأهلها"(7)، ويبرز ذلك في حرص السلطة الحاكمة على وضوح العامة في الخطاب السياسي من حيث التوجه اليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم، فقد استدعت ست الملك - أخت الحاكم - عام (411هـ/1020م)، عامة أهل مصر إلى القصر أسوة بالخاصة، وأعلنت عليهم تنصيب الظاهر ابن الحاكم خليفة على مصر، وخاطبتهم بالحسنى، ووعدتهم بقضاء حوائجهم، وطلبت منهم عدم التردد في عرض مظالمهم إن تعرضوا لعسف من العمال أو الولاة(8).

(9) الدمشقي، الإشارة، ص 63.

(1) سراج، ص 245.

(2) الطرطوشي، سراج، ص 245. الغوغاء: السفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر. انظر ابن منظور، لسان، ج 1، ص 146.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج 2، ص 240، الأوباش: الأخلاط والسفلة، انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص 1842.

(4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص 99.

(5) الانطاكي، تاريخ، ص 279.

(6) القلقشندي، صبح، ج 6، ص 113.

(7) ابن الطوير، نزهة، ص 9.

(8) المقرئزي، اتعاض، ج 2، ص 4.

واستدعى الخليفة الظاهر سنة (415هـ/1024م) العامة إلى القصر أسوة بالخاصة، ولما اجتمعوا أعلن عليهم سجل تلقيب القائد أبي الفوارس معضاد⁽⁹⁾.

وأمر الخليفة الأمر - سنة (519هـ/1125م) - قاضي القضاة بقراءة سجل على العامة والخاصة؛ ليبرر فيه اعتقال الوزير المأمون وأخيه " فطلع قاضي القضاة، وقرأه بعد اجتماع الأمراء، وأرباب الرتب، والعوام"⁽¹⁰⁾.

وقد حرصت الدولة على رضا العامة عن طريق تأكيد البعد الديني في سياستها إزاء العامة، من خلال السير على مبدأ لا إكراه في الدين، فقد تعهد جوهر في الأمان الذي منحه للمصريين فور وصوله إلى مصر، بعدم فرض المذهب الاسماعيلي عليهم⁽¹⁾، ولم يرد ما يشير إلى تدابير قسرية مارسها الدولة لإجبار العامة على اعتناق المذهب الاسماعيلي، بل تركت أمر الاستماع للدعوة حراً من كل قيد وضغط، وكان الناس يستمعون إليها أحراراً بمحض اختيارهم، ويقبلونها، أو يرفضونها وفق مشيئتهم⁽²⁾.

وقد سعى الخليفة المعز إلى التقرب من العامة، فكان " فاضلاً، جواداً ... منصفاً للرعية"⁽³⁾، وحنق على المغاربة عندما تسلطوا - عام (363هـ/973م) - على عامة أهل الفسطاط، وأمر بترحيلهم من الفسطاط⁽⁴⁾.

وكان العزيز " حسن الخلق، قريباً من الناس"⁽⁵⁾، وهو الذي قال لعمه حيدرة " يا عم: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهم الخيل، واللباس، والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندي"⁽⁶⁾.

(9) المسيحي، أخبار، ج40، ص24-27.

(10) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص217.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص180.

(2) انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص305-317.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص189.

(4) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص210.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص320.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص288.

وكان الحاكم بأمر الله رحيماً بالعامّة، فعندما كان يركب لصلاة الجمعة " يزدحم الناس عليه بعد ركوبه من الجامع إلى القصر، فيقف ويأخذ رقاعهم، ويحادثهم، ويضاحكهم، فلم يرجع إلى القصر من كثرة وقوفه ومحادثته العوام إلى غروب الشمس، ويوقع صلوات كثيرة"(7).

وعندما ثار العوام لمقتل برجوان عام (390هـ/1000م)، أمر الحاكم بقراءة سجل عليهم، حاول فيه استقطابهم وكسب ودهم، فقال فيه: " فأقبلوا معاشر التجار، والرعية على معايشكم، واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعود لثأنكم، ولا تطغوا في أمر أنفسكم، فلأمير المؤمنين الرأي فيه وفيكم، فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة، فليمض إلى أمير المؤمنين بها، فإنه مباشر ذلك بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه... وأنتم رعايا أمير المؤمنين المفتحة لها أبواب عدله، وإحسانه، وفضله..."(8).

وحاول الظاهر كسب ود العامّة، فكان " جواداً ممدحاً، سمحاً، حليماً، محبباً إلى الرعية"(9)، وفيه رفق بالعامّة، فيذكر المقرئزي أنه لما بوبع لابنه بولاية العهد فرق على العامّة " طعام ... ما يجلّ وصفه"(10).

وجدّ الخليفة المستنصر في التقرب من العامّة، فكثرت اختلاطهم به، وكانت لهم كلمة مسموعة عنده، " فما هو (أي المستنصر) إلا أن يستخدم الوزير فيجعل نصب الأعين، ويكثر الطعن عليه حتى يعزل، فيلي بعده من يتفق له مثل ذلك؛ لمخالطة الناس الخليفة ومداخلتهم الرقاع والمكاتبات الكثيرة إليه، وكان لا ينكر على أحد مكاتبتة، فأحب الناس مخالطة الخليفة، وجعلوه سوقاً لهم، وكثروا حتى كانت رقاعهم أوقع من رقاع الصدور والرؤساء والجلّة، حتى أنه كان يصل إلى المستنصر في كل يوم ثمانمائة رقعة، فتشابها عليه الأمور، وتناقضت الأحوال، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير؛ لقصر مدة كل منهم، فإن الوزير منذ يخلع عليه ويستقر، فمن ابتغى به يؤذيه عند الخليفة"(1).

(7) المصدر نفسه، ج1، ص390.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص340-341.

(9) ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص254.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص193.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص102.

وقد أشاد الرحالة ناصر خسرو بعدل المستنصر مع العامة من الصناع، فقال: أن الصناع كانوا يعملون " برضاهم للسلطان (أي المستنصر) ، لا كما في البلاد الأخرى، حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع"⁽²⁾.

وترفق الأمر بالعامة، فكان يفرق الصدقات على المساكين"⁽³⁾. وكان العاضد " كريماً، لين الجانب"⁽⁴⁾ مع العامة، ويتجلى حرص العاضد على رضا العامة، في الرسالة التي وجهها إلى أسد الدين شيركوه عند توليه الوزارة والتي يأمره فيها؛ بإزالة البؤس والشقاء الذي لحق بالعامة من الصليبيين الذين استعان بهم شاور لنصرته على شيركوه، فيقول فيها " وخفف الوطأة ما استطعت عنهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمناً"⁽⁵⁾.

وقد حذا الوزراء الفاطميون حذو خلفائهم في التقرب من العامة، فقد حرص المأمون بن البطاحي على توفير الأمن الاجتماعي للعامة، من خلال إعطائهم أجورهم، وذلك ما أكده المقرئ في قوله: أن الوزير المأمون بن البطاحي أمر سنة (517هـ/1123م) السقائين برش ما بين الفسطاط والقاهرة مقابل دينار واحد، فاستمر ذلك يُطلق لهم إلى أيام الخليفة الحافظ، وكان سبب إطلاق هذا القدر أنه رفع للوزير المأمون أن والي القاهرة والفسطاط يأخذان جميع السقائين أرباب الجمال والدواب لرش ما بين البلدين سخرة بغير أجر. وواضح ان الواليين للقاهرة والفسطاط فعلاً ما فعلاً بعيداً عن الخليفة ووزيره، فقرر المأمون للسقائين أجراً محدداً، وأمر بإطعام السقائين طعام العشاء على نفقة والي القاهرة ومصر⁽⁶⁾.

(2) سفرنامه، ص94-95.

(3) ابن المأمون، أخبار، ص58.

(4) المقرئ، المواعظ، مج2، ص206.

(5) القلقشندي، صبح، ج3، ص146-147.

(6) المقرئ، اتعاظ، ج2، ص208.

وقد حرص أسد الدين شيركوه على رضا العامة، ويبدو انعكاس ذلك في قوله: " الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار (أي مصر) ما أردنا، وصار أهلها راضين عنا"(1).

وقد أرهبت قوة العامة صلاح الدين الأيوبي، فعندما كانت كتب نور الدين زنكي تتوالى عليه، يأمره فيها بقطع خطبة العاضد، وإقامة الخطبة للعباسيين، كان صلاح الدين يعتذر في كل مرة؛ خوفاً من تبدل المصريين عليه(2).

وترى الباحثة أن حرص السلطة الحاكمة على رضا العامة، كان ذا بعد سياسي، حيث أن قوة العامة العديدة جعلت السلطة الحاكمة تخشى أن تغضبهم حتى لا تدخل في غمارهم، حيث أدركت أن ذلك أصلح في تسيير أمور الدولة، ويبدو أنها سارت على مبدأ " إن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة " (3).

وربما جاء حرص الخلفاء على رضا العامة؛ لأغراض تتصل بنشر المذهب الاسماعيلي، فقد اتخذ الخلفاء المال وسيلة لارضاء العامة حتى يعتنقوا المذهب الاسماعيلي، وقد ظهر استخدام الأموال في سبيل نشر المذهب الاسماعيلي واضحاً في أيام الخليفة الحاكم، فيروي الداعي ادريس القرشي أن الانفاق ازداد في عصر الحاكم، إذ أعطى الناس فوق ما اعتادوه من الأرزاق، وكان يتصدق على الفقراء والمساكين بالأموال، فتوافد الناس على بابه للأخذ من ماله، والدخول في مذهبه، فأنفق في سبيل ذلك مالا كثيراً(4).

وكان الخليفة الظاهر يستخدم الأموال لخدمة المذهب، فكان يأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب الوزير ابن كلس في الفقه على مذهب آل البيت، وفرض الظاهر لمن يحفظ ذلك مالا(5).

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص249.

(2) ابن خلكان، وفيات، ج7، ص157.

(3) أبي عبد الله الكافي الحنفي، سيف الملوك والحكام، ورقة 8.

(4) القرشي، عيون، ص294.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص192.

ويمكن القول أن السلطة الحاكمة حرصت على رضا العامة؛ حتى تستفيد من إمكانياتهم، فهم أداة للخاصة تطول بها على العدو⁽⁶⁾، ومركز الخاصة يعتمد على العامة؛ لأنهم أكثرية، وكثيراً ما حاول الخلفاء والوزراء اللجوء اليهم طلباً لتأييدهم ومعاونتهم، وكان انحيازهم – أحياناً- بجانب أحد الأطراف المتنازعة له أثره الفعال في اختلال موازين القوى، ورجحان كفة على أخرى⁽⁷⁾.

وقد عرف العوام أشكالاً من الوعي متطورة بالنسبة لثقافتهم، فكان وقوفهم دائماً بجانب الأقوى ومن تربطهم به مصلحة، حيث أن رعاية الحافظ للعوام، وسعيه لكسب ولائهم، وتخفيضه أسعار السلع عنهم⁽¹⁾، جعلهم يتعاونون معه في صراعه مع وزيره رضوان بن ولخشي، فيذكر المقرئزي أنه كان للعامة دور فاعل في انتصار الحافظ على وزيره رضوان عام (533هـ/1138م)، حيث خرج صبيان ونساء العوام للمناداة بإسقاط رضوان، وصاحوا جميعاً بالحافظية، ولما انهزم ولم يكن له قبل بمواجهتهم، فر إلى الشام، فاقتحم العامة داره ونهبوها، ولم يتركوا فيها شيئاً⁽²⁾.

وقد تجلى تذبذب العامة في ولائهم السياسي بين هذا وذاك، بما يتفق ومصالحهم، في الحرب التي دارت بين الوزير عباس وابنه نصر من جهة، وبين طلائع بن رزيك من جهة أخرى.

(6) الجاحظ، العثمانية، ص250.
(7) انظر ص 139-140 من الأطروحة.
(1) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص247.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص249-250.

فعندما قام نصر بن الوزير عباس الصنهاجي بقتل الخليفة الظافر عام (549هـ/1154م) استدعى أهل القصر طلائع بن رزيك - والي الغربية وقتئذ- للثأر من الوزير عباس وابنه نصر، وفي عشية الحرب التي نشبت بين الوزير عباس وابنه نصر من جهة، وبين طلائع بن رزيك من جهة أخرى، تعاون العامة مع عباس وابنه نصر، إلا أنهم ما لبثوا أن " تفرقوا عنه (أي عباس) ... إلى طلائع بن رزيك"⁽³⁾؛ لأنهم شعروا برجحان كفة طلائع، نتيجة لتفريق الأمراء والجنود عن عباس⁽⁴⁾، ورمى العوام عباس من إحدى الطاقات أثناء مروره في الشوارع بهاون، ومرة أخرى بقدر مملوءة طعاماً حاراً، فاضطر إلى الفرار، ونهب العوام داره، ودار ابنه، وعندما قبض عليه الفرنج وأرسلوه في قفص من حديد خرج العوام عند قدومه إلى القاهرة، وبالغوا في سبه ولعنه⁽⁵⁾. وعندما دب الخلاف بين شاور وشيركوه عام (559هـ/1163م)، وهزم شيركوه شاور، وأسر شقيقه، وكاد أن يدخل القاهرة، واستطاع أن يفتح ثغرة في سورها، استنفر الخليفة العاضد عامة أهل القاهرة إلى دفع شيركوه، وأخرج معهم حرسه الخاص، وقد تعاون العوام مع العاضد ضد شيركوه، وتمكنوا من صد شيركوه، وسد الثغرة⁽⁶⁾. ويمكن أن يعزى تعاون العامة مع العاضد ضد شيركوه، إلى سياسة العاضد الرحيمة إزاء العامة⁽⁷⁾.

وقد وقف العامة من صلاح الدين موقف المناوئ، واشتركوا في المؤامرة التي قام بها السودان ضده عام (564هـ/1169م)؛ بسبب تجلي استبداده بالأمور، وعزمه " على إزالة الدولة"⁽¹⁾. ويمكن أن يعزى موقف العامة في مواجهة صلاح الدين، إلى رغبتهم في بقاء الدولة الفاطمية؛ لما تمتعوا فيها من عطف ورعاية⁽²⁾.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص275.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص276.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص277-278.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص307.

(7) حول سياسة العاضد الرحيمة إزاء العامة انظر ص 137 من الأطروحة.

(1) المقرئ، المواظ، مج2، ص205.

(2) حول سياسة الدولة الفاطمية الرحيمة إزاء العامة، انظر: ص 135-138 من الأطروحة.

ويبدو أن صلاح الدين قد أدرك أن ولاء العامة السياسي لأي طرف مرتبط بمصلحتهم، فمن أجل تحقيق هدفه، وهو إسقاط الخلافة الفاطمية، سعى لكسب رضا العامة، حتى يستميلهم للوقوف إلى جانبه، فألغى عام (567هـ/1171م) ثمان وثمانين جباية كانت قد فرضت عليهم، وقرىء سجل بذلك عليهم عام (567هـ/1171م)⁽³⁾.

ويبدو أن صلاح الدين نجح في مسعاه، فتبدل موقف العامة منه، " فمال الناس إليه وأحبوه"⁽⁴⁾، وعندما أسقط الخلافة الفاطمية تخلى العامة عن موقفهم المناوئ له⁽⁵⁾، وآثروا تقبل تصرفه حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية، فعندما قطع خطبة العاضد الفاطمي الإسماعيلي عام (567هـ/1171م)، وأقام الخطبة للمستضيء بنور الله العباسي السني " لم يتحرك مخالف لذلك ولا منكر له"⁽⁶⁾، وذكر المؤرخون أنه عندما قطع الخطبة للعاضد " لم ينتطح فيها عنزان"⁽⁷⁾، بل أصبح عامة مصر الدرع القوي الأول لصلاح الدين " فانطلق به تحذوه قلوبهم، وتدفعه عزماتهم، وتؤيده جموعهم"⁽⁸⁾.

وأن موقف العامة السلبي من سقوط الخلافة الفاطمية الإسماعيلية، والدعاء للخليفة العباسي السني، وتأبيدهم لصلاح الدين عقب إسقاطه للخلافة الفاطمية، يؤكد أنهم لم يرتبطوا بالخلافة بولاء روحي، وأن التأييد السياسي من جانب العامة للخلافة الفاطمية، عندما عزم صلاح الدين على إزالتها عام (564هـ/1169م)، كان ذا هدف نفعي كما بينا.

(3) إبراهيم بن وصيف شاه، تاريخ أخبار الديار المصرية، ورقة 67.

(4) ابن خلكان، وفيات، ج7، ص155.

(5) Arthur Goldschmidt: Oconcise History of the Middle East, P.89

(6) ابن واصل، مفرج، ج1، ص201.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص201، ابن كثير، البداية، ج12، ص268.

(8) العماد الأصفهاني، الفتح القسى، ص22.

كما ان موقف العامة السلبي من سقوط الخلافة الفاطمية الاسماعيلية، وعودة مصر إلى قلب العالم الاسلامي السني، يدل على أن المذهب الاسماعيلي لم يتغلغل في عقيدتهم بشكل يجعلهم يؤمنون به، ويدافعون عن بقائه. وقد أكد المؤرخون عدم تمكن المذهب الاسماعيلي في نفوس المصريين⁽⁹⁾، فذكر البغدادي أن غالبية المصريين المسلمين كانوا عند سقوط الخلافة الفاطمية على المذهب السني⁽¹⁾.

ومما يؤكد عدم اعتناق المصريين للمذهب الاسماعيلي، رد أهل الاسكندرية على شاور والصليبيين عندما سألوهم أن يسلموهم صلاح الدين، فقالوا: " معاذ الله ان نسلم المسلمين إلى الفرنج والاسماعيلية"⁽²⁾.

وأن سرعة تواري المذهب الاسماعيلي واختفائه عقب سقوط الخلافة الفاطمية مباشرة، لمما يؤكد قلة معتنقيه، وعدم تمكنه في نفوس المصريين، فبعد سقوط الخلافة الفاطمية – كما يقول المقريري - " ... اختفى مذهب الشيعة من الامامية والاسماعيلية إلى أن نسي من مصر"⁽³⁾. كما أكد ابن واصل أنه بعد سقوط الخلافة الفاطمية " اشتهر مذهب الشافعية، واندرس مذهب الإسماعيلية كله وانمحى أثره"⁽⁴⁾.

ويدخل في طبقة العامة:

الباعة:- " وهم متوسطو الحال من التجار"⁽⁵⁾، الذين يتولون بيع المواد الاستهلاكية الضرورية لحياة الناس⁽⁶⁾. ويقسم الباعة إلى قسمين: باعة ثابتون، وباعة متجولون.

(9) ليس المجال هنا للحديث عن أسباب فشل الفاطميين في نشر المذهب الاسماعيلي في مصر حول ذلك انظر: كلود كاهن: تاريخ العرب، ص249، عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص 13، 70، 368، محمد كامل، التشيع في الشعر، ص60، علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية، ص118.

(1) الفرق، ص275.

(2) الحنبلي، شفاء القلوب، ورقه 7.

(3) المقريري، المواعظ، مج2، ص293.

(4) ابن واصل، مفرج، ج1، ص211.

(5) المقريري، اغاثة، ص73-74.

(6) الغزولي، مطالع، ج2، ص23.

اما الباعة الثابتون: فهم أصحاب الحوانيت في الأسواق، وكانوا أصنافاً مختلفة باختلاف المواد التي يبيعونها، فمنهم باعة اللحوم المشوية⁽⁷⁾، والشموع⁽⁸⁾، والزيوت، والأجبان، والخضار، والأمتعة⁽⁹⁾، والمآكل المختلفة⁽¹⁰⁾.

وكان صغار الباعة الذين لا يملكون حوانيت في سوق القصبية يطلق عليهم " أصحاب المقاعد"؛ لأنهم " يجلسون على الأرض في طول القصبية بأطباق الخبز، وأصناف المعاش" ⁽¹¹⁾. ويبدو أن هؤلاء الباعة كانوا مصدر قلق وإزعاج لأصحاب الحوانيت، فكان افتراشهم أمام الحوانيت يؤدي إلى حدوث مشاحنات بينهم وبين أصحاب الحوانيت التي يبيعون أمامها أو قريباً منها؛ لأنهم قد يبيعون نفس الأصناف من البضائع التي يبيعها أصحاب الحوانيت، ومن المحتمل أنهم يتساهلون في الأسعار؛ لجذب المشتريين، حيث إنهم لا يتكبدون نفقات امتلاك حانوت او استئجاره، مما كان يدفع أصحاب الحوانيت إلى الشكوى من أصحاب المقاعد، وكانت الدولة تتدخل عن طريق أجهزتها المسؤولة عن الأسواق، لمنعهم من الإقامة أمام الحوانيت⁽¹⁾. ويبدو أن أعداد الباعة " أصحاب المقاعد " في القاهرة، كانت من الكثيرة، بحيث كانت تصدر لهم الأوامر بعدم الجلوس في الطرقات " لما يحصل بهم من تضيق الشوارع"⁽²⁾.

(7) المقريري، **المواعظ**، مج3، ص331.

(8) المصدر نفسه، مج3، ص319.

(9) المصدر نفسه، مج3، ص318-319.

(10) المصدر نفسه، مج3، ص317.

(11) المصدر نفسه، مج3، ص316.

(1) المقريري، **المواعظ**، مج3، ص316، عبد المنعم سلطان، **الأسواق**، ص19، عثمان، محمد عبد الستار، (1988م). **المدينة الإسلامية**، مجلة عالم المعرفة، ع128، الكويت، ص266.

(2) المقريري، **المواعظ**، مج3، ص316.

أما الباعة المتجولون: فهم الذين يجوبون الدروب، ويمرون على الدور ببياعاتهم⁽³⁾، وكانوا ينادون على بضائعهم بعبارات استحسنان لجلب الشاري⁽⁴⁾، ومن الباعة الجائلين من يحمل بضائعه في أقفاص خشبية فوق رأسه، كباعة الحلوى واللحوم المشوية⁽⁵⁾، ومنهم من يطوف ببضاعته على عربات، كباعة الفول⁽⁶⁾. وكان السقاؤون يحملون الماء على ظهورهم في الجرار النحاسية، ويجوبون المنازل لبيعه⁽⁷⁾.

وثمة تفاوتاً اقتصادياً واجتماعياً بين الباعة، فقد عد المقريري كبار الباعة من بياض العامة⁽⁸⁾، فعندما تحدث عن بعض أسواق القاهرة ذكر أن تجارها كانوا من بياض العامة، وقد سُمي صغار الباعة " بالسوقة"⁽⁹⁾.

لقد لعبت الأسواق دوراً في حياة القاهرة الاجتماعية والاقتصادية، فكل ما كان يحدث في القاهرة من حدث مهم، يلقي صده في الأسواق. فكانت هناك بعض المناسبات الاجتماعية والسياسية التي تغلق فيها الأسواق، ويتعطل فيها نشاط الباعة التجاري. فعندما قتل عدد هائل من العساكر المصرية على يد الثائر أبي ركة عام (396هـ/1005م)، " غلقت الأسواق، وجلس الناس بالشوارع، غماً لما جرى على العسكر "⁽¹⁰⁾

وقد أغلق أصحاب الحوانيت والمتاجر أسواقهم وحوانيتهم عام (399هـ/1008م)؛ احتجاجاً على صدور الأمر باعتقال القاضي عبد العزيز بن النعمان، مما جعل الحاكم يصدر قراره بالعفو عنه.⁽¹¹⁾

(3) الغزولي، مطالع، ج2، ص23، عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1980) الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج11، ع1، ص89.

(4) الغزولي، مطالع، ج2، ص23.

(5) المقريري، المواعظ، مج3، ص320.

(6) الغزولي، مطالع، ج2، ص23.

(7) ناصر خسرو، سفرنامه، ص106.

(8) المقريري، المواعظ، مج3، ص330.

(9) ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص39.

(10) المقريري، اتعاظ، ج1، ص364.

(11) المصدر نفسه، ج1، ص372.

وصدرت الاوامر عام (404هـ/1013م) بإغلاق الاسواق ثلاثة أيام من آخر حزن عاشوراء، فيقول المقريري: " فلما كان يوم عاشوراء أغلقت سائر حوانيت مصر والقاهرة بأسرها"⁽¹⁾

ولقد عانى الباعة كغيرهم من الفئات من جشع العبيد، فقد تعرضوا في بعض الأحيان للنهب والسلب من العبيد، مما ترتب عليه تعطيل نشاطهم التجاري، فقد قام العبيد (عام410هـ/1019م) بكسر الدكاكين التي وراء الجامع الأزهر، ومنها دكاكين النحاسين والبرازين ودار الشمع وغيرها من الأسواق، وأخذوا ما فيها، وخطوا العقاقير بعضها ببعض، وخطوا الزيت بالمياه، وأفسدوا كل شيء بغيره، وأشعلوا النيران في أبواب القياسر المجاورة للجامع بعدما نهبوا ما بداخلها⁽²⁾.

ولم يمارس الباعة تجارتهم بحرية مطلقة، فقد خضع النشاط الاقتصادي للباعة لإشراف الدولة من خلال عدد من الموظفين أهمهم المحتسب، الذي كان يقوم بالتفتيش على بضائع الباعة، من حيث الجودة والرداءة، وكان يعين نواباً عنه يطوفون على الباعة يتفحصون تجارتهم، ويراقبون المكاييل والموازين والاسعار، ويفرضون عليهم الأنظمة والقوانين التي تضمن للمشتريين بضاعة جيدة⁽³⁾.

ويبدو أن رقابة هؤلاء النواب على الأسواق كانت من الشدة، بحيث كان البرازين وتجار الجواهر والسيارة لا يغلون أبواب دكاكينهم أبداً، بل يسدلون الستائر، ولا يمكن المساس بها، أو السطو عليها⁽⁴⁾.

(1) اتعاض، ج1، ص387.

(2) الأنطاكي، تاريخ، ص346-347.

(3) انظر الشيزري، نهاية، ص6-25، ابن الأخوة، معالم، ص13-30، العبادي، عبد الحميد، (1955م). كتب الحسبة وفانديتها في وضع المعجمين الوسيط والكبير، مجلة مجمع اللغة العربية، ج8، القاهرة، ص422-430.

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص121.

وينضوي إلى طبقة العامة، الصناع، وهم الذين يزاولون مهنة معينة، ويعملون بأبدانهم، وأدواتهم، وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصالح معيشة الحياة الدنيا⁽⁵⁾.

وكان الصناع يتدرجون في المهنة التي يشتغلون فيها، فكانت أول درجاتها: المبتدئ، الذي يدخل في الصناعة لأول مرة، ثم الصانع الذي يتعلم الصناعة من الاستاذ، ثم الخليفة، وهو الذي يساعد الاستاذ في المهنة، ثم الاستاذ⁽⁶⁾. وكان الاساتذة بمرتبة الأدلاء، وقيل أنه لا بد لكل صانع من البشر أستاذ يتعلم منه صنعته⁽⁷⁾. وأخيراً رئيس الحرفة او الصناعة⁽⁸⁾. واكتسب رؤساء الصناع أهمية خاصة باعتبارهم ذوي خبرات عالية، فكان أعضاء الصناعة يحلفون بحياة رئيسهم⁽¹⁾. وقد وجه الاهتمام إلى معرفة أسرار الصناعة، فلم يسمح لأحد بأن يمارس شيئاً لا يحسنه، ولا يتعلم أسرارها⁽²⁾.

والحق أن الصناع كانوا يقومون على سد حاجيات المجتمع بما تحت أيديهم من مواد يمكن تصنيعها⁽³⁾، فهم "الذين بهم قوام العيش في الأيام"⁽⁴⁾؛ ولذا عمل المعز بعد قدومه إلى مصر - عام (362هـ/972م) - على جلب كل من هو ماهر في صنعته "وأفرد لهم مكاناً برسهم"⁽⁵⁾. كما أنشأ الفاطميون حول القصر الشرقي مبنى عرف "بالمناخ السعيد"، كان مقراً للصناع والفعلة الذين كانوا يقومون على سد حاجيات القصور، وساكنيها بما تحت أيديهم من مواد يمكن تصنيعها⁽⁶⁾.

(5) أخوان الصفا، رسائل، ج1، ص285-286، السيد أبو سديرة، الحرف، ص401.

(6) أخوان الصفا، ج1، ص280.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص294.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص238.

(1) أخوان الصفا، رسائل، ج1، ص289.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص289.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص284.

(4) القلقشندي، صبح، ج3، ص210.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص214.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص141، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص456.

وكانت لأهمية الصناعات والحرف في المجتمع، وما شكلته من مورد اقتصادي للدولة، أن أصبحت بعض الحرف والصناعات تخضع لرقابة وإشراف من الدولة، حيث جعلت الدولة لكل طائفة حرفية عريف⁽⁷⁾، علل الشيزري (ت589هـ/1193م) وجوده بقوله: "ولما لم تدخل الإحاطة بأفعال السوق تحت وسع المحتسب جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها، خبيراً بصناعتهم، بصيراً بغشوشهم وتداليساتهم، مشهوراً بالثقة والأمانة، يكون مشرفاً على أحوالهم، ويطلعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع"⁽⁸⁾.

والعريف بصفته رئيساً للطائفة الحرفية كان هو الواسطة بين أرباب المهنة والحكومة، فكان ينقل إليهم أوامر الحكومة وتعليماتها، كما تدل على ذلك عبارة المقريري عند حبس المعونة، فيذكر: "أنه في سنة (517هـ/1123م) تقدم أمر المأمون بن البطاحي (الوزير الفاطمي) إلى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين، وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة، بحضورهم متى دعت الحاجة إليهم ليلاً ونهاراً"⁽⁹⁾.

لقد كانت الرابطة بين أهل الصناعات قوية، وكان كل يشعر بالارتباط الوثيق بأهل صنعته، فقد بلغ التكتل الحرفي بين الصناع إلى حد التعصب للمهنة، فصاحب كل صناعة يتعصب لها ويعتبرها أهم من غيرها وأن حاجة الناس إليها أشد⁽¹⁾، وكان التعصب للصناعة أمراً شائعاً بين أهل الأصناف، فصار من شعارهم "الصناعة نسب"⁽²⁾.

وقد تمثل الارتباط بين أعضاء الحرفة الواحدة في التمرکز الجغرافي الذي جمع أرباب الحرفة الواحدة في السكن أو في السوق، فقد ذكر ابن عبد الظاهر أن "كل حارة من حارات القاهرة بلد مستقلة بالبرازين، والبياعين، والجزارين، وغير ذلك"⁽³⁾.

(7) العريف: "هو عريف القوم والقيم بأمرهم، الذي عرف وشهر". انظر الزمخشري، أساس، ص415-416.

(8) نهاية الرتبة، ص12.

(9) المقريري، المواعظ، مج2، ص515، المقريري، اتعاض، ج2، ص207.

(1) ابن خلدون، العبر، ج2، ص214-215.

(2) الجهشياري، الوزراء، ص27، الدوري، عبد العزيز، (1959م). نشوء الأصناف والحرف، مجلة كلية

الآداب، جامعة بغداد، ج8، ع1، ص27.

(3) الروضة، ص137.

ويتصل بالتماسك الحرفي والشعور بالكيان لدى أهل الصنایع، انتشار الانتساب إلى المهنة، فقد ورد في المصادر ذكر شخصیات عديدة الحق بأسمائها أسماء مهنيهم أو مهني أبائهم، فقد ورد في عقد زواج بأوراق البردي اسم أبي السري الخياط⁽⁴⁾، وورد في أحد عقود الزواج الواردة في أوراق البردي اسم علي بن رحا الطحان، وهو والد الزوجة، ويفهم من العقد أنه كان يعمل طحاناً⁽⁵⁾. كما وجد اسم عمر بن أبي بكر البزاز على عمود رخام مؤرخ في 27 رجب سنة (537هـ/1143م)، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي⁽⁶⁾.

وتظهر العلاقة التضامنية بين أعضاء الحرفة الواحدة في اشتراكهم مع بعض في تشييع الجنائز، فعندما توفي أبو العباس أحمد بن محمد الديبني الخياط عام (393هـ/1008م)، "كانت له جنازة عظيمة جداً مشهورة لم يتأخر عن حضورها أحد من الناس"⁽⁷⁾.

لقد عانى الصانع من العوز، والفقر، فواردهم لا يكاد يكفي لضروريات عيشهم، وخير تقدير لحالتهم المادية قول أبي الفضل الدمشقي: "وأما الصنائع العملية، وهي المهن، فقد قيل قديماً الصناعة في الكف أمان من الفقر، وأمان من الغنى، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد منه، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد لقمة"⁽⁸⁾. ويرى أبو القاسم الحريري (ت 516هـ/1122م) أن حرفة الصناعة غير فاضلة عن الأوقات، ولا نافعة في جميع الأوقات، ومعظمها معصوب بشيبيية الحياة⁽⁹⁾.

(4) جروهمان، أوراق، ج1، ص224، عقد رقم 270، لوحة 19، مؤرخ في سنة (459هـ/1066م)
(5) جروهمان، أوراق، ج1، ص96-99. عقد زواج رقم 44، لوحة 16، مؤرخ في سنة (419هـ/1028م).
(6) حسن الباشا، الفنون، ص302.
(7) الشارعي، مرشد الزوار، ق2، ورقة 111.
(8) الدمشقي، الإشارة، ص43.
(9) مقامات، ص435.

لقد كان الصنّاع - أحياناً - موضع تندر وسخرية، حيث وردت في المصادر عدة أوصاف تحط من شأنهم، فقد وصف الحاكة بالخسة⁽¹⁾، وتشير المصادر إلى أصحاب حرف عرفت بالحرف الرذيلة، مثل الحجام، والدباغ⁽²⁾، والمصور، والرقاص⁽³⁾، والزمار، والزبال⁽⁴⁾. وقد انطلقت السنة الصنّاع بالأمثال الشعبية التي تشير إلى قيمة صناعاتهم، وربما تعتبر بمثابة الرد على ما كانوا يتعرضون له من السخرية والازدراء، فقالوا: " من لم يحترف لم يعتف" ⁽⁵⁾، وقالوا: " كلب طائف خير من أسد رابض" ⁽⁶⁾. ومن العامة، العاطلون عن العمل، وقطاع الطرق⁽⁷⁾، والفلاحون⁽⁸⁾. ويمكن وضع الرقيق المتمثل في الخدم⁽⁹⁾، والجواري⁽¹⁰⁾ في أسفل السلم الاجتماعي لطبقة العامة؛ باعتبارهم مماليك.

المرأة:

تدخل المرأة في أي طبقة حسب موقعها من المال والسلطة. وكانت المرأة في العصر الفاطمي محط اهتمام الدولة، فقد جعلت الدولة لها نصيباً من مجالس الدعوة الاسماعيلية، فكان داعي الدعوة " يفرد ... للنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً، وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً" ⁽¹¹⁾.

- (1) أبو الصلت، الرسالة المصرية، ج1، ص38-39.
- (2) الغزالي، إحياء، ج2، ص131-132.
- (3) الرقاص: عامل البناء، من ترقص، أي ارتفع وانخفض. انظر الزمخشري، أساس، ص361.
- (4) ابن عمار، الفتوة، ص39-40.
- (5) الأبيهي، المستظرف، ج2، ص57-58.
- (6) المصدر نفسه، ج2، ص57.
- (7) الشيزري، نهاية، ص113.
- (8) النابلسي، الفيوم، ص67. R.stephen Humphre: Islamic History AFramework for Inquiry, cairo, the American university, 1992, p.284.
- (9) ناصر خسرو، سفرنامه، ص105. المقرئزي، المواعظ، مج2، ص608.
- (10) حول الجواري انظر ص 152-156 من الأطروحة.
- (11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص307.

وخصّصت الدولة أماكن لايواء النساء من العجائز والأرامل⁽¹²⁾. كما أنشأت الحكومة أديرة خاصة بالراهبات ونساء النصارى، فكان في حارة زويلة " دير عامر بالأبكار المترهبات، وغيرهن من نساء النصارى"⁽¹³⁾.

وقد أولت الدولة رعاية خاصة لنساء القصر، فجعلت من يشرف على شؤونهن⁽¹⁴⁾، وخصّصت لهن أطباء يتولون علاجهن⁽¹⁵⁾، وقررت لهن كسوات سنوية⁽¹⁶⁾.

وقد امتدت رعاية الدولة لنساء القصر إلى ما بعد وفاتهن، فكان كاتب ديوان المجلس يكلف بالاشراف على ما يخرج من الأكفان لمن يمتن من حريم القصر⁽¹⁾.

لقد تمتعت نساء العصر الفاطمي بصفة عامة، بالاحترام والنفوذ، فكان لهن دور على الساحة السياسية، وهناك اشارات كثيرة تثبت تدخل بعض نساء الخلفاء في شؤون الحكم، والمشاركة في توجيه سياسة الدولة، فكان الخليفة الحاكم يستشير ست الملك⁽²⁾ في أمور الدولة⁽³⁾. وقد دبّرت ست الملك أمور الدولة بعد فقد أخيها الحاكم فترة استغرقت خمس سنين وثمانية أشهر " أعادت فيها للملك غضارته، واستردت بهجته، وملأت الخزان بأصناف الأموال، وقلدت الأكفاء جلائل الأعمال، واصطنعت الرجال"⁽⁴⁾.

وأصبح نفوذ ست الملك في عهد الظاهر من القوة، بحيث " ضبّطت المملكة، وقومت الأمور بحسن رأي وتدبير، وكان لا ينفذ امر جل أو قل الا بتوقيع يخرج عنها"⁽⁵⁾.

(12) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص865، 856.

(13) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص1055.

(14) المصدر نفسه، مج2، ص323.

(15) القلقشندي، صبح ج3، ص220، ناريمان عبد الكريم، المرأة، ص45.

(16) ابن الطوير، نزّهة، ص75.

(1) ابن الطوير، نزّهة، ص75.

(2) ست الملك: ابنة الخليفة العزيز، وأخت الخليفة الحاكم. توفيت سنة (415هـ/1024م). انظر المقرئزي،

اتعاض، ج2، ص40.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص60.

(4) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص40.

(5) ابن عذاري، البيان، ج1، ص271.

ومن النساء اللاتي قدر لهن أن يلعبن دوراً بارزاً في تصريف شؤون البلاد السياسية، " أم المستنصر" التي كان لها دور في تعيين بعض الوزراء وإقالتهم⁽⁶⁾، وكان لها دور فاعل في تعزيز دور العبيد في بداية عهد المستنصر " فخصتهم (أي العبيد) بالنظر وبسطت لهم الرزق حتى صار العبد يحكم حكم الولاة"⁽⁷⁾، ودعمتهم ضد الأتراك⁽⁸⁾.

وكان المستنصر يطلع أخته على أمور الدولة، فقد استدعاها قبيل وفاته، وقبل يديها، واستوصاها بولاية العهد لابنه المستعلي، وبعد وفاته سألها الأفضل بن بدر الجمالي، يا مولاتنا من عينه الخليفة للخلافة؟ فقالت له: هي أمانة قد عاهدني عليها، وأوصاني بأن الخليفة من بعده ولده " أبو القاسم أحمد"⁽⁹⁾.

وكان لنساء القصر دور فاعل في التخلص من بعض الوزراء المستبدين في السلطة، فعندما قتل نصر ابن الوزير عباس الخليفة الظافر، بادرت نساء القصر وعلى رأسهن أخت الظافر إلى قص شعورهن، وبعثن بها إلى طلائع بن رزيق في طي الكتب التي أرسلنها إليه يستنجدن به على عباس، وابنه نصر للأخذ بثأر الظافر⁽¹⁾، وقد استجاب طلائع لطلب نساء القصر، وبعد وصوله إلى القاهرة سنة (459هـ/1154م)، هرب عباس وابنه نصر ومن معه من القاهرة، قاصدين الشام عندما شعروا بعجزهم عن مواجهة المعارضة وطلائع. وفي أثناء ذلك أرسلت أخت الخليفة الظافر كتباً إلى الفرنج في القدس تطلب منهم المساعدة للقبض على عباس وابنه نصر، وعرضت عليهم أموالاً جلييلة، فاستجابوا لطلبها، فقبضوا على عباس وجموعه، وقتلوه في 23 ربيع الآخر سنة (549هـ/1154م)⁽²⁾.

(6) انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج2، ص106، وانظر ناريمان عبد الكريم، المرأة، ص212-215.

(7) ابن ميسر، أخبار، ص25، المقريزي، **اتعاظ**، ج2، ص106.

(8) ابن ميسر، أخبار، ص31-32، الذهبي، سير، ج15، ص19.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص100-101.

(1) ابن منقذ، الاعتبار، ص4، ابن الطوير، **نزهة**، ص70، ابن ميسر، أخبار، ص49.

(2) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص400، رنسيان، تاريخ الحروب، ج2، ص591.

وقد استعانت ست القصور- أخت الخليفة الظافر الصغرى- بالسودان على قتل الوزير طلائع بن رزيك؛ بسبب مضايقاته المستمرة لأهل القصر، فقتلوه في رمضان سنة (556هـ/ 1160م)⁽³⁾.

وقد كانت نساء العامة أداة المجتمع في التعبير عن سخطه إزاء سياسة الدولة الجائرة في بعض الأحيان. فقد جاء صدى سخط المسلمين على سيطرة الذميين على البلاد في عهد العزيز، في رقعة كتبها امرأة واعترضت بها موكب العزيز، وسلمتها له، جاء فيها " بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشأ بن ابراهيم، وأذل المسلمين بك، الا نظرت في أمري وكشفت ظلامتي"⁽⁴⁾.

وقد أعربت امرأة عن سخطها على ما وصلت إليه البلاد من غلاء في عهد المستنصر، فباعت عقدها الذي تصل قيمته إلى الف دينار بقطعة خبز، ووقفت تصيح وتندب بأيام المستنصر التي عانى الناس فيها من البؤس والشقاء⁽⁵⁾.

ولقد كان لنساء العامة دور على الساحة السياسية فشاركن الرجال في التعبير عن تأييدهم أو رفضهم لأحد الأمور السياسية، ففي عام (533هـ/1138م) في أثناء الصراع بين الخليفة الحافظ، ووزيره رضوان بن ولخشي، يذكر المقرئزي: أن الصبيان والنساء من العوام قد خرجوا للمناداة بأسقاط رضوان، وصاحوا جميعاً بالحافظية، ولما انهزم ولم يكن له قبل بمواجهتهم، اقتحموا داره التي كانت دار الوزارة، ونهبوها، ولم يتركوا فيها شيئاً⁽⁶⁾.

(3) عماد الدين الأصفهاني، البستان، ص341، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص289-290.

(4) ابن القلانسي، تاريخ، ص56-57.

(5) المقرئزي، اغاثة، ص25.

(6) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص250-549.

وقد كانت المرأة في موضع القوة غالباً، فكانت غلبة النساء على الرجال في العصر الفاطمي أمراً مسلماً به⁽¹⁾. وقد عكست عقود الزواج الواردة في رسائل الجنيزة قوة المرأة، فقد فرضت المرأة في تلك العقود شروطاً قوية على الزوج. ففي عقد زواج عقد في عام (541هـ/1146م) اشترطت العروس على العريس ألا يتخذ زوجة ثانية، وأن تكون خادمة المنزل من اختيارها، أو بعد موافقتها، وفي حالة وفاتها بدون انجاب أطفال يرد نصف مهرها إلى عائلة أبيها. وقد كانت العروس تمتلك ضيعة اشترطت على العريس أن يجارها سيكون ملكاً خاصاً بها⁽²⁾.

وقد تشترط العروس في عقد الزواج اختيار محل إقامتها، ففي عقد زواج عُقد في عام (541هـ/1146م)، أعطي للعروس حق اختيار محل إقامتها⁽³⁾.

وانعكست قوة المرأة في عقود الزواج التي وردت في أوراق البردي، ففي عقد زواج تم سنة (419هـ/1028م) اشترطت الزوجة على الزوج أن يتقي الله فيها، ويحسن صحبتها ومعاشرتها، عملاً بما جاء في القرآن الكريم، الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان⁽⁴⁾.

وخير شاهد على تمتع النساء بالاحترام والنفوذ، تلك الألقاب التي اطلقها الناس على نساءهم وبناتهم، فكانت زوجة الخليفة تلقب " بالجهة"⁽⁵⁾، ولقبت السيدة تغريد زوجة المعز بأم الأمراء⁽⁶⁾. ولقبت السيدة أخت المستنصر بالسيدة الطاهرة، الشريفة، الملكة، الكريمة، الرؤوفة الرحيمة⁽⁷⁾. ولقبت أم المستعلي: بالسيدة الملكة، الكريمة، الرؤوفة، الرحيمة⁽⁸⁾. وأسبغت على نساء العامة القاباً تعكس نفوذهن، ومنها ست الناس، وست الزمان، وست الكل، وست الملاح⁽⁹⁾، وست الرياض⁽¹⁰⁾.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص348.

(2) Goitein: op.cit, v.3.pp.85

(3) Ibid, v.3, pp.84-85.

(4) جروهمان، أوراق، ج1، ص96-99.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص75.

(6) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص176.

(7) السجلات المستنصرية، ص96-176.

(8) المصدر نفسه، 109-171.

(9) Goitein, op.cit, v.II.pp.316-318.

(10) Ibid: v.II.p.433.

لقد تمتعت المرأة بحرية العمل، حيث تعددت الأعمال التي قامت بها، فعملت بالتجارة، وكانت تتمتع بحرية البيع والشراء⁽¹¹⁾، فيتحدث ناصر خسرو عن سوق النحاس وأهميته، وكيف أن النساء كن يمتلكن الأواني النحاسية، ويؤجرنها بدرهم في الشهر، شريطة أن تسلم في نهاية المدة سليمة⁽¹²⁾.

وقد حفلت أوراق البردي بالعديد من عقود البيع والشراء للعقارات، التي مارست فيها المرأة نشاطاً تجارياً في مجال بيع العقارات، ومن هذه العقود عقد بيع منزل أرخ في سنة (423هـ/1031م)، دون فيه اسم الشاري والبائعة، وكانت البائعة ابنة أخت الشاري، مما يدل على أن صلة القرابة لم تكن لتمنع أن يتم التعامل بصورة رسمية بين البائع والشاري⁽¹⁾.

وورد في عقد بيع شراء آخر مؤرخ سنة (459هـ/1066م)، أن ربحان بن نشوان اشترى من سارة ابنة قلته القزاز نصف مسكن بدينار واحد، ودون بالعقد أن المبلغ دفع نقداً، ويبدو أن البائعة كانت تتاجر في العقارات، فقد اشترت في العام نفسه منزل من شخص يدعى أبو اليمن⁽²⁾.

وعملت المرأة في الغزل والنسيج⁽³⁾، وفي صناعة السجاد والبقايب⁽⁴⁾، كما عملت في الوعظ والقاء الدروس الدينية⁽⁵⁾.

ومارست بعض النساء مهنة القابلة، فقد أشار ابن الزيات (ت 814هـ/1411م) إلى قابله تدعى " أم محمد"، كانت من العابدات الزاهدات، وكانت تعمل لوجه الله، وتتكفل بالوالدة إذا كانت فقيرة، وكانت لا تذهب إلا إلى الفقيرة عند وضعها. كما أشار ابن الزيات إلى قابله تدعى أم أحمد، وهي من فاعلات الخير، وكانت لا تأخذ أجراً، كما كانت تتكفل بجميع ما تحتاجه النفساء حتى تقضي نفاسها⁽⁶⁾.

Ibid: v.III,p.319. (11)

(12) سفرنامه، ص119.

(1) جروهامان، أوراق، ج1، ص166-168.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص223-227. وحول عقود أخرى مارست فيها المرأة حرية البيع والشراء. انظر

جروهامان، أوراق، ج2، ص13-17.

(3) Goitein: op.cit, v.3, p319

(4) ابن سعيد، النجوم، ص64.

(5) المقرئ، المواظ، مج4، ق2، ص868، عمر كحالة، أعلام النساء، ج2، ص122.

(6) ابن الزيات، الكواكب، ص291-293.

ومن الحرف التي اشتغلت بها كثير من النساء في العصر الفاطمي، حرفة " الماشطة" التي تقوم بتمشيط شعر العروس، فقد ذكر ابن الأخوة (ت 729هـ/1338م)، أن المحتسب كان يأمر بغسل الحمام وكنسه وتنظيفه بالماء الطاهر، والالتساؤ الأنايب بشعر الماشطة، بل تسد بالخرق الطاهرة أو الليف⁽⁷⁾.

وعملت المرأة غاسلة، وهي التي تقوم بتغسيل الموتى من النساء، ويبدو أنها كانت مهنة مربحة- أحياناً- فعندما توفيت أم العزيز أخذت الغاسلة ما كان تحتها من الفرش، الذي قدر بستة آلاف دينار⁽⁸⁾. وقد كانت حرفة الغاسلة من الأهمية ، بحيث أن الحاكم عندما منع خروج المرأة في عصره استثنى الغاسلات⁽¹⁾؛ لأنه لم يكن من الممكن الاستغناء عن خدماتهن.

ومن الحرف المتعلقة بالموتى حرفة " النائحة" ، فكانت النائحات تؤجرن لفترة محددة، يندبن الميت، فقد أقامت ست الملك النائحة على قبر أمها شهرا⁽²⁾.

وعملت المرأة خاطبة، فكانت تدخل البيوت والحمامات، وتتعرف على من فيها من بنات العائلات اللواتي يصلحن للزواج، وتذهب وتصفها للعريس المرشح، الذي يكون قد سبق ووضع لها الأوصاف التي يريد لها في عروسه⁽³⁾.

وعملت المرأة بالتجسس، وكانت مهنة شائعة لدى النساء، فالنساء على عكس الرجال يمكنهن دخول البيوت بسهولة، والاطلاع على أخبارها لصالح بعض الناس، فقد رتب الحاكم " في كل درب أصحاب أخبار يطالعونه بما يعرفونه، ورتبوا عليهم عجائز يدخلن الدور ويرفعن إليهم الأخبار..."⁽⁴⁾

(7) معالم، ص155.

(8) ابن ميسر، أخبار، ص172، المقرئزي، المواعظ، صبح2، ص352.

(1) الانطاكي، تاريخ، ص307.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص172.

(3) ابن دانيال الموصللي، طيف الخيال، ورقة 39-49.

(4) ابن كثير، البداية، ج11، ص352-353.

وكان للوزير المأمون بن البطائحي بعض النسوة يقمن بتلك المهنة، فقد انتدب نساءً من أهل الخبرة والمعرفة للدخول إلى جميع المساكن والاطلاع على أحوال ساكنيها، ومطالعتة بجميع ما يشاهدنه فيها⁽⁵⁾. وقد كان لزوجة العزيز جارية تعرف " بتقرب" ، كانت صاحبة خبر لها تدفع اليها بالأخبار والرقاع⁽⁶⁾.

وقد تباينت الأوضاع المعيشية للمرأة تبعاً للطبقة التي تنتمي إليها، فقد عاشت نساء الخلفاء حياة مترفة، حيث أن نفوذهن ساعدهن على تكوين الثروات الهائلة، وقد تعددت الاشارات التي عكست مبلغ ثراءهن.

فقد انفتت تغريد زوجة المعز لدين الله اموالاً كثيرة على بناء مسجد لها بالقرافة، جاء آية في الزخارف والنقوش والسقوف الملونة. كما بنت قصرأ آخر لها في القرافة أيضا⁽⁷⁾.

وتركت السيدة رشيدة ابنة المعز عند وفاتها سنة (442هـ/1050م)- كما يقول ابن الزبير- ما قيمته الف الف دينار، وسبع مائة ألف دينار. ومن جملة ما وجد في خزائن كسوتها ثلاثون الف ثوب، ومائة قارورة مملوءة كافوراً⁽⁸⁾. أما عبده بنت المعز فقد خلفت أموالاً عظيمة⁽⁹⁾.

أما ست الملك أخت الحاكم، فكان لها اقطاع يدر كل عام خمسين الف دينار⁽¹⁾، وقيل انها تركت عند وفاتها ثمانية آلاف جارية، كما وجد لديها نيف وثلاثون زيراً صينياً مملوءة بالمسك المسحوق، بجانب النفيس من الجواهر⁽²⁾.

وتمتعت السيدة أم المستنصر بالثروة الطائلة والأماك الواسعة، فعندما قبض عليها ابن حمدان اثناء الشدة المستنصرية استحوذ على اموالها ، وكان من جملة ما استحوذ عليه، أربعة آلاف سرج، وآلات فضية، وثلاثمائة الف وأربعين درهماً، وصناديق مملوءة بفاخر الملابس⁽³⁾.

(5) ابن ميسر، أخبار، ص98، المقرئزي، اتعاض، ج2، ص213.

(6) المسبجي، أخبار، ج40، ص234، 235.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج4، ق2، ص876.

(8) ابن الزبير، الذخائر، ص241، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص373.

(9) ابن الزبير، الذخائر، ص241، 242، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص373.

(1) ابن الزبير، الذخائر، ص24.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص295.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص122.

وكان مبلغ ثراء زوجة الأمر كثيراً، حيث أنفقت أموالاً كثيرة على بناء مسجد الاندلس، بلغت اثني عشر ألف دينار⁽⁴⁾. وبنت رباطاً عام (526هـ/1131م) بجوار مسجد الاندلس، وجعلته من أجل العجائز والأرامل⁽⁵⁾.

أما نساء العامة، فكن يعانين من الفقر والحرمان، فكانت عرائس العامة لا يملكن ثمن ثياب وحلي الزفاف، فيقمن باستعارته⁽⁶⁾. وكانت مهورهن قليلة⁽⁷⁾.

وينعكس فقر وحرمان نساء العامة في قول امرأة عامية، وقفت تحت دار الأفضل بن بدر الجمالي، وقالت: يا دار فيك من كل شيء، فمتى ترى في كل دار منك شيء⁽⁸⁾.

أما الجواري فقد بلغ تهافت أفراد المجتمع عليهن حداً كبيراً، مما أدى إلى ازدهار الاتجار بهن. فقد خصص سوق كبير بالقاهرة لبيع الرقيق من الاماء والعبيد⁽⁹⁾، وأصبح الناس يتهادون بالجواري كما تهدي الحلي والجواهر مجاملة وملاطفة⁽¹⁰⁾.

فقد اعتاد الأمراء والعمال وغيرهم أن يتقربوا إلى الخلفاء بإهدائهم الجواري، فذكر المقرئ في أحداث عام (414هـ/1023م) انه وصلت للظاهر هدية من اسوان فيها " عدة عبيد وإماء سودان"⁽¹¹⁾. وذكر المقرئ في أحداث عام (415هـ/1024م)، أنه وصلت للظاهر هدية من النوبة فيها عبيد وإماء⁽¹²⁾. كما ذكر المقرئ في أحداث عام (418هـ/1027م)، أن

(4) المقرئ، المواظ، مج4، ق2، ص856-858.

(5) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص877.

(6) العيني، عقد الجمان، ص507.

(7) Goitein: op.cit, v.3, PP,66-67,90-92. ، جروهمان، أوراق، ج1، ص112-113.

(8) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص67.

(9) المقرئ، اتعاض، ج1، ص371. حول مصادر جلب الرقيق إلى مصر انظر ص52، 59 من الأطروحة.

(10) ابن الزبير، الذخائر، ص18.

(11) اتعاض، ج2، ص10.

(12) المصدر نفسه، ج2، ص17.

المعز بن المنصور بن بلكين بن زيري- أحد نواب الخليفة الظاهر على افريقيا - بعث هدية للظاهر، فيها " عشرون جارية لم يُر كحسَنهن" (1). وورد في رسائل الجنيزة انه في سنة (552هـ/1157م) أهديت جارية هندية لعروس بمناسبة زواجها(2).

وقد احتلت قصور الخلفاء المرتبة الاولى من حيث احتوائها على أكبر مجموعة من الجواري، فقد بلغت جواري العزيز عشرة آلاف جارية(3)، وتركت ست الملك- بنت العزيز- عند وفاتها ثمانية آلاف جارية(4).

أما الخليفة المستنصر، فكانت جواريه من الكثرة، بحيث لا أحد يعلم عددهن الا تخميناً(5). وامتألت قصور الوزراء بالجواري، فكان ليعقوب بن كلس ثمانمائة حظية(6) غير جواري الخدمة(7)، وكانت للوزير الأفضل ثمانمائة جارية(8). ومع ما في هذه الأخبار من مبالغة، فهي تنبئ عن نزعة الإكثار من اقتناء الجواري.

وورد في رسائل الجنيزة أنه كان في كل منزل من منازل الطبقة المتوسطة جارية أو جاريتان(9).

ويمكن أن يعزى تهافت فئات المجتمع على اقتناء الجواري، إلى الحاجة إليهن، حيث أمسى اتخاذ الجواري من الأمور الضرورية التي تحرص الأسر على اقتنائها؛ للاضطلاع بالعديد من الوظائف.

(1) اتعاط، ج2، ص42.

(2) Goitein: op.cit, v.1,pp,138-139.

(3) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص321.

(4) ابن الزبير، الذخائر، ص240.

(5) ناصر خسرو، سفرنامه، ص104.

(6) الحظية هي أن يكون للخليفة أو الرجل جارية قد تحظاها، وجعلها سريته. انظر الرازي، مختار، ص143.

(7) العيني، السيف، ص154.

(8) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص187.

(9) Goitein: op.cit, v.i.p.135

كانت الجواري تشتري للمتعة، فأقبل الميسورون على التسري(10) بهن(11)، وكان شغف الحاكم بالجماع، سبباً في اقتنائه عدد هائل من الحظايا(12). وكانت ليعقوب بن كلس ثمانمائة حظية(13)، وكانت للوزير الأفضل بن بدر الجمالي خمس وستون حظية(14).

وكانت ربات البيوت يقتنين الجواري؛ ليساعدنهن في خدمة بيوتهن(1). واتخذت بعض الجواري لتربية الأطفال، يظهر ذلك من خطاب لسيدة مصرية مريضة، تعاني سكرات الموت، بعثت به إلى أختها توصيها خيراً بابنتها الصغيرة، ومربيها الجارية السودانية سعادة، وتذكر لها أن الابنة تعلقت بتلك الخادمة، وتعتبرها في مكانة أمها، وقد لعنت السيدة في نهاية الخطاب من يفرق بين ابنتها وبين تلك الجارية(2).

وكانت حاجة القصور إلى الجواري أكثر الحاحاً منها في سائر الأسر الخاصة، وذلك بسبب حرص الأسرة الحاكمة على التحلي بعظمة الملك والسلطان، حيث كان اتخاذ الرقيق من الجواري والعبيد، مظهراً من مظاهر الأبهة الشخصية، ودلالة عز ونفوذ، فعندما أراد الحاكم الحط من مكانة الذميين فرض عليهم قيوداً تتضمن منعهم من امتلاك الجواري والعبيد(3).

وقد عملت الجواري في قصور الخلفاء في الطبخ، حيث كان " لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة"(4)، كما عملت جواري القصور في الاشراف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة(5). وعملت جواري القصور في الاشراف على خزانة الشراب التي في القصور(6).

(10) التسري: الجماع، والسرية الجارية، وهي الأمة يتسراها صاحبها. انظر الجرجاني، التعريفات، ص66.

(11) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص187.

(12) الانطاكي، تاريخ، ص304.

(13) العيني، السيف، ص154.

(14) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص187.

(1) Goitein: op.cit, v.I.p.135 ، كلود كاهن، تاريخ العرب، ص113.

(2) Goitein: op.cit, v.3.pp, 353-354.

(3) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص357، 383.

(4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص230.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص91.

(6) المصدر نفسه، ص50.

واتخذت جواراي القصور للغناء والطرب⁽⁷⁾، فمن أهم واجبات الجواراي الترفيه عن الخلفاء، فقد كان الخليفة العزيز مهتماً بسماع الغناء، وكان له مجموعة من الجواراي والراقصات يلازمه أوقات خلوته⁽⁸⁾. ومن شهيرات المغنيات في القصر الفاطمي " ملك الرسيه"⁽⁹⁾. وكان للخليفة المستنصر جارية بارعة في الغناء اسمها نسب الطباله⁽¹⁰⁾.

وقد نالت جواراي القصور الرعاية والعناية، فكن يعشن مرفهات، وكانت تصرف المبالغ الباهضة عليهن، حتى أن الحاكم عندما حدثت مجاعة في عهده عام (387هـ/997م)، " فرق كثيراً من الجواراي طلباً للتوفير"⁽¹¹⁾.

وقد وصلت بعض جواراي القصور إلى أعلى المراتب بزواجهن من الخلفاء، فأصبحن زوجات خلفاء وأمهات خلفاء، فقد كانت الجارية التي تعيش في القصور تستطيع أن تتقدم على قريناتها؛ لموهبة تمتلكها، فتفوز بمحبة الخليفة أو اعجابه بها. وقد يبلغ الأمر أن تصبح زوجة الخليفة⁽¹⁾.

ومن جواراي القصور من قيل فيها الشعر، فالأمير تميم بن المعز يمعن في البكاء والتحسر على جاريته، فيقول⁽²⁾:

كانت رضا النفس ونيل المنى	ولذة العيش وطيب المدام
لهفي على ما فات من قريبا	لهفاً له في ك عضو سقام

(7) ل. سيمونوف، (1972). حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر. المجلة التاريخية، تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، بغداد، ع2، ص202.
(8) ابن الزبير، الذخائر، ص13، 14.
(9) المسيحي، أخبار، ج40، ص218.
(10) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص96.
(11) المصدر نفسه، ج1، ص330.
(1) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص317.
(2) تميم بن المعز، الديوان، ص406.

وكانت لعائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز لدين الله⁽³⁾، المنزلة المكنية، فعندما توفيت " صلى عليها داعي الدعاة.. ودفنت عند رجلي مولاها (الأمير عبد الله بن المعز) في داره" (4). وكانت لجواري الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الحظوة لديه، فجعل لكل جارية من جواريه حجرة في قصره، كما خصص لجواريه خزائن مملوءة بالكسوة والآت من الذهب والفضة⁽⁵⁾. وكان الوزير الأفضل شديد الغيرة على جواريه، فقال في إحداهن⁽⁶⁾:

ولي غيرة لو كان للبدر مثلها	لما كان يرضى بإجتماع الكواكب
-----------------------------	------------------------------

وقد أثر وجود الجواري على مكانة المرأة الحرة، وأدى في بعض الأحيان إلى زهد الرجل عن زوجته. فقد استطاعت بعض الجواري استمالة الأزواج اليهن، والايقاع بهم في حباتهن، فورد في رسائل الجنيزة ان من الرجال من ترك زوجته واطفاله في الاسكندرية، بسبب حبه لجارية في الفيوم⁽⁷⁾، وآخر ترك زوجته وعشق جارية نصرانية، وأخذها الى سكنه في البحيرة⁽⁸⁾.

(3) عائشة: جارية الأمير عبد الله بن المعز، كانت من وجوه عجانز القصر وعقلائهم، توفيت عام (415هـ/1024م). انظر المسبحي، أخبار، ج40، ص105.
(4) المصدر نفسه، ج40، ص105.
(5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص187.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص189.
(7) Goitein: op.cit, v.1.p135.136.
(8) Ibid, v.1.p135

ولما كانت الحرائر على اتصال بالجواري فلا بد من تولد الغيرة منهن على أزواجهن، مما جعلهن يحرصن على أن يجعلن زمام تواجد الجارية في المنزل بيدهن، حتى إذا ما شعرن بالغيرة منهن وأصبحن أثيرات لدى أزواجهن قمن ببيعهن أو عتقهن، فقد ورد عقد زواج في رسائل الجنيزة، اشترطت فيه العروس على العريس ان تكون جارية المنزل من اختيارها او بعد موافقتها(1).

كما ورد في اوراق البردي عقد زواج، اشترطت فيه العروس على العريس، أن يكون زمام تواجد الجارية في المنزل بيدها، ان شاءت اعتقتها ، وان شاءت باعتها(2).
لقد تفاوت الوازع الاخلاقي لدى النساء، فمن النساء من حافظت على نفسها وشرفها، واذا ما تعرضت للاغتصاب كانت تقتل نفسها خوفاً من العار(3).

وهناك نساء وصل التهتك بهن الى حد تجاوز الأداب العامة ، فخرجن عن الأخلاق والآداب العامة، وقمن بانتهاك الدين والعرف، ففي عهد الحاكم بأمر الله " غلب النساء الرجال على الخروج في الليل، وتزايد الزحام في الشوارع والطرق، وتجاهروا بكثير من المسكرات"(4).
ويبدو أن فسق ومجون بعض النساء قد كرس ظاهرة اجتماعية، دفعت الحاكم إلى اصدار قرارات ضد النساء؛ للحفاظ على القيم العربية، فيذكر المقرئبي انه في عام (391هـ/1001م)، " لما خرج الناس عن الحد، أمر الحاكم، الا تخرج امرأة من العشاء، فإن ظهرت نكل بها"(5)، ولتحقيق ذلك منع الحاكم الاساكفة من عمل الخفاف للنساء(6)، واصدر الحاكم قرارات متتالية ضد المرأة، ففي عام (395هـ/1005م) أمر الا تكشف امرأة وجهها في طريق، ولا خلف جنازة ، ولا تتبرج(7).

(1) Goitein: op.cit: v.3,pp.84-85

(2) جروهمان، اوراق البردي، ج1، ص67، 89.

(3) ابن كثير، البداية، ج12، ص10.

(4) المقرئبي، اتعاض، ج1، ص348.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص348.

(6) الدواداري، كنز، ج6، ص292. المقرئبي، اتعاض، ج1، ص389.

(7) الانطاكي، تاريخ، ص254. المقرئبي، اتعاض، ج1، ص357.

ومنع الحاكم في عام (402هـ/1011م) النساء من الخروج بعد العشاء⁽⁸⁾. كما منع النساء في رجب عام (404هـ/1013م) أن يخرجن إلى الطرقات في ليل أو نهار، سواء أكانت المرأة شابة أم عجوزاً⁽⁹⁾. واشتد الحاكم في رمضان عام (404هـ/1013م) في منع النساء من الخروج، وحبست عدة عجائز وُجِدن في الطرقات⁽¹⁰⁾، وفي سنة (405هـ/1014م) " تشدد الأمر في منع النساء من الخروج في الطرقات، ومن التطلع في الطيقان بأسرهن، شبابهن وعجائزهن"⁽¹⁾. ومنع الحاكم في عام (410هـ/1019م) النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً⁽²⁾، فأقمن على ذلك سبع سنين وسبعة أشهر، إلى خلافة الظاهر سنة (411هـ/1020م)، حيث أطلقت ست الملك للنساء حرية الخروج من دورهن، والتصرف في أمورهن⁽³⁾.

وسار الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله على نهج والده الحاكم في بعض الامور التي تخص المرأة، ومن ذلك أنه قام عام (414هـ/1023م) بإصدار مرسوم ضد النساء، يقضي بمنع النساء من الخروج من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة⁽⁴⁾؛ وذلك بسبب تجاوز بعض النساء الاداب العامة، حيث " اختلط الرجال بالنساء، وهم يعاقرون الخمر، حتى حملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديداً " ⁽⁵⁾

(8) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص380.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص389.

(10) المصدر نفسه، ج1، ص390.

(1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص394.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص400.

(3) ابن دقماق، الجوهر، ص205، المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص400.

(4) المسيحي، أخبار، ج40، ص34، المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص11.

(5) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص12.

وترى الباحثة أن القرارات التي أصدرها الخليفة الحاكم وابنه الظاهر ضد المرأة، لم تكن بدافع ديني (اخلاقي)، فلم يكن الحاكم وابنه الظاهر ملتزمين من الناحية الدينية، فكان الحاكم يستدعي الى مجلسه المغنين وأصحاب الملاهي، " ويخلع العذار (6) معهم" (7)، وكان الظاهر يميل الى اللهو، ويشرب الخمر، ويستغرق في لذاته(8).

ولعل الحاكم وابنه الظاهر أرادا من القيود الاجتماعية التي فرضها على المرأة، أن يعبرا عن الطابع الأساسي الذي ينشده، وهو تأكيد البعد الديني في سياستهما الاجتماعية، لا سيما وان الإمام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الأرض(9)، فجاء حرص الخليفتين على تأكيد هذا المعنى من خلال التظاهر بالمحافظة على القيم والآداب العامة في المجتمع، عن طريق فرض قيود اجتماعية على النساء في حال خروجهن على القيم الاجتماعية.

ويجدر القول أن القيود – المشار اليها- التي فرضت على المرأة، لم تؤثر كثيراً على مكانتها، اذ يبدو أن لهجة مراسيم تلك القيود كانت اقوى من تطبيقاتها، ولم تنفذ جيداً؛ ولذلك كان الأمر يستلزم تكرار فرض تلك القيود في صورة مراسيم متتالية صادرة من الخلافة(10).

ويمكن القول: ان التضيق الذي تعرضت له المرأة في عهد الحاكم وابنه الظاهر، لا يعبر بحال من الاحوال عن الطابع الغالب على احوال المرأة في العصر الفاطمي، اذ أن عدم تعرض المرأة لتلك القيود سوى في عهد الحاكم وابنه الظاهر، لمما يؤكد ان التضيق الذي تعرضت له المرأة في عهد الحاكم والظاهر، يمثل جوانب شاذة – فرضتها ظروف معينة – في وضع المرأة في العصر الفاطمي.

(6) خلع العذار: أي منهنك في الغي، ولم يستح منه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص811.

(7) الأنطاكي، تاريخ، ص269.

(8) المقرئ، اتعاط، ج2، ص7.

(9) السجلات المستنصرية، ص35.

(10) انظر ص 156-157 من الأطروحة.

أهل الذمة:

يدخل أهل الذمة في أي طبقة، حسب موقعهم من السلطة والثروة. الذمة في اللغة: الحق والحرمة، والذمة أيضاً العهد والكفالة، وفلان له ذمة أي له حق (1)، ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمة، وهم الذين يؤدون الجزية التي فرضت في الشريعة الإسلامية على غير المسلمين المستوطنين في بلاد الإسلام مقابل الأمان على أرواحهم وعباداتهم وأعراضهم وأموالهم (2). وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين – في عهدهم وأمانهم – وله الإقامة في دار الإسلام (3).

كانت القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ/1074م)، مقراً للخلافة تقتصر السكنى فيها على الخليفة وعساكره والعاملين في الدولة (4). وتأسيساً على ذلك يمكن القول أن الذميين الذين سكنوا القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر، كانوا في الأساس من الذميين العاملين في الدولة، الذين أوجدت لهم صلتهم بالدولة مكاناً للعيش في القاهرة، يقول ابن سعيد: "وأكثر ما يتعيش بها (أي القاهرة) اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب" (5)

ويفترض تزايد أعداد الذميين في القاهرة، عقب سماح بدر الجمالي لأهل الفسطاط بالسكنى فيها (6) – عام (466هـ/1074م) - حيث شكل الذميون نسبة من سكان أهل الفسطاط (7). لقد شكل الأقباط النصارى السواد الأعظم من أهل الذمة، يقول المقدسي – الذي زار مصر في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري- أن " عامة ذمته (أي مصر) نصارى يقال لهم القبط، ويهود قليل" (8)

- (1) ابن منظور، لسان، ج12، ص121، الزبيدي، تاج، ج8، ص301.
- (2) الماوردي، الأحكام، ص181، دانييل دينيت، الجزية، ص54.
- (3) زيدان، أحكام الذميين، ص22، ناريمان عبد الكريم، معاملة، ص16.
- (4) المقرئ، المواظ، مج2، ص220.
- (5) النجوم الزاهرة، ص28. حول علاقة الأطباء في السلطة الحاكمة انظر ص 122 – 125 من الأطروحة.
- (6) المقرئ، المواظ، مج2، ص222.
- (7) المقرئ، البيان، ص150.
- (8) أحسن التقاسيم، ص 201-202.

أما النصارى فلم يرد ما يشير إلى أماكن سكنهم؛ ربما لتفرقهم في أرجاء المدينة، وبالتالي عدم تمركزهم في مكان معين بقوة عددية تستحق الذكر.

ويمكن أن تشير توزيع كنائس وأديرة النصارى، إلى مناطق استقرارهم وتوزيعهم فيها، فهي موزعة كالتالي:

دير البنات، وكنيسة المغيثة، وكنيسة بربارة، في حارة الروم⁽¹⁾، ويوجد في حارة زويلة " دير عامر بالابكار المترهبات، وغيرهن من نساء النصارى" ⁽²⁾. كما قامت كنائس عديدة للنصارى في المقس⁽³⁾.

لقد حظي الذميون باهتمام الدولة، ومن مظاهر رعايتها لهم إقرارها بأحقيتهم في اختيار رئيس يتولى شؤونهم وينظر في أمورهم. وقد كان تعيين رؤساء الذميين يتم من خلال توقيع من الخليفة يأذن فيه بتنصيب الشخص المختار رئيساً⁽⁴⁾.

لقد تمتع أهل الذمة بحرية الدين، فقد تعهد جوهر في الأمان الذي منحه للمصريين⁽⁵⁾ فور وصوله مصر، بتوفير الأمان للجميع " وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه" ⁽⁶⁾. وحينما احتاج إلى هدم دير بالقرب من مدينة القاهرة التي عزم على بنائها، عمر عوضاً عنه ديراً آخر سمي بدير الخندق⁽⁷⁾.

ولم تتدخل الدولة في شعائر الذميين الدينية، فقد أذنت لهم ببناء الكنائس والأديرة التي يؤدون بها صلواتهم، ويؤكد ذلك الانتشار الواسع لكنائسهم وأديرتهم في أنحاء مصر⁽⁸⁾. كما كانوا يحتفلون

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق2، ص1055، 1062.

(2) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص1055.

(3) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص1047.

(4) Goitein, op.cit, v. 2, P. 27-31.

(5) حول الأمان الذي منحه جوهر للمصريين فور دخوله إلى مصر عام (358هـ/969م) انظر: النويري،

نهاية، ج28، ص76. المقرئزي، **اتعاض**، ج1، ص178-181.

(6) المقرئزي، **اتعاض**، ج1، ص180.

(7) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص45-46، المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ص1048.

(8) لمعرفة أهم الكنائس والأديرة في مصر وأماكن انتشارها، انظر أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص45-50،

المقرئزي، **المواعظ**، مج4، ق2، ص1025-1089.

بأعيادهم – التي تحمل دلالة دينية – بحرية تامة، وشاركهم المسلمون في بعض الأحيان الاحتفال ببعض تلك الأعياد(1).

ولم تضع الدولة عقبات أمام رعاياها من الذميين، فقد أتاحت لهم قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة، فكان لهم حضورٌ ظاهرٌ في الوظائف العامة للدولة. فحينما تم لجوهر الصقلبي فتح مصر في سنة (358هـ/969م)، كان يشرف على أمور مصر أحد النصارى ويسمى أبو اليمن قزمان بن مينا، فلما أدرك جوهر الصقلبي، ما يشتهر به هذا القبطي من الأمانة والثقة " أبقاه على حاله ناظراً في كورة مصر " (2). وعندما دخل المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م) مصر في رمضان سنة (362هـ/973م) قرب قزمان بن مينا إليه، وعهد إليه باستخراج أموال مصر(3)، ثم ولاه أعمال فلسطين(4). وكان جُل أطباء المعز ذميين(5).

وقد وصل أهل الذمة في عهد العزيز (365-386هـ/975-996م) إلى أعلى المناصب الإدارية، فكان منهم جُل الكتاب(6)، كما استوزر العزيز عيسى بن نسطورس النصراني بعد وفاة وزيره ابن كلس اليهودي الأصل بمدة، وقد استناب عيسى بن نسطورس في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشأ بن إبراهيم و "مال إلى النصارى، فقلدهم الأعمال والدواوين، وأطرح الكتاب المتصرفين من المسلمين --- فسلك (أي منشأ) مسلكه في التوفر على اليهود، وعيسى مع النصارى مثله، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة" (7).

وكان جل موظفي الدولة في عهد الحاكم (386-411هـ/996-1020م) من أهل الذمة، فكان " سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى الا نفر يسير من الكتاب" (8). واستفحل نفوذهم فكان " كثير منهم قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاضموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم" (9).

(1) انظر ص 252 – 253 من الأطروحة.

(2) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص400.

(3) المصدر نفسه، ج3، مج1، ص460.

(4) المصدر نفسه، ج3، مج1، ص460.

(5) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص545، p243، Goitein: op.cit, v.2,

(6) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص468.

(7) ابن القلانسي، تاريخ، ص56.

(8) الأنطاكي، تاريخ، ص295.

(9) المقرئ، المواعظ، مج4، ق2، ص1007.

ويفترض استمرارية سيطرة الذميين على وظائف الدولة في عهد الظاهر (411-427هـ/1020-1035م)، الذي " كانت في أيامه هدوء وسلامة عظيمة --- وكان دين النصارى مستقيم وأهله مكرمون " (1).

وفي خلافة المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) بلغ نفوذ أهل الذمة ذروته، فسيطروا على دواوين الدولة، وأصبح " جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبير أمورها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم " (2).

وكان جُل اعتماد الأمر (495-524هـ/1011-1130م) في إدارة الدولة على الذميين، فقد اكتظت في عهده دواوين الحكومة في العاصمة والأقاليم بالموظفين من أهل الذمة، حيث كان " أراخنة مصر ومقدميها ووجوه أقباطها ورؤسائها، هم كتاب الدولة وخدام المملكة " (3).

وقد انبسطت أيدي أهل الذمة في مختلف شؤون الحكم والإدارة في وزارة بهرام - الذي استبد بالحكم دون الحافظ - وصار لهم النفوذ والسيادة على المسلمين، فقد عمل بهرام على محاباة بني ملته النصارى ومنحهم الوظائف الإدارية في الدولة، حتى أصبح " للنصارى في أيام دولته نفاد كلمة وعزة نفس وكل تصرف جليل من الدواوين الكبار الذي للخليفة والوزراء في أيديهم، وكان منهم النظار والمشارفون في جميع أرض مصر قبليها وبحريها وثغورها " (4).

ويرجح استمرار الذميين في شغل وظائفهم الإدارية في الدولة في عهدي الظاهر (544-549هـ/1149-1154م) والفائز (549-555هـ/1154-1160م)، إذ لم يرد ما يشير إلى غير ذلك. ورغم اشتراك بعض الكتاب من اليهود والنصارى في التآمر على صلاح الدين واتصالهم بالفرنج في الشام عن طريق المكاتبات، أو عن طريق جواسيسهم في القاهرة؛ للاستعانة بهم بهدف الإطاحة بحكم صلاح الدين (5)،

(10) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص674.

(1) ساويرس بن المقفع، ج3، مج1، ص818.

(2) المصدر نفسه، ج3، مج1، ص1193.

(3) المصدر نفسه، ج3، مج2، ص1288-1289.

(4) أبو شامة، الروضتين، ص220، 241، 242.

غير أنه أبقى عليهم رغم توجهه في بداية تأمرهم عليه نحو صرفهم؛ لخوفه من توقف دولاب الأعمال إذا ما فعل ذلك، وهذا ما أشار إليه الدواداري (736هـ/1335م) بقوله: أن صلاح الدين " قصد استئصال النصارى واليهود جملة كافية، فلم يقدر على ذلك؛ كونه كان أول مبتدأ أمره ووزارته، ولكل قادم دهشة" (1).

ولعل سبب تأمر الذميين على صلاح الدين يعزى إلى شعورهم بميله نحو الاستبداد بالأمور دون العاضد (555-567هـ/1160-1171م)، وعزمه على الإطاحة بالخلافة الفاطمية⁽²⁾، ف جاء ميلهم نحو الفاطميين وتمسكهم بدولتهم وحرصهم على إحيائها؛ لما تمتعوا به من مكانة

ونفوذ في ظلها، حيث رأوا أن زوال الحكم الفاطمي يعني فقدانهم ما تمتعوا به من نفوذ ومكانة في الدولة.

ويتعجب آدم متز من سياسة الفاطميين المتسامحة تجاه أهل الذمة فيقول: "وقد أظهر الخلفاء الفاطميون لأهل الذمة تسامحاً يعجب له، إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم لهم مذهب خاص انفردوا به وخالفوا به جمهور المسلمين"⁽³⁾. وترى الباحثة أن ذلك ربما كان سبباً رئيسياً لتسامحهم مع أهل الذمة، فعندما جاء الفاطميون إلى مصر لم يكن بإمكانهم الاعتماد على أنفسهم في تسيير شؤون الدولة، حيث كانت تنقصهم الخبرة والمهارة في شؤون البلاد، وبما أن الفاطميين كانوا على المذهب الاسماعيلي المخالف للمذهب السني. فإن استعانتهم بموظفين مصريين من السنة قد يمثل خطورة على نظامهم، مما حتم عليهم الاستعانة بالذميين في ذلك، ف قربوهم إليهم واسندوا إليهم الوظائف العليا في الدولة، وأضحى دورهم الفاعل في إدارة شؤون البلاد سبباً رئيسياً لتسامح الفاطميين مع الذميين بصفة عامة.

(5) الدواداري، كنز، ج7، ص40.

(6) المقرئ، المواظ، مج2، ص205.

(1) الحضارة الإسلامية، ج1، ص94.

ويبدو أن اعتماد الدولة على الذميين في تسيير شؤونها الإدارية، أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص في الدولة، وجعلهم يتمتعون بنفوذ واسع، مكنهم من ظلم المسلمين والتعدي على حقوقهم - في بعض الأحيان - من جهة، ودفع بهم إلى الاستئثار بالسلطة والنفوذ من جهة أخرى، فعندما استوزر العزيز (365-386هـ/975-996م) عيسى بن نسطورس عام (380هـ/990م)، وكان نصرانياً، استناب في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشأً بن إبراهيم " ومال (أي عيسى بن نسطورس) إلى النصارى، فقلدهم الأعمال والدواوين، وأطرح الكتاب المتصرفين من المسلمين ... فسلك (أي منشأ) مسلكه في التوفر على اليهود، وعيسى مع النصارى مثله، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة"⁽¹⁾، " فاستطالت النصارى واليهود بسببهما"⁽²⁾.

وقد أثارت سيطرة الذميين على البلاد في عهد العزيز سخط المسلمين، الذي جاء صداه في رقعة كتبتها امرأة واعترضت بها موكب العزيز وسلمتها له، جاء فيها " بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشأً بن إبراهيم، وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري وكشفت ظلامتي"⁽³⁾.

وقد أفرط ابن إياس (ت930هـ/1523م) في وصف مشاعر الغضب التي انتابت العزيز عند قراءته لما كتبه المرأة، فذكر أن العزيز أمر فور قراءته لرقعة المرأة بالقبض على عيسى ومنشأً وشنقهما⁽⁴⁾، إلا أن قرار العزيز بشأن شنق الوزير نسطورس لم ينفذ، حيث أعيد إلى وظيفته مرة أخرى بعد أن دفع مبلغ 300 ألف دينار للخزانة، وشُروط عليه " استخدام المسلمين في دولته وأعماله"⁽⁵⁾. إن إجراءات العزيز ضد ابن نسطورس ومنشأً لا يمكن اعتبارها اضطهاداً للذميين بصفة عامة، بل هدف العزيز منها امتصاص غضب المسلمين.

(2) ابن القلانسي، تاريخ، ص56.

(3) ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص434.

(4) ابن القلانسي، تاريخ، ص56-57، سلام شافعي، أهل النمة، ص88-90.

(1) بدائع، ج1، ص196.

(2) النويري، نهاية، ج28، ص104، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص203.

وأصدر الحاكم مراسيم متتالية نصت على فرض قيود اجتماعية على أهل الذمة، تلزمهم بارتداء ملابس ذات سمات معينة⁽¹⁾، تميزهم عن المسلمين⁽²⁾، كما أصدر مراسيم أخرى تقضي بهدم بعض كنائسهم⁽³⁾.

ويبدو أن الحاكم فرض تلك القيود المتتالية على الذميين؛ لأجل الحد من نفوذهم، الذي وصل إلى درجة من القوة، حيث " تمكنوا في أعمال الدولة، حتى صاروا كالوزراء، فاشتد بأسهم، وتزايد ضررهم"⁽⁶⁾

ويبدو أن القيود المتتالية التي فرضها الحاكم على الذميين قد حدثت من نفوذ الذميين، بدليل خروجهم عام (395هـ/1004م) بكل طبقاتهم إلى قصر الخليفة مستغيثين إليه يسألونه العفو والصفح⁽⁷⁾.
وبعدما حقق الحاكم ما يصبو إليه من كسر شوكة الذميين، ووضع حد لسيطرتهم، تراجع عن تشدده مع أهل الذمة، فأصدر مجموعة من السجلات لأهل الذمة قبيل اختفائه سنة (411هـ/1020م)، حملت في مضمونها التخفيف من غلواء سياسته التي اتبعها إزاءهم⁽⁸⁾. وبوفاة الحاكم ألغت أخته ست الملك كل قراراته التي أصدرها ضد النصارى⁽⁹⁾.

ويبدو أن النفوذ الذي وصل إليه الذميون في عهد المستنصر⁽¹⁰⁾ (427-487هـ/1035-1094م) قد مكّنهم من المسلمين، فيقول النويري (ت 733هـ/1333م): " وكان التستري اليهودي قد زاد أذاه في حق المسلمين حتى كانوا يحلفون: وحق النعمة على بني إسرائيل"⁽¹¹⁾، وقد انتابت المسلمين مشاعر السخط؛ نتيجة لسيطرته هو واليهود على الدولة، ومعاملتهم المجحفة لهم. وقد انعكس صدق تلك المشاعر في قول أحد الشعراء في التعريض بنفوذ اليهود، معبراً عن شعوره وشعور الناس:

-
- (3) حول ملابس الذميين انظر ص 200-201 من الأطروحة.
 - (4) الانطاكي، تاريخ، ص 256. صدرت هذه المراسيم في الأعوام التالية: (395هـ/1003م) و (401هـ/1010م)، (403هـ/1012م). انظر الانطاكي، تاريخ، ص 256، 289.
 - (5) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج 3، مج 1، ص 634 صدرت هذه المراسيم في عام (399هـ/1007م) انظر الانطاكي، تاريخ، ص 279.
 - (6) المقرئزي، المواعظ، مج 4، ق 2، ص 1007.
 - (7) المصدر نفسه، مج 3، ص 59-60.
 - (8) الانطاكي، تاريخ، ص 357.
 - (9) المصدر نفسه، ص 373.
 - (10) حول نفوذ الذميين في عهد المستنصر انظر ص 161 من الأطروحة.
 - (11) نهاية، ج 28، ص 138.

يهود هذا الزمان قد بلغوا		غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم		ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم		تهودوا قد تهود الفلك (1)

ويبدو أن ضعف المستنصر بسبب الأزمات التي مرت بها الدولة بداية عهده⁽²⁾، لم يمكنه من مجارة الرأي العام الإسلامي – كسابقه من الخلفاء – بفرض قيود على الذميين، الأمر الذي قام بتحقيقه بدر الجمالي حيث أصدر سجلاً عام (479هـ/1086م) قرئ بقصر الخلافة فرض فيه على أهل الذمة لبس الغيار⁽³⁾، وبأن يشد جميع النصارى زناير سود، وكذلك اليهود، وتكون أطرافها صفراً؛ ليتميزوا عن النصارى⁽⁴⁾.

ويبدو أن سيطرة الذميين على الهيكل الإداري في عهد الأمر (495-524هـ/1101-1130م)، قد أتاحت لهم ظلم المسلمين والتعدي على حقوقهم، حيث "تفنونوا في أذى المسلمين وإيصال المضرة بهم"⁽⁵⁾. الأمر الذي أثار المسلمين على الأمر متهمينه بممالة الذميين، فخرج أحدهم إلى الجامع العتيق يوم جمعة حيث يشتد الزحام، وخطب بالناس خطبة قال فيها: "يا أهل مصر، انظروا عدل مولانا الأمر في تمكينه النصارى من المسلمين!"⁽⁶⁾.

- (1) ابن ميسر، أخبار، ص5، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص52.
- (2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص55، ابن ميسر، أخبار، ص40، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص136.
- (3) الغيار: البدال، وهو علامة أهل الذمة كالزناير ونحوه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص454.
- (4) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1024.
- (5) ابن النقاش، المذمة، ص91.
- (6) النويري، نهاية، ج28، ص190، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص222.

ولما بلغ الأمر ذلك خاف سوء العاقبة " وانتبه من رقدته، وأفاق من سكرته، وأدركته الحمية الإسلامية، والغيرة المحمدية، فغضب لله غضبة ناصر للدين، وثار للمسلمين، فألبس أهل الذمة الغيار وأنزلهم بالمنزلة التي أمر الله أن ينزلوا بها من الذل والصغار، وأمر أن لا يولوا شيئاً من أعمال الإسلام، وأن ينشأ في ذلك كتاب يقف عليه الخاص والعام" (7).

ويبدو أن قرار الأمر بتنحية الذميين عن وظائف الدولة كان قراراً شكلياً، أصدره كي يمتص غضب المسلمين، بدليل عدم تطبيقه له، حيث كان الذميون في وظائف الدولة بداية عهد الحافظ (524-544هـ/1130-1149م) (1).

وقد وصل تسلط النصارى على المسلمين في وزارة بهرام النصراني – الذي مكن النصارى من المسلمين (2) – إلى درجة من القوة، أغضبت المسلمين، ودفعت أحد الشعراء أن يقول معبراً عن مشاعر معاصريه من المسلمين (3):

وغالوا بالبعال وبالسروج		إذ حكم النصارى في الفروج
وصار الأمر في أيدي العلوج		وذلت دولة الإسلام طرا
زمانك إن عزمت على الخروج		فقل للأعور الدجال هذا

(7) القلقشندي، صبح، ج13، ص369-370.

(1) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص241.

(2) ابن ميسر، أخبار، ص124.

(3) المقرئزي، المواعظ، ج1، ص405.

ورأى المسلمون ضرورة التخلص من نفوذ الذميين وسلطانهم في البلاد، وذلك بالقضاء على عهد بهرام الأرمني، فاجتمع نفر من الأمراء والجند، وعامة المسلمين واستنجدوا برضوان بن ولخشي – والي الغربية وقتئذ - وقالوا له: " وما للمسلمين من ينقذهم من إهانة الأرمن – النصارى – غيرك، فإن قويوا أكثر من هذا تنصر كثير من المسلمين " (1).

وكان أن استجاب رضوان لاستغاثة المسلمين، وأطاح بوزارة بهرام سنة (531هـ/1136م)، وتقلد الوزارة للحافظ، وقام حرصاً على رضا المسلمين من جهة، وللحد من نفوذ الذميين من جهة أخرى، بفرض قيودٍ على أهل الذمة، حيث أمر في سنة (532هـ/1137م) بإنشاء سجل في الحط من النصارى واليهود، منعوا فيه من إرخاء الذوائب ولبس الطيالس، كما أمروا بشد الزنانيير المخالفة لألوان ملابسهم في أوساطهم (2) وألا يركبوا الخيل أو البغال (3)، وألا يجوزوا على مساجد المسلمين ركبناً، بل عليهم بالترجل، كما منعهم من التكني بأبي الحسن وأبي الحسين وأبي الطاهر (4).

وقد ضيق الوزير العادل بن السلار – الذي استبد بالحكم دون الخليفة الظافر – على النصارى في هيئتهم وملابسهم، وألزمهم بشد الزنار، ومنعهم من لبس الطيالس على رؤوسهم. وذلك بناء على مشورة بعض الفقهاء من المبغضين للنصارى؛ وحتى يصانعه النصارى بالمال. غير أن هذه القيود لم تستمر سوى ثلاثة أيام، إذ لم يحضر أحد من النصارى لمصانعته، فنأى في اليوم الرابع بإبطال تلك القيود (5).

- (4) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1289-1290.
- (5) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص247.
- (6) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1294.
- (7) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص247.
- (1) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1354-1355.

يتبين من دراسة الدور الإداري للذميين ما يلي:

* على الرغم من معارضة بعض المسلمين لوجود الذميين في وظائف الدولة – والتي كانت في حد ذاتها دليلاً واضحاً على أن أهل الذمة ولوا وظائف هامة في الدولة – والتي كان مبعثها سوء استخدام بعض أهل الذمة لنفوذهم في إلحاق الأذى بالمسلمين، وتحقيق مصالح أبناء ملتهم بتعيينهم في وظائف الدولة على حساب المسلمين، إلا أن الدولة لم تأبه لتلك المعارضة، وأبقت على الذميين في الوظائف حتى نهاية العصر الفاطمي، حيث أضحى أهل الذمة المتمرسون في شؤون الإدارة عنصراً لا غنى عنه في تصريف شؤون الدولة.

* إن القيود التي فرضتها الدولة على الذميين لم تكن بدافع التعصب الديني، وإنما للضرورة السياسية، من أجل إرضاء المسلمين⁽²⁾، الذين كانوا ينادون- في بعض الأحيان- بالتشدد إزاء أهل الذمة في الوظائف، ويدعون إلى تحديد نشاطاتهم الاجتماعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن فرض الدولة قيوداً على الذميين رافق في بعض الأحيان محاولة الذميين الاستئثار بالسلطة، فجاءت تلك القيود للحد من نفوذهم.

* ويجدر القول أن لهجة مراسيم القيود كانت أقوى من تطبيقاتها، إذ يبدو أنها لم تنفذ جيداً، ولذلك كان الأمر يستلزم تكرار فرض تلك القيود في صورة مراسيم متتالية صادرة من الخلافة، فرغم أنه كان من المفروض – نظرياً – أن يلتزم أهل الذمة بقيود الملابس والمظهر، فكان الذمي

(2) حول أسباب حرص الدولة على رضا عامة المسلمين، انظر ص 138 من الأطروحة.

لا يختلف عن المسلم في ملابسه، ففي إحدى الرسائل التي وردت في أوراق الجنيزة⁽¹⁾، شكّا كاتب مسلم من أن النساء من أهل الذمة " عندما يتركن منزلهن، ويمشين في الشوارع، يتم التعرف عليهن بصعوبة، ومنهن من يدخلن المحلات التجارية، ويجلسن بها، فينلن احترام التجار؛ بسبب ملابسهن الفخمة، غير مدركين أنهن ذميات"⁽²⁾. كما أن قرارات عزل الذميين عن وظائف الدولة التي كانت تصدر في تلك المراسيم، كانت قرارات شكلية لم تطبق، إذ أن الذميين استمروا يهيمنون على الوظائف الإدارية حتى نهاية العصر الفاطمي.

لقد كان الذميون جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي، ولا تشير المصادر إلى معاملة خاصة لمهن وحرف الذميين، فقد مارسوا كافة أنواع النشاط الاقتصادي دون عقبات مثل المسلمين.

لقد تمتع أهل الذمة بحرية بيع وشراء العقارات فكانوا يزاولون تجارتهم في حرية تامة مثلهم في ذلك مثل التجار المسلمين. وقد حفلت أوراق البردي بالعديد من عقود البيع والشراء للعقارات، والتي مارس فيها أهل الذمة من اليهود والنصارى نشاطاً تجارياً في مجال بيع العقارات، ومن هذه العقود عقد مؤرخ في القرن الرابع الهجري كان الشاري فيه نصراني يدعى أبو السري بن هلية بن رفر فيل، والبايع فيه أيضاً نصراني يدعى ثيديرس بن كيل بن هليستوس⁽³⁾. وورد في أوراق البردي عقد آخر مؤرخ سنة (448هـ/1056م) لبيع عقار يوضح المعاملات التجارية بين أهل الذمة من النصارى، وغيرهم من اليهود⁽⁴⁾. وورد في أوراق البردي عقد ثالث مؤرخ في سنة (459هـ/1067م) اشترى فيه ربحان بن نشوان المغربي من سارة النصرانية نصف منزلها⁽⁵⁾.

(1) أوراق الجنيزة: كتبها اليهود المقيمون في حوض البحر المتوسط بين القرنين الخامس والثامن للهجرة، وقد احتوت على السجلات والأحكام القضائية، وغيرها من الأوراق الرسمية الخاصة بالطائفة اليهودية في مصر. قام بنشر نصوصها جويتاين (Goitein). ولمزيد من التفاصيل عن أوراق الجنيزة انظر مقدمة كتاب

(Goitein, op.cit, v.1, pp.1-28)

(2) Goitein: op.cit, v.4, pp, 199-200

(3) جروهمان، أوراق، ج1، ص190.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص132-134.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص220.

وقد حفلت رسائل الجنيزة – أيضاً – بالعديد من عقود البيع والشراء للعقارات، والتي مارس فيها اليهود نشاطاً تجارياً في مجال بيع العقارات، ومن هذه العقود عقد كتب حوالي عام (473هـ/1080م) - زمن المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) الفاطمي- استثمر فيه شخص يهودي مبلغ 500 دينار، في حين ساهم الشريك الآخر بمبلغ 58 ديناراً فقط، ولكنه شارك في الربح والخسارة بمعدل $\frac{7}{24}$ (أي 29.16%)، وكان للشريك الأكبر الحق في الإشراف الكامل على رأس المال المشترك، ولم يكن للشريك الأصغر أي حق في توقيع الكمبيالات، أو أي رأي في منح القروض⁽¹⁾.

وورد في رسائل الجنيزة عقد آخر مؤرخ عام (547هـ / 1152م) زمن الظاهر (544-549هـ/1149-1154م)، عهد فيه صمويل بن يهود ابن سعد بكمية من الكتان وأقمشة أخرى تقدر بحوالي ألف دينار إلى شريكين كل منهما قد ساهم بمبلغ 50 ديناراً، وكان على الاثنين أن يبيعا هذه البضائع، ويشترى غيرها من المدن والريف المصري، وذلك لمدة سنة وعلى أن يقسم الربح والخسارة بالتساوي في نهاية السنة بين صاحب المال – كما أطلق عليه في الوثيقة - وبين شريكه⁽²⁾.

وقد لعب اليهود دوراً اقتصادياً هاماً في عالم التجارة، فقد أثبتت وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يملكون السفن التي تنقل البضائع فيها عبر البحار العربية والهندية⁽³⁾، كما أظهرت وجود علاقات تجارية بين مصر والعراق كان اليهود طرفاً فيها⁽⁴⁾.

(1) Goitein: op.cit, v.1. p.p. 174-175

(2) Ibid , v.1, p. 175.

(3) عطية القوسي، (1977م)، صلاح الدين واليهود، المجلة التاريخية المصرية، مج24، ص42-43

Goitein, op.cit, v.1, p170

(4) Goitein, op.cit, v.1, P. 1.3, 242, 244, 285

ان توجه اليهود نحو الاشتغال بالتجارة كان من القوة - لأهميتها اقتصادياً - حتى أن الرؤساء الدينيين لليهود كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مباشرة مهامهم الدينية(1).

وقد أكدت رسائل الجنيزة المتعلقة بالتجارة، أن نسبة كبيرة من يهود مصر مارست التجارة(2)، فقد برز منهم التاجران أبو سعيد إبراهيم التستري، وأبو نصر هارون التستري، اللذان ذاع صيتهما واشتهر أمرهما في البيع والشراء، فلما كانت خلافة الظاهر (411-427هـ/1020-1035م) علا شأن أبي سعيد، إذ كان بمثابة تاجر خاص للخليفة يبتاع منه ما يحتاج إليه من الأمتعة والتحف الثمينة(3).

وذكر جويتان أنه استطاع أن يتتبع نشاطات التاجر نهراي بن نسيم في وثائق الجنيزة لفترة خمسين عاماً من عام (437هـ/1045م) - في خلافة المستنصر (427-487هـ/1035-1094م) - وهو العام الذي جاء فيه إلى مصر، حتى عام (490هـ/1096م) - خلافة المستعلي(4) (487-495هـ/1094-1101م) - وهو العام الذي توفي فيه(5). ومن التجار اليهود الذين وردت أسماءهم في وثائق الجنيزة التاجر عروس بن يوسف(6)، والتاجر أبو علي حزقيال(7).

كما كان للنصارى الأقباط دور بارز في عالم التجارة، إذ يذكر ابن مماتي أنهم " اتسعوا في الأموال حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر، والمواشي والتحف، والأملك والجواهر، إلى غير ذلك من أنواع المال"(5).

واشتهر من التجار النصارى إبراهيم بن زرعة السرياني، الذي كان واسع الثراء، ذائع الصيت، كما اشتهر بالكرم والسخاء وإغداق الصدقات ومساعدة الضعفاء " وكان بينه وبين المعز ورجال دولته جميل عظيم؛ لأجل بضايعة وأمتعته التي كانت تتواصل وكان يعاملهم فيها، وكان جميع أراخنة مصر يحبوه ويكرمونه"(6).

(5) Mann: The Jews, p. 94

(6) Goitein: op.cit, v. 1, p. 157.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص398.

(1) Goitein: op.cit, v. 1, P. 154

(2) Ibid , v. 2, P. 270.

(3) Ibid , v. 2, P. 262, v.4, p. 251

(4) Ibid , v.2, p. 262.

(5) ابن مماتي، قوانين، ص73.

(6) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص427.

واشتهر في عهد الأمر (495-524هـ/1101-1130م) تاجر قبطي آخر من أصل سرياني، يسمى طيب بن يوسف السرياني، وكان يحمل في تجارته الثياب الغالية، وكان يبتاع للخليفة أجودها، حتى أن الخليفة قربه إليه وخلع عليه، بل أمر عمال الضرائب بألا يحصلوا منه ضرائب على تجارته، كما أقطعه قرية من أعمال الحوف، فأقام في مصر واتخذها ميداناً لتجارته بتشجيع من الخليفة ورجال دولته⁽⁷⁾.

ان ثروات هؤلاء التجار أعانتهم على توسيع نفوذهم، وتقوية مركزهم؛ لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فوجد من هؤلاء التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة، فقد أصبح إبراهيم التستري ناظراً في جميع أمور الدولة في عهد المستنصر⁽⁸⁾.

وقد تولى هارون بن سهل التستري ديوان خاص⁽⁹⁾ المستنصر عام (439هـ/1047م)⁽¹⁰⁾.

كما تولى التاجر نهراي بن نسيم خزانة بيت المال⁽¹⁾. وذكرت وثائق الجنيزة أنها كانت مهنته الرئيسية خلال بعض الفترات⁽²⁾.

ان تفوق الذميين في التجارة دفع الدولة إلى تعيينهم كممثلين قانونيين وتجارين للتجار الآخرين، حيث تولوا وظيفة وكيل التجار في مصر⁽³⁾.

(7) ابن العميد، تاريخ المسلمين، ص299.

(8) ابن الصيرفي، الإشارة، ص38.

(9) لم تحدد المصادر اختصاصات ديوان الخاص، ويرجح أنه كان يختص بالنظر في خاص أموال الخلفاء، تأسيساً على أنه كان في عصر المماليك يختص بالنظر في أموال السلطان. انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص523.

(10) ابن ميسر، أخبار، ص4.

(1) خزانة بيت المال. كان يطلق عليها الخزانة الكبرى والخزانة السلطانية وأيضاً بيت المال. وكانت مستودع أموال المملكة وكان يعمل بها ناظر وشهود وكاتب. انظر القلقشندي، صبح، ج4، ص31، محمد قنديل البقلي، التعريف، ص118.

(2) Goitein, op.cit, v.1, p. 154.

(3) Ibid, v.1, p. 158. حول وظيفة وكيل التجار، انظر ص120-121 من الأطروحة.

لقد لعب أهل الذمة دوراً بارزاً في النشاط المصرفي، حيث ظهر منهم جهابذة⁽¹⁾، وصيارفة⁽²⁾. والجهبذ: هو تاجر وسع أعماله حتى صار صاحب بيت مالي يشتغل بالتسليف، ويقدم خدمة لمعامله تتمثل في حفظ أموالهم. وقد كان للدولة جهابذة رسميين يسلفونها المال عند الحاجة⁽⁶⁾. أما الصيارفة: هم الذين كانوا يقومون بتبديل النقود أو صرفها بعد تقييم هذه النقود من حيث الجودة ومن حيث وزنها، ثم توسعت أعمالهم فأخذوا يشتغلون في التسليف ويقبلون الودائع ويتوسطون بين الناس ودار الضرب بأخذ الفضة والذهب من الناس لصكها، ويدفعون لهم نقوداً تعادلها في القيمة الاسمية، فيستفيدون من الفرق بين القيمتين⁽⁷⁾. وقد خصص سوق للصيارفة في القاهرة⁽⁸⁾، مما يشير إلى اتساع نشاطهم المصرفي.

وبحكم تعامل الجهابذة بالنقود، أصبحت لهم خبرة كافية في تقدير الأموال، مما جعل الدولة تستعين بهم في جباية الضرائب، وتحصيل الأموال، فكان الجهبذ يتسلم الوارد من الخراج وغيره، ويعمل حساباً شهرياً وسنوياً به يرسله إلى الديوان العام، فيقول ابن مماتي (ت 606هـ / 1029م) عن عمل الجهبذ أنه: " كاتب يرسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به، وعليه عمل الرزنجات⁽⁹⁾ والختمات⁽¹⁰⁾ وتواليها، ويطلب بما يقبضه ويخرج مايرفعه من الحساب اللازم له"⁽¹¹⁾.

وقد أكدت أوراق البردي على عمل الجهابذة في جباية الخراج، ففي بردية يرجع تاريخها إلى سنة (405هـ/1014م) تتضمن إيصالاً عن دفع الخراج عن كورة الأشمونين لجهبذ نصراني يسمى بquam بن شنودة⁽³⁾.

(4) جروهمان، أوراق، ج3، ص163-165.

(5) Goitein, op.cit, p. 232-239, 241-242, 246.

(6) Goitein: op.cit, v.1, pp246-247, تاريخ العراق، ص160-164.

(7) Goitein, op.cit, v.1, p.p. 230-231، تاريخ العراق، ص165-166.

(8) المقريزي، المواعظ، مج3، ص323.

(9) الروزنامج: اسم فارسي بمعنى كتاب اليوم، روز بمعنى اليوم، ونامة بمعنى الكتاب؛ لأنه يكتب فيه ما يجري من استخراج أو نفقة أو غير ذلك. انظر الخوارزمي، مفاتيح ص81.

(10) الختمة: كتاب يرفع الجهبذ في كل شهر بالاستخراج والنفقات والحاصل. وعرف بالختمة؛ لأنه كان يتم في ختام الشهر. انظر المصدر نفسه، ص81.

(11) المصدر نفسه، ص81، ابن مماتي، قوانين، ص304.

(1) جروهمان، أوراق، ج3، ص163-165.

لقد شارك الذميون في التنظيمات المهنية (أي الأصناف) فقد عمل في القاهرة مهرة من الصانع النصارى في كثير من الصناعات، حيث كان المناخ السعيد⁽¹⁾ غاصاً بالصانع النصارى " فكانت عدتهم فيه كثيرة، ففيهم الجزارين والنجارين والدهانين والفرانين والخياطين والفعلة من العجانيين والطحانيين"⁽²⁾. واشتغل أهل الذمة في الريف بالزراعة⁽³⁾، وبتربية المواشي والدواجن والخنزير، فضلاً عن تربية النحل⁽⁴⁾.

وقد جعلت الإشارات التي وردت في المصادر الرفاة الاقتصادي سمة عامة لأوضاع الذميين الاقتصادية، فقد ورد في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أن النصارى " طغوا وعتوا وبذخوا بديار مصر وصار أكثر اهتمامهم بالأموال الدنيوية، والتجمل والتفاخر والكبرياء على بعضهم بعض"⁽⁵⁾. وذكر ابن حوقل (ت367هـ/977م) أن النصارى في مصر أهل يسار وذخائر وأموال⁽⁶⁾. وذكر ابن ممتي (606هـ/1209م) أن النصارى اتسعوا في الأموال حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر⁽⁸⁾.

كما صور الشعر حياة الترف التي عاشها بعض الذميون، فقال أحد الشعراء⁽⁹⁾:

يهود هذا الزمان قد بلغوا	غاية أمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم	ومنهم المستنثار والملك

- (2) حول المناخ السعيد انظر ص 13 من الأطروحة.
(3) ابن الطوير، نزهة، ص142، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص456.
(4) أبو صالح الأرمني، كنانس، ص112.
(5) المصدر نفسه، ص112.
(6) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص 818-819.
(7) صورة، ص150.
(8) قوانين، ص73.
(9) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص52.

وقال آخر معبراً عن حياة الترف التي عاشها الذميون، والتي تمثلت في ركوباتهم (10):

وغالوا بالبالغ وبالسروج		إذا حكم النصارى في الفروج
-------------------------	--	---------------------------

ويبدو أن رسوخ أقدام الذميين في المهن التي تدر أرباحاً وافرة هو الذي جعل المصادر تشير دائماً إلى الرفاه الاقتصادي لهم، والذي لا يمكن اعتباره سمة عامة لأوضاعهم الاقتصادية، بل سمة لأوضاع فئة محدودة منهم، تتمثل في كبار التجار وفي الصيارفة والجهابذة، الذي أتاحت لهم مهنتهم جمع الأموال الطائلة. وتتمثل أيضاً في كبار موظفي الدولة الذين ساعدتهم نفوذهم الإداري والسياسي على تكوين ثروات طائلة. وهذا ما أشار إليه ابن المقفع في قوله: " ولما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبير أمورها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبنخوا ... بديار مصر ... وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر ... " (1). ويقول المقرئزي: لما تمكن النصارى في عهد الحاكم "في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاضموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم" (2).

أما بقية الذميين الذين ينتمون إلى فئة العامة – التي تضم الجماعات الأقل ثروة والذين يشغلون المهن الاجتماعية الأقل شأناً – التي تضم الصناع والفلاحين والباعة (3)، فيفترض وجود فقراء بينهم بأعداد كبيرة.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص348.

(1) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص818.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج4، ق2، ص1007.

(3) انظر ص 146-132 من الأطروحة.

ارتبط أهل الذمة مع المسلمين بعلاقات اجتماعية متعددة، منها علاقة الجوار، فلم يكن غريباً أن تجاور مساكن أهل الذمة مساكن المسلمين، فقد عاشوا في حارات المسلمين، حيث أقام اليهود في حارة الجوزرية جنباً إلى جنب مع المسلمين، وعندما أحرق الحاكم مساكنهم في الجوزرية انتقلوا إلى حارة زويلة وجاوروا المسلمين فيها(1).

ويبدو أن التعايش بين المسلمين والذميين في المجتمع وصل إلى درجة من القوة، بحيث شارك المسلمون أهل الذمة الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، حيث شاركوهم الاحتفال بأعيادهم الدينية، حتى أصبحت بعض الأعياد النصرانية أعياداً شعبية يشارك فيها الجميع(2). ولم تقتصر مشاركة المسلمين للذميين على الأعياد، حيث شاركوهم أيضاً في تشييع الجنائز، فيذكر المسيحي (ت 420هـ/1029م) أن المسلمين والنصارى والخدم والأساقفة والرهبان نزلوا لجنائز صبي نصراني توفي وعمره أربع عشرة سنة(3).

كما كان للذميين – أيضاً – نصيب واضح في حياة المسلمين الاجتماعية، فقد جرت عادة بين المسلمين أنهم في أفراح عرسهم يدعون بعض القبط الذين يتقنون الغناء والتلحين باللغة القبطية، ويشاركونهم في إحياء احتفالاتهم، فيتقدم هؤلاء موكب العروس في شوارع المدينة وأسواقها يغنون باللغة القبطية(4).

وكثيراً ما كان يحدث نوع من التكافل الاجتماعي بين أهل الذمة والمسلمين، ففي بردية مؤرخة سنة (434هـ/1042م) يطلب فيها نصراني من صديق مسلم مبلغ عشرة دنانير، واللافت للنظر أنه نصراني ويبدأ خطابه بالبسملة، مما يعكس حياة التسامح التي عاشها المسلمون وعامة أهل الذمة(5).

(4) القلقشندي، صبح، ج3، ص400، ابن إياس، بدائع، ج1، ص198.

(5) انظر ص 252-253 من الأطروحة.

(6) أخبار، ص107.

(1) أبو صالح الأرمني، كنانس، ص129.

(2) جروهمان، أوراق، ج5، ص129-130.

ويذكر ناصر خسرو (ت481هـ/1088م) أن أحد الذميين أقرض الدولة من الغلة الكثير لإطعام أهل مصر حين نقص النيل واشتد الغلاء⁽¹⁾. وكان التاجر القبطي إبراهيم بن زرعة يتصدق على الأرامل والمساكين والمستورين والضعفاء من المسلمين⁽²⁾، وكان ابن مماتي⁽³⁾ النصراني يتصدق أثناء الشدة المستنصرية (457-464هـ/1056-1072م) بالقمح على صغار المسلمين⁽⁴⁾.

اتسع التعايش بين أهل الزمة والمسلمين ليشمل جوانب ذات طابع ديني، فقد كان الذميون والمسلمون يخرجون معاً إلى صلاة الاستسقاء، فكانت كل طوائف الشعب تشترك في الدعاء والصلاة حتى يفيض النيل، وكانت تقام الصلوات إذا ما نقص النيل في موعد الفيضان وشعر الناس بالخطر يهدد حياتهم وبلادهم، فيخرج المسلمون حفاة وعلى رؤوسهم المصاحف، واليهود وعلى رؤوسهم التوراة، والنصارى وعلى رؤوسهم الأناجيل، يدعون وبيتهلون إلى الله أن يفيض النيل لتستمر الحياة⁽⁵⁾.

وقامت بين المسلمين وأهل الزمة علاقات عمل⁽⁶⁾، فلم يكن مستغرباً أن يعمل المسلم عند الذمي، بدليل تحريم الحاكم عام(403هـ/1012م) على أهل الزمة استخدام المسلمين في أعمالهم⁽⁷⁾.

(3) سفرنامه، ص121.

(4) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج1، ص427.

(5) ابن مماتي: الخطير أبي سعيد مهذب، أبي مليح، عمل كاتباً لديوان الجيش بمصر في أواخر أيام الفاطميين، وأول أيام بني أبوب مدة. توفي سنة (577هـ/1181م). انظر ابن خلكان، وفيات، مج1، ص212-213، المقرئزي، المقفى، ج2، ص83.

(6) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص213.

(7) ابن إياس، بدائع، ج1، ص229.

(8) عبد العزيز الدوري، (1989م). اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، بحث في كتاب القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج1، ص102.

(9) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص382. وعقب اختفاء الحاكم ألغت أخته ست الملك جميع القيود التي فرضها على الذميين بما فيها منعهم من استخدام المسلمين في أعمالهم، انظر الأنطاكي، تاريخ، ص373.

وكان التعاون التجاري بين المسلمين والذميين في التجارة أمراً شائعاً، فقد وردت في وثائق الجنيزة عقود بيع تجمع بين تجار مسلمين وتجار يهود في شركة واحدة، فقد حفظت رسائل الجنيزة شهادة خازن بيت مال يقول فيها: " حضر منصور بصحبة مسلمين، طلبا منه سعر كمية من الكتان، ولقد أخرج (منصور) دنانير، وأعطاهم لي لكي أزنهم في حضرة الطرفين، ولقد وزنتهما وفحصتهما" (1). وكان يشهد في بعض الأحيان على المعاملات التجارية مسلمون حتى لو كان الطرفان من اليهود(2).

ويعتبر نظام الوكالة(3) صورة أخرى من صور التعاون التجاري بين اليهود والمسلمين، فكان منصب وكيل التجار في أحيان كثيرة يتولاه تاجر مسلم وتاجر يهودي بالاشتراك معاً، فقد ورد في إحدى رسائل الجنيزة أن " فلان هو الآن وكيل التجار مشاركة مع أبي محمود" (4). كما ورد في أوراق البردي عقود بيع تجمع بين تجار مسلمين وتجار نصارى، ففي عقد مؤرخ سنة (341هـ / 952م) لبيع منزل كان الشاري فيه نصرانياً يدعى " يخنس بن شنودة"، والبائع "عبد العزيز بن مقبل المعزبي" (5). وعقد آخر مؤرخ سنة (441هـ / 1049م) شهد عليه المسلمون والنصاري معاً(6).

لقد أدى اختلاط الذميين بالمسلمين، إلى تأثر الذميين بعادات المسلمين، فقد انتشرت بين النصارى - في عهد المعز (341-365هـ / 952-975م) - عادة اتخاذ السراري إلى جانب زوجاتهم كما يفعل المسلمون مخالفين بذلك شريعتهم(7).

(1) Goitein, op.cit, v.1, p.p.230-231.

(2) Ibid, , v.1, p, 196.

(3) سبق الحديث عن نظام الوكالة في ص 120-121 من الأطروحة.

(4) Goitein, op.cit, v.1, p.p. 188-189

(5) جروهمان، أوراق، ج1، ص163.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص 194-198.

(7) ساويرس بن المقفع، ج3، مج1، ص430.

وقد أثر الاحتكاك والتعاون بين أهل الذمة والمسلمين على عادات وتقاليد المجتمع المصري، ومن ذلك أن بعض نساء العامة من المسلمات اعتدن عدم شراء السمك أو أكله يوم السبت، حيث حرم اليهود صيد السمك أو أكله في هذا اليوم، كما أن بعضهن تأثرن بعادة النصارى في عدم العمل ليلة الأحد⁽¹⁾.

ورغم أن الاتجاه العام – كما بينا – كان نحو تعايش المسلمين والذميين في جو من الانفتاح والعيش المشترك، إلا أنه وردت في المصادر أخبار قليلة سجلت حالات فردية لعلاقات سلبية بين المسلمين والذميين، مثلت جوانب شاذة في علاقات المسلمين مع الذميين، حيث فرضتها ظروف معينة. فقد شهد المجتمع في مصر وفي حالات نادرة شيئاً من التجاوز على الذميين، ولم يكن هذا التجاوز نتيجة لتعصب ديني، وإنما نتيجة لسلوكيات الذميين السلبية – في بعض الأحيان – إزاء المسلمين.

فقد قام المسلمون عام (402هـ/1011م) بمهاجمة ونهب مشيعو جنازة رئيس اليهود بمصر شريان بن الحنان⁽²⁾؛ نتيجة لقيام اليهود المقيمين في حارة الجوزرية بالسخرية منهم. ويبدو أن معارضة المسلمين لاستهزاء اليهود بهم وصلت إلى درجة من القوة دفعت الحاكم إرضاءً للمسلمين، إلى حرق مساكن اليهود التي في حارة الجوزرية، وترحيلهم إلى حارة زويلة⁽³⁾.

كما أن استخدام الذميين في وظائف الدولة على نطاق واسع أدى إلى تمكنهم من المسلمين وتسلطهم – في بعض الأحيان – على مصالحهم ومحاباتهم أهل دينهم وتسهيل تعيينهم في الوظائف على حساب المسلمين، وكانت مغالاتهم وترفعهم على هذه الصورة أمام جمهور المسلمين، تؤدي إلى ارتفاع أصوات المسلمين بالاستنكار، فتصدر أوامر الخلفاء بفرض قيود اجتماعية على الذميين للحد من تسلطهم على المسلمين⁽³⁾، وسرعان ما كانت تلك القيود تزول، وتعود حياة الصفاء بين المسلمين وبين الذميين.

(8) ابن الحاج، المدخل، ج1، ص278-279.

(1) Goitein, op.cit, v.2, p.p. 28-29

(2) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص55، المقرئ، المواعظ، مج3، ص12.

(3) انظر ص 166-167 من الأطروحة.

وقد كانت الاضطهادات التي تقع على المسلمين من قبل النصارى، حتى خارج مصر تؤدي أحياناً إلى حدوث اشتباكات ما بين الذميين والمسلمين في مصر، فحينما غزى الروم الشام عام (349هـ/960م)، وقتلوا وخرّبوا فيها، هاج المسلمون على النصارى في مصر، ونهبوا كنائسهم⁽⁴⁾.

وحدثت فتنة كبيرة بين المسلمين والنصارى في مصر، عندما احترق الأسطول الذي جهزه العزيز لغزو بلاد الروم عام (386هـ/996م) - أثر خروج الإمبراطور باسيلئوس إلى الشام لغزوها سنة (386هـ/996م) - فاتهم عامة المسلمين تجار الروم الواردين بالبضائع إلى مصر بحرقه؛ حتى لا تتعرض بلادهم للغزو، وثاروا عليهم وقاموا بقتل مائة وستين رجلاً منهم، وانطلقوا إلى الكنائس فقاموا بتخريبها ونهبها وجرحوا أسقف النسطوريين، فمات متأثراً بجراحه؛ وخشيّة من تفاقم الأزمة قام الوزير عيسى بن نسطورس باعتقال ثلاثة وستين من المسلمين، ثم أمر العزيز بقتل ثلثهم وضرب ثلثهم وإطلاق الثلث⁽¹⁾.

(4) الانطاكي، تاريخ، ص92.
(1) الأنطاكي، تاريخ، ص232-234.

الفصل الرابع

طراز المعيشة

اولا: المأكل والمشرب

ثانيا: اللباس

ثالثا: الزينة

رابعا: المسكن

خامسا: الأعياد والاحتفالات

سادسا: وسائل التسلية

سابعا: الاسرة

أولاً: المأكل والمشرب:-

لقد بلغت عناية الفاطميين في طعامهم وشرابهم مبلغاً عظيماً، فكانوا "يتأنقون في المأكل، حتى إن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق في كل يوم على طعامه العشرة الدنانير والعشرين ديناراً، لسعة أحوالهم"⁽¹⁾. كما خصص الفاطميون لمطابخ قصورهم مصروفات عظيمة من بيت المال⁽²⁾، وعينوا مشرفين على مطابخ قصورهم⁽³⁾، ومشرفات على موائدهم⁽⁴⁾. لقد اعتنى الفاطميون عناية كبيرة بإقامة الأسمطة في المناسبات والأعياد، ولا سيما في أول العام الهجري⁽⁵⁾، وعيد الفطر⁽⁶⁾، والنحر⁽⁷⁾، وفي رمضان⁽⁸⁾، وانفقوا المبالغ الباهضة على هذه الأسمطة⁽⁹⁾، التي كان " لا يفوتها شيء من أصناف المأكولات الفائقة، والأغذية الرائقة"⁽¹⁰⁾. كما اعتنى العامة في مآكلهم ومشربهم، وكانوا " يظهرن كل ما يمكنهم إظهاره في المأكل والمشرب"⁽¹¹⁾

(1) المقرئزي، **اتعاظ**، ج2، ص348.

(2) ابن ممتي، **قوانين**، ص350.

(3) ابن المأمون، **أخبار**، ص81. المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص391.

(4) ابن المأمون، **أخبار**، ص51، 88، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص391.

(5) ابن المأمون، **أخبار**، ص58-59، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص462.

(6) ابن الطوير، **نزهة**، ص211-212، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص293.

(7) ابن الطوير، **نزهة**، ص75، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص599.

(8) ابن الطوير، **نزهة**، ص75، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص595.

(9) ابن الطوير، **نزهة**، ص75، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص293.

(10) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص293.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص604.

وقد أدى إقبال الناس على الطعام، إلى انتشار أسواق الأطعمة، فقد كان سوق القصبية " غاصاً بأنواع المأكّل والمشارب"⁽¹²⁾. وكان سوق حارة برجوان " معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعي لحم الضأن، وبه عدة كثيرة من الزياتين، وكثير من الجبانيين، والخبازيين واللبنانيين، والطباخين والشوائين، والخضريين "⁽¹³⁾. وكان سوق خان الرواسين من أحسن أسواق القاهرة، ويشتمل على نحو العشرين حانوتاً مملوءة بأصناف المأكّل⁽¹⁴⁾. وكانت سويقة أمير الجيوش تكتظ بأصناف المأكّل⁽¹⁵⁾.

إن إقبال الناس على الطعام، جعل الدولة الفاطمية تتخذ من المأكّل وسيلة من وسائل الدعاية للنظام السياسي، فعمل الفاطميون على تدعيم الروابط الاجتماعية بينهم وبين رعاياهم ورجال دولتهم، عن طريق إغداق المأكّل عليهم؛ بهدف كسب ولائهم. فكان الفاطميون يقدمون في الأعياد والمواسم " إلى جميع خدمهم وحواشيهم، ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير... ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات"⁽¹⁾.

وكانت الدولة تفرق في الأعياد الحلوى على الخاصة والعامة⁽²⁾، ومن رسوم الدولة، تفريق المأكّل على الناس في احتفال رأس السنة⁽³⁾، وفي عيد ميلاد المسيح⁽⁴⁾، وفي عيد النوروز⁽⁵⁾، وفي المواليب الستة⁽⁶⁾. وكان من رسوم الدولة الفاطمية في الأعياد، إعداد الأسمطة في القصر الشرقي، ودعوة رجال الدولة إليها، وإباحتها للعامة⁽⁷⁾.

(12) المصدر نفسه، مج3، ص316.

(13) المصدر نفسه، مج3، ص318-319.

(14) المصدر نفسه، مج3، ص317.

(15) المصدر نفسه، مج3، ص335.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص359.

(2) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص26-29، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص405.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص591.

(4) ابن المأمون، أخبار، ص104، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص603.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص601.

(6) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص27، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص593.

(7) ابن المأمون، أخبار، ص88. المقرئزي، المواعظ، مج2، ص294.

ويمكن أن يعزى تأنق الناس في المأكل والمشرب، إلى كثرة إنتاج مصر الزراعي(8)، والحيواني(9)، الذي أدى إلى وفرة الأطعمة، مما ساعد الناس على التأنق في المأكل، والاهتمام بالجيد من أصنافه. وقد أبدى الرحالة المقدسي - الذي زار مصر في العصر الفاطمي- إعجابه بأطعمة المصريين، فقال أن مصر بها " أطعمة لطيفة، وحلاوات رخيصة"(10).

كما عزى المقرئ مبالغة الفاطميين في التأنق بالمأكل والمشرب إلى " ما كانوا عليه من الحضارة والترف"(11)، ولا ريب في ذلك، إذ أن الأسمطة- كما يقول ابن خلدون- لا تكون " الا إذا تجاوزت الدولة ضراوة العيش وخشونتته إلى نوافله وترفه وزينته... فينزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في الطعام، ويتفاخرون في ذلك، ويفاخرون فيه غيرهم من الامم في أكل الطيب، وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه"(12).

وقد الفت كتب في المأكل في العصر الفاطمي؛ نتيجة لهذا الاعتناء بالطعام، فقد ألف الطبيب موسى بن العازار الاسرائيلي كتاباً في الطبخ، أهداه للمعز، اسمه " الكتاب المعزي في الطبخ"(13)، وألف المسبحي كتاباً عن المأكل اسمه " البخلة والأكلة"(14)، كما ألف المسبحي كتاباً عن الشراب، اسمه " الراح والارتياح في وصف الشراب وآلاته، والندام عليه، واختيار أوقاته، وذكر الزهر والرياض والثمار والأشجار والمظان المختارة لشرب العقار"(1).

-
- (8) حول الانتاج الزراعي لمصر في العصر الفاطمي، انظر الأخطري، مسالك، ص41، ابن حوقل، صورة، 113، الحميري، الروض، ص442، ادريس، محمد محمود، (1976). الحياة الزراعية في مصر في العصر الفاطمي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص170-288.
- (9) حول الانتاج الحيواني لمصر في العصر الفاطمي، انظر: البغدادي، أخبار، ص99، ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص198، الطواهي، فوزي، (2003م). الزراعة في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص210-221.
- (10) أحسن التقاسيم، ص203.
- (11) المواعظ، مج3، ص316.
- (12) ابن خلدون، العبر، ج3، ص131-132.
- (13) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص66.
- (14) ابن سعيد، النجوم، ص66.
- (1) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص378.

إن اهتمام الخاصة والعامة بالطعام أدى إلى تطور فن الطبخ، يؤكد ذلك ظهور فناني مهرة في الطبخ، فقد عزى ابن سعيد جودة طبخ الأطعمة في العصر الأيوبي، إلى وجود جوار طبابخات، أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين، لهن في الطبخ صناعة عجيبة، ورياسة متقدمة⁽²⁾. وإن انتشار حوانيت الطباخين المهرة في الأسواق⁽³⁾، جعل كثيراً من الناس " يتناولون أغذيتهم كل يوم في الاسواق بكرة وعشيا"⁽⁴⁾.
ويبدو انعكاس مهارة طباخي العصر الفاطمي في أقوال الشعراء، فحينما دعا الشريف العقيلي صديقاً له إلى مائدته، أخبره بأن صانعها طباخ، ماهر، صناع، فقال له:⁽⁵⁾

ورضيع إذا أتيت أتانا	منه طباخنا برطب سمين
----------------------	----------------------

وأشاد ظافر الحداد بخباز الكنافة، فقال:⁽⁶⁾

وحاذق محكم كنافته	لا تشيع العين منه بالنظر
-------------------	--------------------------

وأشاد ظافر الحداد بصانع شراب الفقاع، فقال:⁽⁷⁾

جاءنا بعدما أكلنا فقاع	قد أجادت إحكامه الصناع
------------------------	------------------------

(2) ابن سعيد، النجوم، ص29، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص230.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص316.

(4) المصدر نفسه، مج1، ص130.

(5) ديوان، ص111.

(6) ديوان، ص132.

(7) المصدر نفسه، ص366.

إن مظاهر الطعام تؤكد أهمية انفتاح مصر على الخارج، فمن خلال عادات الاستهلاك الرفيعة المستوى، يتبين وجود صلات ثقافية وتجارية مع العالم المسيحي، ولم يفلح التعصب الديني في وأد قنوات التواصل الحضاري. فكانت سفن التجار الروم تصل إلى موانئ مصر محملة بالمنتجات الرومية، وكان الجبن أكثر ما تطرحه هذه السفن(8)، وقد أثار ذلك استياء الفقيه الطرطوشي، فألف أثناء مقامه في الاسكندرية " رسالة في تحريم جبن الروم"(9)، وكانت من الاسباب التي أثارت عليه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي أمر بإرسال الطرطوشي إلى القاهرة، وحدد إقامته(10).

لقد ضاعفت تيارات الهجرات المتوالية من المغرب وبلاد الأرمن إلى مصر، من فرص التواصل الحضاري بين المغرب وبلاد الأرمن من جهة، ومصر من جهة أخرى. فساهمت هذه الهجرات في نقل جزء من تراث المغرب وبلاد الأرمن إلى مصر، وشمل ذلك المأكل، فشاعت في مصر مع مجيء المغاربة إليها، أكلة الكسكسو المغربية(1). كما ظهر في مصر مع قدوم الأرمن إليها، خبز أبيض اختص في صناعته الأرمن يسمى "اقلاعمون"(2).

امتد التأثير المذهبي الاسماعيلي للفاطميين إلى المأكل، فأصدر الحاكم بأمر الله قرارات عديدة، تقضي بمنع بيع بعض المأكولات المحببة لدى بعض السنة، فمنع - عام (395هـ / 1005م)- " الناس من زرع الملوخية والقرع، وكتب على الفلاحين قائم أن لا يزرعوا شيئاً منهما، وعلل تحريم القرع؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان يميل إليه، وعلل تحريم الملوخية؛ لكون عائشة بنت أبي بكر الصديق كانت تميل إليها"(3)، وكانت " محببة لمعاوية بن أبي سفيان"(4). كما منع بيع " الجرجير المنسوب إلى عائشة، والمتوكلية المنسوبة إلى المتوكل العباسي"(5).

(8) Goitein: op.cit, v.4, p.46

(9) الطرطوشي، سراج، ج2، ص212.

(10) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص125.

(1) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ص56-57.

(2) المصدر نفسه، ص35-36.

(3) ابن إياس، بدائع، ج1، ص99.

(4) المقرئ، اتعاض، ج1، ص356.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص356.

ويبدو أن قرارات منع هذه الأطعمة، كانت وقتية؛ ربما فرضتها ظروف معينة، حيث أن الناس ما لبثوا في العام التالي من إصدار هذه القرارات، أن تراجعوا " إلى بيع جميع ما نهى عنه من غير تقدم لهم في ذلك" (6).

وكان الطعام كما يبدو من النصوص المتوفرة لدينا، يقسم إلى نوعين: نوع معقد التركيب يكلف غالباً لما يحتاج إلى الآت ومطيبات وجهد، وهو طعام الأغنياء. وآخر بسيط، يمكن القول عنه بأنه طعام شعبي، شائع بين الناس جميعاً، رغم اختلاف مستوياتهم الاقتصادية.

أ. الأكلات المترفة:

وهي الأطعمة المعقدة التي تحتاج إلى أدوات كثيرة، وآلات مختلفة، أي المواد التي تسمى (الأبازير) التي تطيب الطعام، وتزيده نكهة. ومن البديهي أن تكون هذه الأكلات غالية الثمن، لا يقدر عليها العامة، ومن هذه الأطعمة:

* الدجاج:

كان سعر الدجاج غالباً إذا ما قرن بثمن الأطعمة الأخرى، فذكر ابن ميسر أنه في عام (536هـ / 1141م)، غلت أسعار السلع، أما " الدجاج والفراريح لا يقدر على شيء منها" (7). وكان أكل الدجاج مؤشراً على الترف، فعندما كان الشريف أبو جعفر مسلم يتحدث عن العلم سخر منه سيبويه المصري، قائلاً: شغلكم عن العلم أكل الفراريح (1).

(6) الأنطاكي، تاريخ، 268.

(7) أخبار، ص134، المقرئ، اتعاض، ج2، ص253.

(1) ابن زولاق، أخبار سيبويه، ص58.

أما كيفية طبخ الدجاج، فهي واحدة في الأساس، إلا أنها تختلف حسب المواد المضافة إليه، فالمبدأ العام في طبخ الدجاجة أن تؤخذ وتسلق وتقطع، ثم تعرق في الشيرج – هو الدهن المستخرج من السمسم – المضاف إليه الكسفرة، والدار صيني⁽²⁾، وبعد هذه العملية تضاف إليها " الأمزجة الطبية النافعة"⁽³⁾ التي تختلف حسب رغبة الطابخ، فإذا أراد أن تكون حامضة فيجب على الطابخ أن يضعها بماء الليمون والتوابل، ثم يضيف إليها بعد ذلك اللوز الحلو المقشور، والمدقوق ناعماً، ثم يرش بعد ذلك عليها ماء ورد، أو يفرك فوق كل ذلك باقات نعنع⁽⁴⁾. وكان هذا الطبق يقدم مع سلاطة مصنوعة من أوراق البنجر⁽⁵⁾.

وإن أراد أن تكون مصوصاً⁽⁶⁾، عرقها بالشيرج بعد السلق، ثم طرح عليها الكرفس والخل مصبوغاً بزعفران⁽⁷⁾.

وإن أرادها مقلية – أو مطبنة كما تسمى أيضاً- فيجب أن يقلبها حتى تتورد، ثم يطرح عليها شيئاً يسيراً من ماء السلق، وبعد أن يرفعها عن النار، عليه أن يعصر عليها ماء الليمون الطري⁽⁸⁾.

ومن الناس من كان يفضل أكل الدجاج المصوص، والمطجن في آن واحد، فقد دعا الشريف العقيلي صديقه إلى مائدة، قال له أن فيها⁽⁹⁾:

فراخ منها المصوص، ومنها ما عدلنا به إلى التطجين

(2) البغدادي، الطبخ، ص47-48.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص294.

(4) البغدادي، الطبخ، ص47-48.

(5) Goitein: op.cit, v.4, p.231

(6) المصوص: دجاج ينقع في الخل ثم يطبخ. انظر ابن منظور، لسان، ج7، ص93.

(7) البغدادي، الطبخ، ص47-48.

(8) المصدر نفسه، ص47-48.

(9) ديوان، ج2، ص115.

وإذا أرادها أن تكون حلوة يلقبها بعد سلقها في الجلاب⁽¹⁰⁾، ثم يضيف إليها أصناف الحلو مثل البندق المدقوق، أو الفستق، أو ماء الورد، ثم يطبخها حتى تتعقد، ثم يرفعها. وتسمى هذه الطبخة حسب نوع ما أضيف إليها، إذا كان فستق، يقال لها فستقية، وإذا كان بندق، يقال لها بندقية، وإذا كان ماء ورد، يقال لها وردية⁽¹¹⁾.

* **اللحم:** يعد استهلاك اللحوم من مظاهر الغنى، فالقاضي مجلي بن جميع وصف فقره قبل أن يلي القضاء قائلاً: " والله لم أدخل في الحكم (القضاء) الا للضرورة، وقد بعد عهد أهلي باللحم، فأخذت لهم منه، فما هو الا أن وضعوا أيديهم مرة ثم لم يضعوها ثانية"⁽¹⁾.

وكان لحم الضأن أغلى اللحوم، والأثمن منه، دهن ذيل الغنم. أما ذيل الخراف، فكان أكله - كما ورد في رسائل الجنيزة- يعد نوعاً من الرفاهية؛ لغلائه الشديد⁽²⁾.

وكان وجود اللحوم على موائد الخلفاء ضرورياً، فكانت أسمطتهم تحتوي على " أطباق في كل طبق أحد وعشرون خروفاً سميماً مشويماً"⁽³⁾ وقد أدى نهم أسد الدين شيركوه بأكل اللحوم إلى مصرعه، فذكر المقرئزي أنه مات " بخناق تولد له من إكثاره أكل اللحوم"⁽⁴⁾. ولما كان وجود اللحوم على موائد رجال الدولة ضرورياً، فقد كان من رسوم الدولة الفاطمية في ليلة رأس السنة " أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف، وتفرق على جميع أرباب الرتب"⁽⁵⁾. وفي موسم أول العام كان " يفرق من السماط الذي يعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والأقلام بتقرير مرتب خرفان شواء"⁽⁶⁾.

(10) الجلاب: ماء الورد المغلي في السكر. انظر الجواليقي، المعرب، ص40.

(11) البغدادي، أخبار والاعتبار، ص42.

(1) الاسنوي، طبقات، ج1، ص278.

(2) Goitein: op.cit, v.4, p234.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص295.

(4) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص324.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص591.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص592.

وكانت اللحوم تطبخ إما مشويه⁽⁷⁾، أو تدخل في صناعة بعض الأكلات، مثل:

*** الهريسة:** من الأكلات المشهورة واللذيذة، فقد أعجب المقدسي بمذاقها، فقال: " ولا نظير لهريستهم (أي أهل مصر)"⁽⁸⁾. وطريقة صنعها أن يلقى لحم الضأن، ولحم البقر في قدر، ويغمر بالماء، ثم يوقد تحت القدر حتى يقارب النضج. وعند ذلك تخرج قطع اللحم، فيزال عنها العظام، وتعاد إلى القدر، ويضاف إليها أربعة أرطال من الحنطة الجيدة النوع، المغسولة والمقشورة في الوقت نفسه. ويستمر إيقاد النار تحت القدر حتى ينتهي ربع الليل، ويكون تحريكها خلال ذلك الوقت مستمرا، ثم يضاف إلى القدر اللحم⁽⁹⁾، والبصل والتوابل⁽¹⁰⁾، وتترك فوق النار إلى منتصف الليل، فتضرب عند ذلك ضربا جيدا، حتى ينعقد هذا الخليط من المواد - أي تصبح أجزاءه متماسكة- ويلقى الملح حسب الحاجة، وتترك إلى الفجر، ثم يعاد ضربها، وبعد ذلك ترفع عن النار، ويلقى عليها الكمون، والدار صيني المدقوقين ناعماً⁽¹⁾. وقد يضاف إلى الهريسة الفستق، فتسمى " هريسة الفستق"، وهي - كما يقول عبد اللطيف البغدادي - " لذيذة جداً ومسمنة"⁽²⁾. وكانت الهريسة من الأطعمة الفاخرة، حيث كان من رسوم الدولة الفاطمية، تفرقتها على أرباب الدولة"⁽³⁾.

*** المضيرة والطهاجة:** من الأكلات الفاخرة، حتى أن الشريف العقيلي حاول أن يغري بهما صديقه على قبول دعواه، فقال له:

عندي طهاجة، وجدي بارد ومضيرة كالفضة البيضاء⁽⁴⁾

(7) المصدر نفسه، مج2، ص592.

(8) أحسن التقاسيم، ص203 - 204.

(9) البغدادي، الطبخ، ص52.

(10) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة 105.

(1) البغدادي، الطبخ، ص52.

(2) عبد اللطيف البغدادي، أخبار والاعتبار، ص41-42.

(3) المقرئ، المواعظ، مج2، ص601.

(4) ديوان، ج1، ص125.

أما المضيرة، فطريقة صنعها أن يقطع اللحم السمين، ويوضع في قدر، ثم يضاف إليه ماء وملح، ويغلى الجميع، فإذا قارب النضج يؤخذ البصل الكبير والكرات أيضاً، ويقشر، ويقطع ثم يغسل بماء وملح، وينشف، ثم يطرح في القدر، وتضاف إليه الكسفرة اليابسة، والكمون، فإذا نضج وتنشف الماء منه، ولم يبق سوى الدهن غرف في صحن، ثم يؤخذ من اللبن قدر الحاجة، فيلقى في القدر، ويضاف إليه الليمون والنعنع، ويترك حتى يغلي غلية واحدة، ثم يبعد عن النار ويحرك، فإذا سكن غليانه، أعيد ذلك اللحم والتوابل إليه، وفي الأخير تمسح جوانب القدر، ثم يغطى ويترك حتى يهدأ⁽⁵⁾.

أما الطباهجة: فهي من الأكلات الفاخرة، والمحبوذة عند الخلفاء، حيث كانت تمد على أسمطتهم في الأعياد⁽⁶⁾. وصفة عملها، أن يؤخذ لحم مشرح صغاراً، يعزل فيه السمين بناحية، والمهزول بناحية أخرى، ثم يؤخذ السمين، ويجعل في قعر القدر، ويغلى حتى يرشح ويزول شحمه، ثم يجعل المهزول عليه، ويلقى عليه قطع بصل ونعنع وكرفس، ويحرك حتى ينشف ماؤه، ثم يلقى عليه كزبرة يابسة وكمون ودار صيني وزنجبيل، الجميع مدقوقاً ناعماً، ثم يؤخذ خل وماء حصرم، وماء ليمون، فيمزج، ويلقى عليه من جملة الأباير شيء، ومن أحب أن يضيف إليه شيئاً من ماء السماق فعل، ثم يسقى تلك المياه حالاً فحالاً حتى يتكامل النضج، ويضاف إليه شيء يسير من الفلفل⁽⁷⁾. وربما يضاف إليه الفستق، ولذلك سميت الطباهجة التي كانت تمد على أسمطة الخلفاء بـ " الطباهجة المفستقة"⁽⁸⁾.

(5) البغدادي، الطبخ، ص23.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص295.

(7) البغدادي، الطبخ، ص16-17، ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان، ص119.

(8) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص295.

* **البزماورد:** هو الرقاق الملفوف باللحم⁽¹⁾، وصفة عمله أن يؤخذ الشواء الحار الذي قد فتر وهجه، ويقطع، ويجعل عليه ورق النعنع، ويسير من خل وليمون مملوح ولب جوز، ويرش عليه يسير ماء ورد، ويدق بالساطور دقاً ناعماً، ولا يزال يسقى خلأً إلى أن يشربه جيداً. ويؤخذ الخبز السميذ الفائق الملبب، فيخرج لبابه، ثم يحشى من ذلك الشواء حشواً جيداً، ويقطع بالسكين قطعاً متوسطة مستطيلة. وينشف ويرش فيه ماء ورد، ثم يفرش فيه نعنن طري، ويعبأ فيه بعضه فوق بعض، ثم يغطى أيضاً بشيء من النعنع، ويترك ساعة، ويستعمل، ويؤكل أيضاً بائناً، فيكون طيباً⁽²⁾. وقد كان البزماورد يصنع في دار الفطرة التي اختصت بصنع الحلوى⁽³⁾؛ لأنه كان يضاف إليه أصناف من الحلو مثل الجوز وماء الورد.

* **الكباب:** وقد عرفه الغزولي، بقوله: " الكباب، بفتح الكاف، وهو اللحم المشروح، وأجوده ما شرح اللحم شريحاً خفيفاً، ونثر عليه الملح، ونصب له مقلي على النار بلا دسم، وطرح عليه، وقلب من جنب إلى جنب حتى ينضج ويحمر"⁽⁴⁾.

(1) الجواليقي، المعرب، ص221.

(2) البغدادي، الطبخ، ص59.

(3) المقرئ، المواظ، مج2، ص401.

(4) مطالع، ج2، ص55.

يعد الكباب من الأكلات الشهية، حتى أن الشريف العقيلي ألح على صديق دعاه إلى مائدة كباب، بسرعة الحضور؛ حتى يرتاح من شم رائحته الشهية، فخاطبه قائلاً: (5)

فإن اقتنعت أرحتنا	من شم دخان الكباب
-------------------	-------------------

* **السكباج:-** من الأكلات التي شاهدها الرحالة المقدسي عند زيارته لمصر في العصر الفاطمي (6). وطريقة طبخه أن يقطع اللحم السمين، ويوضع في قدر، ثم يضاف إليه الماء، وكذلك الكسفرة الخضراء، والدار صيني والملح، ويغلى على النار. ويؤخذ بعد ذلك البصل الأبيض والكراث والجزر – ان كان أوانه – أو الباذنجان، ويقشر الجميع، ويوضع كل ذلك في قدر أخرى فيها ماء وملح، ويسلق نصف سلقة، ثم ينشف من مائه، ويترك في نبيذ ودبس- ويجوز في العسل أيضاً – ثم يمزج في الحموضة والحلاوة مزجاً معتدلاً. ثم يصب بعد ذلك في القدر الأولى، ويترك على النار ليغلي ساعة من الزمن، فإذا اريد قطع النار أخذ من المرققة قليل، وأضيف عليها قدر الحاجة زعفران، وصب في القدر، ثم يؤخذ لوز مقشر حلو وعناب، وزبيب وتين يابس، ويوضع في القدر، ويغطي ساعة من الوقت - حتى يهدأ على النار – وفي خلال ذلك تمسح جوانب القدر بخرقة نظيفة، ويرش على القدر ماء ورد، فإذا هدأت النار رفع وأصبح عندها معدا للأكل (1).

(5) ديوان، ج1، ص85.
(6) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص204.
(1) البغدادي، الطبخ، ص9.

* **رغيف الصينية:** وصفته أن يأخذ من الدقيق ثلاثون رطلاً، ويعجن مع خمسة أرطال ونصف شيرجاً، ويفرد في صينية نحاس سعة قطرها نحو اربعة اشبار، ويحشى خرفان مشوية، ودجاج، وفسق مهورس، وفلفل وزنجبيل، وقرفة، وكمون، ويرش عليه ماء ورد فيه مسك، ثم يوضع في التنور حتى يتماسك عجينه، وبيئدي في النضج، ثم يخرج ويمسح بإسفنجة، ويرش عليه ماء ورد، ومسك، ويرفع للأكل(2).

وهو طعام لفرط تكلفته قاصراً على المترفين، فهو كما يذكر عبد اللطيف البغدادي " يصلح أن يحمل مع الملوك وأرباب الترف إلى متصيداتهم النائبة، ومنتزهاتهم النازحة، فإنه ... جميل المنظر ... يحفظ الحرارة مدة طويلة"(3).

* **الكسكو:** دقيق يرش عليه ماء، ويفتل باليد، فيصبح على شكل دوائر صغيرة جداً، ويوضع في غربال، ويوضع الغربال فوق قدر فيه دجاج ولحم يسلق على النار، فيصعد بخار الدجاج واللحم على الغربال، وينضج الدقيق المفتول، ثم يوضع في صينية، وعليه الدجاج واللحم المسلو، ويزين بالحمص والليمون(4).

ب- الأكلات الشعبية الشائعة:

وهذه الأكلات بسيطة ورخيصة، تؤكل من قبل الناس رغم اختلاف مستوياتهم المالية، وتشمل:
* **السماك:** تعد الأسماك مصدراً أساسياً من مصادر الغذاء في مصر، يقول المقدسي " وأكثر آدمهم (أي أهل مصر) السمك"(5). ويضيف النويري " وليس في الدنيا بلد يأكل أهله صيد البحر طرياً غير أهل مصر"(6). وهذا يدل على رخص، ووفرة السمك في مصر، لأنه كان " يجتمع لهم (أي أهل مصر) سمك النيل وسمك البحر الملح"(7).

(2) عبد اللطيف البغدادي، أخبار، ص147- 148.

(3) المصدر نفسه، ص148.

(4) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة 35- 36.

(5) أحسن التقاسيم، ص203.

(6) النويري، نهاية، ج1، ص356.

(7) البغدادي، أخبار والاعتبار، ص106.

ونظراً لأهمية السمك في غذاء الناس، فقد كان يدخل ضمن الهبات التي تمنحها الدولة الفاطمية لرجالها في المناسبات، فكان من رسوم الدولة في عيد ميلاد المسيح، تفرقة السمك على أرباب الدولة(8).

وكانت أصناف السمك متنوعة، فذكر ابن بسام انه كان يصطاد من بحيرة تنيس ثلاثة وستين نوعاً من السمك(1). ومن هذه الأنواع: السمك البوري(2)، وسمك الأميمس، وهو طيب، لذيق اللحم(3). ثم سمك الراي، وهو سمك كبير لونه أحمر، ويزن بعضه ثلاثة أرطال(4). ويبدو أنه تميز بلحم طري خال من العظام والشوك، فعندما دعا ظافر الحداد أحد أصدقائه إلى تناول سمك الراي معه، طمئنه على سلامة أسنانه من تناوله(5)

ومن أنواع السمك في مصر، السمك البوري(6)، وسمك الابرميس(7)، والبلطي(8)، الذي أول ما عرف بنيل مصر أيام الخليفة العزيز(9).

وأفخر أنواع السمك سمك يسمى " الحلبوه"(10)، جيد الطعم، كثير النفع(11)، اختص به المترفين، فكان يصطاده الصيادون ويهدون به الوزراء والأمراء(12).

(8) ابن المأمون، أخبار، ص104، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص603.

(1) التنبسي، أنيس، ص177-178.

(2) ابن ظهيرة، الفضائل، ص133.

(3) الادريسي، نزهة، ج1، ص35، الحميري، الروض، ص587.

(4) الادريسي، نزهة، ج1، ص35، القزويني، آثار، ص178.

(5) ديوان، ص5-6.

(6) ابن ظهيرة، الفضائل، ص119، ابن إياس، نزهة، ص247.

(7) ابن إياس، نزهة، ص247.

(8) الادريسي، نزهة، ج1، ص35.

(9) ابن إياس، نزهة، ص110.

(10) الإدريسي، نزهة، ج1، ص35، الحميري، الروض، ص587.

(11) الحميري، الروض، ص587.

(12) ابن إياس، بدائع، ج1، ص17.

ويؤكل السمك مقلياً، أو مشوياً⁽¹³⁾. ويبدو أن السمك المقلي كان هو المحبب لدى الناس، حيث أكثر الشعراء من الإشارة إليه، فقد وصف الشريف العقيلي السمك المقلي باللذة في الأكل⁽¹⁴⁾، ويتلذذ ظافر الحداد بالسمك المقلي⁽¹⁵⁾.

* **النقائق:** تصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة بالبصل والتوابل⁽¹⁶⁾. ويبدو أنها كانت من الأكلات المفضلة لدى الناس، حتى أن الشريف العقيلي كان يغري أصدقائه على قبول دعواته إلى الطعام بها، فوصفها لهم قائلاً: ⁽¹⁷⁾

عندي نقائق منهن واحدة ترى الا كمثل البسرة الحمراء

ويدعو الشريف العقيلي صديقاً آخر إلى نقائق، فيصفها له، قائلاً: ⁽¹⁸⁾

ونقائق حشف الشطا	ط، وخردل صافي الرضاب
------------------	----------------------

ويبدو أن النقائق كانت متوفرة ورخيصة، حتى أصبحت تقدم للقطط وغيرها من الحيوانات، يظهر ذلك من خلال هجوم أحد الشعراء على المستفيدين في الدولة، الذين استأثروا باللحوم، وتركوا لغيرهم، أكل الطحال والمصران، أسوة بالقطط، فيقول: ⁽¹⁾

وارتعوا في جذور ذي الدولة الها	مي نداها في أطيّب اللحمان
واشغلونا بمابه يشغل الهر	لنفع أوخيفة العدوان
بالطحال المسدود أو طرف الرية	أو بالمعلاق والمصران

(13) البغدادي، الطبخ، ص60.

(14) ديوان، ج1، ص118.

(15) ديوان، ص6.

(16) الشيزري، نهاية، ص50.

(17) ديوان، ج1، ص118.

(18) المصدر نفسه، ج1، ص118.

(1) العماد الأصفهاني، الخريدة، ص16، 50.

* **الرؤوس:** من الأكلات الشعبية المحبوبة، يؤكد ذلك انتشار حوانيت بيع الرؤوس في القاهرة في العصر الفاطمي⁽²⁾. ولأنها من الأغذية الأساسية في طعام الناس، فقد كان من رسوم الفاطميين في ليلة رأس السنة " أن يعمل بمطبخ القصر الكثير من الرؤوس فتعم سائر الناس"⁽³⁾.
* **الفول:** من الإغذية الرئيسية للسكان، فقد حوت أوراق البردي العربية وثائق عن حسابات بعض الأسر المصرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، يتبين منها إقبال الأسر على شراء الفول بشكل يومي⁽⁴⁾؛ نظراً لوفرة إنتاج مصر من الفول⁽⁵⁾؛ إلى جانب فوائده الصحية، فقد عد أكل الفول دلالة على تمام العافية، حيث يقول المثل الشعبي، " صباح الفوال ولا صباح العطار"⁽⁶⁾.

وكان الفول يؤكل أخضراً⁽⁷⁾، وأحياناً مسلوفاً، ويضاف إليه الفلفل والملح، وأحياناً يطبخ بالسمن واللبن، ويطلق عليه البيسار⁽⁸⁾.

* **القلقاس:** يعتبر طبقاً رئيسياً على الموائد، وقد أعجب المقدسي بمذاقه، فقال: " ولا نظير ... لقلقاسهم (أي المصريين)"⁽⁹⁾، وهو شيء على قدر الفجل المدور، عليه قشرة تميل إلى الحمرة⁽¹⁰⁾. ورقه شديد الخضرة، شبيه بورق الموز في خضرته ونضارته، وفيه حرقه قوية، لا تذهب الا عند الطهي⁽¹¹⁾، وهو من مأكولات فصل الشتاء⁽¹²⁾.

* **الأرز:** ان وفرة إنتاج مصر من الأرز⁽¹⁾، أدى إلى رخص ثمنه، وإقبال الناس عليه. وكان يؤكل مع اللبن والسكر، " ففي موسم أول العام كانت الدولة تفرق أرزاً بلبن وسكر، فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه"⁽²⁾.

-
- (2) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص9، **المواعظ**، مج3، ص317.
 - (3) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص591.
 - (4) جروهمان، **أوراق**، ج2، ص102.
 - (5) ابن ممتي، **قوانين**، ص260.
 - (6) الأبيشي، **المستظرف**، ج1، ص35.
 - (7) ابن ممتي، **قوانين**، ص260.
 - (8) الشيزري، **نهاية**، ص23.
 - (9) **أحسن التقاسيم**، ص203-204.
 - (10) **المصدر نفسه**، ص204.
 - (11) **البغدادي**، **أخبار والاعتبار**، ص81-82.
 - (12) **الشريبي**، **هز القحوف**، ص212.
 - (1) **المقدسي**، **أحسن التقاسيم**، ص203-208.
 - (2) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص592.

* **الملوخية:** عرفت الملوخية في مصر في عهد الخليفة المعز، عندما اقترح عليه الأطباء أكلها كعلاج من يبس في مزاجه، وعوفي من مرضه، فأكثر من أكلها(3)، وسميت ملوخية(4)؛ ربما لأن أول من أكلها في مصر ملك، ولما انتشرت بين العامة حروفها، وسموها ملوخية(5). ويتبين من رسائل الجنيزة أن الملوخية كانت طبقاً شعبياً، أقبل عليها الناس على اختلاف طبقاتهم(6). وقد تأثق المترفون في طهيها، فطبوخها بمرق الدجاج، فيصف ظافر الحداد إعداد الملوخية، ويدعو صديقاً إلى المشاركة فيها، فيقول(7):

أيا سيدي وأخي لا تغب	فعندي لك اليوم ما يستحب
ملوخية سبقت أوقاتها	وجاءت كهيئة حضر الزغب
وقد نقيت قبل تقطيفها	بكفي لبيب خبير درب
وقد أحكمت بفراخ الحمام	ودهن الدجاج وصفر الكبب

* **الباقلاء:** وطريقة عملها، أن تقشر وتنقى، وتشق إلى نصفين، ويوضع عليها الشيرج، أو دهن الجوز، ثم ينقع الخبز في مائها(8).
* **السويق:** يصنع من القمح بعد تحميصه جيداً، أو طحنه، ويصنع أيضاً من الشعير أو الفول(9). وهو من الأكلات المحببة عند الخلفاء، فكان يقدم على أسمطتهم في سحور شهر رمضان(10).
* **العديس:** محصول شتوي(11)، ويبدو أنه كان طعاماً تقشيفياً وليس فاخراً، حيث كان يقدم في سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة(12)؛ تعبيراً عن الحزن.

(3) الخوارزمي، مفاتيح، ص100-101.

(4) الانطاكي، تاريخ، ص256-257.

(5) الخوارزمي، مفاتيح، ص100-101.

(6) Goitein: op.cit, v.4, p231, 234, 245

(7) ديوان، ص61.

(8) البغدادي، الطبخ، ص34.

(9) ابن عبد ربه، العقد، ص17.

(10) المقرئ، المواعظ، مج2، ص595.

(11) ابن ممتي، قوانين، ص265-270.

(12) ابن الطوير، نزهة، ص224، المقرئ، المواعظ، مج2، ص420.

الخبز: يدخل في كل وجبة طعام، يرص على جوانب أسمطة الخلفاء⁽¹⁾؛ ولأنه من الأغذية الأساسية في طعام الناس، فقد كانت الدولة تفرقه في المناسبات على أرباب الدولة⁽²⁾. ولما كان الطلب على الخبز عالياً، فقد كانت أعداد بائعي الخبز كثيرة، فكانوا يجلسون على الأرض بأطباق الخبز، وتضيق بهم الشوارع⁽³⁾. وكان الناس يضجون في أوقات الأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها البلاد، من قلة الخبز، ويتكالبون عليه؛ لما يشكله من أهمية في حياتهم اليومية، ففي عام (398هـ / 1008م) وقعت أزمة اقتصادية في البلاد⁽⁴⁾، فتعذر وجود الخبز، " واشتد تكالب الناس عليه، فاجتمعوا، وضجوا من قلته، ورفعوا للحاكم قصة مع رغبة"⁽⁵⁾. وفي عام (415هـ / 1024م)، وقعت أزمة اقتصادية في البلاد⁽⁶⁾، " فتعذر وجود الخبز، وصاح الناس: الجوع الجوع؛ بسبب قلة الخبز"⁽⁷⁾. وتعذر اثناء الشده المستنصرية (457- 464هـ / 1065-1072م)، وجود الخبز، واشتد الطلب عليه، حتى " أبيع الرغيف الذي زنته رطل، كما تباع الطرف والتحف في النداء بأربعة عشر درهماً، وخمسة عشر درهماً"⁽⁸⁾. وأطلق في الشدة المستنصرية على حارة من حارات القاهرة، حارة طبق، "حيث أبيع دورها كلها بطبق خبز، كل دار برغيف"⁽⁹⁾.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص295.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص601.

(3) المصدر نفسه، مج3، ص316.

(4) سبب هذه الأزمة، نقص ماء النيل انظر المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص368.

(5) المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص370.

(6) سبب هذه الأزمة نقص ماء النيل. انظر المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص16.

(7) المسبحي، **أخبار**، ج40، ص69-72. المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص33-34.

(8) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص35، المقرئزي، **اغائة**، ص24-25.

(9) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص35.

ويصنع الخبز عادة من القمح، حيث وفرة انتاج مصر من القمح⁽¹⁰⁾، وكان خبز القمح يصنع بأشكال مختلفة، منها الخبز الحواري أو السميذ⁽¹¹⁾، وهو المصنوع من الطحين الأبيض المنقى من النخالة⁽¹²⁾. والخبز الخشكار⁽¹³⁾، وهو الذي يخبز من الطحين الخشن غير المنقى من النخالة⁽¹⁴⁾، ولكن من الناحية الصحية كان يعتبر غذاء جيد يوافق كل الأمزجة⁽¹⁵⁾.

ويبدو أن الخبز الحواري كان أجود مذاقاً من الخبز الخشكار، وتبعاً لذلك كان أعلى منه ثمناً، ففي عام (415هـ / 1024م)، أمر المحتسب " أن يباع الخبز الخشكار كل خمسة أرطال بدرهم، والحواري أربعة أرطال بدرهم"⁽¹⁾. وبناء على ذلك يمكن القول أن الخبز الحواري، قد اختص به الأغنياء، في حين اختص الفقراء بخبز الخشكار.

ولأهمية الخبز في غذاء الناس، فقد عد القمح الذي يصنع منه الخبز، من المحاصيل المهمة في حياة الناس، فهذا ظافر الحداد يمد الله ويشكره على هذه السنة الوفيرة بالقمح، وبيبارك للفلاح الذي زرعه، فيقول: ⁽²⁾

بورك في برمن زرعه	والحمد والشكر للذي صنعه
-------------------	-------------------------

-
- (10) الإدفوي، الطالع، ص28.
(11) المقريزي، اتعاط، ج2، ص23.
(12) الفيروز آبادي، القاموس، ص369.
(13) المقريزي، اتعاط، ج2، ص23.
(14) ابن البيطار، الجامع، ص61.
(15) ابن البيطار، الدرّة، ص165.
(1) المقريزي، اتعاط، ج2، ص23.
(2) ديوان، ص189.

وقد حرص الناس على شراء كمية كبيرة من القمح وقت الحصاد، وتخزينها لمدة عام، ففي رسالة من رسائل الجنيزة يقول فيها المرسل: " لا تهمل القمح؛ لانه واحد من معظم الأشياء الأساسية"⁽³⁾. وفي رسالة أخرى يقول فيها الراسل: " لا تقلق فأنا اعتنيت بشراء القمح وتخزينه"⁽⁴⁾.

وقد تفنن الخبازون بإخراج الخبز بأشكال متنوعة تنم عن رقي أذواقهم، كأن تكون على هيئة رقاق ويحشونها العسل، ففي سياق حديث ابن الطوير عن قتل النزاريه للخليفة الأمر، ذكر أنهم دخلوا قبيل قتل الخليفة إلى " فرن ... ودفعوا إلى الفرن دراهم، ليعمل لهم فطيرا بسمن وعسل"⁽⁵⁾.

وهناك نوع آخر من الخبز، يسمى " اقلاعمون"، اخص به الأغنياء - على ما يبدو- حيث كان معقد التركيب، يكلف غالياً؛ لما يحتاج إلى مطيبات وجهد، فكان يعجن بالسمن على شكل كعكات، ويخمر، ويضاف إليه بيض، وملح، وزنجبيل، وفلفل، وسمسم، وبنسون، وفسنق⁽⁶⁾.

الفواكه: لقد تنوعت الفواكه في مصر، حتى أن الذي " ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء، يوجد بمصر"⁽⁷⁾، حيث أدى التباين في المناخ بين جنوب مصر (الصعيد)، وشمالها (الوجه البحري)، إلى غلبة أصناف معينة من الأشجار والفواكه في كل وجه، تبعاً لملاءمة المناخ لهذه الأشجار⁽⁸⁾. وهذا ما أشار إليه ناصر خسرو - الذي زار مصر سنة (444هـ/ 1048م) -

Goitoin: op.cit, v.4, p.235 (3)

Ibid: v.4, p.235(4)

(5) ابن الطوير، نزهة، ص25، المقريري، اتعاض، ج2، ص225.

(6) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ص35-36.

(7) ابن اياس، نزهة، ص30.

(8) المسعودي، التنبيه، ص20، البكري، المسالك، ج1، ص505.

فقال: " شاهدت ترنجاً و نارنجاً وليموناً وحمضيات و تفاحاً و سفرجل و رماناً و خوخاً و بطيخاً و موزاً و زيتوناً و حمصاً و ثوماً .. وكل ما لا يخطر على البال من أنواع الفواكه، رأيتها كلها في يوم واحد، في مكان واحد في مصر ... فإن مصر بلد واسع فيه كل الأجواء، والمناخات، تتراوح بين الطقس البارد والطقس الحار، وكل ما ينبت في هذه الاجواء يجلب إلى مصر، وبياع في أسواقها"(1).

وقد جذب انتشار الفواكه في مصر الرحالة المقدسي، فقال ان مصر: " كثيرة الموز والرطب"(2)، " والموز عندهم على مقدار الخيار، وهو من أكثر فواكه القاهرة"(3). وبيروي المقريزي أن المعز عند وصوله إلى مصر عام (362هـ / 973م)، كان متشوقاً إلى فواكهها، " فوقع بيده الى محمد بن الحسين بن مهذب - صاحب بيت المال - تقدم يا محمد بابتياح لنا.. في كل يوم من الفاكهة كذا وكذا.."(4). وكان الفاطميون يفاخرون بفواكه مصر، فكانوا يقدمون إلى ضيوفهم القادمين من الخارج " بواكير الفاكهة المستغربة"(5).

إن وفرة إنتاج مصر من الفواكه ادى إلى رخصها، وبالتالي إقبال الناس عليها، فكان الناس يتبادلون الهدايا بالفواكه، واتخذوا التمر هدايا في مناسباتهم الاجتماعية، يقول الشريف العقيلي:-

وأخ كريم العنصر متفضل حر سري

أهدى لنا بسرا(6) له طعم كطعم السكر

كخرائط من مصمت ختمت بشمع أصفر(7)

(1) سفرنامه، ص130.

(2) أحسن التقاسيم، ص197.

(3) المصدر نفسه، ص197.

(4) المقريزي، اتعاض، ج1، ص204.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص193.

(6) البسر: التمر اذا لون ولم ينضج. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص102.

(7) ديوان، ج2، ص84.

وكان إقبال الناس يزيد على تناول الفواكه في المناسبات، ففي عيد الغطاس " جرى الرسم من الناس في شراء الفواكه وغيره" (8)، واعتاد الناس أكل الرطب قبل النوروز (9). ولأهمية الفاكهة في غذاء المصريين، فقد كان من رسوم الدولة الفاطمية في عيد النوروز، تفرقة البطيخ والرمان والموز، وأقفاص التمر والسفرجل على الناس (10).

الحلوى: لقد أعجب المقدسي بملوى مصر، فقال أن بها " أطعمة لطيفة، وحلاوات رخيصة" (1). ويمكن أن يعزى رخص الحلوى في مصر، إلى كثرة إنتاج مصر للمواد الخام الأساسية لصناعة الحلوى، من سكر وعسل، فذكر ناصر خسرو أن مصر كانت " تنتج عسلا وسكرا كثيرا" (2)، الأمر الذي ساعد الخاصة والعامة على الإقبال على الحلوى، فكان وجود الحلوى على أسمطة الخلفاء ضروريا، فكانت أسمطتهم " تسور بشرائح الحلواء... وتزين بألوانها المصبغة" (3).

ولأهمية الحلوى في غذاء الناس، فقد أنشأ العزيز " دار الفطرة"، التي كانت تصنع فيها أصناف الحلوى (4)، " مثل الجبال من كل صنف" (5)، وتفرق في الأعياد والمواسم على " الأمراء وأرباب الرسومات، وعلى طبقات الناس، حتى تعم الكبير والصغير، والضعيف والقوي" (6). ولأهمية الحلوى عند العامة، فقد اهتموا بالسكر في نفقات المنزل، فنجد في أوراق البردي العربية، قوائم نفقات بعض الاسر المصرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فيها ذكر للسكر (7).

(8) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص604.

(9) النوبري، نهاية، ج28، ص98-99.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص601.

(1) أحسن التقاسيم، ص211.

(2) سفرنامة، ص118.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص295.

(4) ابن المأمون، أخبار، ص93، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص26-27، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص405-401.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص402.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص405.

(7) جروهمان، أوراق، ج6، ص169.

وتقدم الحلوى عند الانتهاء من الطعام؛ وهي على أنواع كثيرة في الوانها وتركيبها، وعلى حد تعبير الشيزري (ت 589هـ / 1193م)، " لا يمكن ضبطها بصفة ولا عيار"⁽⁸⁾. ومشتقات الحلويات لا تقل عن أنواعها الأصلية، فهي من حيث التركيب على نوعين: بسيطة ومعقدة. أما الحلوى البسيطة التركيب والرخيصة الثمن، فهي كالتمر غير المحشو الذي اعتبر حلوى كما اعتبر فاكهة ايضاً. وقد كانت الدولة تفرق اقفاص التمر على الناس⁽⁹⁾. ويدخل ضمن الحلوى البسيطة، العسل⁽¹⁰⁾، والنيذة التي تصنع وتباع في الأسواق، وطريقة عملها، أن يطبخ القمح، ثم يصفى، ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ، ثم يدر عليه الدقيق، وعندما يتماسك يرفع ذلك عن النار⁽¹¹⁾. وقد اختلفت مصر بالنيذة، يقول ابن سعيد، " ولا تصنع النيذة ... الا بها (أي القاهرة)، وبغيرها من الديار المصرية"⁽¹²⁾. ويبدو أنها كانت من الحلوى المحبوبة، فيقول المقدسي " ولا نظير ... لنيدهم"⁽¹⁾، وكانت النيذة رخيصة الثمن، لذلك أقبل العامة على شرائها، يقول البغدادي: " وأما عوامهم ... فأكثر أغذيتهم .. الجبن والنيذة"⁽²⁾. أما الحلوى المعقدة التركيب، فغالبا ما كانت تصنع في دار الفطرة، حيث الصانع المهرة⁽³⁾. ويدخل في تكوينها: السكر والعسل والزعفران، والطيب، والدقيق، والفسق، واللوز، والبندق، والتمر، والزبيب، والشيرج، والسهم، والأنيسون، وزيت الطيب، وماء الورد، والمسك، والزعفران والكافور⁽⁴⁾. اما أنواع الحلوى المعقدة، فهي:

(8) نهاية، ص 40.

(9) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص 29، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 405.

(10) ابن الطوير، نزهة، ص 224، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 420.

(11) البغدادي، أخبار والاعتبار، ص 41.

(12) النجوم، ص 28-29.

(1) أحسن التقاسيم، ص 211.

(2) أخبار والاعتبار، ص 147.

(3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص 28، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 402.

(4) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص 26-28، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 404.

* **الخشكناج:** يصنع من الدقيق الأبيض الذي يعجن وييسط مثل الرقاع، ويضاف إليه قلوب اللوز والسكر، وماء الورد، ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة، يملأ وسطها باللوز أو الفستق⁽⁵⁾. ويبدو أنه كان من الحلويات المحبوبة، حتى أنه فاق الحلويات التي كانت تصنع في دار الفطرة كثرة، ولذلك كان " لجميع الحلاويين مقدم، وللخشكايين آخر " ⁽⁶⁾، ولأن الخشكناج من الحلويات المفضلة عند المصريين، فقد كانت الدولة توزع منه كميات وفيرة على الناس في المواليد الستة⁽⁷⁾.

* **القطائف:** وهي الوان متعددة، منها المحشوة، وهي التي تخبز مستطيلة، ويجعل فيها اللوز والسكر المدقوق ناعماً، ويلقى عليها بالشيرج، وماء الورد، والفستق المدقوق ناعماً. ومنها المقلوة، وهي التي تخبز أقراصاً، ويجعل فيها اللوز والسكر المدقوق ناعماً المعجون بماء الورد، ثم تطوى وتقلّى بالشيرج، وتخرج منه، فتغمس في ماء الورد، وترفع بعد ذلك؛ لتكون جاهزة. ومنها الساذجة، وهي التي تجعل في صحن ويسكب عليها الشيرج، ثم الجلاب، وماء الورد، والفستق المدقوق ناعماً⁽⁸⁾.

وكانت القطائف من الحلوى المحببة عند الخلفاء، ففي سحر رمضان كانت تقدم على أسمطتهم⁽⁹⁾. ومن رسوم الدولة الفاطمية في عيد الميلاد، تفرقة القطائف على أرباب الدولة⁽¹⁰⁾. ولكثرة إقبال أهل القاهرة على أكل القطائف، فقد نسبت اليهم، فسميت بالحلوى القاهرية⁽¹¹⁾.

(5) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة، 127، البغدادي، الطبيخ، ص78.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص593.

(7) المصدر نفسه، مج2، ص593.

(8) البغدادي، الطبيخ، ص58.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص597.

(10) المصدر نفسه، مج2، ص603.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص603.

* **الكنافة:** تصنع من العجين المخبوز على هيئة خيوط النسيج، ثم يضاف إليها ما يناسبها من السكر والقلويات⁽¹⁾. وكانت من الحلويات المحببة، فيدعو أحد الشعراء للكنافة بالهناء، فيقول:
سقى الله أكناف الكنافة بالقطر وجاد عليها سكر دائم الذر⁽²⁾

* **الزلابية:** من الحلوى التي تصنع في دار الفطرة⁽³⁾، ولكثرة إقبال أهل القاهرة على أكلها، فقد نسبت إليهم، فسامها الأزدي بـ " القاهرية"⁽⁴⁾. وتصنع من العسل⁽⁵⁾، وتحشى بدهن الفستق⁽⁶⁾. ويبدو أنها كانت من الحلوى الفاخرة، ولذلك كان من رسوم الدولة الفاطمية تفرقتها على أرباب الدولة⁽⁷⁾.

* **البسندود:** يعمل في دار الفطرة⁽⁸⁾، ويصنع من الدقيق والبلح على هيئة أقراص صغيرة، ثم تخبز في الفرن، ثم يوضع كل قرصين على بعضهما، وبينهما اللوز أو الفستق⁽⁹⁾. ويبدو أنها كانت من الحلوى الفاخرة، حيث كانت تقدم على مائدة سحور الخليفة في شهر رمضان⁽¹⁰⁾.

* **الفانيد (كعب الغزال):** حلوى تصنع في دار الفطرة⁽¹¹⁾، يدخل في تركيبها الدقيق والعسل⁽¹²⁾.

* **الخبيص:** حلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز، أو الشيرج، ثم يضاف إليه بعد الطبخ شيء من السكر والعسل، ويرفع عن النار ليجمد⁽¹³⁾.

-
- (1) الغزولي، مطالع، ج2، ص84.
(2) السيوطي، حسن، ج1، ص568.
(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص391.
(4) حكاية، ص41.
(5) الشيرزي، نهاية، ص40.
(6) الأزدي، حكاية، ص41.
(7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص603.
(8) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص29. المقرئزي، المواعظ، مج2، ص401.
(9) الشيرزي، نهاية، ص41.
(10) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص597.
(11) المصدر نفسه، مج2، ص401.
(12) الشيرزي، نهاية، ص40-41.
(13) المصدر نفسه، ص40، مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة 101.

* **الناطف:** حلوى تصنع في دار الفطرة⁽¹⁴⁾، يدخل في تركيبها العسل، والسكر، والفسق، والبندق، وكذلك الجوز، واللوز، والسمن⁽¹⁵⁾.

* **التمر المحشو:** " يستخرج ما فيه، ويحشى بالطيب وغيره، ويسد ويختم"⁽¹⁶⁾، وكان من أفضل الحلوى على مائدة الخليفة الفاطمي⁽¹⁷⁾.

* **الصابونية:** تصنع من الدقيق بعد تحميصه بالسمن، ويضاف اليه السكر واللبن، ويعمل منه قوالب مثل الصابون، وتوضع في طبق، وتدخل في الفرن حتى تنضج⁽¹⁾.

* **العصيدة:** تصنع من السكر والعسل والدقيق⁽²⁾. ويبدو أنها كانت من الحلويات المحبوبة، فقد ورد في رسائل الجنيزة خطاباً لرجل من الريف، لقريب له في الفسطاط، يقول فيه: " من فضلك حاول أن تجد لي عسلاً ودقيقاً أبيض فاخراً، لعمل عصيدة، وبعون الله سوف أحضر للمدينة يوم الأحد"⁽³⁾. ولم يكتف الحلوانيون بصنع هذه الأنواع الكثيرة من الحلوى، بل تفننوا بإخراجها بأشكال متنوعة تنم عن رقي أذواقهم، حيث اتخذوا لها قوالب على شكل طيور وثمار وتمائيل يطبعونها على الحلوى، حيث حوى متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، قالبين للحلوى من الفخار، أحدهما: قوام زخرفته نسر ناشر جناحيه، تحف به زخرفة نباتية⁽⁴⁾، والآخر من الفخار يتوسطه رسم شجرة⁽⁵⁾.

(14) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص391.

(15) المجوسي، **كامل الصناعة**، ج1، ص200.

(16) ابن المأمون، **أخبار**، ص85.

(17) المصدر نفسه، ص85.

(1) الشيزري، **نهاية**، ص40.

(2) البغدادي، **الطبيخ**، ص71، Goitein: op.cit, v.4,p.248

(3) Goitein: op.cit, v.4,p.248

(4) انظر الملاحق، لوحة (56)

(5) انظر الملاحق، لوحة (57)

وروى ناصر خسرو، أنه شاهد شجرة أعدت لتزيين سماط الخليفة، كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من الحلوى، ومن تحتها الف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر والحلوى(6).

وكانت تماثيل الحلوى تصنع في المناسبات، فكان يصنع لسماط عيد الفطر " قصور السكر والتماثيل، وأطباقاً فيها تماثيل حلوى"(7)، وكان يفرق من دار الفطرة في المناسبات " خمس عشرة قطعة حلوة قلوبات"(8).

الأشربة:- وكما اهتم الفاطميون بالأطعمة، كذلك اهتموا بالأشربة، فأنشأوا خزانة للشراب، كانت تحفظ فيها أصناف المشروبات، وبلغت نفقاتها السنوية (6.500) دينار(9). أما هذه المشروبات، فهي:

* **الماء:** يعد ماء النيل المصدر الرئيسي لشرب المياه في مصر(10). فكان السقاؤون يحملون قرب المياه من الآبار القريبة من النيل، وينقلونها إلى المنازل على ظهورهم في الجرار النحاسية(11).

وقد اعتنى المترفون بتبريد الماء صيفاً عن طريق الثلج(1). وكان العامة يبردون الماء بوضعه في أزيار فخارية، يحتفظ متحف الفن الاسلامي في القاهرة بنماذج منها(2).

(6) سفرنامه، ص59-60.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص294.

(8) المصدر نفسه، مج2، ص405.

(9) ابن المأمون، أخبار، ص90، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص24، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387.

(10) اليعقوبي، البلدان، ص178.

(11) ناصر خسرو، سفرنامه، ص106.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص596.

(2) انظر الملاحق، لوحة (34)، (50)، (53).

* **الألبان:** لقد اشتهرت مصر بكثرة أغنامها وأبقارها المدرة للألبان⁽³⁾، مما أدى إلى رخص ثمن الألبان، وإقبال الناس عليها، حيث شككت مشروباً أساسياً للناس، يؤكد ذلك انتشار حوانيت اللبنين في القاهرة⁽⁴⁾، وتردد الفقراء عليها بكثرة⁽⁵⁾. وكان من رسوم الفاطميين توزيع اللبن الرائب في أروقة الجوامع في شهر رمضان، وإباحته لمن يرغب⁽⁶⁾. ومن رسوم الدولة في ليلة رأس السنة أن تفرق قوارير اللبن على أرباب الرتب وأصحاب الدواوين⁽⁷⁾.

ويبدو أن الألبان كانت على أنواع، بعضها قليل الدسم، كالتي كانت تقدم في سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة؛ تعبيراً عن الحزن، وقد عبر عنها ابن الطوير "بالألبان الساذجة"⁽⁸⁾. ولا بد أن قابل هذه الألبان، الباناً كاملة الدسم اختص بها الأغنياء.

* **شراب العسل:** يتخذ من الماء والعسل، وهو مشهور بلذته⁽⁹⁾، وكان من الأشربة الشائعة في مصر، فكان "لا يعمل إلا بمصر"⁽¹⁰⁾؛ نظراً لوفرة إنتاج مصر من العسل⁽¹¹⁾.

* **المزر:** يتخذ من القمح، ويبدو أنه كان من المشروبات الدنيا، حيث اختص العامة بشربه⁽¹²⁾.

* **الفقاع:** شراب منعش، يشربه الناس بعد الطعام؛ ليشعروا بنوع من اللذة والارتياح⁽¹³⁾. يقول ظافر الحداد:⁽¹⁴⁾

-
- (3) البغدادي، أخبار والاعتبار، ص99، ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص198.
(4) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص318-219.
(5) المصدر نفسه، مج3، ص316.
(6) المصدر نفسه، مج2، ص390.
(7) المصدر نفسه، مج2، ص591.
(8) ابن الطوير، نزهة، ص224، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص420.
(9) ابن حوقل، صورة، ص134.
(10) ابن ظهيرة، الفضائل، ص134.
(11) ناصر خسرو، سفرنامه، ص118.
(12) عبد اللطيف البغدادي، أخبار والاعتبار، ص75، ابن سعيد، النجوم، ص30-31.
(13) الغزولي، مطالع ج2، ص288.
(14) ديوان، ص366.

جاءنا بعدما أكلنا فقاع قد	أجادت إحكامه الصناعات
---------------------------	-----------------------

يصنع الفقاع من السكر الأبيض بعد تذويبه بالماء، أو ماء الورد، ويطيب بالمسك، ويبرد بالثلج، أو يصنع من العسل⁽¹⁵⁾. ويبدو أنه كان من الأشربة المحببة لدى بعض السنه، لذلك ضمه الحاكم إلى الأطعمة التي منع الناس من أكلها، لأنها كانت محببة لدى بعض السنه⁽¹⁾، إلا أن الناس ما لبثوا أن شربوه بعد وفاة الحاكم بأمر الله، حيث شربه الظاهر، وترخص فيه للناس⁽²⁾.
*** الخمر:** يصنع من العنب⁽³⁾، ويبدو أن صانعي الخمر كانوا في بعض الأحيان يخلطونها بالماء، حيث يعتبر تميم بن المعز أن مزج الخمر بالماء لئوم ينافي الكرم، وأنها يجب أن تشرب صرفاً كما ولدتها الكروم، بلا إضافة ماء، يقول: ⁽⁴⁾

مزاكما الخمر بالماء لوم	دعاها كما ولدتها الكروم

(15) الغزولي، مطالع، ج2، ص88.
(1) الأنطاكي، تاريخ، ص256-257، المقرئزي، اتعاط، ج1، ص381، حول المأكولات التي منعها الحاكم؛ لأنها كانت محببة لدى بعض السنه، انظر ص 181 من الأطروحة.
(2) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص7.
(3) القضاءي، عيون، ص274، الأنطاكي، تاريخ، ص293.
(4) ديوان، ص111.

ولأن الأقباط النصارى، شكلوا جل سكان مصر في العصر الفاطمي، فقد شاع شرب الخمر في المجتمع المصري في العصر الفاطمي، لذلك كان العنب يزرع بكثرة في مصر⁽⁵⁾. وقد جذب انتشار الخمر في العصر الفاطمي المؤرخ المسبحي إلى تأليف كتاب في الخمر⁽⁶⁾. وفي سبيل المحافظة على الآداب العامة في المجتمع، اتبع الحاكم سياسة مشددة في مقاومة صناعة الخمر التي حرمها الاسلام، فمنع بيع العنب والزبيب، وأمر بقطع أشجار العنب وحرث أراضيها⁽⁷⁾، إلا أن الناس ما لبثوا بعد عهد الحاكم أن شربوا الخمر، حيث " شرب الظاهر الخمر، وترخص فيه للناس"⁽⁸⁾.

* **عصير الفواكه**: أقبل الناس على شرب عصائر الفواكه المستخرجة من الليمون، والرمان، والتفاح، والخوخ، والعنب غير الناضج مع ماء الورد، والتمر الهندي⁽⁹⁾.
* **المشهييات**: وهي أنواع مختلفة يدخل بعضها في تركيب الطعام، فيزيده نكهة، ويجود في طعمه، وبعضها لا يدخل في تركيب الطعام، وإنما يؤكل مع الطعام، فيزيد في شهية الأكل، أما هذه المشهييات، فهي:

* **الأبازير**: يقصد بها توابل الطعام، كالفلفل، والزنجبيل، والقرفة، والمصطكي، والكزبرة والكمون، والهال، والجوزة، والملح⁽¹⁰⁾. وقد بذل الفاطميون على التوابل أموالاً كثيرة،

فخصصوا لها خزانة، سميت بـ " خزانة التوابل"، وصلت مخصصاتها إلى خمسين ألف دينار في السنة⁽¹⁾.

كما أن الميسورين من الناس اهتموا بتوابل الطعام، يؤكد ذلك وجود حوانيت في سوق القصبه " للأبازرة، الذين يبيعون حوائج الطعام من الحبوب وغيرها"⁽²⁾.

(5) الادريسي، نزهة، ج1، ص129، الادفوي، الطالع، ص26.

(6) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص378.

(7) القضاعي، عيون، ص274، الأنطكي، تاريخ، ص293.

(8) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص7.

(9) Goitein: op.cit, v.4, p.261

(10) البغدادي، الطبخ، ص8، عبد اللطيف البغدادي، أخبار والاعتبار، ص148.

(1) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص388.

(2) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص316.

* **الأطاييب:** كالمسك والعنبر والعود والزعفران والقرنفل والخل، والزيت وماء الورد، والكافور⁽³⁾، وكانت خزانة التوابل تتولى تزويد القصور بالأطاييب⁽⁴⁾.

* **الفواكه اليابسة:** هي اللوز، والجوز، والفسق، والبندق، والصنوبر، والزبيب، والتمر⁽⁵⁾. ويبدو أن وجود الفواكه المجففة على أسمطة الخلفاء كان ضرورياً، فعقب وصول المعز إلى مصر عام (362هـ / 973م)، " وقع بيده إلى محمد بن الحسين مهذب- صاحب بيت المال- : " تقدم يا محمد بابتياح لنا.. في كل يوم من الفاكهة الرطبة واليابسة كذا وكذا..."⁽⁶⁾.

* **البقول:** كالبصل، والثوم، والجزر، والبنجر⁽⁷⁾، والفجل⁽⁸⁾، والبقل، والكرات والشمار والنعناع⁽⁹⁾. ويبدو أن البقول كانت من ضروريات الموائد، يؤكد ذلك عناية الفاطميين بها، فكان ضمن مهام خزانة التوابل، تأمين حاجات القصور من البقول⁽¹⁰⁾.

* **المخللات:** مثل الباذنجان، والخيار، والبصل⁽¹¹⁾، والزيتون⁽¹²⁾. وكان لها دور في زيادة شهوة الأكل، ولذلك كان الشريف العقيلي يغري أصدقاءه على حضور موائده بالمخللات، فدعا صديقاً إلى مائدة، وأخبره أن سيكون عليها:

-
- (3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص27-28، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص388، 404.
(4) ابن المأمون، أخبار، ص90، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص388.
(5) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص27-28، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص404.
(6) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص204.
(7) ناصر خسرو، سفرنامه، ص118-119.
(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص38.
(9) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص318-319.
(10) ابن المأمون، أخبار، ص90، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص388.
(11) الشيزري، نهاية، ص160.
(12) ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص610.

حواضر من مالح ومخلل مما يوافق صاحب الصفراء(13)
ويدعو صديق آخر إلى مائدة أخرى، فيخبره أن في المائدة(14):

مخللات تنتشي	في كل شفاف الحجاب
--------------	-------------------

ويبدو أن أسعار المخللات كانت زهيدة؛ ولذلك أقبل الناس على شرائها بكثرة، فكان في سوق حارة برجوان حوانيت كثيرة لبائعي المخللات(1).
وقد مل أحد الشعراء المخللات؛ لكثرة أكله لها، فيلحن أيام المخلل، ويشتاق هبوب نسيم القطائف في السحور، فيقول(2):

وتبا لأوقات المخلل انها	تمر بلا نفع وتحسب من عمري
وأشتاق إن هبت نسيم قطائف السحور	سحيراً وهي عطرة النشر

(13) ديوان، ج1، ص120.
(14) المصدر نفسه، ج1، ص120.
(1) المقرئ، الموعظ، مج3، ص318-319.
(2) السيوطي، حسن، ج1، ص568.

ثانياً: اللباس:

شكل اللباس نظاماً متعدد المحاور، وأهمها، القيم الروحية والأخلاقية، كما كان متعارفاً عليها، وتجلت في الإلزام، والتسامح، والتحرير. فقد لزم أعداء الدولة ممن يراد التشهير بهم، بلبس ألبسة خاصة، فلما أراد الحاكم أن يشهر الثائر ابي ركوة، أمر أن يرتدي " ثوب مشهر، ويغطي رأسه بطرطور (3) طويل" (4).

ولما بلغ الحاكم بأمر الله أن بعض الناس يقومون بكشف عوراتهم على بعض في الحمامات العامة، أصدر قراراً لزم فيه جميع الناس بستر عوراتهم بمنزر (5) عند دخولهم الحمامات. (6) وقد مس الإلزام الذميين، حيث ألزموا - في ظروف معينة- بلبس الغيار، وهو البدال، وهو كل ما خالف و غير ملابس المسلمين(7)، وكان أبرزه الزنار(8)، وبعض الألوان المفروضة عليهم.(9) كما مس التسامح الذميين، فلم يفرض الغيار عليهم الا في ظروف مؤقتة، لها أساس عقابي أكثر منه شرعي، أما في الغالب فكان باستطاعة الذميين أن يلبسوا مثلما يلبس المسلمون. فقد شكى كاتب مسلم - في احدى الرسائل التي وردت بالجنيزة- أن النساء الذميات " عندما يتركن منزلهن، ويمشين في الشوارع، يتم التعرف عليهن بصعوبة.. ومنهن من يدخلن المحلات التجارية، ويجلسن بها، فينلن احترام التجار؛ بسبب ملابسهن الفخمة، غير مدركين أنهن ذميات" (10).

(3) الطرطور: لباس يغطي الرأس، انظر المقريري، **اتعاض**، ج1، ص365.

(4) المقريري، **اتعاض**، ج1، ص365.

(5) حول المنزر، انظر ص 211 من الأطروحة.

(6) الانطاكي، **تاريخ**، ص257، المقريري، **اتعاض**، ج1، ص357.

(7) الفيروز آبادي، القاموس، ص454. حول أسباب فرض الغيار على الذميين انظر ص 164 من الأطروحة.

(8) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج3، مج2، ص1024، المقريري، **اتعاض**، ج1، ص36. الزنار : خيط غليظ

بقدر الاصبع، من الابريسم او الجلد ، يشد على الوسط، وهو بمثابة حزام. انظر المقريري، **اتعاض**، ج2،

ص247، وانظر شكل الزنار الملاحق، لوحة (2) و (3).

(9) المقريري، **اتعاض**، ج1، ص356، 377.

(10) Goitein: op.cit, v.4,pp199-200

ويقصد بالتحريم ما خالف أحكام الشريعة، كالتزيي بما لا يستر العورة، فكان لبس السراويل⁽¹⁾ المتسعة التي لا تستر العورة؛ يعد خروجاً عن الآداب، لذلك نودي في شوارع القاهرة والفسطاط سنة (363 هـ / 973م)، بمنع النساء من لبس السراويل الواسعة⁽²⁾. كما منعت النساء من ارتداء الأحذية الصرارة، التي قد تثير انتباه من حولهن من الرجال.⁽³⁾ لقد تجلت مكانة اللباس في نظم الدولة من خلال ترسيخ عادات متميزة في أزياء الحكام، ورجال الدولة؛ تميزهم عن الرعية، يقول ابن خلدون: "اعلم أن للسلطان شارات وأحوالاً تقتضيها الأبهة والبذخ، فيختص بها، ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة، وسائر الرؤساء في دولته"⁽⁴⁾. فحسن الزي تعظيم للأمر، به يتم فرض هيبته الخليفة، ويضفي عليه طابع الاجلال والوقار، وقد أشار إلى هذا المعنى المقريري، فروى أن الخليفة في موكب فتح الخليج كان يخرج "بزي الخلافة ووقارها وناموسها: بالثياب التي تذهل الأبصار، والمنديل بالشدة الغربية التي ينفرد بلباسها في الأعياد والمواسم.. مرصعة بغالي الياقوت والزمرد والجوهر، وعند لباسها يُتَجَنَّب الكلام ويُهاب، ولا يكون سلام قريب منه وجليل، غير الوزير، الا تقبيل الأرض من غير دُئو"⁽⁵⁾

ولما كان حسن الزي يتم به إضفاء الهيبة والوقار على الخلفاء، ورجال الدولة، فقد تزيوا "بفاخر الثياب، ونفيس الملبوس"⁽⁶⁾، "الذي يجمع بين الشرف والجمال"⁽⁷⁾.

(1) حول السراويل انظر ص 212 من الأطروحة.

(2) المقريري، **اتعاض**، ج1، ص266.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص191.

(4) ابن خلدون، **العبر**، ج3، ص320.

(5) **المواعظ**، مج 2، ص545.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص359.

(7) ابن المأمون، **أخبار**، ص48-54، المقريري، **المواعظ**، مج 2، ص367.

وقد تجلى تعقد التزيي لدى الخلفاء ورجال دولتهم في اللغة التي وصفهم بها المؤرخون، فيقول القلقشندي: ان الخلفاء كانوا يخرجون في الاعياد والموكب بالملابس الفخمة المطرزة، والمتعددة القطع(8). وذكر المسبحي أن الظاهر ركب في عساكره عام (415هـ / 1024م)، إلى مسجد تبر " وكان يوماً حسناً من توافر الناس .. والزي الحسن" (9). ويروي المقرئزي أن الظاهر كان يركب الى صناعة الجسر في العساكر، ورجال الدولة بأحسن زي.(10)

وذكر ابن الطوير ان الوزراء في الموكب كانوا يظهرن " في أهبة عظيمة من الثياب الفاخرة" (1). وذكر المقرئزي أن أمراء الأتراك كانوا يدخلون على الظاهر بأفخر الثياب(2). كما ذكر المقرئزي أن القاضي محمد بن النعمان كان " فاخر الزي" (3). وذكر ابن ميسر انه لما ولد للخليفة الأمر ولد، تزينت العساكر، ولبست أفخر ثيابها، وتوجهت إلى القصر لمشاركة الخليفة سروره. (4)

ومن تقاليد الخلفاء الفاطميين المتعلقة باللباس، المبالغة في لبس البياض، والخضرة في الحياة الرسمية. كما عملوا على الزام أهل الدولة بلبسهما في حياتهم الرسمية. فقد لبس الخلفاء البياض في الموكب الرسمية(5). ويذكر المقرئزي أن الخليفة الفاطمي الحاكم كان يخرج بدراعة صوف ببيضاء(6)، وخلع الحاكم على القاضي أبي عبد الله الحسن بن النعمان ثيابا ببيضاء(7). وكان الظاهر يظهر للناس وعليه ثياب ببيضاء، وعمامة ببيضاء مذهبة(8). وكان الخليفة المستنصر يرتدي في موكب فتح الخليج قميصا أبيض، وعمامة ببيضاء(9). وعقب وصول جوهر الصقلي إلى مصر عام (358هـ / 968م) - الذي عمل على ارساء قواعد الحكم الفاطمي- الزم خطباء المساجد بلبس البياض(10).

-
- (8) صبح، ج3، ص189-190
(9) أخبار، ج40، ص61، وانظر المقرئزي، اتعاض، ج2، ص29.
(10) اتعاض، ج2، ص21.
(1) نزهة، ص160.
(2) اتعاض، ج2، ص15.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص377. حول الطيالس انظر ص 210 من الأطروحة.
(4) أخبار، ص 109.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص170-171.
(6) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص388. حول الدراعة انظر ص 215 من الأطروحة.
(7) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص337.
(8) المصدر نفسه، ج2، ص10، حول العمامة انظر ص 208 من الأطروحة.
(9) ناصر خسرو، سفرنامه، ص111-112.
(10) ابن خلکان، وفيات، ج1، ص195.

وعندما وصل المعز لدين الله (341-365هـ / 952-975م) من المغرب الى مصر عام (362هـ / 973م)، ظهر على الرعية بثوب أخضر⁽¹¹⁾. وكان الحافظ يظهر أمام الرعية بعمامة خضراء، وثوبا أخضر⁽¹²⁾. وكانت طيالس القضاة خضراء⁽¹³⁾. ويروي المقرئ أن جوهرًا قام بتمزيق عمامة كحلية لأحد الأشراف، وخلع عليه بدلاً منها عمامة خضراء، وثوباً أخضر⁽¹⁴⁾.

وترى الباحثة أن حرص الخلفاء الفاطميين على لبس البياض والخضرة في حياتهم الرسمية، والزامهم أهل الدولة بذلك، كان ذا بعد سياسي. فيبدو أن قرح العباسيين في انتساب الفاطميين لآل البيت⁽¹⁾، هو الذي دفع الفاطميين إلى لبس البياض؛ حتى يؤكدوا إنتسابهم لآل البيت، حيث عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كثرة ارتدائه للبياض، وقد حث الرسول على ذلك فقال: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم"⁽²⁾.

ولعل الفاطميين أرادوا من لبس الخضرة أن يعبروا عن الطابع الأساسي الذي ينشدهونه، وهو تأكيد البعد الديني في ميولهم وأنواقهم، لا سيما وان الامام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الارض⁽³⁾، فجاء حرص الخلفاء على تأكيد هذا المعنى من خلال لبس الخضرة، الذي ورد في القرآن الكريم انه من ثياب أهل الجنة⁽⁴⁾.

وقد تدل الملابس على الطبقات الاجتماعية وتمايزها، فيذكر العمري: "فأما أخلاط عامة الناس فتختلف أحوالهم في الملابس والزي، حتى أن الفقراء وان جمعهم زي الفقر ... فإنهم تتباين حالاتهم في الملابس، وأطوارهم في التشكلات"⁽⁵⁾. وذكر ابن شاهين: "اذا لبس أحد من طائفة قمائش أحد من طائفة غيرها خرج عن الهدام، وصار منسوباً الى تلك الطائفة"⁽⁶⁾.

(11) ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص216.

(12) ابن ميسر، أخبار، ص133.

(13) الكندي، الولاة، ص378.

(14) المقرئ، اتعاط، ج1، ص201.

(1) المقرئ، اتعاط، ج1، ص118-125، القرشي، عيون، ج4، ص351-404.

(2) ابن سعد، طبقات، ج1، ص14.

(3) السجلات، المستنصرية، ص35.

(4) انظر سورة الانسان، آية 21، الكهف، آية 31، الرحمن، آية 76.

(5) مسالك ج3، ص450.

(6) زبدة كشف الممالك، ص88-89.

وقد كان لوزراء الأقالام زي خاص، فكانت الملابس هي علامة الوزارة للوزراء من اصحاب الأقالام، فكان " زي وزرائهم أصحاب الأقالام أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم(7)... وينفردون بلبس الدرايع(8) مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرى، وهذه علامة الوزارة"(9).

وقد اورد ابن الطوير عنواناً تحت " زي الوزير صاحب السيف"، ذكر فيه : " وزيد للوزير صاحب السيف عن الوزير صاحب القلم، الحنك مع الذؤابة المرخاه(10) والطيلسان، زي قاضي القضاة"(11)، إشارة إلى استحوازه على منصب القضاء، حيث أسند منصب قاضي القضاة إلى الوزراء أصحاب السيوف منذ مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (466هـ/1074م)(12).

ويذكر الهيتمي، أن الطيلسان والعمامة كانا ضمن شعار القضاة الخاص(13). وعرف أعلى الأمراء منزلة بالأستاذين المحنكين؛ لتمييزهم عن غيرهم بزى الحنك، كما عرفوا بالمطوقين، حيث كان يُخلع عليهم أطواق في أعناقهم(1).

وكان للفقهاء زي خاص، فذكر المقرئ في أحداث عام (511هـ/1117م)، " خرج محمد بن تومرت (2) من مصر في زي الفقهاء"(3). وكان للتجار زي خاص فقد أشار المقرئ في إلى رجل " انتهى إلى مصر، وأقام مستتراً بزى التجار" (4)

(7) حول زي الأحناك انظر ص 209 من الأطروحة.

(8) حول الدراعة انظر ص 215 من الأطروحة.

(9) القلقشندي، صبح، ج3، ص562-563.

(10) حول زي الحنك مع الذؤابة المرخاة انظر ص 209 من الأطروحة.

(11) ابن الطوير، نزهة، ص121.

(12) ابن الصيرفي، الإشارة، ص56.

(13) در الغمامة، ورقة 20.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص89.

(2) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب. لمزيد من التفاصيل، انظر ابن خلكان، وفيات، ج2، ص37.

(3) اتعاط، ج2، ص177.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص144.

وقد اختص الأغنياء بالملابس المصنوعة من الحرير⁽⁵⁾، في حين اختص الفقراء بالملابس المصنوعة من القطن، ففي إحدى الخطابات المرسلّة من الإسكندرية إلى التاجر نهراي بن نسيم، يقول فيها الراسل: " سيدي! يوجد هنا في المنزل الذي أقطنه، امرأة شابة فقيرة، لا يوجد لديها ما ترتديه في برد الشتاء، وكما تعلم، فإنني لا يمكنني حالياً إعطائها أية ملابس خارجية، وربما يمكنك جمع مبلغ نصف دينار من أصدقائك؛ لشراء قطعة قماش من القطن تكفي لعمل رداء لها، فتعال حسنة في مقابل ذلك"⁽⁶⁾.

وقد اقتصد الفقراء في شراء الملابس، فكانوا لا يشترون الملابس في الغالب إلا في الأعياد⁽⁷⁾. أما الأغنياء فكانوا يبالغون في شراء الملابس في الأعياد وغيرها، ويظهر أن ذلك كان للبذخ والمفاخرة. فقد وجد للوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد وفاته " من أصناف الديباج تسعون ألف ثوب، وثلاث خزائن كبار مملوءة صناديق كلها ديبقي وشرب عمل تنيس ودمياط، على كل صندوق شرح ما فيه وجنسه"⁽⁸⁾.

ووجد للوزير المأمون بن البطّاحي بعد وفاته " مائتا صندوق مملوءة كسوة بدنه"⁽⁹⁾. وخلف برجوان بعد وفاته " ألف قميص⁽¹⁰⁾، والف سروال⁽¹¹⁾، ومائة منديل شرب معممة"⁽¹²⁾.

(5) المسيحي، أخباراً ج40، ص13-14.

(6) Goitein: op.cit, v.4, P 170

(7) Ibid, v.4, pp 156- 157

(8) المقرّبي، اتعاض، ج2، ص149.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص213 – 214.

(10) حول القميص، انظر ص 212 من الأطروحة.

(11) حول السروال، انظر ص 212 من الأطروحة.

(12) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج1، ص276.

وتركت رشيدة بنت المعز بعد وفاتها ثلاثين ثوبا من الخز، واثنى عشر الفا من الثياب المختلفة الألوان، بالإضافة إلى الكثير من العمائم المرصعة بالجواهر⁽¹³⁾. ووجد لعبد بن بنت المعز بعد وفاتها ثلاثين ألف ثوب⁽¹⁾. وخلفت زوجة الحسين بن جوهر ما لا يوصف من الثياب⁽²⁾. ورغم ما في هذه الأخبار من مبالغة، فهي تنبئ عن نزعة إكثار المترفين من الأغنياء من اقتناء الملابس.

ان مبالغة الطبقة الثرية في شراء الملابس، إلى جانب كثرة الأعياد⁽³⁾ التي كان الفقراء يقبلون فيها على شراء الملابس، أدى إلى ازدهار تجارة الملابس، " فكانت دكاكين البزازين ... مملوءة ... بالملابس المذهبه والمقصبة، بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس " ⁽⁴⁾. وكان في سوق أمير الجيوش " عدة حوانيت للخياطين، ومعظمها لسكن البزازين .. وبياع في هذا السوق سائر الثياب المخيطة"⁽⁵⁾.

إن إقبال الناس على شراء الملابس أدى إلى ارتفاع قيمتها المادية، بحيث لجأ البعض إلى بيع ملابسهم في أوقات الضنك حتى يسدوا نفقاتهم، فقد اضطرت الشدة المستتصرية الخليفة المستنصر الى بيع ما لديه من غالي الثياب حتى يتمكن من سد نفقاته⁽⁶⁾. وكان بيع قطعة واحدة من ملابس المرأة كافيا لسد نفقات المنزل شهور عديدة⁽⁷⁾.

إن ارتفاع القيمة المادية للملابس، جعلها تورث، فكانت الملابس تنتقل من الأم إلى ابنتها بعد وفاتها، ففي عقد زواج ورد في أوراق الجنيزة، تعهد فيه الأب بأن يعطي للعروس – وكانت ابنته الكبرى – الملابس الخاصة بزوجته المتوفية⁽⁸⁾. ان ارتفاع ثمن الملابس جعل من العسير على الناس اتلافها، فكان الأثرياء- أحيانا- يفرقون ملابسهم المستعملة على الفقراء⁽⁹⁾.

(13) ابن الزبير، الذخائر، ص241، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص373.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص374.

(2) المسيحي، أخبار، ج40، ص92-93.

(3) حول الأعياد في مصر في العصر الفاطمي انظر ص 236-251 من الأطروحة.

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص121.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص335.

(6) المقرئزي، اغائة، ص525.

(7) Goitein: op.cit, v.4, p184

(8) Ibid, v.3, p85

(9) Ibid, v.4, p.190

أما الاعتناء بالمظهر فقد كان يختلف باختلاف أذواق الناس من جهة، وامكاناتهم المالية من جهة أخرى. فمن الناس من كانوا يلبسون الملابس الرثة⁽¹⁰⁾ " وقل ما يلبسون ثوباً غسلاً"⁽¹¹⁾، ومن الناس من كانوا "يحسنون هيئتهم ويأخذون عند كل مسجد زينتهم"⁽¹²⁾ ، " ويتزيوا بأفخر زيهم"⁽¹³⁾، ويلجئون الى شخص محترف؛ ليقوم بكي ملابسهم، حتى تصبح ملساء وبراقة⁽¹⁴⁾، ويعتنون بنظافة ملابسهم ويحفظونها في صناديق خاصة⁽¹⁾، ويحرصون على غسلها بالصابون، وكانت عملية التنظيف يقوم بها غالباً متخصصون⁽²⁾.

وكان الخلفاء يضعون في صناديق ثيابهم ورود الياسمين والنسرين؛ لتجميل رائحتها⁽³⁾، أما المترفون فكانوا يضعون بين ملابسهم أكياس معطرة، ويخرجونها من خزائنها على فترات منتظمة؛ لتنظيفها وتهويتها⁽⁴⁾.

لقد وسمت تقاليد الناس في التزيي بالازدواجية. فكان الخليفة يفرق في مظهر أزيائه بين حياته الرسمية، وحياته الخاصة. فالحياة الرسمية للخلفاء أكثر غنى وزخرفة مقارنة مع حياتهم الخاصة. فقد حرص الخلفاء عند خروجهم على ارتداء الملابس التي تضيف عليهم الهيبة والوقار، فكانوا يلبسون الملابس الفخمة التي تشتمل على عدة قطع⁽⁵⁾، في حين كانت أزيائهم المنزلية تتسم بالبساطة، وقلة مكوناتها، فكانوا يلبسون في قصورهم ثياباً قصيرة الأكمام والطول⁽⁶⁾.

Ibid, v.4,pp 156-157 (10)

(11) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 205.

(12) ابن المأمون، أخبار، ص 48-54، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص367.

(13) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص36.

(14) Goitein: op.cit, v.4,pp 177

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص369، Goitein: op.cit, v.4, p183-184

(2) Goitein: op.cit, v.4,pp 183-184

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص369.

(4) Goitein: op.cit, v.4, pp.183-184

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص360.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص129.

كما أن ملابس الخلفاء في حياتهم الرسمية تفاوتت درجة فخامتها بتفاوت المناسبات الرسمية. فقد تميزت ملابس الخلفاء في مواكب الأعياد بالفخامة المفرطة، فكانوا يلبسون " الثياب المذهبة البياض"⁽⁷⁾، في حين كانت ملابسهم في ركوبهم لصلوات الجمع أقل فخامة فكانوا يلبسون " ثياب الحرير البيض؛ توقيرا للصلاة من الذهب"⁽⁸⁾.

وقد اعتاد الناس في المناسبات المفرحة على لبس الثياب المذهبة، والعمامة، والطيلسان، والحذاء، في حين لم يكن من المستحسن لبس هذه الملابس في المناسبات الحزينة؛ ربما لما يبدو فيها من التكلف الذي لا يتناسب مع المناسبات الحزينة. فلما مات الشاعر ابن الحباب شمت به المهذب بن الزبير⁽⁹⁾، ومشى في جنازته بثياب مذهب، فاستقبح الناس فعله، ونقص بهذا السبب⁽¹⁰⁾.

ولما " مات الأمير عبد الله بن المعر ... وجلس المعز للتعزية، دخل الناس عليه بغير عمائم واطهروا الجزع"⁽¹⁾. وخرج الحافظ في جنازة وزيره بهرام الأرمني بغير طيلسان⁽²⁾. ولما قتل الخليفة الظافر " دخل طلائع (والي الغربية وقتئذ) القاهرة، وشقها بعساكره، وهو لابس ثيابا سوداء... حافي القدم"⁽³⁾.

(7) المصدر نفسه، ص 171.

(8) المصدر نفسه، ص 172.

(9) المهذب بن الزبير، الحسن بن علي بن ابراهيم، شاعر محكم الشعر، وكان كاتباً مليح الألفاظ، وكان المهذب قد مضى رسولاً إلى اليمن عن بعض الخلفاء الفاطميين. توفي سنة (561هـ/1166م). انظر الكتبي، فوات، ج 1، ص 337.

(10) المصدر نفسه، ج 1، ص 337-340.

(1) ابن ميسر، أخبار، ص 166.

(2) المصدر نفسه، ص 133.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص 72.

ان مظاهر اللباس تؤكد أهمية إنفتاح مصر على الخارج، فمن خلال عادات الاستهلاك الرفيعة المستوى، يتبين وجود صلات ثقافية وتجارية مع العالم المسيحي، ولم يفلح التعصب الديني في وأد قنوات التواصل الحضاري. حيث أن نسيج السقلاطون(4) والبوقلمون(5)، اللذين شاع استعمالهما في المنسوجات الفاطمية، من المنسوجات التي اشتهرت بها في الأصل بلاد الروم وانتقلت إلى مصر زمن الفاطميين(6).

لقد ضاعفت تيارات الهجرة المتوالية من المغرب إلى مصر- وبأعداد كبيرة(7)- من فرص التواصل الحضاري بين البلدين، فساهمت هذه الهجرات في نقل جزء من تراث المغرب الى مصر. فلبس المصريون لباس البرنس(8)، الذي اختص به البربر البرانس، حتى انه نسب اليهم(9). وذكر ناصر خسرو أن الخليفة المستنصر كان يرتدي بعض الملابس التي تعود لأصول مغربية، فرأى عليه عندما زار مصر " قميصا ابيض فوطة فضفاضة كالتى تلبس في بلاد المغرب"(10). ونهلت مصر من ثقافة البحر الابيض المتوسط، فقد ورد في رسائل الجنيزة أن الملابس كانت تصدر في العصر الفاطمي من صقلية إلى مصر(11)، ويؤكد ذلك ما خلفته عبدة بنت المعز بعد وفاتها من الثياب الصقلية(12).

وقد أخذت التأثيرات الايرانية تحتل بعض الفضاءات في عادات وتقاليده المجتمع المصري، وتجلت في اللباس، حيث أكد خطاب ورد في رسائل الجنيزة - أرخ في القرن الخامس الهجري- أن مصر كانت تستورد الملابس من جنوب إيران(13).

-
- (4) السقلاطون: نسيج من الحرير مخلوط بخيوط الذهب. انظر القلقشندي، صبح، ج3، ص546.
(5) البوقلمون: نسيج رقيق امتاز بألوانه البراقة التي تتلاها، وتتغير اذا انكسرت عليها أشعة الشمس. انظر ناصر خسرو، سفرنامه، ص111.
(6) القلقشندي، صبح، ج3، ص546.
(7) حول الهجرات المغربية إلى مصر انظر ص 33 - 37 من الأطروحة.
(8) حول البرنس انظر ص 215 من الأطروحة.
(9) ابن خلدون، العبر، ج6، ص116-117.
(10) ناصر خسرو، سفرنامه، ص111.
(11) Goitein: op.cit, v.4, p.184.
(12) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص374.
(13) Goitein: op.cit, v.4,p170

ويمكن تقسيم الملابس التي ارتداها الناس إلى ثلاثة أقسام: لباس الرأس، ولباس البدن، ولباس القدم.

1- لباس الرأس:

* العمامة:

يقول المقرئ في تعريف العمامة: (1)

ما لف فوق الرأس كالعصابة سمي العمامة ذو الاصابة
وقد أخذ العرب العمامة عن آبائهم منذ الجاهلية، فهي تيجانهم، " فكما قيل في العجم توج من التاج، قيل في العرب عم". (2) والعمامة تكاد تكون لباس الرأس الشائع بين جميع الناس، رجالاً ونساءً. وقد بالغ الأغنياء في تزيين عمائمهم، فكانت رشيدة بنت المعز تلبس العمائم المرصعة بالجوهر (3). وكان المترفون يطرزون عمائمهم، يقول ظافر الحداد (4):

والنيـل مثـل عمامة	نشـرت محشاة بأخضر
--------------------	-------------------

وقد اعتنى الخلفاء الفاطميون بعمائمهم، فاخصت بتجهيزها لهم خادم عرف بشاد " التاج" (5)، وارتدوا العمائم المنظومة بالجوهر، والمنسوجة من الحرير الأبيض الرقيق (6).
ولبس القواد العمائم الكبيرة المنسوجة بالقصب والمرصعة بالذهب، فذكر المسيحي ان القائد ابا الفوارس معضاد كان يخرج " وعلى رأسه عمامة كثيرة الذهب، خميرية اللون" (7).

(1) زهرة الكمامة في العمامة، ورقة 100، انظر شكل العمامة، الملاحق، لوحة (2)، (3)، (7)، (9)، (11)، (12)، (28)
(2) ابن منظور، لسان، مج 12، ص 423.
(3) ابن الزبير، الذخائر، ص 241، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 373.
(4) ظافر الحداد، ديوان، ص 130.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص 84، المقرئ، المواعظ، مج 2، ص 292.
(6) المسيحي، أخبار، ج 40، ص 13-14، ابن الطوير، نزهة، ص 156.
(7) المسيحي، أخبار، ج 40، ص 44.

ولما كانت العمامة رمزا للهيبة والوقار، فقد كانت لباس رجال الدين الرسمي، حتى أطلق عليهم أرباب العمام(8). وكانت العمامة متممة لهيبة القاضي، ولذا ما كان يقبل منه أن يخرج بدون عمامة، فعندما علم الخليفة الحافظ بخروج القاضي هبة الله الأنصاري إلى الأسواق دون عمامة، أمر بعزله عن القضاء(9).

وكان القضاة يلبسون العمام الفخمة المذهبة، فيذكر المقرئ أن الحاكم خلع على قاضي قضاة الحسن بن النعمان في سنة (389 هـ / 999م)، عمامة مذهبة(10). كما خلع الحاكم على القاضي مالك بن سعيد الفارقي - سنة (389 هـ / 1007م) - عمامة مذهبة(1). وخلع الحاكم على القاضي أحمد بن أبي العوام بعمامة كبيرة مذهبة(2).

وكانت العمام تتخذ أشكالاً مختلفة في طريقة وضعها ولونها، فكان البعض يسدل طرفاً من العمامة خلف الكتفين، ويسمى بالذؤابة(3)، وفي ذلك نوع من انواع العظمة، يقول المقرئ(4).

وحكمة الإرخاء حسن الحال	به لما فيه من الجمال
-------------------------	----------------------

ولما كان إرخاء الذؤابة دلالة عز ونفوذ، فقد حرص الخلفاء على إرخائها، فكانوا في المواكب الرسمية يسدلون الذؤابة من جانبهم الايسر(5). وقد أضيفت الذؤابة المرخاة إلى خلع الوزير عند تعيينه " إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام"(6).

-
- (8) ابن الطوير، نزهة، ص 107-119. أرباب العمام: هم قاضي القضاة، وداعي الدعاة، ونقيب الأشراف الطالبين، والمحتسب، والقراء. انظر ابن الطوير، نزهة، ص 107-119.
- (9) ابن ميسر، أخبار، ص 132، ابن ظافر الأزدي، أخبار، ج 1، ص 248.
- (10) المقرئ، اتعاط، ج 1، ص 337، ابن حجر، رفع، ص 140.
- (1) المقرئ، اتعاط، ج 1، ص 398، ابن حجر، رفع، ص 316.
- (2) المقرئ، اتعاط، ج 1، ص 393، ابن حجر، رفع، ص 72.
- (3) ابن منظور، لسان، مج 10، ص 416. انظر شكل العمامة بالذؤابة من الخلف، الملاحق، لوحة (10).
- (4) زهرة الكمامة، ورقة 103.
- (5) ابن الطوير، نزهة، ص 171. انظر شكل العمامة بالذؤابة من الجانب، الملاحق، لوحة (8).
- (6) المصدر نفسه، ص 121.

ولما كان إرخاء الذؤابة يدل على العظمة، فعندما أراد الوزير رضوان بن ولخشي الحط من مكانة الذميين، فرض عليهم قيودا تتضمن منعهم من إرخاء الذؤابة خلف الكتفين⁽⁷⁾. ويعتبر المقرئ من سنة العمامة الإرخاء مع التحنيك، وهو التلحي أي إدارة العمامة من تحت الحنك، وفي ذلك يقول⁽⁸⁾:

والأخذ باليمين وامثال ما	في صفة التعميم يروي العلما
عن سنة حازت علو المرتبة	من التحنك وفعل العذبة

حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه⁽⁹⁾، ونهى الرسول عن ترك التحنيك⁽¹⁰⁾. ولما كان الإرخاء مع التحنيك من فعل الرسول، فقد حرص بعض الخلفاء على الإرخاء مع التحنيك؛ توكيدا لانتسابهم لآل البيت – الذي طالما طعن فيه العباسيون- فكان العزيز " أول من ركب منهم (أي الخلفاء) بالذؤابة الطويلة والحنك"⁽¹¹⁾. وذكر المقرئ ان الحاكم ركب يوم عيد الفطر عام (395هـ / 1005م)، وهو "محنك بذؤابة"⁽¹²⁾. وقد لبس القضاة العمائم بالأحكناك مع الذؤابة المرخاة⁽¹³⁾. وعرف كبار أمراء الدولة الفاطمية بالأستاذين المحنكين، لأنهم كانوا يدورون أطراف عمامتهم على أحناكهم⁽¹⁾. وكان وزراء الأقاليم يلبسون العمائم بالأحناك تحت حلوقهم⁽²⁾.

(7) المقرئ، **اتعاض**، ج2، ص247.
(8) زهرة، ورقة، 101-104 انظر العمائم بالاحناك، الملاحق، لوحة (70).
(9) الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص225.
(10) الهيثمي، در الغمامة، ورقة 16.
(11) المقرئ، **اتعاض**، ج1، ص321.
(12) المصدر نفسه، ج1، ص360.
(13) المقرئ، **المقفي**، ج2، ص397.
(1) ابن الطوير، **نزهة**، ص106.
(2) المصدر نفسه، ص106.

* الطيلسان:

ذكر ابن منظور أن الطيلسان قطعة من القماش المربع، تجعل على الرأس فوق العمامة⁽³⁾. في حين ذكر دوزي أن الطيلسان عبارة عن قطعة من القماش تلقى فوق الملابس على الكتفين فقط⁽⁴⁾. وقد جانب دوزي الصواب في ذلك؛ لأن الطيلسان لباس يضاف إلى العمامة - كما ذكر ابن منظور - وهذا ما أشار إليه ظافر الحداد في قوله:

عمامة شرب في حواش بخضرة أضيف إليها طيلسان مقور⁽⁵⁾

وقد كان الطيلسان زي القضاة الرسمي، بحيث سموا " بأصحاب الطيالس"⁽⁶⁾. ويبدو أن خلع الطيالس على القضاة كان من مراسيم تقليدهم منصب القضاء. فقد قلد الحاكم بأمر الله مالك ابن سعيد بن مالك الفارقي، عمامة وطيلسانا مذهبين عند توليته القضاء⁽⁷⁾.

ويبدو أن لبس الطيالس كان دلالة عز ونفوذ، فلما أراد الوزير العادل بن السلار الحط من شأن الذميين، اصدر قراراً - عام (544هـ / 1149م) - بمنع الذميين من لبس الطيالس⁽⁸⁾.

* التاج: عبارة عن طاقيّة عالية⁽⁹⁾، استخدمه الرجال والنساء على حد سواء، زينة لرأسهم وقد كانت المرأة يوم زفافها تضع على رأسها تاجاً⁽¹⁰⁾. كذلك كان الرجل يضع على رأسه يوم زفافه تاجاً خاصاً بالزواج⁽¹¹⁾. وذكر المقرئزي أن ست الملك أهدت أخاها الحاكم بأمر الله تاجاً مرصعاً بنفيس الجواهر⁽¹²⁾.

(3) لسان، ج2، ص125.

(4) معجم، ص229.

(5) ديوان، ص145. المقور: المقطوع من وسطه خرقاً مستديرة. انظر ابن منظور، لسان، مج 11، ص343-344.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص119.

(7) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص368.

(8) ساويرس بن المقفع، تاريخ، ج3، مج2، ص1354-1355.

(9) انظر شكل التاج، الملاحق، لوحة (13)، (14)، (15)، (16).

(10) العيني، عقد الجمان، ص507، p161، v.1، op.cit، Goitein.

(11) Goitein: op.cit، v.1، p.161، Neufeld: op.cit، p.149.

(12) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص211.

* **الخمارة**: عبارة عن قطعة كبيرة من الكتان أو الحرير، تغطي بها المرأة رأسها، وعنقها، وصدرها⁽¹³⁾. ويحوي متحف برلين تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، قوام زخرفتها رسم لسيدة ترتدي خمارةً (1).

* **القناع والنقاب**: تغطي بهما المرأة وجهها. والقناع عبارة عن قطعة من القماش الرقيق تغطي الوجه بتمامه⁽²⁾. أما النقاب، فهو عبارة عن قطعة من قماش تثقب في موضع العينين تبصر المرأة منهما⁽³⁾، ويطلق عليه أحياناً اسم البرقع⁽⁴⁾، وكان – على ما يبدو – يعد من لوازم المرأة الجميلة، إذ تغزل ظافر الحداد في شعره بجمال عيون المرأة التي ترتديه، فقال⁽⁵⁾:

لعمرك لو نظرت مقلتك	فتور العيون من البرقع
---------------------	-----------------------

ويبدو أن ستر المرأة لوجهها بالقناع والنقاب، كان يعبر عن الوقار والاحتشام، فعندما وصل تهتك النساء في عهد الحاكم إلى درجة من القوة، فرض عليهن تغطية وجوههن⁽⁶⁾ كوسيلة؛ للمحافظة على الآداب العامة في المجتمع.

(13) ابن منظور، لسان، ج6، ص444.
(1) انظر شكل الخمار، الملاحق، لوحة 6.
(2) ابن منظور، لسان، ج8، ص115.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص768.
(4) ظافر الحداد، ديوان، ص204.
(5) المصدر نفسه، ص204.
(6) الانطاكي، تاريخ، ص254، المقرئ، اتعاض، ج1، ص357.

2- ملابس البدن:

* **المئزر (الازار)**(7): وهو قطعة قماش كانت تلف او تعقد على وسط الانسان(8)، لما تحت السرة(9). وقد اقتضت السنة النبوية الا يزيد طول الازار عن الكعبين، بل أن يكون محصوراً ما بين الكعبين ومنتصف الساق(10). وكان الازار يلبس عند الدخول إلى الحمام، ويعتبر الدخول إلى الحمام بغير إزار تبذلاً وعدم احتشام(11).

ولم يقتصر لبس الازار على ستر العورة فقط، بل استخدم فوق ملابس النساء أيضاً، فقد أرسل وكيل لرئيسه، أن امرأة اتته " وعليها الازار وفي يدها خاتم الذهب، فتطلب مني، أفأعطيها؟ فقال له: من مد يده اليك فأعطه" (12) فالازار هنا قد استعمل فوق اللباس، فليس من المعقول أن تأتي المرأة إلى الوكيل وقد اقتصرت على ستر عورتها فقط. ولعل ما ورد على لسان الوكيل يدل على أن الازار قد تطور بشكل أصبح الاتزار أو التلغع به يعبر عن ترف صاحبه، ويكسبه شكلاً جميلاً.

* **القوطة:** عبارة عن قطعة من النسيج الغليظ غير مخيط(1)، تشد في الوسط على الجزء الأسفل من الجسم(2). ويبدو أنها كانت واسعة، فيروي ناصر خسرو ان " الخليفة المستنصر ارتدى قميصاً ابيض عليه قوطة فضفاضة"(3). ويبدو أن القوطة شكلت جزءاً أساسياً من لباس الناس، فنظراً لأهميتها كانت تدخل ضمن الخلع التي كانت تخلع على الخاصة والعامة في المناسبات المختلفة(4).

(7) المئزر والازار شيء واحد. انظر ابن سيده، المخصص، ج4، ص76-77.

(8) الفيروز آبادي، القاموس، ص211، مصطفى جواد، (1964م) أزياء العرب، مجلة التراث الشعبي، ع8، ص5.

(9) انظر شكل المئزر، الملاحق، لوحة (1)، (17)، (23)

(10) ابن منظور، لسان، ج4، ص17.

(11) الأنطاكي، تاريخ، ص257، المقرئ، اتعاط، ج1، ص357.

(12) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص155-156.

(1) ابن منظور، لسان، ج12، ص210.

(2) ابن بطوطة، رحلة، ص272 انظر شكل القوطة، الملاحق، لوحة (3)، (8).

(3) سفرنامه، ص111.

(4) المقرئ، المواعظ، مج2، ص364، 368.

* **السروال:** لباس يستر أسفل الجسم⁽⁵⁾، ارتداه الناس عموماً، رجالاً ونساءً⁽⁶⁾. ويبدو أنه كان من الملابس الدارجة بكثرة في اللباس، حتى أن ظافر الحداد استخدمه في تشبيهاته، فشبه البحر بالسروال، فقال: (7)

والبحر في رأس الجزير	رة كالسراويل المحرر
----------------------	---------------------

وكانت بعض السراويل لا تتعدى الركبتين⁽⁸⁾، بينما يطول بعضها حتى يصل إلى القدمين⁽⁹⁾. وقد يكون السروال ضيقاً، أو شديد الاتساع، بحيث لا يستر العورة، مما اضطر المحتسب عام (363هـ/ 973م) إلى منع النساء من لبس السراويل الواسعة⁽¹⁰⁾.

* **القميص:** لباس للرجال والنساء على حد سواء. وهو عبارة عن ثوب يلبس فوق السروال، وله كمان واسعان للغاية، يهبطان إلى المعصم، ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين⁽¹¹⁾. وقد تعددت أنواع القمصان من البساطة إلى التعقيد، فكانت قمصان الفقراء تتخذ من القطن، وتبعاً لذلك لم يتجاوز سعرها التسعة دراهم⁽¹²⁾، والستة عشر درهماً⁽¹³⁾، بينما كانت قمصان المترفين فخمة، ومنسوجة بخيوط الذهب، فذكر المقرئ أن الظاهر كان يرتدي القمصان المذهبة⁽¹⁴⁾.

(5) انظر شكل السروال، الملاحق، لوحة (2)، (3)، (9)، (19)، (26)، سليمة عبد الرسول، (1981).

ملابس العمل لذوي المهن والحرف، مجلة سومر، ع 37، ص 242.

(6) ديوان، ص 130.

(7) جروهمان، أوراق البردي، ج 6، ص 79، دوزي، معجم، ص 172.

(8) انظر شكل السروال الذي لا يتعدى الركبتين، الملاحق، لوحة (19).

(9) انظر شكل السروال الذي يطول الى القدمين، الملاحق، لوحة (3)، (9)

(10) المقرئ، تعاض، ج 1، ص 266.

(11) دوزي، معجم، ص 300، انظر صورة تقريبية للقميص، الملاحق، لوحة (67).

(12) Goitein: op.cit, v.1, p159.

(13) جروهمان، أوراق البردي، ج 6، ص 81.

(14) تعاض، ج 2، ص 10.

ونظرا لأهمية القمصان في ألبسة الناس، فقد كانت تدخل ضمن الخلع التي تخلع على
القضاة، فذكر المسبحي أن الحاكم خلع على القاضي مالك بن سعيد الفارقي قميص مصمت(1)،
وخلع على القاضي أبي العباس بن أبي العوام قميص ديبقي(2).
* **الغلالة:-** ثوب رقيق شفاف، يلامس الجسد مباشرة(3). وقد تعددت تفاصيل الغلائل من البساطة
إلى التعقيد، فكانت غلائل الفقراء تتخذ من نسيج القطن، ولا يتجاوز سعرها الأربعة دراهم
وربع(4)، في حين كان المترفون يلبسون الغلائل المذهبة، فذكر المقرئ أن أبا عبد الله محمد
النرسي - نقيب الطالبين - كان يرتدي غلالة مذهبة(5).
* **الصدر:-** قميص صغير، يغطي صدر المرأة، ومنكبها(6). وقد ظهر على التحف الخزفية التي
ترجع إلى العصر الفاطمي(7).
* **التبان:-** وهو عبارة عن سروال صغير مقدار شبرين يستر العورة(8)، وقد ظهر على الآثار
التي ترجع إلى العصر الفاطمي(9).
* **الثوب:-** هو زي الخروج للنساء والرجال على حد سواء. وهو عبارة عن رداء طويل، واسع،
فضفاض، ففي خطاب ورد في أوراق البردي مؤرخ من القرن الرابع الهجري، أرسله أحد
الأشخاص إلى صديق له يطلب منه شراء ثوب واسع العرض، من تسعة أشبار(10).

-
- (1) المسبحي، أخبار، ج40، ص36.
(2) ابن حجر، رفع، ج1، ص102.
(3) دوزي، معجم، ص295، صلاح العبيدي، الملابس، ص224.
(4) جروهمان، أوراق البردي، ج6، ص73-74.
(5) اتعاط، ج2، ص10.
(6) ابن منظور، لسان، ج4، ص443.
(7) انظر شكل الصدر، الملاحق، لوحة (25).
(8) ابن منظور، لسان، ج3، ص111.
(9) انظر شكل التبان، الملاحق، لوحة (24)، (25).
(10) جروهمان، أوراق، ج5، ص70-72.

وكانت الأثواب تصنع من مختلف الأقمشة، فكانت أثواب الفقراء تتخذ من القطن⁽¹¹⁾، وكانت أثواب المترفين تتخذ من الحرير، فكان الخلفاء يلبسون في الجمعة الأخيرة من رمضان ثوباً من الحرير الابيض، ويلبسون في عيد الفطر ثوباً حريري⁽¹²⁾.

وذكر المقرئ أن الأفضل بن بدر الجمالي وجد له بعد وفاته من أصناف الديباج⁽¹³⁾ تسعون الف ثوب⁽¹⁴⁾. وذكر ابن الزبير، أن رشيدة بنت المعز بعد وفاتها تركت ثلاثون ثوباً من

الخر⁽¹⁾. وذكر ناصر خسرو أن بعض المصريين تزيوا بالثياب المصنوعة من الكتان⁽²⁾. ولما كانت الثياب هي زي الخروج، فقد بالغ الناس في تطريزها⁽³⁾. فقد زين المترفون ثيابهم بخيوط الذهب، ويعتبر العزيز هو أول من اتخذ الثياب المثقلة⁽⁴⁾. وكان الخلفاء يلبسون في موكب فتح الخليج ثوب " كله ذهب وحرير"⁽⁵⁾. وكان الاتراك يدخلون على الظاهر " في أفخر ثياب من المتقل"⁽⁶⁾.

Goitein: op.cit, v.4, p.170 (11)

(12) المسبحي، أخبار، ج40، ص13-14.

(13) الديباج: نوع من انواع الحرير الغليظ. انظر ابن منظور، لسان، ج40، ص278.

(14) اتعاط، ج2، ص149.

(1) ابن الزبير، الذخائر، ص241، وانظر المقرئ، المواعظ، مج2، ص373. الخز: نسيج مخملي ثقيل مصنوع من خيوط حريرية، وخيوط صوفية، فكانت السدى حريرا، واللحمة صوفاً. انظر ابن الميداني، السامي، ص132.

(2) سفرنامه، ص101.

(3) انظر شكل الثياب المطرزة، الملاحق، لوحة (6)، (7)، (11)، (16)، (18)، (20)، (21)، (22)، (27)،

(28)، (29)، (30)

(4) ابن ظافر، أخبار، ج1، ص186.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص198.

(6) اتعاط، ج2، ص15.

ويبدو أن فخامة الثوب كانت تنعكس بالدرجة الأولى على أناقة أكمامه؛ ولذا كانت الأكمام محط اهتمام الناس، حيث بالغوا في تزيينها بالتطريز، وفي توسعتها⁽⁷⁾. فذكر ناصر خسرو أن الديلم كانوا يلبسون ثياباً "أكمامها واسعة، كما يلبس رجال مصر"⁽⁸⁾. وذكر المقرئزي، أن الأمير صبيح ابن شاهنشاه - أحد أمراء الدولة الفاطمية في أيام طلائع بن رزيك- " كان يلبس .. أكمام واسعة على زي المصريين يومئذ (أي في العصر الفاطمي)"⁽⁹⁾ ويبدو أن لتوسعة أكمام الثياب، فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، حيث أن سعة الأكمام أتاحت للناس أن يتخذونها جيوباً؛ لحمل كثير من الأشياء فيها، فكان مبخراً مواكب الخلفاء الفاطميين يحمل " في كتمه فحم برسم تعجيل المدخنة"⁽¹⁰⁾، وكان عليه القوم يحضرون سماط سحور شهر رمضان الذي يُقيمه الخليفة " فيأكلون، ويملاون أكمامهم"⁽¹¹⁾. ولأن الكم هو الجزء الأهم في الثوب؛ فقد كان من الممكن تقديمه هدية منفصلة عن الثوب، فيذكر المقرئزي أنه خلع على القاضي ثقة الملك الرسعني عام (516هـ / 1122م) ، اثواباً، وكم⁽¹²⁾، وخلع على الشيخ ولي الدين أبو البركات - متولي ديواني المجلس والخاص- في نفس العام اثواباً وكم⁽¹³⁾.

(7) انظر شكل الكم الواسع والمطرز، الملاحق، لوحة (6)، (7)، (18)، (20)، (21)، (22)

(8) سفرنامه، ص127.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص257.

(10) المصدر نفسه، مج2، ص389.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص595.

(12) المصدر نفسه، مج2، ص364.

(13) المصدر نفسه، مج2، ص365.

* **الدراعة:** ثوب قصير " مشقوق أمام الوجه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى" (1). وقد ميزت الدراعة لباس الخاصة، فقد لبسها الخلفاء، فذكر المقرئزي أن الحاكم بأمر الله خرج في جنازة والده العزيز وعليه دراعة (2). كما كانت الدراعة الزي الرسمي للوزراء، فقد كانت علامة الوزارة لوزراء الأقالام (3)، كما كانت الزي الرسمي للقضاة (4).

* **العباءة:** معطف يشبه الكيس، مفتوح من الامام، لا أكمام له، وإنما توجد فتحتان به في الزاويتين العلويتين لامرار الذراعين منهما (5)، تتخذ من الكتان مختلط الألوان، ومن القطن (6). ويبدو أن العباءة كانت من البساطة، بحيث لم يكن من الممكن التفريق بين عباءة الرجل والمرأة. فقد ورد في رسالة في وثائق الجنييزة أن رجلاً فقدت عباءته، وقد ابدى أسفه لذلك، حيث لم يكن له ولزوجته سواها (7).

* **البرنس:** كل ثوب رأسه منه (8)، وكان اللباس المفضل لدى الرهبان النصارى (9)؛ ولذلك كرهه بعض المسلمين (10)؛ واستعمله الفاطميون للتشهير بالقرامطة، ففي عام (363هـ / 974م)، " طيف بتسعة من القرامطة على الابل بالبرانس"، و عام (378هـ / 988م)، " طيف (بالقاهرة) بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس، وعدتهم الف وثلاثمائة" (11).

(1) ابن الطوير، نزهة، ص106.

(2) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص325.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص106.

(4) قائم الزمان، الرسالة، ورقة 562، ابن الطوير، نزهة، ص107.

(5) دوزي، معجم، ص238. انظر صورة تقريبية للعباءة، الملاحق، لوحة (69).

(6) Goitein: op.cit, pp 179-180

(7) Ibid, v.4, p154-155.

(8) ابن منظور، لسان، مج8، ص126، انظر شكل تقريبي للبرنس، الملاحق، لوحة (68).

(9) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 10، ص334، دياب، فكري محمد، (1994م): زي الرهبان على رسوم الفرسكو في الكنيسة المصرية بعد الفتح الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، مصر، ص110.

(10) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص334.

(11) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص262.

3- لباس القدم:-

* الجوارب:- وهي لفافة القدم⁽¹²⁾. تلبس تحت الاحذية وتلف جزءاً من الساق⁽¹³⁾.
* الأحذية: مع إقبال الناس على شراء الأحذية، ظهرت بالقاهرة أسواق تخصصت في بيعها⁽¹⁴⁾،
وتصليحها⁽¹⁵⁾. وإن ما تمتعت به مصر من رقي في صناعة الاحذية، ادى إلى ازدهار التجارة
الخارجية للأحذية، فورد في رسائل الجنيزة ان بضاعة ضخمة أرسلت من مصر إلى المغرب
- عام (458 هـ / 1065م) - فيها أحذية⁽¹⁾.

وقد تعددت تفاصيل الأحذية من البساطة إلى التعقيد. فكان بعضها مزينة بالتوكات أو
الحليات، فوصلت أسعارها إلى 11 دينار⁽²⁾، ولعل هذه كانت أحذية الاغنياء. أما فقراء العامة،
فالأرجح أنهم لبسوا أحذية غير مزينة، ولذا كانت أسعارها منخفضة، فتراوحت بين الربع دينار
والدينارين⁽³⁾.

وكانت الاحذية على ثلاثة أنواع، وهي: القبقاب، والخف، والنعل. أما القبقاب فقد استخدمه
الرجال والنساء على حد سواء، وهو حذاء من خشب⁽⁴⁾. ويصفح أحياناً بالحديد؛ للحفاظ على
صلابة الخشب، ويوشى بغطاء من جلد مطرز بالحريز، والأكثر جمالاً وأناقاة يتخذ من خشب
الليمون والعناب، والأكثر صلابة ومثانة من خشب التوت⁽⁵⁾. ويبدو أن صلابة القبقاب كانت من
القوة، بحيث تمكنت نساء الظافر من قتل نصر بن الوزير عباس الصنهاجي بالقبقاب⁽⁶⁾. وقد
ذكر دوزي أن علو القبقاب يتراوح بين (8 و 10 و 3 و 4 سم)⁽⁷⁾.

(12) الخليل بن أحمد، العين، ج6، ص113، أدى شير، الألفاظ الفارسية، ص38.

(13) أدى شير، الألفاظ الفارسية، ص38.

(14) الدواداري، كنز، ج6، ص292، المقريري، اتعاض، ج1، ص389.

(15) جروهمان، أوراق، ج6، ص90، 113

(1) Goitein: op.cit, v.4, p.163- 164

(2) Ibid, v.1, p162

(3) جروهمان، أوراق البردي، ج6، ص195 – 196.

(4) الفيروز آبادي، القاموس، ص156.

(5) ليون الافريقي، وصف افريقيا، ج2، ص243.

(6) ابن تغري، بردي، النجوم، ج5، ص310-311.

(7) دوزي، معجم، ص115 انظر رسم تقريبي للقبقاب، الملاحق، لوحة (72).

لما كان الطول من معالم جمال المرأة في الذوق المصري في العصر الفاطمي⁽⁸⁾، فإن ذلك يدعو إلى القول أن لارتداء النساء للقباق أساساً جمالياً مرتبطاً بالزينة، حيث تتجلى قيمة القباق الرمزية في العلو الذي يمنحه للابسه.

ويمكن القول أن لارتداء القباق فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، مرتبطاً بظروف الطقس، خاصة في فصل الشتاء، إذ تكون الأزقة موحلة، مما يستوجب اتخاذ القباق⁽⁹⁾. وقد كان القباق من لباس الأعيان – أيضاً - فيذكر المقرئ أن المستنصر شوهد في إحدى حجراته في العصر الفاطمي لابساً قباقاً⁽¹⁰⁾.

ومن لباس القدم – أيضاً - " الخف"، وهو ما يلبس في القدمين إلى الكعبين، وقد يطول إلى نصف الساق، أو يقترب من الركبتين⁽¹¹⁾، ويتخذ من جلود أنواع مختلفة من الحيوانات⁽¹²⁾. ويبدو أن الخف كان من الصلابة، حيث أنه استخدم في صفع المذنبين، فذكر ابن الطوير: أن الخليفة الأمر غضب على والي القاهرة؛ لجرم ارتكبه، وأمر بخلع أخفاه من رجليه، وصفعه بهما⁽¹⁾.

ومن لباس القدم، النعل: وهو ما وقبت به القدم من الأرض⁽²⁾، يتكون من فراش من الجلد أو نحوه، توضع فوقه القدم، ويشد إليها بواسطة سيرين، قد يمر أحدهما وسط الرجل، والآخر بين الأصبع الأكبر والثاني الذي يليه⁽³⁾.

وقد لبس الخليفة الحاكم النعل، فذكر المقرئ أن الحاكم كان يرتدي في ركوبه " حذاء عربي بقبالين"⁽⁴⁾. والقبالان – بكسر القاف – هما الزمام والسير الذي يعقد فيه الشسع⁽⁵⁾، الذي يكون بين أصبعي الرجل⁽⁶⁾. وقد كانت نعال المصريين من الأناقة، فذكر الرحالة المقدسي – الذي زار مصر في العصر الفاطمي – أن المصريين " قل ما يلبسون نعلًا مقتطعاً"⁽⁷⁾.

(8) انظر العماد الأصفهاني، الخريدة، ج3، ص73.

(9) ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ج1، ص243.

(10) المقرئ، اغائة، ص25.

(11) ابن أبي زيد القيرواني، متن الرسالة، ص69. انظر شكل الخف، الملاحق، لوحة (17)، (18).

(12) الفيروز آبادي، القاموس، ص1041.

(1) نزهة، ص16.

(2) الفيروز آبادي، القاموس، ص1374.

(3) دوزي، معجم، ص120.

(4) اتعاط، ج1، ص388.

(5) شسع النعال – بكسر حرف الشين – قبالتها الذي يشد إلى زمامها، والزمام هو السير الذي يعقد فيه الشسع.

انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص830.

(6) ابن حجر العسقلاني، فتح، ج10، ص383.

(7) أحسن التقاسيم، ص205.

ثالثاً: الزينة:

لقد اهتمت المرأة المصرية بزینتها، حتى وصفت بأنها " أرق نساء الدنيا طبعاً، وأحلاهن صورة" (8). وأن مبالغة المرأة المصرية بالاعتناء في زینتها؛ كان سبباً في تسميتها بالأسماء التي تعبر عن الجمال، مثل: جميلة، قمر، وغزال (9).

لقد كان اتخاذ الجوارى عاملاً في شيوع أصناف الزينة، إذ انهن دأبن على اظهار جمالهن وإخفاء عيوبهن، وليس هذا بالغريب، إذ أن الجارية تباع وتشتري أو تهدي. ولما كانت الحرائر على اتصال بهن، فلا بد من تولد الغيرة منهن على أزواجهن (10)، مما دفعهن إلى استخدام وسائل التزين للظهور أمام أزواجهن بمظهر حسن؛ كي لا يقدموا على اقتناء الجوارى. وكانت المرأة تتزين بوسائل مختلفة، وهي:-

* **الوشم:** يفيد غرز الإبرة في البدن، وذر النيلج عليه، وهو دخان الشحم، يعالج به الوشم ليخضر، أو تغرز الإبرة في البدن حتى يسيل الدم، ثم يحشى الكحل في موضعه (11). وقد كانت عادة الوشم شائعة لدى النساء، حيث صور القاضي الفاضل زينة المرأة برسم الحية على خدها، فقال: (1)

حدثنا يا فتى وأخبرنا	وأيا شئت منهما فقل
عن حية في الخدود ظالمة	تمنع من وشم وردها الخضل

(8) ابن ظهيرة، الفضائل، ص 80 - 81

(9) Goitein: op.cit, v.3, p.316 – 318.

(10) حول نظرة المرأة الحرة للجارية، انظر: ص 156، 276 من الأطروحة.

(11) الفيروز آبادي، القاموس، ص 1506، الخفاف، ليث، (1977م). وشم جسم المرأة، مجلة التراث الشعبي، ع6، ص 210- 211.

(1) القاضي الفاضل، ديوان، ج1، ص 87.

* **الخضاب:** هو التلوين⁽²⁾. وقد استعملت المرأة الحناء في تخضيب يديها ورجليها، ففي عقد زواج ورد في وثائق الجنيزة، تعهد فيه العريس بتزويد العروس قبل الزفاف بالحناء، لصبغ يديها ورجليها⁽³⁾. وقد أشار ظافر الحداد في شعره إلى عادة تخضيب النساء لأيديهن بالحناء⁽⁴⁾. ولما كانت حمرة الخدود من معالم جمال المرأة في الذوق المصري⁽⁵⁾، فقد استعملت المرأة أصباغ الخدود؛ لتكسيبها حمرة، كما استعملت أصباغاً أخرى للشفاه، ففي عقد زواج ورد في رسائل الجنيزة، تعهد فيه العريس بتزويد العروس قبل الزفاف بورود، وزعفران ممزوجة بالحناء؛ لصبغ وجهها⁽⁶⁾.

* **التكحل:** اما الكحل، فهو ما وضع في العين⁽⁷⁾، ويتم بمادة الإثمد⁽⁸⁾. ولما كانت العيون الواسعة من معالم جمال المرأة في الذوق المصري⁽⁹⁾، فقد اهتمت المرأة بتكحيل عيونها، حتى تبدو أكثر اتساعاً. وقد حوى متحف الفن الاسلامي مكاحل ترجع إلى العصر الفاطمي⁽¹⁰⁾، وظهرت رسوم نساء على تحف خزفية ترجع للعصر الفاطمي، بالغ راسمها في تسويد حدود العينين فيها⁽¹¹⁾. وشمل هذا النوع من التزيق الحاجبين أيضاً، إذ يتم تدقيقهما وإطالتهما بالإثمد، وتعرف هذه الطريقة بالتزجيج⁽¹²⁾. ومن أوضح الأمثلة على التزجيج ما هو متمثل في رسوم النساء التي على التحف الخزفية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، حيث بالغ راسمها في تسويد الحاجبين وإطالتهما فيها⁽¹³⁾.

(2) الفيروز آبادي، القاموس، ص1210.

(3) Goitein: op.cit, v.3, p77.

(4) ظافر الحداد، ديوان، ص7، 136.

(5) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص88.

(6) Goitein: op.cit, v.3, p.77

(7) ابن منظور، لسان، مج11، ص584.

(8) الإثمد: حجر أسود يسحق قبل استعماله. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص1309.

(9) العماد الأصفهاني، الخريدة، ص26، 87.

(10) انظر شكل المكحلة، الملاحق، لوحة (59).

(11) انظر الملاحق، لوحة (7)، (11)، (14)، (15)، (29)، (31)

(12) ابن منظور، لسان، مج2، ص285.

(13) انظر الملاحق، لوحة (7)، (11)، (15)، (22)، (28)، (29)، (31)

* تصفيقات الشعر:

اعتنت المرأة بشعرها، فحرصت على تجميله باستعمال الصبغ، ففي عقد زواج ورد في رسائل الجنيزة، تعهد الزوج فيه بتزويد العروس بتكاليف صبغة الشعر قبل الزفاف(1). كما اعتنت المرأة في تصفيف شعرها، وقد كانت تصفيقات الشعر متنوعة، فبعض النساء كن يجمعن بعض شعرهن إلى الخلف، ويسدلن بعض خصلات الشعر على الجبهة(2)، وغالباً ما كن يعرقلن بعض شعرهن على أصداهن(3)، حتى يبدو الوجه أكثر امتلاء، لا سيما وأن الوجه الممتلئ كان من معالم جمال المرأة في الذوق المصري(4). وبعض النساء كن يجعلن شعرهن ضفاير عن طريق تفريق الشعر إلى أجزاء، وقتلها مع بعض(5)، وبعضهن كن يجمعن شعرهن فوق رؤوسهن بشكل السنم، ويعظمنها بالعمائم والتيجان(6). ويبدو أن تصفيقات الشعر كانت معقدة، بحيث لم يتسن لأي امرأة أن تقوم بنفسها بتصفيف شعرها، مما كان يضطر كثيراً من النساء للذهاب إلى الماشطة، التي كانت على درجة من المهارة في تصفيف الشعر(7). وحتى تبدو تسريحة الشعر أكثر جمالاً، فقد اعتنت المرأة بتزيين شعرها بزينات فاخرة من التيجان، وعقود اللؤلؤ، والعمائم المطرزة، والمزينة بالرسوم(8). ويبدو أن تصفيف الشعر لم يتوقف على النساء، حيث اعتنى الرجال أيضاً بتصفيف شعورهم، فمن بين الحرف التي احترفها الرجال، حرفة " المزين"، الذي يقوم بخلق شعر الرجل، وتصفيفه، فقد كان لاولاد الحاكم بأمر الله مزينون مختصون بتهذيب شعورهم(9). وقد ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، وجه رجل شعره منسدل على كتفيه على هيئة ضفيرتين طويلتين(10).

(1) Goitein:op.cit, v.3, p.77

(2) انظر الملاحق، لوحة (15)، (22)، (31)

(3) انظر الملاحق، لوحة (11)، (14)، (15)، (16)، (22)، (28).

(4) انظر العماد الأصفهاني، الخريدة، ص26.

(5) انظر الملاحق، لوحة (15).

(6) انظر الملاحق، لوحة (11)، (28).

(7) ابن الأخوة، معالم، ص155.

(8) انظر الملاحق، لوحة (13)، (14)، (15)، (16)، (22)، (31).

(9) المقرئ، اتعاظ، ج1، ص358.

(10) انظر الملاحق، لوحة (32).

وقد حوى متحف آثار الاسماعيلية في القاهرة نماذج من الأمشاط، ترجع إلى العصر الفاطمي، استخدمت في تنظيف وتصفيف الشعر، وكانت متقنة الصنع حيث صنعت من الخشب، وزخرفت بالرسوم، وكان لها أسنان من جهتيها، جهة للأسنان الرفيعة، والجهة الأخرى للأسنان السمكية(1).

* **الحلي**(2): لقد بلغ تهافت أفراد المجتمع على اقتناء الحلي حداً كبيراً، مما أدى إلى ازدهار تجارة الجواهر، فيذكر ناصر خسرو، أن دكاكين مصر كانت مملوءة " بالذهب والجواهر ... بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس"(3).

وقد أنشأ الفاطميون في القصر الشرقي خزانة سميت " بخزانة الجواهر"؛ لتخزين الجواهر والحلي النفيسة(4)، وذكر ابن الأثير أن في تلك الخزانة " من الجواهر التي لم توجد عند غيرهم"(5). وذكر المقرئ أن الظاهر كان مغرمًا بالجواهر. فاستكثر من شرائها(6).

وخلف بدر الجمالي عقب وفاته " من الجواهر والياقوت أربعة صناديق ... وخلف الف قصبه زمردي؛ لأنه كان له به غرام عظيم، جمعت له من جميع الأقطار"(7). ووجد للمأمون بن البطائحي بعد وفاته " سبعون سرجاً من ذهب مرصع"(8)، ووجد في تركة برجوان " من الحلي والمصاغ ما لا يحصى كثرة"(9).

ووجد لست الملك – أخت الحاكم – بعد وفاتها، " النفيس من الجواهر، والذي كان منه قطعة ياقوت، وجد فيها عشرة مثاقيل" (10)، وخلفت زوجة القائد الحسين بن جوهر ما لا يوصف من الجواهر(11).

- (1) انظر الملاحق، لوحة (58).
- (2) الحلي: ما يزين به من معدن نفيس أو جوهر، أو ما شابه ذلك. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص1647.
- (3) سفرنامه، ص121.
- (4) ابن الطوير، نزهة، ص126، المقرئ، المواعظ، مج2، ص370-371.
- (5) الكامل، ج9، ص244.
- (6) المواعظ، مج2، ص193.
- (7) المقرئ، اتعاظ، ج2، ص149.
- (8) المصدر نفسه، ج2، ص213-214.
- (9) المصدر نفسه، ج1، ص342.
- (10) المقرئ، المواعظ، مج2، ص295.
- (11) المسبحي، أخبار، ج40، ص92-93.

وقد أقبل الناس على اقتناء الحلي؛ للتزين بها والمفاخرة من جهة؛ ولقيمتها المادية التي كانت تبعث على التصرف فيها في أوقات الضنك والشدة من جهة أخرى. ففي أيام الشدة المستنصرية، باع المستنصر مقتنيات ضخمة من خزانة الجوهر، وفرق قيمتها على الجند الاتراك؛ رغبة منه في احتوائهم⁽¹²⁾. ومن أنواع الحلي، الأقراط، والخواتم، والأساور، والخلاخيل.

* **الخواتم:-** من حلي اليد⁽¹⁾، تصنع من الذهب والفضة، وترصع بالفصوص. وقد حوت خزانه جواهر الفاطميين " الفا ومائتي خاتم ذهباً وفضة، فصوصها من سائر انواع الجوهر المختلف الألوان والأنواع"⁽²⁾.

وقد استخدمت الخواتم رمزاً للخطوبة، فقد جاء في عقد قران ورد في رسائل الجنيزة أن العريس تقدم إلى والد العروس، وقال له: هل تسمح بأن تزوجني ابنتك بهذا الخاتم⁽³⁾.

وكانت الخواتم تدخل ضمن الصداق الذي يقدمه الزوج لزوجته، ففي عقد قران ورد في رسائل الجنيزة اتفق الزوج مع وكيل العروس، على أن تكون الشبكة عبارة عن ثلاثة خواتم⁽⁴⁾.

* **الأساور:-** من حلي المعصم⁽⁵⁾، وقد ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي صورة سيدة بيدها سوار⁽⁶⁾. كما يوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة أساور ترجع إلى العصر الفاطمي، محلاة بالأحجار الكريمة⁽⁷⁾.

(12) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص371.

(1) ابن منظور، لسان، مج3، ص292.

(2) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص371 انظر نماذج من خواتم الذهب التي ترجع الى العصر الفاطمي، الملاحق، لوحة (61)، (62).

(3) Goitein: op.cit, v.3, pp.87 - 88

(4) Ibid: v.3, pp, 70-71

(5) ابن منظور، لسان، مج3، ص292.

(6) انظر الملاحق، لوحة (22).

(7) انظر الملاحق، لوحة (63)

* **الاقراط:** حلي تعلق في شحمة الأذن⁽⁸⁾. ويوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، قرط من الذهب مستدير الشكل، يرجع إلى العصر الفاطمي⁽⁹⁾.

* **القلاند:** وهي ما يجعل في العنق⁽¹⁰⁾، ويبدو أنها كانت من أساسيات التزيين بحيث " لا توجد بأرض مصر امرأة، وأن سفلت الا ولها قلادة"⁽¹¹⁾. وظهر على تحف خزفية من العصر الفاطمي، رسم لسيدات يزين عنقهن عقد منظوم باللؤلؤ⁽¹²⁾.

* **الخلاخيل:** - لفظ عام يطلق على كل ما يلبس في الساق من حلي، وقد أشار ابن قلاقس إلى الخلاخ، في قوله: ⁽¹³⁾

وإنما الشروق أقرض الغرب دينا	راً فأعطاه رهنه خلخالاً
------------------------------	-------------------------

* **المنطقة:** تشد بها المرأة وسطها، يتجلى ذلك في قول الشريف العقيلي:⁽¹⁾

النيل قد لاحت على خصره منطقة من صيغة البدر
وقد ظهرت المنطقة على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي⁽²⁾

(8) ابن منظور، لسان، مج7، ص374.

(9) انظر الملاحق، لوحة (66)

(10) ابن منظور، لسان، ج3، ص365

(11) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص130. انظر نماذج من القلاند التي ترجع الى العصر الفاطمي، الملاحق، لوحة (22)، (31)، (64).

(12) انظر الملاحق، لوحة (22) ، (31)

(13) العمري، مسالك، ج1، ص211

(1) الشريف العقيلي، ديوان، ج1، ص147.

(2) انظر الملاحق، لوحة (27)

* **الطيب**:- وتشمل كلمة الطيب العطور⁽³⁾، التي كانت تعتبر من أظهر الأدلة على كمال المروءة، بعد أن يكمل المرء نظافته⁽⁴⁾؛ ولذا كان استعمالها شائعاً بين الرجال والنساء. وقد بالغ الخلفاء الفاطميون في استعمال العطور، فأنشأوا في القصر الشرقي خزانة سميت بـ " خزانة الطيب"⁽⁵⁾، كانوا يخزنون بها الروائح والعطور، مثل الكافور⁽⁶⁾، والمسك⁽⁷⁾، والعود⁽⁸⁾، والعنبر⁽⁹⁾ والند⁽¹⁰⁾. وقد كان يصرف لنساء القصر، من خزانه الطيب كميات وفيرة من العطور⁽¹¹⁾.

وكان الخليفة الظاهر يؤثر الطيب، فكان " العنبر يبخر بين يديه في المباخر الذهب والفضة والجوهر"⁽¹²⁾. ووجد للوزير الجرجرائي بعد وفاته " ألف مثقال من العنبر، وغير ذلك"⁽¹³⁾. ووجد في تركة برجوان الصقلبي من الطيب ما لا يحصى كثرة⁽¹⁴⁾، وكان لدى الأفضل بن بدر الجمالي شغف بالطيب والبخور⁽¹⁵⁾، فقد وجد له بعد وفاته من " العود والعنبر والمسك ما أذهل الناس"⁽¹⁶⁾.

(3) ابن منظور، لسان، ج1، ص565

(4) البيروني، الجماهر، ص22.

(5) ابن الطوير، نزهة، ص126، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص370

(6) ابن المأمون، أخبار، ص90، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص44. الكافور: نبت طيب الرائحة، له زهر كزهر الاقحوان، ويستخرج الكافور من أحواف شجره. انظر ابن منظور، لسان، ج1، ص565.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص389.

(8) ابن المأمون، أخبار، ص90-91، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387-389.

(9) ابن المأمون، أخبار، ص90-91، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387-389. العنبر: ينبع من عيون وصخور في الأرض، فيجتمع في البحر، فإذا تكاثف طغى على الماء، وقطعته الريح، وأمواج البحر إلى قطع صغيرة وكبيرة. انظر القلقشندي، صبح، ج2، ص117.

(10) ابن المأمون، أخبار، ص90-91، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص387-389. الند: كان قوام الند، العنبر، وماء الورد، والمسك، والعود. انظر الغزولي، مطالع، ج1، ص63-64.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص389.

(12) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص29.

(13) المصدر نفسه، ج2، ص48.

(14) المصدر نفسه، ج1، ص342.

(15) المصدر نفسه، ج2، ص178.

(16) ابن الطوير، نزهة، ص8.

وكان القاضي محمد بن النعمان كثير الاستعمال للطيب في مجلسه⁽¹⁷⁾. وقد تركت رشيدة بنت المعز بعد وفاتها مائة قارورة مملوءة كافور⁽¹⁾. وتركت ست الملك أخت الحاكم بعد وفاتها ثلاثون جرة مملوءة بالمسك⁽²⁾.

ولم يقتصر استخدام العطور على الخاصة، بل استخدمها أيضاً العامة، فكانوا يتطيّبون بالخلوق⁽³⁾، فيذكر المقرئزي أنه في عام (415 هـ / 1024م)، " زين العامة أسواق البلد، وخلقوا⁽⁴⁾ وجوه الصبيان"⁽⁵⁾. وكان العوام يؤثرون دهن البنفسج⁽⁶⁾ على كل طيب، ويقبلون على شرائه، مما دفع التجار إلى رفع ثمنه، حتى بيعت كل أوقية منه بدينار⁽⁷⁾.

ولم يقتصر تطييب الناس على أنفسهم، بل حرصوا أيضاً على تطييب منازلهم، ومجالسهم، وقصورهم، ولتحقيق ذلك استخدموا المبخرة التي يحرق فيها أصناف الطيب، وتعطر من بخورها⁽⁸⁾، المنازل والمساجد والمجالس، كما يتطيّب الناس من تلك البخور. فكانت تطلق في المساجد كميات وافرة من البخور " في المحراب، وعن يمين المنبر وشماله، وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة"⁽⁹⁾. وكانت مجالس الخلفاء تبخر بالند، والعود، والكافور⁽¹⁰⁾. كما كان لمواكب الخلفاء نصيب وافر من البخور⁽¹¹⁾.

وقد كانت المباخر تصنع من الذهب والفضة والجوهر⁽¹²⁾، وقد حوى متحف الفن الإسلامي في القاهرة مباخر متباينة الأشكال، تعود إلى العصر الفاطمي⁽¹³⁾.

(17) المقرئزي، **اتعاط،** ج1، ص337.

(1) المقرئزي، **المواعظ،** مج2، ص373.

(2) المصدر نفسه، مج3، ص211.

(3) الخلق: عطر يحضر من الزعفران، مضافاً إليه أنواع أخرى من الطيب. انظر بن منظور، لسان، ج4، ص324.

(4) خلقه بالخلوق، أي طيبه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص520.

(5) المقرئزي، **اتعاط،** ج2، ص23.

(6) البنفسج: زهر لونه مثل اسمه. انظر الوشاء، الموشى، ص177.

(7) المقرئزي، **اتعاط،** ج1، ص373.

(8) المقرئزي، **المواعظ،** مج2، ص389.

(9) المصدر نفسه، مج2، ص389.

(10) المصدر نفسه، مج2، ص388.

(11) المصدر نفسه، مج2، ص389.

(12) المقرئزي، **اتعاط،** ج2، ص29.

(13) انظر الملاحق، لوحة (60).

إن استكمال الحديث عن الزينة في العصر الفاطمي، يقتضي الحديث عن الحمامات؛ باعتبارها مظهراً من مظاهر الاعتناء بالنظافة، والزينة. والحمامات: مفرداً حمام، وهو يعني الماء الحار: والاستحمام هو الاغتسال بالماء الحار، والحميم العرق، واستحم الرجل: عرق. ويقال للخارج من الحمام طاب حميمك، أي طاب عرقك، وهو دعاء بالصحة؛ " لأن الصحيح يطيب عرقه"⁽¹⁴⁾.

لقد احتلت الحمامات مكاناً مهماً في الحياة اليومية للناس، فما " كان يتوصل إليها إلا بعد عناء من الزحام"⁽¹⁾. وليس هذا بغريب، فالحمام وسيلة أساسية في تأمين طهارة المسلم التي تمكنه من تأدية واجباته الدينية، وهذا يفسر اقتران رغبة العزيز بالله (365-386هـ / 975-996م) في بناء جامع وحمام معاً⁽²⁾.

كما كانت للحمام أهمية علاجية، جعلته يساهم في المحافظة على سلامة أفراد المجتمع، والعمل على رفع مستواهم الصحي، فكان للحمام الفضل الأول في ترطيب البدن، والشفاء من كثير من الأمراض الجلدية الخطيرة كالجرب والهرش⁽³⁾. وكان الحمام السبب المباشر في استمرار ايقاظ الوظائف الجلدية في المجتمع المصري الذي يسود جوه الحرارة المرتفعة، والتراب، والغبار المثار، وتكاثر الروائح الكريهة. فيصف ابن رضوان (ت 453 هـ / 1061م)، جو القاهرة والفسطاط، فيقول: " وأزقتها (أي القاهرة) وشوارعها بالقياس إلى أزقة الفسطاط وشوارعها، أنظف وأقل وسخاً، وأبعد عن العفن...

(14) ابن سيدة، المحكم، ج2، ص385-386، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص261.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص125.

(2) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص68، المقرئزي، المواعظ، مج3، ص261، مج4، ق1، ص107-111.

(3) الشيزري، نهاية، ص86.

وإذا هبَّت ريح الجنوب، أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئاً كثيراً، وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الأرض موجب ضرورة أن تكون يصل إليها بالرشح من عفونة الكنف شيء ما. وبين القاهرة والفسطاط بطائح تمتلئ من رشح الأرض في أيام فيض النيل، ويصب فيها بعض خزرات القاهرة، ومياه البطائح هذه رديئة، وسخة أرضها، وما يصب فيها من العفونة يقتضي أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائداً في رداءة الهواء بهما، ويطرح في جنوب القاهرة قدر كثير..."(4).

وقد كانت الحمامات محلاً للتجميل والتزين، سواء كان ذلك للرجال أم للنساء. فكان الرجال يخلقون رؤوسهم عند المزين (الحلاق) الذي يكون وجوده دائماً في الحمام(5). وكانت المرأة تقبل على الحمام للتزين، وقد اعتادت أثناء زيارتها للحمام أن تصطحب بلانيتها، أو ماشطتها، وتوَجِر لصديقاتها خلوة خاصة، وتظل النسوة وقتاً طويلاً تحت أيدي البلانة، فتدلكهن، وتزيل مايترائي لهن من شعر الوجه والبدن(6).

كما لعبت الحمامات دوراً في مجال الخطبة، فكانت الخطابة تحرص على التردد على هذه الحمامات؛ لتري الفتيات وهن يستحمن؛ لتصفهن لزيابننها(1).

وقد جمعت الحمامات بين الجانب العملي المفيد، والجانب الترفيهي، حيث كان الحمام المكان المفضل للنساء؛ للترفيه والترويح عن النفس خارج المنزل(2). فكن يجتمعن به، ويقمن بالغناء، وورد أن الحاكم حين مر على أحد الحمامات، وسمع غناء النساء وصيحاتهن تملكه الغضب، وأمر باغلاق الحمامات الخاصة بالنساء فترة من الزمن(3).

(4) دفع مضار الابدان، ص161- 162.

(5) الشيزري، نهاية، ص88.

(6) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص167.

(1) ابن دانيال، طيف الخيال، ورقة 304.

(2) Goitein: op.cit, v.3, pp. 343-344.

(3) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص71، الدواداري، كنز، ج6، ص258.

وقد بالغت بعض النساء في التبرج في الحمامات، فيبدو أنهن كن يجلسن بها، وعوراتهن مكشوفات لبعضهن البعض، وقد أغضب الحاكم بأمر الله ذلك، فأمر بمعالجة هذه الحالة في الحمامات، فأصدر أمره بعدم السماح للنساء في الدخول إلى الحمام بدون منزر(4).

لقد تفاوتت الحمامات من حيث مستوى خدماتها وشكلها، ومرافقها، وحجمها، فكانت على نوعين: حمامات جيدة كان جل روادها من المترفين، وحمامات رديئة تردد عليها العامة(5).

والحمامات الجيدة شيدت على نظام يضمن للمستحم عدم تعرضه للإيذاء بالانتقال السريع من البرد إلى الحر أو العكس، فقد كانت تشتمل – كما يصفها الشيزري – على عدة بيوت، يكون البيت الثاني منها أكثر حرارة من الأول، وأقل حرارة من الثالث الذي يغتسل فيه(6).

وكانت بيوت الحمام تسخن عن طريق النار الموقدة تحت أرضها بدرجات تجعل كل واحدة منها ذات درجة حرارة معينة لا تؤذي المستحم(7).

وكانت الحمامات الجيدة تزين بالرسوم والزخارف(8)، وتتميز برائحتها الزكية، فقد كانت تستعمل فيها البخور في كل جمعة، حيث كان يصرف للحمامات من خزانة الطيب، نداءً وعوداً(9).

والحمام الجيد يتواجد فيه مدلك يقوم بتدليك أجسام الناس، وقد يأمر المحتسب، المدلك، أن يدلك يده بقشور الرمان؛ لتصير خشنة، فتخرج الوسخ، علاوة على أنها تذل المستحم(10). وقد ظهر على جدران حمام فاطمي، رسم بالألوان المائية – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة – لسيدة تقوم مدلكة بتدليك أرجلها(11).

-
- (4) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص357.
 - (5) المقرئزي، **المواعظ**، مج3، ص263 – 276.
 - (6) **نهاية**، ص86.
 - (7) البغدادي، **أخبار والاعتبار**، ص69-70.
 - (8) انظر الملاحق، لوحة (12)
 - (9) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص388.
 - (10) الشيزري، **نهاية**، ص88-89.
 - (11) متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، سجل رقم 13080.

والحمام الجيد في نظر الناس هو الحمام الحار، العذب الماء، المتميز بأضوائه الكثيرة، وفنائه الواسع، وتصاويره البديعة الصنعة، وأحواضه الصافية، ورخامه المنقوش، ورائحته الزكية، وقد وصف ظافر الحداد الحمام الجيد في قوله: (1)

وروضة في هجير	وجنة في سعي
خصت كل نعيم	ولذة وسرور
منيرة بشموس	مضيئة ببور
كانما سقفها ال	زهر غب يوم مطير
والماء صاف غزير	كادمع المهجور
كانما كل حوض	مودة في ضمير
تحكى الموازين منها	صوالح البلور
قد رصعت برخام	كنقش بسط الحرير
نحيا بها ويحيى ال	نفوس طيب البخور

اما الحمام الرديء، فمأؤه بارد، ورائحته كريهه، وظلامه دامس، وجدرانه متشققة، والماء يقطر فيها كأنه الحبر الأسود، وهذا ما أشار إليه ظافر الحداد في قوله:

حمامنا هذا حمام	وإنما صحف الكلام
اقل اوصافها ثلاث	البرد والنتن والظلام
يلسع برد البلاد فيها	فالناس في وسطها قيام
وبين جدرانها شقوق	يكمن في جوفها الهوام
والبراغيث في نواحي	بيوتها عسكر لهام ⁽²⁾
والماء فيها اقل شيء	يدرك بالجهد او يرام ⁽³⁾

(1) ديوان، ص 134.
(2) لهام: الجيش العظيم. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص 611.
(3) ديوان، ص 269.

رابعاً: المسكن:

لم تتل قصور سكنى الخلفاء عناية المؤرخين؛ لأنها قامت داخل أسوار القصر الكبير الشرقي⁽⁴⁾، الذي كان مركزاً للحياة السياسية في القاهرة، " وداراً للخلافة الفاطمية"⁽⁵⁾، ومعقلاً لنشر المذهب الاسماعيلي⁽¹⁾. ومن ثم تركزت أوصاف المؤرخين للقصر الشرقي على مؤسساته السياسية والدينية والإدارية⁽²⁾، ولم يكن لقصور الخلفاء الكائنة في القصر الشرقي، نصيباً من أوصاف المؤرخين، وما جاء عنها ورد مبعثراً في بطون المصادر بشكل عرضي.

يتبين من الأخبار الشحيحة المبعثرة في المصادر عن قصور سكنى الخلفاء، أنها تميزت بالفخامة، حتى سميت " بالقصور الزاهرة"⁽³⁾؛ لأنها حوت " جميع ما يكون للملوك"⁽⁴⁾. وقد قدم مبعوثاً ملك بيت المقدس - اللذان سمحت لهما الظروف بالدخول إلى القصر، ولأسباب سياسية - أوصافاً مقتضبة لقصور الخلفاء⁽⁵⁾، يتجلى منها روعة هذه القصور. فذكرا أن في هذه القصور دور واسعة ومقاصير للحرم، وحجرات للخدم، وقباب، وأروقة⁽⁶⁾ حليت بالفسيفساء المذهبة، والرسوم الملونة، وحيطانها بالوشى والديباج، وتحيط بها البساتين المظللة بالأشجار. وفي هذه القصور نوافير يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة، وأرضية هذه القصور مرصوفة بأنواع من الرخام المتعدد الألوان، وفيها تذهيب بهيج بنضارته، وبهائه.

(4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284.

(5) المصدر نفسه، مج2، ص284-287.

(1) ابن الطوير، نزهة، ص111، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص127، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص305.

(2) انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص127-130، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284-305.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص284.

(4) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص203-204.

(5) وصلت إلينا هذه الأوصاف فيما سجله وليم أسقف صور، وترجمه زكي محمد حسن في كتابه كنوز

الفاطميين، ص162-163.

(6) الرواق: السقف، انظر عبد الرحيم غالب، موسوعة، ص207.

وقد وصف أمية بن أبي الصلت قصر اللؤلؤة⁽⁷⁾، وقد جلس الخليفة الأمر في أحد أركانه، فعرض لكل ما حواه القصر من قباب مرتفعة، وأنوار ساطعة، وأعمدة رخامية موشية⁽⁸⁾ .

وبنى المعز قصرا سماه " العروسين"، تدل تسميته على أنه من القصور الجميلة من حيث هندسه البناء، والتزييق حتى شبه بالعروس، وقد أشار الشاعر علي بن يوسف الايادي إلى علو هذا القصر، وإلى أضوائه وقبابه⁽⁹⁾.

لقد اعتنى الفاطميون بأثاث قصورهم، حتى أن المعز رحل معه فرش عظيم من المغرب إلى مصر⁽¹⁰⁾. وأنشأ الفاطميون في قصورهم خزائن للفرش والأمتعة⁽¹¹⁾، كانت تعج بـ " الفرش، والبسط، والستور، والتعليق التي لا تحصى كثرة"⁽¹⁾.

وقد فرشت قصور الخلفاء بالوسائد والمخاد والبسط المختلفة الانواع⁽²⁾، كما فرشت بالحصر المطرزة بالذهب والفضة، والمصورة بسائر الصور⁽³⁾.

وكان الخلفاء يزينون قصورهم بستور السندس الأخضر المذهبة⁽⁴⁾، والستور الحريري المنسوجة بالذهب التي فيها صور الدول وملوكها، والمشاهير فيها، مكتوب على صورة كل واحد منهم اسمه، ومدة أيامه، وشرح حاله⁽⁵⁾.

(7) قصر اللؤلؤة: من قصور الخلفاء الفاطميين، يقع داخل أسوار القصر الكبير الشرقي. انظر المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص284.

(8) النويري، **نهاية**، ج1، ص407.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص407.

(10) المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص349.

(11) ابن الزبير، الذخائر، ص253، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص377.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص371-372.

(2) ابن الزبير، الذخائر، ص258، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص379.

(3) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص378.

(4) المصدر نفسه، مج2، ص379.

(5) ابن الزبير، الذخائر، ص254، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص379.

ومن جملة أثاث القصور – أيضا- الأدوات المستعملة في المطبخ، كالأقداح، وكيزان الفقاع المصنوعة من البلور، وصحون المينا، والصواني المنقوشة بسائر النقوش⁽⁶⁾، والكؤوس⁽⁷⁾ والأزيار⁽⁸⁾ والسكاكين⁽⁹⁾.

ومن أثاث القصور، الأدوات المستعملة في غسل الأيدي كالطست والابريق، ويروي المقريري أن الوزير اليازوري أعجب بطستٍ وابريقٍ في خزانة الفرش، والأمتعة؛ ولفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما، فوهبهما له⁽¹⁰⁾.

وقد استعملت في القصور أدوات أخرى للزينة أكثر منها للضرورة، مثل اواني الفضة والذهب⁽¹¹⁾، والاحجار الكريمة، والجواهر النفيسة⁽¹²⁾، والتمائيل البديعة، مثل تماثيل العنبر والكافور، وتماثيل الحيوانات، والفواكه، المرصعة بنفيس الجواهر⁽¹³⁾. وزينت القصور بالثريات المعظمة بالجواهر الفاخر⁽¹⁴⁾.

أما بيوت عامة الناس، فكانت تبنى من الحجر، والأجر⁽¹⁵⁾، والقصب⁽¹⁶⁾، وكتل الطين واللين⁽¹⁾. وأثبتت التنقيبات الأثرية التي قام بها عباس حلمي أن سقوف البيوت في العصر الفاطمي، كانت تغطى بالخشب أو جذوع النخيل⁽²⁾.

(6) المقريري، **المواعظ**، مج2، ص372.

(7) ابن الزبير، الذخائر، ص254، المقريري، **المواعظ**، مج2، ص372.

(8) ابن الزبير، الذخائر، ص255، المقريري، **المواعظ**، مج2، ص373.

(9) المقريري، **المواعظ**، مج2، ص372.

(10) ابن الزبير، الذخائر، ص242-243، المقريري، **المواعظ**، مج2، ص374.

(11) المقريري، **المواعظ**، مج2، ص372.

(12) المصدر نفسه، مج2، ص370.

(13) المصدر نفسه، مج2، ص375-376.

(14) المقريري، **اتعاظ**، ج1، ص349.

(15) ناصر خسرو، **سفرنامه**، ص89.

(16) ابن سعيد، **النجوم**، ص24، المقريري، **المواعظ**، مج2، ص228.

(1) ابن سعيد، **النجوم**، ص24، المقريري، **المواعظ**، مج2، ص228، علي بهجت، حفريات، ص101-103، عبد الوهاب، حسن، (1940م). البناء بالطوب في العصر الاسلامي، مجلة العمارة، مج2، ع3-4، ص220.

(2) كامل، عباس حلمي، (1968م). تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ص130.

وكانت البيوت تتألف من عدة طوابق، فقد ذكر الرحالة المقدسي أن البيوت في مصر في العصر الفاطمي، تكونت من أربع، أو خمس طبقات(3)، وذكر ناصر خسرو أن طبقات بعض الدور تكونت من سبع طبقات إلى أربعة عشر طبقات(4).

كانت بيوت القاهرة في الفترة التي اقتصررت الإقامة فيها على الخاصة، بعيدة عن بعضها، بحيث لا تنمو أشجار بيت على سوربيت آخر(5)، ويبدو ذلك منطقياً، حيث أن مستوى الكثافة السكانية في ذلك الوقت سمح بإبعاد البيوت عن بعضها. إلا أن التكديس السكاني الذي شهدته المدينة بعد انتقال العامة إليها- عام (466هـ / 1074م) - حال دون ترك مسافات بين البيت والآخر، فأصبحت البيوت قريبة من بعضها بحيث " لا يتخللها خراب"(6)، و " لا دائر أو دارس"(7).

أما شكل الدار من الداخل، فأول ما يبدو منها بعد الباب الخارجي، دهليز مسقف يوصله إلى داخل الدار، وهو عبارة عن ممر يوصل باب الدار بفنائها (أي وسطه). وكان بعض الناس يتأقنون في بناء الدهليز، ويعتبرونه " وجه الدار، ومنزل الضيف، وتجليس المستأذن"(8)، ومما يثبت أن دهليز الدار كان يستخدم - في بعض الأحيان - للاستقبال، ما رواه أسامة بن منقذ(ت584هـ/1188م)، حيث ذكر أنه: " جلس في دهليز داره - التي في مصر- فدخل عليه شاب سلم وجلس"(9).

وفي نهاية الدهليز يكون في بعض البيوت باب آخر يسمى باب الفناء، وبعد عبور هذا الباب يكون الداخل في فناء الدار، وهناك يجد غرف الدار مشرفة على هذا الفناء، وعدد هذه الغرف لم يكن ثابتاً، وكان من المعتاد أن يزداد، كلما اتسعت مساحة الدار(10).

(3) أحسن التقاسيم، ص198.

(4) سفرنامه، ص116.

(5) ناصر خسرو، سفرنامه، ص89-90.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص332، 333.

(7) المصدر نفسه، مج3، ص57.

(8) الغزولي، مطالع، ج1، ص35.

(9) الاعتبار، ص62.

(10) عباس حلمي، تطور المسكن، ص113-114.

وقد ارتبط تخطيط الدور في العصر الفاطمي بالتقاليد الاجتماعية السائدة، فقد أثر حرص الناس على ضرورة الفصل بين نساء الاسرة، والغرباء من الرجال على تخطيط المساكن، حيث صارت الفكرة الأساسية التي حرص عليها الناس في هندسة بيوتهم عندئذ، هي عدم تمكين أي فرد بالخارج أن يرى شيئاً من داخل المنزل، ويتضح ذلك من خلال احاطة المنزل بسور لبن عالي؛ ليحجب ساكني الدار عن أعين المتطفلين⁽¹⁾. وكان يراعى عند التخطيط أن يكون مدخل الدار على خط منكسر، على شكل كوع؛ لحجب ما يجري في الفناء عن أنظار من بالخارج⁽²⁾. كما كان يراعى في تخطيط البيوت ايجاد ممرات خلفية في الدار؛ للاتصال بين قاعات الجلوس الخاصة بالضيوف، وأماكن إقامة النساء، فهي تحقق التنقل بين أجزاء الدار دون اختراق مكان الجلوس الخاص بالضيوف، فيسهل على النساء التنقل بين أرجاء الدار، والقيام بخدمة الضيوف، دون أن تصل اليهن العيون⁽³⁾.

وتبدو الاعتبارات الصحية في تخطيط المنازل، فكان يراعى في تخطيط المساكن درجة حرارة المكان، فكان الناس يتخذون في مساكنهم كل الوسائل التي تؤدي الى تلطيف الجو، فقد روعي في تشييد فناء الدار أن يكون موجهاً لتيار الهواء البحري، نظراً لطبيعة الجو الحار صيفاً، ولطول فترة الصيف⁽⁴⁾. وكان يوضع في المساكن مجاري واسعة داخل الجدران، كان الغرض منها توصيل الهواء الطلق إلى الابوانات التي في الطوابق المرتفعة عن الفناء⁽⁵⁾.

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، ص89-90.

(2) علي بهجت، حفريات، ص101-103.

(3) عباس حلمي، تطور المسكن، ص118، عليوه، حسين، (1981م)، المكان والفن الاسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع2، ص93.

(4) عباس حلمي، تطور المسكن، ص113.

(5) المرجع نفسه، ص114-115.

وكان يراعى في تخطيط البيوت ايجاد طاقات تطل على الطريق، تكون منفذا يدخل منه النور والهواء، علاوة على أنها تستخدم؛ للتفرج على الطريق أو المارة، فقد ذكر المقرئزي - في أحداث عام (405هـ/ 1014م) - أن الحاكم تشدد في منع النساء من التطلع في الطاقات⁽⁶⁾. وكانت الدور تحتوي على مرافق صحية، كالمرحاض، وقد كشفت الحفريات الأثرية عن وجود قنوات رأسية قطاعها مربع أو مستطيل داخل الجدران قرب المراحيض؛ لتصريف الفضلات البشرية⁽⁷⁾، كما وجدت قرب المراحيض أنابيب فخار مستديرة القطاع داخل الجدران؛ لإمداد دورات المياه بالماء⁽⁸⁾.

وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن البيوت كانت تستمد مياهها عن طريق آبار خاصة بها، وكانت المياه ترفع من الآبار الأرضية إلى خزانات علوية بالدار، توزع المياه منها على كل أجزاء الدار عن طريق توصيلات من المواسير المصنوعة من الفخار⁽¹⁾. ويوجد تطابقاً بين ما أسفرت عنه الحفريات بخصوص وجود الآبار في البيوت، وبين ما ذكره الرحالة ناصر خسرو، الذي روى أن في القاهرة منزلاً غرس صاحبه حديقة على سطحه، وحمل إليها عجلًا ورباه فيها حتى كبر، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها، ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر⁽²⁾. وكانت هذه الدور إما أن يسكنها مالكةا⁽³⁾، أو أن يؤجرها لغيره⁽⁴⁾، وقد أشار ناصر خسرو إلى أن للخليفة في القاهرة والفسطاط ثمانية ألف بيت يؤجرها، ويحصل أجرتها كل شهر⁽⁵⁾.

(6) المقرئزي، **اتعاظ**، ج1، ص394.

(7) عباس حلمي، **تطور المسكن**، ص128.

(8) محرز، **جمال**، (1970). منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب **ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة**، ص328-329.

(1) عباس حلمي، **تطور المسكن**، ص128-129.

(2) ناصر خسرو، **سفرنامه**، ص116-117.

(3) ابن المأمون، **أخبار**، ص99.

(4) المصدر نفسه، ص99.

(5) **سفرنامه**، ص89.

ولم يكن إيجار البيوت أمراً ميسوراً بالنسبة لفقراء العامة، بل كان يثقل كواهلهم؛ ولهذا كان يشترك عدد من العوام في إيجار غرفة في دار وسكنها، فيذكر ناصر خسرو أن " بمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة، وبيوت من سبع طبقات، فيها دور كثيرة، فيها حجرات الاستغلال - أي للايجار - ومساحتها ثلاثون ذراعاً(6) في ثلاثين، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً"(7). ويبدو أن مساحة هذه الحجرة كانت لا تتناسب مع عدد نزلاتها، فتضيق بهم، وقد اضطرت الظروف الشاعر ظافر الحداد إلى النزول في أحد هذه الغرف، فبات في حجرة صغيرة رافقه فيها عدد كبير من النزلاء، فضاقت بهم، وضاقتوا به(8).

وقد تعبر المساكن عن الطبقات الاجتماعية وتميزها، فكانت بيوت الخاصة، كما وصفها ناصر خسرو " من النظافة، والبهاء، بحيث تقول انها بنيت من الجواهر لا من الجص والأجر والحجارة"(9). في حين كانت مساكن العامة تعوزها النظافة، ففي بيت من بيوت عامة الناس يلتقط ظافر الحداد هذا المنظر الذي كونه من البق، والبراغيث، والعنكبوت، فيقول:(10)

وللبق فيها والبراغيث خلطة	كبزر قطنون ذر في حب سماق
إذا ما أرانين البعوض تجاوبت	لنا وقعوا بالرقص ايقاع حذاق

ويصف ظافر الحداد براغيث دار عامي دعي إليها هو وأصدقائه، فيقول:(11)

أما براغيثه أن تضر	ولو حاولت ما أطاقت حراكا
--------------------	--------------------------

(6) الذراع: يساوي، و4 و5 سم بالضبط. انظر فالترهنتس، المكايل، ص83.

(7) سفرنامه، ص116-117.

(8) ديوان، ص97-98.

(9) سفرنامه، ص89.

(10) ديوان، ص111.

(11) المصدر نفسه، ص115.

كما كانت بيوت العامة شديدة الضيق، فقد قال ظافر الحداد على لسان عامي شكا اليه ضيق

بيته: (1)

بيت كصدري ورزقي	ضيقا كخلقي وخلقلي
ملأته مه هزال	معي وسقمي ودقي
فالتز عضو بعضو	مني وعرق بعرق
حتى لقد كاد فيه	كعبي يصافح فرقي
فما يطيق لساني	يدور في وسط شدقي

ويصف ظافر الحداد ضيق دار أحد العامة، دعي اليها هو وأصدقائه، فيقول: (2)

وبيت دعيت له ثم لم	أجد لي عن الكون فيه فكاكا
فزاد بنا فيه فرط الزحام	م والحر حتى اشتهينا الهلاك
فلو دخلت بيننا ذرة	تشقق حائطه عند ذاكا

في حين كانت منازل الأغنياء واسعة جدا، فقد كانت دار الأمير صبيح ابن شاهنشاه فسيحة، حتى أن المقريري أشار اليها تحت عنوان "الدار التي أول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة". وقد تحدث تحت هذا العنوان عن إتساع هذه الدار، وتعجب الناس من سعتها(3).

(1) ديوان، ص124.

(2) المصدر نفسه، ص115.

(3) المقريري، المواعظ، مج3، ص257.

وكانت دار الوزير اليازوري واسعة، فرأى فيها المستنصر عندما زارها " ما يقصر عنه الوصف"(4). وكانت دار طلائع بن رزيك عظيمة الاتساع، فيها الحدائق والبرك والعيون(5). وكانت دار المؤرخ المسبجي واسعة جدا، فيها الرياض الواسعة، والمجالس العظيمة(6). وقد نعمت بيوت الاغنياء بوسائل التبريد في الصيف، ووسائل التدفئة في الشتاء، فكانت دار المسبجي:

رتبدي فهي اللحاف الوثير	في الصيف ثلجة، فإذا القر
ف، وفي القر كله وحرور(7)	بارد ظلها إذا احتدم الصي

في حين افتقدت بيوت العامة لوسائل التدفئة في الشتاء، ووسائل التبريد في الصيف، فيصف أحد العوام بيته الذي لا يقيه برد الشتاء ومائه، يقول:

ولما بدا ركب السحاب تسوقه	حداة الرياح الهوج وهي تزمجر
---------------------------	-----------------------------

ركنت لبيت استجن(1) من الحيا به وإذا غيث من السقف يقطر

فلا فرق ما بين السحاب وبينه	سوى أن ذا صاف وذاك مكدر
-----------------------------	-------------------------

(4) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص84.
(5) عمارة اليمنى، النكت، ص103-104.
(6) المسبجي، أخبار، ج40، القسم الادبي، ص50-51.
(7) المسبجي، أخبار، ج40، القسم الأدبي، ص51، وحرور: بارد، انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص1260.

(1) استجن: استتر. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص50.

ويصف ظافر الحداد حرارة دار عامي دعي اليها هو واصدقائه، فيقول: (2)

فزاد بنا فيه فرط الزحما	م والحر حتى اشتهينا الهلاكاً
-------------------------	------------------------------

وكانت منازل العامة فقيرة الأثاث، وقد شكوا أحد العوام من قلة أثاث منزله، الذي جعله لا

يخشى اللصوص، فقال: (3)

فمن رأني فقد أحاط بما	في الدار علما هذا هوا العجب
سراجي البدر بالعشى وإن	أنام ليلاً وسادتي خشب
وخيمتي خيمة بلا عمد	ولا لها قبلة ولا طنب
فلمست أخشى اللصوص إن	في منزلي ما حييت أو ذهبوا
قطنا	

ويكاد يقتصر أثاث العوام على صندوق خشبي لحفظ الملابس⁽⁴⁾، ووسادة من قطن⁽⁵⁾، وحصيرة يتخذونها فرشاً لنومهم، وكرسيا لجلوسهم، ومائدة لطعامهم⁽⁶⁾، هذا بالإضافة الى بعض أدوات الطهي والشرب التي صنعت من الفخار أو النحاس⁽⁷⁾. وكانت دور الفقراء تضاء بالقناديل⁽⁸⁾، والشموع⁽⁹⁾.

أما الأغنياء فكانت بيوتهم أكثر أثاثاً، حيث أرخيت فيها أنواع الستور والفرش، فقد كانت مجالس الوزير اليازوري تفرش بالديباج الابيض والبسط الثمينة⁽¹⁰⁾. وكان منزل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يعج بالستور والفرش، والمطارح، والمخاد، والمساند الديباج والذهب، والبسط⁽¹¹⁾.

(2) ديوان، ص 115.

(3) ابن قلاقس، ديوان، ج 2، ص 348.

(4) Goitein: op.cit, v.4, pp 183-184

(5) ابن قلاقس، ديوان، ج 2، ص 348.

(6) البغدادي، أخبار والاعتبار، ص 30.

(7) الشيزري، نهاية، ص 79.

(8) المقرزي، اتعاض، ج 1، ص 347.

(9) المقرزي، المواعظ، مج 3، ص 320.

(10) المقرزي، اتعاض، ج 2، ص 84.

(11) المصدر نفسه، ج 2، ص 186-187.

وقد وصف عمارة اليمني ستور وفرش منزل طلائع بن رزيك، فقال: (12)

فأنت كزهر الورد أبيض أحمرًا	ألبستها ببيض الستور وحمرها
ومجالس كسيت طميمًا أصفرًا	فمجالس كسيت رقيمًا أبيضًا

وكان الطبيب صقر اليهودي يسكن داراً مفروشة، ومزينة، ومعلق على أبوابها الستور⁽¹⁾.
وعندما وصف ابن الخياط دار المؤرخ المسيحي أشار إلى روعة فرشها، وستورها⁽²⁾.
ومن جملة أثاث بيوت الأغنياء، الأدوات المستعملة في غسل الأيدي، كالإبريق⁽³⁾
والطست⁽⁴⁾، والأدوات المستعملة في المطبخ كالأطباق الخزفية⁽⁵⁾، والأكواب⁽⁶⁾، والقدور،
والزبادي⁽⁷⁾. وهناك أدوات أخرى استعملها الأغنياء للزينة أكثر من الضرورة، مثل أواني
الذهب والفضة⁽⁸⁾، والتحف⁽⁹⁾. وكانت دور الأغنياء تضاء بالمسارج الخزفية⁽¹⁰⁾.
وتكاد تخلو منازل العامة من وسائل الزينة، بينما اكتظت مساكن الأغنياء " بشهوات السمع
والبصر"⁽¹¹⁾، فقامت وسط بساط أخضر من الأشجار⁽¹²⁾.
وقد أسهب عمارة اليمني في وصف الحديقة التي كانت تحيط بدار طلائع بن رزيك، التي
كانت تحوي أنواع الطيور، والحيوانات، واللوان الثمار، فقال:

- (12) عمارة اليمني، النكت، ص102- 103.
(1) المقرئزي، **اتعاط**، ج1، ص369.
(2) المسيحي، **أخبار**، ج40، القسم الأدبي، ص50.
(3) انظر شكل الإبريق لوحة (54)، (55).
(4) ابن الزبير، الذخائر، ص242- 243، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص374.
(5) انظر نماذج من الأطباق الخزفية اللوحات المدرجة في ملاحق الرسالة.
(6) انظر نماذج من الأكواب، الملاحق، لوحة (8)، (9)، (12)، (22)، (29)، (51).
(7) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص186- 187.
(8) المصدر نفسه، ج2، ص186- 187.
(9) ابن الطوير، **نزهة**، ص8، المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص186- 187 انظر نماذج من التحف، الملاحق، لوحة
(6)، (13)، (20)، (21)، (22)، (23)، (39)، (40)، (41)، (42)، (43).
(10) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص187.
(11) المصدر نفسه، ج2، ص193.
(12) ناصر خسرو، **سفرنامه**، ص90.

فيها حدائق لم تجدها ديمة	أبداً ولا نبتت على وجه الثرى
والطير مذ وقعت على أغصانها	وثمارها لم تستطع أن تنفرا

لا تعدم الأبصار بين مروجها ليثاً ولا ظيباً بوجرة⁽¹³⁾ أعفرا⁽¹⁴⁾
وكان في دار المؤرخ المسبجي: (15)

الغانيات والشرب والرو	ض ووحش الفلا وطير يطير
ونخيل بواسق وثمار	ووحوش رواتع وطيور

كما أقام بعض المترفين على أسطح دورهم، الحدائق الغناء التي غرست بمختلف انواع الاشجار، والازهار، فصارت متنزهات، رفعت اليها المياه لريها، فروى ناصر خسرو: " أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار، وحمل اليها عجلأ رباه فيها حتى كبر، ونصب فيها ساقبه كان هذا العجل يديرها، ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر، وزرع على هذا السطح شجر النارنج، والموز، وغيرها، وقد أثمرت كلها، كما زرع فيها الورود والريحان، وأنواع الزهور الأخرى"⁽¹⁾.

(13) الوجرة: الحفرة. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص1261.

(14) عمارة اليمني، النكت، ص102-103.

(15) المسبجي، أخبار، ج40، القسم الادبي، ص50-51.

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، ص116-117.

وكان بعض المترفين يزينون حدائق بيوتهم بوضع سرج على الأشجار أو النخيل تضيء بالليل، يصف ابن قلاقس نخلة عليها زينة من أنواع السراج، فيقول: (2)

ما عهدنا النخل لولا هذه	باسقات في قنواتها من ذهب
تلعب السرج على حافاتها	وتحاكي أملل المرتعب
ولقد أحسبها السنة	هزها للسكر خمر الطرب

وكان المترفون يزينون بيوتهم بالبرك، فقد وصف ابن الخياط بركة دار المسبحي، فقال: (3)

ولها بركة تدافع فيها	موجهاً مصعداً وفيه حذور
----------------------	-------------------------

ووصف عمارة اليمني عيون الماء التي في مسكن طلائع بن رزيك، فقال: (4)

أنشأت فيها للعيون بدائعاً	زفت فأذهل حسنها من أبصرا
---------------------------	--------------------------

وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن المترفين كانوا يزينون منازلهم بالنوافير (5)، ويبدو أن تزيين المنازل بالنوافير كان منتشرأ، حيث حرص الشعراء على إظهارها، فخلعوا عليها أوصافاً متباينة ومختلفة (6).

ويمكن القول ان لاقامة النوافير في البيوت، فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، مرتبطاً بظروف الطقس في فصل الصيف، اذ يكون الجو حاراً، مما يستوجب اقامة النوافير؛ لتلطيف درجة الحرارة.

وكان المترفون يجمعون أراضيات بيوتهم بالرخام، فقد وصف عمارة اليمني الرخام الذي كان يكسو أرضية دار طلائع بن رزيك، فقال: (7)

(2) ابن قلاقس، ديوان، ج2، ص211.

(3) المسبحي، أخبار، ج40، القسم الأدبي، ص50.

(4) عمارة اليمني، النكت، ص102-103.

(5) علي بهجت، حفائر، ص49، علي، محمود عبد الباسط، (1992). النافورات والفساقي في منازل ومساجد القاهرة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص173.

(6) انظر عمارة اليمني، النكت، ص155، ابن قلاقس، ديوان، ج2، ص206.

(7) عمارة اليمني، النكت، ص102-103.

وممنماً ومدراًهما ومدنراً	فمن الرخام مسيراً ومسهماً

ووصف ابن الخياط رخام أرضية منزل المسبحي، فقال:

وتماثيل راقصات على الماء لها فيه رنة ونعير
وسدلاتها(1) تخر على نقش رخام كأنه الكافور(2)

خامساً: الأعياد والاحتفالات:-

لقد تعددت الأعياد التي احتفلت بها مصر في العصر الفاطمي، وهي أعياد مختلفة المصادر، متعددة النزعات. بعضها إسلامية(3)، والأخرى مسيحية ويهودية(4). كما احتفلت مصر الفاطمية بوفاء النيل الذي يرجع أصل الاحتفال به إلى العصر الفرعوني(5). واحتفلت - أيضاً - بعيد النيروز الذي أخذته عن الفرس(6).

-
- (1) السدلات: الملابس. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص420.
(2) المسيحي، أخبار، ج40، القسم الأدبي، ص50.
(3) ابن الطوير، نزهة، ص34-35، 176، 184، المقريري، المواعظ، مج2، ص591.
(4) البيروني، الآثار، ص275، المقريري، المواعظ، مج2، ص603.
(5) المقريري، المواعظ، مج2، ص599.
(6) القلقشندي، صبح، ج2، ص445، المقريري، المواعظ، مج2، ص602، المقريري، اتعاظ، ج1، ص343.

أولاً: أعياد المسلمين:

لقد احتفل المسلمون بمصر الفاطمية بعيد رأس السنة الهجرية - في الأول من المحرم- ولبليالي القود- ليلة مستهل رجب، وليلة نصفه(7)، وليلة مستهل شعبان، وليلة نصفه- واحتفلوا في شهر رمضان، وفي عيدي الفطر، والأضحى(8).

واستحدث الفاطميون أعياداً خاصة بهم، أوجدتها بواعث مذهبية(9)، حاولوا من خلالها تأكيد عقيدتهم الشيعية، ففي ثامن عشر ذي الحجة، احتفلوا بعيد الغدير وهذا العيد عندهم بمثابة احياء لذكرى الخطبة التي القاها النبي صلى الله عليه وسلم، في الموضع المسمى بـ " غدير خم" - بين مكة والمدينة - الذي يقول الشيعة أن النبي ولي علياً بن أبي طالب عهده فيها(10).

واحتفل الفاطميون بذكرى استشهاد الحسين بن علي بكر بلاء في العاشر من المحرم. كما احتفلوا بعيد النصر (في اليوم السادس عشر من المحرم) الذي يحيي خلاص الخليفة الحافظ من السجن الذي اعتقله فيه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل، حتى تمكن حرس الخليفة الخاص من القضاء على الوزير، وإطلاق سراح الخليفة في السادس عشر من المحرم سنة (526هـ/ 1131م)(1). وكان هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الاسماعيلي، واستعادة الدولة الفاطمية لمكانتها، والقضاء على أخطر أعدائها، فالوزير أبو علي أحمد كان من غلاة الامامية، وحاول خلال فترة وزارته القضاء على المذهب الاسماعيلي، "فأظهر مذهب الإمامية.. ورفض الحافظ وأهل بيته"(2).

(7) ابن الطوير، نزهة، ص220، المقريري، المواعظ، مج2، ص523 - 524.

(8) ابن المأمون، أخبار، ص82-83، المقريري، المواعظ، مج2، ص591.

(9) عبد المنعم ماجد، نظم، ص125.

(10) المقريري، المواعظ، مج2، ص298-300، عاشور، سعيد، (1971). صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج18، ص164.

(1) ابن الطوير، نزهة، ص34-35، المقريري، المواعظ، مج2، ص302-303، 593.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص33، ابن ميسر، أخبار، ص116، عبد المنعم سلطان، المجتمع، ص161-162.

كما احتفل الفاطميون بالمواليد الستة، وهي: مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (12 ربيع الأول)، ومولد علي بن أبي طالب (13 رجب)، وزوجته فاطمة (25 جمادى الآخرة)، ومولد الحسين (5 ربيع الأول)، ومولد الحسن (15 رمضان) ومولد الخليفة الحاضر⁽³⁾، ولعل الفاطميين أرادوا من الاحتفال بالخمسة الأولى من هذه المواليد، أن يؤكدوا انتسابهم لآل البيت، الذي طالما قدح به العباسيون⁽⁴⁾.

وقد كان الاحتفال بالأعياد الدينية يتم على الصعيدين الرسمي والشعبي:-

1- الاحتفال بالأعياد الإسلامية على الصعيد الرسمي:

لقد أولت الحكومة الأعياد الإسلامية اهتماماً بالغاً، فكان احتفالها في هذه الأعياد يأخذ مظهراً اجتماعياً واضحاً في المدينة، يشمل موكباً " وخطبة وصلاة، وتوسعة في النفقة"⁽⁵⁾. على النحو التالي:-

* عيد رأس السنة الهجرية:-

لقد " كان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليدة أول المحرم في كل عام؛ لأنها أول ليالي السنة، وابتداء أوقاتها"⁽⁶⁾. فقد استن المعز لدين الله ركوب الخلفاء الفاطميين في بداية كل عام هجري⁽⁷⁾، وحذا الخلفاء الفاطميون حذوه في ذلك. يبدأ الاحتفال في رأس السنة الهجرية، مع بداية الأيام العشرة الأخيرة من ذي الحجة في كل سنة، فتدب الحركة في خزائن القصور؛ لاجراج مهمات ومعدات الموكب،

(3) ابن المأمون، أخبار، ص64، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص423.

(4) حول قدح العباسيين في نسب الفاطميين، انظر ابن حزم، جمهرة، ص59-60، المقرئزي، اتعاط، ج1، ص118-125.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص593.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص591.

(7) ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص79-80.

فتخرج من خزائن السلاح ما تحمله العساكر من أسلحة وآلات⁽⁸⁾، ويخرج من خزانة التجمل العماريات⁽⁹⁾، وتعد الخيول التي ستسير في الموكب، وعددها مائة فرس في أعناقها أطواق، وفي أرجلها خلاخيل من الذهب والفضة⁽¹⁾. وفي التاسع والعشرين من ذي الحجة يجلس الخليفة لعرض خيوله، ويسمى هذا العرض " بعرض الخيول"، ويستفتح بقراءة القرآن، ثم تعرض الدواب - المقدم ذكرها- دابة، دابة، إلى أن يكتمل عرضها، فيقرأ القراء لختم ذلك الجلوس⁽²⁾. ثم يعلم الناس بطريق الموكب " وسلوكه لا يتعدى دورتين، احدهما كبرى، والأخرى صغرى. أما الكبرى، فمن باب القصر إلى باب النصر... والأخرى إذا خرج من باب النصر، سار حافياً بالسور، ودخل من باب الفتوح"⁽³⁾، حتى يصل إلى القصر الشرقي⁽⁴⁾. ويبدأ سير الموكب في اول المحرم، ويتقدمه الخليفة، وكبار رجال الدولة، فتسير طوائف الجند كل طائفة أمامها قائدها، والرايات والبنود تترفرف حولهم بتنسيق بديع⁽⁵⁾. وجميع تجار القاهرة والفسطاط من الجوهريين، والصيارف، والصاغة، والبزازين، وغيرهم، قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه؛ لطلب البركة بنظر الخليفة⁽⁶⁾. وكانت الموسيقى تصحب الموكب، فكان الموسيقيون يسرون أمام طوائف الجند ينفخون في الأبواق، ويضربون الطبل والمزمار⁽⁷⁾؛ لاثارة الحمية والنخوة في نفس الجنود؛ لأن " النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل الصعب، ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه... ويزيد ذلك تأثيراً اذا كانت الأصوات متناسبة كما في الغناء"⁽⁸⁾.

(8) آلات الركوب: هي الصمامم الذهبية للسيوف والبنود، وآلات يقال لها المستوفيات، وهي أعمدة حديدية مربعة الشكل، كذلك الرماح وغيرها، انظر ابن الطوير، نزهة، ص148، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص463.
(9) عمارية: جمعها عماريات، وهي الهودج الذي يجلس فيه. انظر ناصر خسرو، سفرنامه، ص94-96.
(1) ابن الطوير، نزهة، ص152، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص466.
(2) ابن الطوير، نزهة، ص153-154، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص467-468.
(3) ابن الطوير، نزهة، ص160، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص471.
(4) ابن الطوير، نزهة، ص160، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص471.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص162-167، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص471-475.
(6) ابن المأمون، أخبار، ص58، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص462.
(7) ابن الطوير، نزهة، ص163، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص473.
(8) ابن خلدون، العبر، ج3، ص211.

كما أن الموسيقى العسكرية لها هدف آخر، وهو إثارة الرهبة والهيبة في صدور الرعايا؛ وهذا ما أشار إليه المستنصر في إحدى رسائله التي وجهها إلى أحد دعاة في اليمن، واصفاً له أثر الموسيقى التي رافقت موكب عيد الفطر في نفوس الرعية، فقال: " وفي الموكب زجل البوقات، وطبول تشق أفئدة الصدور"(9).

ومن رسوم الفاطميين في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية، التوسعة في النفقة، فكانت الدولة في هذا العيد تفرق على الخاصة والعامة الأموال الوفيرة(10)، " ويعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف، والكثير من الرؤوس، وتفرق على جميع أرباب الرتب، وأصحاب الدواوين.. فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة ... وينتقل ذلك في أيدي أهل القاهرة والفسطاط"(1).

* **الاحتفال في شهر رمضان**:- كان التقليد المتبع في الدولة الفاطمية، الاحتفال بحلول شهر رمضان بخروج الخليفة في موكب في أول هذا الشهر على شاکلة موكب رأس السنة الهجرية، من حيث الآلات والأسلحة والعرض والترتيب. حيث يخرج الخليفة في غرة رمضان من قصره، ويحيط به كبار رجال الدولة، ورجال الجيش، فيمر في شوارع القاهرة حتى يصل إلى أحد جوامعها الكبيرة، فيصلي فيه، ويخطب خطبة، ثم يعود إلى القصر(2).

(9) السجلات المستنصرية، ص57.

(10) ابن الطوير، نزهة، ص167، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص477.

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص591.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص171، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595.

وقد كان ركوب الخليفة الفاطمي في أول شهر رمضان بمثابة الاعلان عن بدء رمضان، حيث كان يقوم مقام رؤية الهلال، فيذكر المقرئزي، : " فإذا انقضى شعبان اهتم (أي الخليفة) بركوب أول شهر رمضان، وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين"⁽³⁾. فبدخول الفاطميين مصر في شهر شعبان سنة (358هـ / 969م)، حدث تغيير جوهري بالنسبة لبدء صوم شهر رمضان بروية الهلال، فقد أقام جوهر النظم الشيعية في مصر، ومنع ما جرى عليه أهل مصر من رؤية هلال شهر رمضان قبل بدء الصوم، وأمر الناس بالصوم على الحساب دون رؤية، وصارت أشهر السنة بالعدد، شهراً ثلاثين يوماً، وشهراً تسعاً وعشرين يوماً⁽⁴⁾.

وقد تشدد المعز لدين الله في إجبار الناس على الإفطار على الحساب بغير رؤية الهلال، ففي يوم عيد الفطر ركب المعز لصلاة العيد، فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره وموكبه، ولما وصل إلى قصره " أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام، وعتب على من تأخر، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد"⁽⁵⁾. وهذا يعني أن بعض أهل مصر أصرروا على الصوم في يوم العيد؛ لأن الخليفة ومن تبعه من شيعته أفطروا على حسابهم بغير رؤية الهلال، وأبى هؤلاء الصائمون الالتزام بأمر الخليفة في تحديد يوم عيد الفطر.

أما الخليفة الحاكم، فقد سمح لأهل مصر بأن يصوموا بحسب ما يعتقدون، فالذين يعتقدون في الحساب يصومون بالحساب، والذين يعتقدون بالرؤية لا يعارضون في الصوم برؤية الهلال؛ فيذكر المقرئزي أنه في شهر رمضان سنة (399هـ / 1009م)، قرىء سجل، فيه: " يصوم الصائمون على حسابهم، ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ويفطرون..."⁽¹⁾.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص171، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595.

(4) الكندي، الولاة، ص582، 584.

(5) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص206.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص372.

وبعد انقضاء ركوب أول شهر رمضان يستريح الخليفة في أول جمعة، ويركب في الجمعة الثانية إلى الجامع الأنور، على المنوال الذي بيناه، ويخطب خطبة قصيرة. وفي الجمعة الثالثة يركب إلى الجامع الأزهر بالقاهرة، ويخطب بالناس خطبة قصيرة، فإذا كانت الجمعة الرابعة أعلم بركوبه إلى الفسطاط للخطابة في جامعها⁽²⁾.

ومن مراسيم احتفال الدولة في شهر رمضان، إغداق الأموال على الخاصة والعامة⁽³⁾، " أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم، لكل واحد طبق، ولكل من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء، وبوسطه صرة من ذهب، فيعم ذلك سائر أهل الدولة"⁽⁴⁾.

* **الاحتفال في عيد الفطر:** وتصحبه رسوم فخمة، فيعد له موكب لا يختلف في شكله العام عن موكب رأس السنة⁽⁵⁾، إلا في ناحية واحدة، وهي أن اعداد الجند المشتركين في هذا الموكب كانت أكثر قليلا من موكب أول العام. وكان الخليفة الفاطمي يخرج صبيحة عيد الفطر من باب العيد – أحد أبواب القصر الشرقي – فيجد أمامه العساكر، وقد اصطفت في رحبة واسعة أمام هذا الباب، تسمى رحبة باب العيد، فيركب على دابته، وبصحبته كبار رجال الدولة والعساكر، حتى يصل إلى مصلى العيد، فيؤم المصلين، ويلقي خطبة العيد⁽⁶⁾.

وكانت الدولة تنفق الأموال الوفيرة على المصريين في عيد الفطر، فكان عند الناس هو الموسم الكبير، وسمي بـ " عيد الحلل"؛ لأن الحلل⁽⁷⁾ التي توزعها الدولة تعم فيه الجماعة، وفي غيره تكون للأعيان خاصة⁽⁸⁾. وبلغت قيمة الكسوة التي وزعتها الدولة على الناس في عيد الفطر سنة (516هـ/ 1123م)، حوالي العشرين ألف دينار⁽⁹⁾.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص172-174، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595-596.

(3) ابن المأمون، أخبار، ص82-83، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595-596.

(4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص594.

(5) انظر موكب رأس السنة الهجرية، ص237-238 من الأطروحة.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص176-182، القلقشندي، صبح، ج3، ص508.

(7) الحلل، جمع حلة، وهي مجموعة من الثياب. انظر المقرئزي، المواعظ، مج2، ص360.

(8) ابن المأمون، أخبار، ص38.

(9) المصدر نفسه، ص38.

* **الاحتفال في عيد النحر:** يشمل احتفالاً موكبياً يركب فيه الخليفة، ويبدأ الاستعداد لهذا الموكب منذ اليوم السابع من شهر ذي الحجة، على نفس الرسوم المتبعة في موكب عيد الفطر⁽¹⁰⁾. وبعد فراغ الخليفة من صلاة العيد، يتجه مع كبار رجال الدولة إلى المنحر⁽¹⁾، ويقوم بنحر العديد من الذبائح احتفالاً بهذه المناسبة⁽²⁾، ويوزعها على فقراء القاهرة والفسطاط. كما كانت الدولة في عيد النحر توزع أموال الصدقة على الفقراء والأطفال والأيتام⁽³⁾.

* **الاحتفال بليالي الوقود**⁽⁴⁾: من المراسيم المتبعة في هذه الليالي، إيقاد الوقود في الجوامع والمساجد، حتى لا يبقى في الجامع قنديل الا وأوقد⁽⁵⁾. ولعل ازدياد الوقود في الجوامع والمساجد في تلك الليالي؛ هو سبب تسميتها " بليالي الوقود".

أما الاحتفال الموكبي بليالي الوقود، فكان يتسم بالبساطة، مقارنة مع المواكب الأخرى. فكان يغيب عنه الخليفة، ويتقدمه قاضي القضاة، وبصحبته الفقهاء، ويحيط بهم حملة شموع الموكب، ويتوجه الجميع إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماع القرآن، ثم يتجه الموكب إلى القصر الشرقي، ويحتشد لمشاهدته " من العالم ما لا يحصى كثرة ، رجالاً ونساء، وصبياناً، بحيث لا يعرف الرئيس من المرؤوس" ⁽⁶⁾. ويكون الخليفة في انتظار الموكب جالساً في منظرته التي في القصر الشرقي، وعقب وصول الموكب، تفتح طاقات المنطرة، ويطل منها وجه الخليفة، ثم يطل كبير الأمراء من طاقة أخرى، ويبلغ الحشود سلام الخليفة⁽⁷⁾، ويحضر بين يدي الخليفة الخطباء، ويلقي كل منهم خطبة بهذه المناسبة⁽⁸⁾.

(10) المصدر نفسه، ص40-43، ابن الطوير، نزهة، ص182-185.

(1) المنحر: عبارة عن فضاء واسع لأبناء فيه، بجوار القصر الشرقي الكبير: انظر ابن عبد الظاهر، الروضة، ص102، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص431-432.

(2) ابن المأمون، أخبار، ص40-43، ابن الطوير، نزهة، ص182-185.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص184-185، المقرئزي، المواعظ، مج1، ص436-438.

(4) حول ليالي الوقود، انظر ص236 من الأطروحة.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص523-524.

(6) ابن الطوير، نزهة، ص221، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص527.

(7) ابن الطوير، نزهة، ص221، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص527.

(8) ابن الطوير، نزهة، ص221، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص527.

وكانت في ليالي الوقود " توسعة وبر ونفقات"(9)، فكانت الدولة في هذه الليالي توزع الأموال على الفقراء والأيتام والأطفال، وتقيم الأسمطة للفقراء في الجوامع والمساجد(10).

*** الاحتفال بذكرى مقتل الحسين:** كانت مظاهر الحزن تعتري الاحتفال الرسمي بذكرى مقتل الحسين؛ لتتناسب مع هذه المناسبة الحزينة، فكان الخلفاء يتمتعون عن مقابلة الناس في هذا اليوم، ويأنفون من السير في موكب هذا الاحتفال. وينيبون عنهم قاضي القضاة، فيتقدم الموكب، وبصحبه وجوه الدولة، فيتوجهون إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماح القرآن، ثم يعود الموكب إلى القصر الشرقي، ويبدأ الاحتفال بقراءة القرآن، ثم يتنافس المنشدون في ذكر المراثي في الحسين، وأهل البيت. وكان القصر في هذه المناسبة يظهر بمظهر رث، فيجرد من البسط الضخمة، ويفرش بالحصر، ويقدم للحاضرين سماط تقشفي، يطلق عليه " سماط الحزن"(1).

*** الاحتفال بالمواليد الستة(2):** كان الخليفة يغيب عن المواكب الرسمية لهذه الاحتفالات، وينوب عنه قاضي القضاة، فيتقدم هذه المواكب، وبصحبه كبار رجال الدولة، فيتوجهون إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماح القرآن، ثم يعود الموكب إلى القصر الشرقي، حيث يكون الخليفة في انتظاره، جالساً في منظرته التي في القصر الشرقي، فتفتح طاقات المنطرة، ويطل منها وجه الخليفة، ثم يطل كبير الأمراء من طاقة أخرى، ويبلغ الحشود سلام الخليفة(3). ثم " يستفتح قراء الحضرة بالقراءة... فيقدم خطيب الجامع الأنور، فيخطب كما يخطب فوق المنبر (خطبة بكل مولد)، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر، ويقدم خطيب الجامع الأزهر، فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقرم،

(9) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص524.

(10) ابن المأمون، أخبار، ص63-64، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص526.

(1) ابن الطوير، نزهة، ص 180، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص420-421.

(2) حول المواليد الستة انظر ص 237 من الأطروحة.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص217 – 219، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص425.

فيخطب كذلك، والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرأون، فإذا انتهت خطبة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كفه من طاقته، ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان، فتنفذ الناس" (4). وكانت الدولة في الموالي الستة، توزع الهبات على الخاصة والعامة (5).

* **الاحتفال بعيد الغدير:** ويشمل احتفالاً موكبياً يركب فيه الخليفة، فيخرج من القصر بدون المظلة والالات، ويحيط به الامراء والعساكر بأسلحتهم، ويحملون الرايات والبنود، ويتوجه الموكب نحو المشهد الحسيني، ثم يرجع إلى القصر الشرقي، فيجلس الخليفة وكبار رجال الدولة؛ للاستماع إلى الخطبة التي يقوم بالقائها قاضي القضاة، التي تتلاءم مع مناسبة الاحتفال (6) "فتتضمن نص الخلافة من النبي عليه السلام، إلى علي بن أبي طالب بزعمهم" (7). ثم يصلي القاضي بالحضور ركعتين، ثم ينفذ الحاضرون (8). وكانت الدولة في عيد الغدير تنفق الأموال الجلية على العامة والخاصة، حتى أصبح عيد الغدير " موسماً يرصده كل أحد، ويرتقبه كل غني وفقير" (9).

* **الاحتفال بعيد النصر:-** يتم الاحتفال في هذا العيد في ايوان القصر، فيفرش الايوان بأحسن فرش، ويجتمع فيه أرباب الدولة، فيخرج الخليفة راكباً إلى الايوان، وبين يديه الخواص، فيجلس على المرتبة، ويلتف حوله الأمراء والأعيان، ثم يصعد قاضي القضاة، ويشرع في القاء خطبة تنسجم مع مناسبة الاحتفال (1)، تتضمن " فصولاً كالفرج بعد الشدة، بنظم مليح، يذكر فيه كل من أصابه من الأنبياء والصالحين والملوك شدة، وفرج الله عنه، حتى يصل إلى الحافظ" (2). وكان من رسوم الدولة في الاحتفال في هذا العيد " التوسعة في النفقة" (3) على الخاصة والعامة (4).

(4) ابن الطوير، نزهة، ص217-219، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص425.

(5) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص593.

(6) حول مناسبة الاحتفال بعيد الغدير انظر ص 236 من الأطروحة.

(7) ابن الطوير، نزهة، ص189، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص302.

(8) ابن الطوير، نزهة، ص189، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص302.

(9) ابن المأمون، أخبار، ص42، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص303.

(1) حول مناسبة الاحتفال بعيد النصر انظر ص 236-237 من الأطروحة.

(2) ابن الطوير، نزهة، ص34-35، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص302-303.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص593.

(4) المصدر نفسه، مج2، ص593.

إن رسوم احتفال السلطنة في الأعياد – التي بينها- المتمثلة بالموكب " والخطبة والصلاة .. والتوسعة في النفقة"⁽⁵⁾، تعكس المغزى السياسي، لمبالغة الفاطميين في إحياء الأعياد والمواسم. فكانت المواكب بالنسبة للخلفاء مسرحاً يستظهرون فيها قوتهم. وقد أكد هذا المعنى سجل صادر من دار الخلافة، ورد فيه أن الخلفاء كانوا يحيطون مواكبهم في تلك الأعياد بالعساكر والخيول التي " قد تجاوزت الحد، وكثرت عن الإحصاء والعد"⁽⁶⁾؛ حتى ترزع الاعداء بهيبتها، "فإذا تأملها الطرف انقلب عنها خاسئاً وارتد"⁽⁷⁾.

وقد بعث الخليفة المستنصر كتاباً إلى أحد دعاة في اليمن، وصف فيه ركوبه في عيد الفطر، وعظمة العساكر المحيطة بموكبه؛ حتى يؤكد عظمة دولته، فقال: أنه وصل " إلى المصلى في عساكر تدك الأرض بسنابك خيلها، وجيوش تغطي الفضاء بمديد ذيلها.. وبريق سيوف، وأسنة تدع عيون البرق قائمة"⁽⁸⁾.

وكانت عساكر الفاطميين في مواكب الأعياد تحمل رايات من الحرير على رماح طويلة، مكتوب عليها " نصر من الله وفتح قريب"⁽⁹⁾، يراد بها – على ما يبدو – تأكيد قوة الدولة وتغلبها على من عاداها، وبهذه المثابة تصبح المواكب، عنصراً من عناصر الدعاية السياسية للدولة. كما رأى الفاطميون في تزعمهم للمواكب، وفي صلاتهم وخطبتهم بالناس في الأعياد؛ مجالاً لتأكيد السلطة الدينية، والزعامة الروحية في شخص الامام. فرأوا في ركوبهم، والتفاف الناس حولهم، مظهراً من مظاهر المشايعة لهم، فهم يسرون في مواكبهم، ويستمعون إلى خطبتهم،

(5) المصدر نفسه، مج2، ص593.

(6) القلقشندي، صيح، ج8، ص322.

(7) المصدر نفسه، ج8، ص322.

(8) السجلات المستنصرية، ص557.

(9) ابن الطوير، نزهة، ص158، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص470.

ويصلون خلفهم، متضرعين إليهم، وكأنهم يقرون ببيعتهم، أي أنهم ما زالوا يشايعونهم. ويبدو أثر ذلك في الكتاب الذي بعثه المستنصر إلى أحد دعائه في اليمن بمناسبة عيد الفطر، حيث وصف فيه التفاف الناس حوله وصلاتهم خلفه ومشايعتهم له، فقال أنه: " برز إلى مصلى العيد في أنصار دعوته، محفوفاً بأوليائه وجنوده، وجيوش دولته وعبيده، وهم في أكمل عدة، وأوفر عدة، وأحسن هدى، وأكمل تضرعاً في صلواتهم"(1).

كما ورد في سجل صادر من دار الخلافة بمناسبة ركوب الخليفة لموكب الجمعة الثالثة من رمضان، انه عندما خرج الخليفة في الموكب المذكور " النفوس قد ابتهجت، واستبشرت، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوقرت"(2).

ولما كانت الاعياد مجالاً لتأكيد السلطة، فقد كانت الخطوة الأولى التي اتخذها بدر الجمالي وابنه الأفضل للاستبداد بالسلطة(3)، هي تقليص دور الخليفة في الأعياد، فيذكر المقرئ أن ركوب الخليفة لصلاة العيد في المصلى ظاهر باب النصر والقائه خطبة العيد " كان قد بطل في الأيام الجيوشية والأفضلية"(4).

إن دور الأعياد في تعزيز سلطة الخليفة، جعل الأمر يسعى فور وفاة الوزير الأفضل- الذي استبد في السلطة دون الخليفة الأمر- إلى محاولة استعادة عظمة الأعياد التي قلص الوزير دوره فيها، فمن بين الاشتراطات التي طلبها الأمر من الوزير المأمون- الذي شغل منصب الوزارة بعد وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي - تجديد رسوم الأعياد(5). وقد أجابه المأمون إلى ذلك " فجدد رسوم الدولة وأعاد بهجتها"(6).

(1) السجلات المستنصرية ، ص31.

(2) القلقشندي، صبح، ج8، ص323.

(3) حول محاولات بدر الجمالي وابنه الأفضل للاستبداد بالسلطة. انظر المقرئ، اتعاض، ج2، ص190-198.

(4) المقرئ، اتعاض، ج2، ص215.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص22-23، المقرئ، المقفى، ج6، ص482-483.

(6) المقرئ، المواعظ، مج2، ص511.

أما " التوسعة في النفقة " (7) التي وسمت احتفالات الفاطميين في الأعياد، فكانت ذات بعد سياسي، هدف الفاطميون منها أن يظهروا عظمة دولتهم ومدى ثرائها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن اغداق الفاطميين الاموال والأطعمة على العامة في تلك الأعياد كان بهدف التقرب منهم، حتى يكسبوا ولاءهم.

2- الاحتفال بالأعياد الإسلامية على الصعيد الشعبي:

أما مراسيم الاحتفالات في الأعياد الدينية، على المستوى الشعبي، فقد تنوعت بتنوع الاحتفالات، فكانت احتفالات العامة في شهر رمضان، وفي ليالي الوقود، وعيد الغدير، تتسم بالطابع الديني المحض، فتخلو من مظاهر الفرح والبهجة، فكانوا يمارسون في تلك المناسبات شعائر دينية، ففي شهر رمضان ربما انقطعوا عن الممارسات العادية في حياتهم اليومية، لينصرفوا الى المسجد الذي يصبح مكانهم الرئيس، يقيمون فيه صلاة التراويح⁽¹⁾، وكانت تستخدم في رمضان أعداد وفيرة من الشموع " برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح"⁽²⁾. ويحتشد الناس في ليالي الوقود في المساجد للتعبد، يقرأون السيرة النبوية في جميع المساجد⁽³⁾. وفي عيد الغدير يعتق الشيعة الرقاب، ويكثرون من توزيع الصدقات، ويذبحون الذبائح، ويوزعون لحومها⁽⁴⁾.

(7) المصدر نفسه، مج2، ص593.

(1) Grunebaum, mohammadan Festivals, p54- 56

(2) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص320.

(3) ابن الطوير، نزهة، ص220-223، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص527-528.

(4) ابن الطوير، نزهة، 189، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص599.

لقد غلبت مظاهر الحزن والأسى على احتفالات الشيعة بذكرى مقتل الحسين؛ لتتناسب مع هذه المناسبة الحزينة، فكان الشيعة " يتخذونه (أي يوم مقتل الحسين) يوم حزن، فنتعطل فيه الأسواق"⁽⁵⁾، ويمعنون فيه بإظهار الحزن، فيصيحون ويبكون، وينوحون، ويعتدون على أموال الناس، ففي عام (363هـ / 973هـ)، هاجم الشيعة الأسواق، وأتلفوا أواني السقائين، ومزجوا روايا الماء، مما أدى إلى الاشتباك مع أصحاب الحوانيت، لولا تدخل الدولة⁽⁶⁾.

وكانت مظاهر الفرحة والبهجة تعم البلاد في عيد الفطر والأضحى. فكانت الأسواق تكتظ بأصناف الزينة⁽⁷⁾ والحلوى⁽⁸⁾، التي يحرص الناس على شرائها على سبيل التباهي واستشعار أثر العيد في نفوسهم.

ومن تقاليد العامة في عيد الفطر والأضحى " التزويج بأفخر زيهم"⁽⁹⁾، حيث كانوا يقبلون في الأعياد على شراء الملابس الجديدة، يؤكد ذلك خطاب ورد في رسائل الجنيزة- أرخ في العصر الفاطمي - لأحد التجار، فعندما طلب منه أحد عماله أن يشتري له عباءة اعتذر عن توفيرها؛ بسبب خلو مدينة الاسكندرية في تلك الفترة من الملابس؛ نظراً لإقبال المسلمين على شرائها؛ بسبب اقتراب عيد فطرهم⁽¹⁾.

ويخرج الناس في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر والأضحى، إلى المساجد لأداء صلاة العيد " ويأخذون عند كل مسجد زينتهم"⁽²⁾. وعقب صلاة عيد النحر ينشغل الميسورون من الناس، بنحر الأضاحي، وتوزيع لحومها على الفقراء والمحتاجين⁽³⁾.

(5) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص418.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص418.

(7) المصدر نفسه، مج3، ص320.

(8) ابن الطوير، **نزهة**، ص220-223، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص528.

(9) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص36.

(1) Goitein:op.cit, v.4, p156.

(2) ابن المأمون، **أخبار**، ص48-54، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص367.

(3) المقرئزي، **المواعظ**، مج1، ص436-438.

وكان الناس في عيد الفطر والأضحى يتبادلون التهاني⁽⁴⁾، وهذا ما أشار اليه تميم بن المعز في سياق تهنته للخليفة بقدم عيد النحر، فيقول:⁽⁵⁾

ولما رأيت الناس تبادلوا التهانيا	بعثت به منى اليك القوافيا.
----------------------------------	----------------------------

وكان العوام يتوافدون في عيد الفطر والنحر على الجوامع، وقصر الخلافة؛ لحضور الأسمطة، التي كانت تقيمها الدولة في الجوامع والقصور، " فيأكلون منها، ويملئون أكمامهم"⁽⁶⁾. وكان العامة يخرجون في عيد الفطر والنحر إلى المنتزهات؛ للاحتفال بليالي العيد⁽⁷⁾. ويلهون ويمرحون، ويقبلون على مجالس الطرب والغناء، وهذا ما أشار اليه ظافر الحداد في قوله:⁽⁸⁾

هلل فهذا هلال العيد عاد بما	قد كنت تعيد من لهو ومن طرب
-----------------------------	----------------------------

ثانياً: أعياد الذميين:-

ان التسامح الديني الذي انتهجته الدولة الفاطمية – في الغالب – مع أهل الذمة من رعاياها⁽⁹⁾، أتاح لهم الاحتفال بأعيادهم الدينية، وممارسة طقوسها، على النحو الآتي:-

(4) ظافر الحداد، ديوان، ص38، ابن الطوير، نزهة، ص189.
(5) تميم بن المعز، ديوان، ص461.
(6) المقرئ، المواظ، مج2، ص595.
(7) المصدر نفسه، مج2، ص524.
(8) ديوان، ص7، ص136.
(9) انظر ص 159 – 162 من الأطروحة.

* أعياد النصارى:

لقد احتفل النصارى بذكرى ميلاد المسيح في ليلة الخامس والعشرين من كانون الأول (10). واحتفلوا بعيد الفصح وهو العيد الكبير عندهم، ويوم الفطر من صومهم الأكبر (11). ويذكر أن خلافاً كان يقع بين سائر النصارى في تحديد موعد يوم عيد الفصح (12). واحتفل النصارى بعيد الغطاس، ويصادف في اليوم السادس من شهر كانون الثاني، ويحتفل النصارى به، لأنهم يعتقدون أن يحيى بن زكريا عليه السلام، قام بتعميد المسيح، وغمسه في ماء المعمودية في نهر الأردن، عندما بلغ سن الثلاثين (1). واحتفلوا بعيد الزيتونة الذي يصادف سابع أحد من صوم النصارى، وهو يحيى ذكرى ركوب السيد المسيح لحماره، ودخوله إلى بيت المقدس، ومن حوله النصارى يسبحون، وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (2).

واحتفل النصارى في عيد الصليب، الذي يقع في اليوم الرابع عشر من أيلول في كل عام، وهو يحيى ذكرى عثور الملكة هيلانة – أم الامبراطور قسطنطين – على الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح، الذي أمرت بأن يغلف بغلاف من ذهب، ويودع في كنيسة بيت المقدس (3).

واحتفل النصارى بخميس العهد، قبل الفصح بثلاثة أيام، والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي: احياء ذكرى غسل السيد المسيح أرجل حواريه؛ ليعلمهم التواضع، لأخذ العهد عليهم أن لا يفترقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض (4).

(10) البيروني، الآثار، ص 292.

(11) القلقشندي، صبح، ج 3، ص 225-226.

(12) انظر تفاصيل هذا الخلاف في: الأنطاكي، تاريخ، ص 271-274.

(1) القلقشندي، صبح، ج 3، ص 220.

(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 221-222.

(3) المصدر نفسه، ج 3، ص 626.

(4) المصدر نفسه، ج 3، ص 226.

كانت أعياد النصارى بصفة عامة مهرجاناً للمرح واللعب، فكان النصارى في عيد الفصح، يجتمعون في قنطرة المقدس يأكلون ويشربون ويلهون طول نهارهم (5)، وفي خميس العهد كان النصارى يخرجون الى الأديرة يلهون فيها(6)، وفي عيد الميلاد كان النصارى يظهرون بهجتهم بايقاد منازلهم وكنائسهم ومحلاتهم " شموعا ومصاييح وأخطابا بجملة كبيرة"(7).

وكان النصارى يظهرون بهجتهم في عيد ميلاد المسيح بشراء الشموع، والتماثيل البديعة الشكل، مما دفع التجار الى التغالي في اثمانها؛ لتحقيق المزيد من الارباح(8).

أما عيد الغطاس فقد كان جانب اللهو فيه كبيرا، فكان النصارى لا ينامون في ليلة الغطاس، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثر أهل مصر في النيل، " ويزعمون أن ذلك أمان من المرض"(9)، وبسبب ذلك سمي هذا العيد بـ "عيد الغطاس"(10). وفي هذا العيد يخرج النصارى الى شاطئ النيل بالمراكب المزينة، ويلهون ويغنون(11) ويشربون الخمر(12).

أما عيد الصليب، فقد وصل تهتك النصارى فيه إلى حد تجاوز القيم الاجتماعية، فكانوا في هذا العيد يقبلون على شرب الخمر، ويظهرون " فيه من المنكرات والفسوق ما يتجاوز الوصف"(1). مما دفع الخليفة العزيز الى محاولة الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التي كانت تحدث في هذا اليوم، فقد أصدر عام (381هـ / 991م)، مرسوما في هذا العيد يقضي بضبط الطرقات والدروب، وتشديد الرقابة عليها؛ خشية من تفشي المنكرات والفسوق(2).

(5) المسبحي، أخبار، ج40، ص39، المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص12.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص719-720.

(7) ابو صالح الأرمني، كنائس، ص129.

(8) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص717.

(9) مجهول مراكشي، الاستبصار، ص49، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص604.

(10) القلقشندي، صبح، ج3، ص220.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص604.

(12) مجهول مراكشي، الاستبصار، ص49، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص604.

(1) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص305.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص305.

وأصدر الحاكم مرسوماً عام (402هـ / 1011م)، منع فيه النصارى من الاحتفال بعيد الصليب، نظراً لخروجهم فيه عن الحد في اللهو والخلاعة⁽³⁾. ويبدو أن هذا المنع استمر حتى نهاية العصر الفاطمي، إذ لم يرد ما يشير إلى احتفال النصارى بهذا العيد بعد عهد الحاكم.

* أعياد اليهود:

لقد احتفل اليهود بأعياد عديدة، اتسمت بالطابع الديني المحض، بمعنى انه لم يكن لأعيادهم مظاهر الفرح والبهجة، وإنما كانوا يصومون فيها، أو يعتقون الأرقاء، أو يحجون إلى بيت المقدس. فكان عيد رأس السنة اليهودية - الذي يحتفل به اليهود في الحادي والعشرين من أيلول- هو عيد عتق وحرية عند اليهود⁽⁴⁾.

أما عيد صوماريا، فيوافق العاشر من شهر تشرى اليهودي - أكتوبر- ومناسبته التاريخية هي إحياء ذكرى فرض الله الصوم على اليهود، وتبعاً لديانة اليهود، فمن لم يصم في هذا اليوم وجب قتله⁽⁵⁾.

وعيد المظلة، يحتفل به اليهود لمدة سبعة أيام، أولها: اليوم الخامس عشر من شهر تشرى⁽⁶⁾. ومناسبته التاريخية، هي إحياء ذكرى الغمام الذي ظلل الله به أجدادهم في التيه⁽⁷⁾. وفي هذا العيد يصوم اليهود⁽⁸⁾.

وعيد الفصح: يكون في الخامس عشر من نيسان، ومدته عند اليهود سبعة أيام. ويحتفلون بهذا العيد؛ لأن الله نجى بني إسرائيل في هذا اليوم من فرعون مصر⁽⁹⁾، ويحجون فيه إلى بيت المقدس، ويضحون⁽¹⁰⁾.

ويحتفل اليهود في عيد الأسابيع بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومناسبته التاريخية، هي

-
- (3) المصدر نفسه، ج1، ص380.
 - (4) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص717.
 - (5) البيروني، الآثار، ص276-277، القلقشندي، صبح، ج2، ص436.
 - (6) القلقشندي، صبح، ج2، ص225.
 - (7) البيروني، الآثار، ص277.
 - (8) القلقشندي، صبح، ج2، ص217-218.
 - (9) البيروني، الآثار، ص281، القلقشندي، صبح، ج2، ص437.
 - (10) القلقشندي، صبح، ج2، ص220، ناريمان عبد الكريم، معاملة، ص160-162.

إحياء ذكرى اليوم الذي خاطب الله فيه موسى عليه السلام من طور سيناء، وأنزل عليه الفرائض، والأوامر، والنواهي⁽¹⁾. وفي هذا العيد يحج اليهود إلى بيت المقدس⁽²⁾.

ثالثاً: الاحتفال بوفاء النيل: لما كان وفاء النيل – أي بلوغ زيادته ستة عشر ذراعاً – يترتب عليه الخصب المؤدي إلى عمارة الأرض، وانتظام أمور الرعية⁽³⁾. فقد حرص الخاصة والعامة على اظهار الفرح والسرور في هذا اليوم، فكان لهذا اليوم "مقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص"⁽⁴⁾.

كان الاحتفال بوفاء النيل تصحبه رسوم فخمة، فيعد له موكبان، بينهما ثلاثة أو أربعة أيام. الموكب الأول يسمى " موكب تخليق المقياس" يخرج فيه الخليفة وكبار رجال الدولة إلى النيل، لتطيب مقياس النيل بطيب يسمى الخلق. أما الموكب الثاني، ويسمى " موكب فتح الخليج" فيخرج فيه الخليفة وكبار رجال الدولة، وعامة الناس إلى الخليج؛ للاحتفال بوفاء النيل⁽⁵⁾.

*** موكب التخليق:** كان الموكلون بالمقياس يرفعون إلى ديوان الانشاء كل يوم رقعة بها مقدار الزيادة، فلا يطلع عليها إلا الخليفة والوزير، فإذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعاً، يببب في جامع المقياس ليلة الوفاء قراء الحضرة، والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة والفسطاط؛ لختم القرآن الكريم، وتمد لهم الأسمطة. وفي الصباح يلبس الخليفة الملابس الفاخرة، ويخرج من القصر في موكب زاهر، وفي ركابه الوزير والأمراء والجنود، فيشق القاهرة، ويمر من باب زويلة، ثم يعرج على جامع ابن طولون إلى أن ينتهي به السير إلى دار صناعة الجزيرة⁽⁶⁾، ويشق الفسطاط حتى يصل الى شاطئ النيل،

(1) البيروني، الآثار، ص281، القلقشندي، صبح، ج2، ص470.
(2) البيروني، الآثار، ص281، المقدسي، البدء، مج2، ج4، ص37، ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص103.
(3) ابن الطوير، نزهة، ص191، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص552.
(4) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص541.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص195-203، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص538-557.
(6) دار صناعة الجزيرة:- مكان مخصص لصناعة السفن، تقع قبالة الفسطاط، انظر المقرئزي، المواعظ، مج1، ص290-292.

وتكون سفينته الخاصة معدة في النيل " وقد حمل اليها من القصر بيت مئمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاثة أذرع، وطوله قامة رجل تام، فيركب في السفينة وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب... " (7)، ثم يخرج الخليفة ومعه الوزير وبعض خاصته إلى هذه السفينة، ويجلسون في هذا البيت المئمن، وتسير بهم إلى المقياس، فينزلون ويدخلون إلى الفسقية التي فيها المقياس، ويصلي كل منهم ركعتين، ثم يتناول الخليفة إناءً بيده، ويذيب فيه الزعفران، ويتناوله صاحب بيت المال، فيعطيته لابن أبي الرداد متولي المقياس، فيلقى هذا بنفسه، وهو بملابسه في الفسقية، ويمسك بالعمود برجليه ويده اليسرى، ويخلق المقياس بيده اليمنى، وبعد التخليق يعود الخليفة إلى حراسته التي تقله إلى البر حيث يعود إلى القاهرة " ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة (1) مشحونة بالعالم فرحاً بوفاء النيل، وبنظر الخليفة.. " (2)

* **موكب فتح الخليج:** وبعد ثلاثة أو أربعة، تخرج خيمة الخليفة الكبيرة، فتتصب على البر الغربي للخليج، وتتصب حولها خيام أخرى للأمرء والخاصة حسب مراتبهم (4). وفي الصباح يلبس الخليفة ملابس فاخرة، ويخرج في مثل موكبه السابق في أجمل هيئة وأكمل أبهة؛ ويسير في موكبه من القصر وحوله الوزير والأستاذون المحنكون في الطريق السالف الذكر، إلى أن يصل جامع ابن طولون، حيث يجده قاضي القضاة، والشهود في انتظاره على بابه، فيسلم عليهم، وينضمون إلى موكبه الذي يستأنف السير إلى أن يصل إلى الخيمة؛ وقراء الحضرة هناك يتلون القرآن الكريم لمدة ساعة، فإذا انتهوا استأذن صاحب الباب للشعراء، فيدخلون حسب مراتبهم، وينشد كل واحد ما يناسب الحفل (5).

(7) ابن الطوير، نزهة، ص 129-193، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 553.
(1) قرقورة: السفينة. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص 593.
(2) المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 554.
(4) ابن الطوير، نزهة، ص 196، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 555-556.
(5) ابن الطوير، نزهة، ص 197-200، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص 555-557.

رابعاً: احتفال النوروز:

احتفل الناس في مصر بعيد النوروز، الذي يرجع إلى أصول فارسية⁽⁶⁾. وكان النوروز ومعناه اليوم الجديد، يحل عند الانقلاب الصيفي، وذلك في ابتداء كل ربيع من السنة الجديدة⁽⁷⁾. وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار⁽⁸⁾، وكانت مدته عند الفرس ستة أيام، ويسمى اليوم السادس منها بالنوروز الأكبر⁽⁹⁾.

وقد حظي النوروز باهتمام اجتماعي، فكانت " تتعطل فيه الأسواق، ويقل فيه سعي الناس في الطرقات"⁽¹⁰⁾. وقد جعلت الدولة لهذا العيد رسوماً مقررة من الأطعمة والكسوات والفاكهة، تمنح لرجال الدولة وأولادهم ونسائهم⁽¹¹⁾.

وقد وصل تهتك الناس في يوم النوروز إلى حد تجاوز القيم الاجتماعية، فكان النوروز بمثابة عطلة عامة يتحرر فيها الناس من قيود حياتهم، فكان " من مواسم بطالاتهم (أي المصريين) ومواقيت ضلالاتهم، فكانت المنكرات ظاهرة فيه، والفواحش صريحة في يومه.. وفيه يتجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة، بحيث يشاهدهم الخليفة، وبأيديهم الملاهي، وترتفع الأصوات، وتشرب الخمر والمزر شرباً ظاهراً بينهم، وفي الطرقات؛ ويتراش الناس بالماء، والخمر بالماء ممزوجاً بالأفذار"⁽¹⁾.

إن خروج الناس في هذا العيد عن الحد في اللهو والخلاعة، دفع بعض الخلفاء إلى محاولة الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التي كانت تحدث خلال هذا العيد، فقد أصدر الخليفة المعز مرسوماً سنة (363هـ/972م)، منع فيه الناس " من وقود النيران ليلة النوروز في السكك، ومن صب الماء يوم النوروز"⁽²⁾.

(6) الفلقشندي، صبح، ج2، ص445، المقريري، المواعظ، مج2، ص602، اتعاط، ج1، ص334.

(7) البيروني، الآثار، ص216، المقريري، اتعاط، ج1، ص334.

(8) محفوظ، حسين، (1946م) النوروز في الأدب العربي، مجلة التراث الشعبي، ع8، ص11.

(9) الفلقشندي، صبح، ج2، ص408.

(10) المقريري، المواعظ، مج2، ص600.

(11) ابن المأمون، أخبار، ص65، المقريري، المواعظ، مج2، ص600.

(1) المقريري، المواعظ، مج2، ص601-602.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص600.

والظاهر أن هذا المنع ضاعف من شوق الناس إلى هذا العبت، لأنهم في السنة التالية تبادوا في إيقاد النيران، وصب المياه، وأتوا من السخافات ما جعل المعز يعود إلى تحذيرهم (3). وأصدر الظاهر عام (415هـ / 1024م)، مرسوماً منع فيه الناس من اللعب بالماء في يوم النوروز (4).

إن مظاهر الاحتفال بالأعياد في مصر في العصر الفاطمي، تدل على أن الاتجاه العام كان نحو تعايش الطوائف الدينية في جو من الانفتاح والعيش المشترك. فقد شارك أهل السنة، الاسماعيلين الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، طمعاً بالهبات والصدقات التي كان الفاطميون يوزعونها في أعيادهم الخاصة، حتى أن " التوسعة في النفقة التي سار عليها الفاطميون في عيد الغدير، جعلته موسماً " يرصده كل أحد، ويرتقبه كل غني وفقير" (5). فيذكر المقرئ أن المصريين شاركوا عام (362هـ / 973م) الشيعة في الاحتفال بعيد الغدير، ودعوا للمعز " فأعجب المعز ذلك" (6).

وذكر المأمون انه في عيد الغدير من عام (516هـ / 1122م)، " هاجر إلى باب الأجل (يعني المأمون بن البطاحي) الضعفاء والمساكين من البلاد، ومن انضم إليهم من العوالي والأدوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الأيامي" (1).

(3) المصدر نفسه، مج2، ص600.

(4) المقرئ، اتعاض، ج2، ص22.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص42، المقرئ، المواعظ، مج2، ص303.

(6) المقرئ، المواعظ، مج2، ص303.

(1) ابن المأمون، أخبار، ص42، وانظر المقرئ، المواعظ، مج2، ص303.

وقد اهتم الفاطميون بأعياد النصارى، فكان من رسومهم في عيد الميلاد (النصراني)، تفرقة الأطقمة على جميع أرباب الدولة من القبط والمسلمين⁽²⁾. كما كان من رسوم الفاطميين في عيد الغطاس، تفرقة الأطقمة على جميع رجال الدولة من القبط والمسلمين⁽³⁾.

وقد شارك الخليفة الظاهر النصارى في الاحتفال بعيد الغطاس، فروى المقرئزي أنه في سنة (415هـ/1024م)، " نزل الظاهر بنفسه لنظر الغطاس، وضربت له ولحرمه الخيام، وأمر بأن توقد النار والمشاعل ليلاً"⁽⁴⁾. وكان من رسوم الفاطميين في خميس العهد " ضرب خمس مائة دينار ذهباً ... وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم"⁽⁵⁾.

وشارك عامة المسلمين النصارى في الاحتفال بأعيادهم، حيث وصف المسيحي مشاركة المسلمين للنصارى في الاحتفال بعيد الفصح عام (414هـ/1023م)، فقال: اجتمع في عيد الفصح بقنطرة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير؛ للأكل والشرب واللهو، ولم يزلوا هناك إلى أن انقضى ذلك اليوم⁽⁶⁾.

ويصف ابو صالح الأرمني احتفال المسلمين والنصارى في عيد الميلاد، قائلاً: " وفي ليلة عيد الميلاد المقدس من كل سنة يوقد المسلمون والنصارى شموعاً ومصابيح، وأحطاباً بجملة كبيرة"⁽⁷⁾.

وقد وصف الأنطاكي مشاركة المسلمين للنصارى في عيد الغطاس، قائلاً: " وكان يكون لسائر أهل مصر، وأهل الملل والمذاهب بمصر في هذا العيد (أي عيد الغطاس) من الفرح ما لا يكون لهم في غيره من أيام السنة وأعيادها"⁽⁸⁾.

(2) ابن المأمون، أخبار، ص104، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص603.

(3) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص605.

(4) المصدر نفسه، مج2، ص604.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص95، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص605.

(6) المسيحي، أخبار، ج40، ص39-40.

(7) ابو صالح الأرمني، كنانيس، ص129.

(8) الأنطاكي، تاريخ، ص285-286.

وفي الوقت الذي اهتمت فيه الدولة بأعياد النصارى، لم يرد ما يشير إلى اهتمامها في أعياد اليهود؛ ربما لأن النصارى كانوا أكثر عدداً من اليهود، وبالتالي أقوى تأثيراً من اليهود في الأوضاع العامة⁽⁹⁾، وتبعاً لذلك فقد كان حرص الدولة على مجاملتهم، والاهتمام بأعيادهم، أكثر من حرصها على مجاملة اليهود.

ولم يرد ما يشير إلى مشاركة عامة المسلمين لليهود في الاحتفال بأعيادهم، كما شاركوا النصارى في ذلك. ربما لأن أعياد اليهود اتسمت بالطابع الديني المحض، ولم يكن لأعيادهم مظاهر الفرح والبهجة⁽¹⁾، ومن ثم لم تجذب أنظار عامة المسلمين مثلما جذبتهم أعياد النصارى، التي كان جانب التسلية والمتعة فيها كبيراً⁽²⁾.

سادساً: وسائل التسلية:

اكتسبت القاهرة في العصر الفاطمي شهرة واسعة في اللهو والمرح، حتى أصبح المثل يضرب بأيام العزيز في مصر؛ لأنه كان يكثر فيها اللهو والأعراس⁽³⁾، حيث أفرط الناس في "الانهماك في الشهوات والامعان في الملاذ"⁽⁴⁾، وانفق المترفون الأموال الوفيرة على اللهو⁽⁵⁾. ولعل إقبال الناس على اللهو في المجتمع المصري في العصر الفاطمي، كان تقليداً للخلفاء وكبار رجال الدولة؛ الذين كانوا يميلون إلى الترف، والاسراف في ملذات الحياة، حيث بلغوا مبلغاً عظيماً من "الحضارة والترف"⁽⁶⁾.

وقد أدى ولع الناس باللهو إلى تنوع وسائل التسلية، على النحو الآتي:

أولاً: المجالس: تعد المجالس أهم مجالات التسلية، حيث كان يشترك في أنواعها المتعددة جميع فئات المجتمع، وتقسّم إلى ثلاث أنواع:

- (9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 201-202.
- (1) انظر ص 248 من الأطروحة.
- (2) انظر ص 247 من الأطروحة.
- (3) المقرئزي، اتعاض، ج 1، ص 322.
- (4) المقرئزي، المواعظ، مج 1، ص 130.
- (5) المقرئزي، اتعاض، ج 1، ص 348.
- (6) المقرئزي، المواعظ، مج 3، ص 316.

* مجالس الطرب والغناء:

لقد حظي الغناء باهتمام اجتماعي كبير، وعد حاجة من حاجات الانسان الضرورية، يقول ابن خرداذبة (ت 272هـ / 886م)، " الغناء من أكبر اللذات، وأسر للنفس من جميع الشهوات، يرق الذهن، ويلين العريكة، ويبهج النفس ويسرها، ويشجع الجبان، ويسخي البخيل، ويحيي القلب، ويزيد في العقل ويفتح بالرأي.. " (7) . كما أن " النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل الصعب، ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه، ويزيد ذلك تأثيراً اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء" (8).

وقد صورت المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، رسوم المطربين والمطربات، والعازفين والعازفات، والراقصين والراقصات⁽¹⁾، ويعد ذلك انعكاساً لانتشار الغناء والطرب في المجتمع المصري في العصر الفاطمي.

إن اهتمام الناس بالغناء في العصر الفاطمي، أدى إلى ازدهاره، فأصبح فناً قائماً بذاته، له أصول مستقرة. يؤكد ذلك ظهور التأليف في الموسيقى والغناء، فقد ألف المسبحي (ت 420 هـ / 1029م) كتاب اسمه " مختار الأغاني ومعانيها"⁽²⁾، وألف الملحن أبو الحسن بن الطحان كتاباً في التلحين والغناء، سماه " جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين"⁽³⁾.

(7) اللهو والملاهي، ص19- 20.

(8) ابن خلدون، العبر، ج3، ص211.

(1) انظر الملاحق، لوحة (6)، (7)، (20)، (21)، (26)، (28)، (30)، (31)، (42)، (43)، (44)

(2) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص378.

(3) ابن سعيد، النجوم، ص315- 316.

ولما كان الغناء فن، فقد أصبحت له قواعد معروفه، من المغنين من أجادها، ومنهم من جهلها، فقد ظهر مغنون اتقنوا صناعتهم، حتى أن الخليفة الظاهر أهدى بعضهم إلى عماله على الولايات، مجاملة وملاطفة، فقد أرسل إلى المعز بن باديس – والي المغرب وقتئذ- هدية فيها جوارى مغنيات⁽⁴⁾، كما أرسل إلى واليه على صقلية هدية، فيها مغنيات من القصر⁽⁵⁾. بينما يذم ابن قلاص مغنين آخرين، فيقول: إن ايقاع نغماتهم لا يتفق مع نبرات أصواتهم، فهذا يزيد وذا ينقص⁽⁶⁾.

إن ولع الخاصة والعامة في الغناء، جعلهم يعقدون مجالس للطرب والغناء، غايتها اللهو، وسماع الغناء والموسيقى، فذكر الأنطاكي أن الحاكم كان يستدعي إلى مجلسه المغنين، وأصحاب الملاهي، ويتبسط معهم⁽⁷⁾. وقد قلده العامة في ذلك، فعقدوا مجالس للطرب والغناء⁽⁸⁾. وكان الظاهر " مشتغلاً بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغاني، وفي زمانه تأثق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ المغاني والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عجبياً"⁽⁹⁾.

وعرف عن الأمر حبه للهو والغناء والعزف، وكان له الكثير من المغنيات والراقصات⁽¹⁰⁾،

(4) ابن الزبير، الذخائر، ص70- 71.

(5) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص11.

(6) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج1، ص162.

(7) تاريخ، ص269.

(8) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص348.

(9) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص396.

(10) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص215.

وكان الحافظ يميل إلى اللهو والطرب⁽¹⁾، وكان الظافر كثير اللهو، مقبلاً على سماع المغنى⁽²⁾. وقد صور تميم بن المعز طرفاً مما كان يجري في مجالس الطرب والغناء، فقد وصف في أشعاره مجالس الغناء التي كان الندماء يتبادلون فيها كؤوس الخمر، مستمعين لغناء المغنيات، فيذهب حزنهم، وتزول همومهم، يقول:⁽³⁾

لسان العود أفصح من لساني	وحسن بيانه فوق البيان
ودارت أكؤس الصهباء صرفاً	وحركت الغواني للأغاني
فيالك من منادمة وقصف	تزول بها ملمات الزمان

كما أن الشاعر تميم بن المعز يبين أن الحياة بدون اللهو لا قيمة لها، وأن اللهو بدون سماع الموسيقى والغناء، مع شرب الخمر لا يعد لهواً، يقول:⁽⁴⁾

خليلي لا عيش سوى اللهو والصبأ	ولا لهو الا في سماع وفي خمر
-------------------------------	-----------------------------

(1) ابن اياس، بدائع، ج1، ق1، ص227.

(2) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص273، ابن اياس، بدائع، ج1، ق1، ص227.

(3) ديوان، ص445.

(4) المصدر نفسه، ص235.

* مجالس الشعر

لقد عقد الخلفاء مجالس للشعر في قصورهم؛ للتلذذ بسماع مدائح الشعراء، فقد جعل للشعراء في مجالس الخلفاء نظام في الانشاد يتعاقبون عليه، فذكر ابن الطوير - في سياق حديثه عن فتح الخليج - انه بعد جلوس الخليفة يؤمر صاحب الباب بتقديم الشعراء واحداً بعد واحد " ولهم منازل على مقدار أقدارهم، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد"⁽⁵⁾. وكان الحاكم بأمر الله يميل إلى مجالس الشعر، فكان الشعراء ينهضون وينشدون القصائد بين يدي الخليفة، ويتبارون في مدحه، ومدح أجداده⁽⁶⁾.

وعقد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي مجالس للشعر في قصره، فكان الشعراء يقصدون داره، وينشدون القصائد بين يديه⁽⁷⁾. وجمع المأمون بن البطائي الكثير من الشعراء في مجالسه، فكانوا يقصدون داره، ويهنتونه بالأعياد، وينشد له كل منهم ما سمحت به قريحته⁽⁸⁾. وكان طلائع بن رزيق يعقد للشعراء مجالس في قصره، يتبارى الشعراء فيها بمدحه⁽⁹⁾.

وقد كان للشعراء مجالس للمناظرة خاصة بهم، وصف أحدها ابن ظافر الأزدي، فذكر أن الشعراء كانوا يعقدون في الرياض مجالس، يتبارون في وصف أزهارها ارتجالاً؛ ليظهروا براعتهم في الوصف، وقدرتهم على النظم، ومن ذلك اجتماع عدة شعراء على وصف ضمة من الياسمين على لجة ماء، فأخذ كل واحد منهم يصفها، مصوراً إياها صوراً تزيدها جمالاً على جمالها⁽¹⁾.

(5) نزهة، ص 199.

(6) اتعاط، ج 1، ص 332.

(7) ابن المأمون، أخبار، ص 101.

(8) المصدر نفسه، ص 26-27.

(9) عمارة اليمنى، النكت، ص 48.

(1) ابن ظافر الأزدي، بدائع، ص 247.

* مجالس الوعظ:-

أقبل الناس عليها في أوقات فراغهم، وكان يترأسها الواعظ، الذي يقوم بالتذكير بالله، وبحث المواعظ المحركة إلى الله تعالى⁽²⁾.

وكانت بعض مجالس الوعظ تعقد في المساجد، وقد أشار الرحالة المقدسي إلى هذه المجالس، التي شاهدها بنفسه في أقاليم مصر أثناء رحلته إليها في العصر الفاطمي، اذ يقول: " ودخلتها (أي مصر) مع جماعة من المقادسة، فرما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين: دوروا وجوهكم إلى المجلس، فننظر فإذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد"⁽³⁾، وكانت هذه المجالس تعج بالناس⁽⁴⁾.

وكان للوعاظ حضور في مجالس الخلفاء، الذين كانوا يستدعونهم في بعض المناسبات؛ لاحياء ليايها، مثل ليلة عاشوراء⁽⁵⁾، وليالي رمضان، فبعد انقضاء السحور تقدم المخاد للوعاظ، فيلقون دروسهم في فضائل شهر رمضان⁽⁶⁾.

ويبدو أن مجالس الوعظ، فضلاً عن دورها الارشادي، قد لعبت دورها السياسي والديني في الترويج للدعوة الفاطمية، فكان الوعاظ عقب سحور شهر رمضان يسهبون في مدح الخلفاء الفاطميين، وفي الاشادة بكرمهم⁽⁷⁾، وكانوا في يوم عاشوراء يسهبون في رثاء شهداء أهل البيت، وفي الحديث عن مصرع الحسين⁽⁸⁾.

(2) السبكي، معيد، ص112- 114.

(3) أحسن التقاسيم، ص205.

(4) المصدر نفسه، ص205.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص59.

(6) المصدر نفسه، ص82، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595.

(7) ابن المأمون، أخبار، ص82، المقرئزي، المواعظ، مج2، ص595.

(8) ابن المأمون، أخبار، ص35.

ثانياً: النزهة والرحلات: لقد حرص الخاصة والعامة على الخروج للتنزه والرحلات؛ لقضاء الأوقات. ويبدو أن خروج الخلفاء للتنزه كان كثيراً، إذ أشار المقرئزي في كتابه المواعظ الى نزه الخلفاء تحت عنوان " ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين، ومواقع نزههم، وما كان لهم فيها من امور جميلة"، وعدد تحت هذا العنوان الأماكن التي كان يقصدها الخلفاء للتنزه (1). ويبدو أن نزه العامة كان يشوبها بعض الانحلال الاجتماعي، مما جعل بعض الخلفاء يصدرن قوانين وقتية، منعوا فيها الناس من الخروج للنزهة، ففي عام (401هـ/1010م)، منع الحاكم الناس من الركوب في الخليج(2)، ومنع الحاكم -في عام (402هـ/1011م)- الناس من الاجتماع على شاطئ النيل(3)، ونودي عام (414هـ/1023م) بالأ تخرج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة، وأن تنزه هذه الأشهر الشريفة عن المناكر، والا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة، وبالقرافة على شيء منها(4).

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى النيل، فقد بنى الخلفاء على شاطئ النيل مناظر كانوا يخرجون إليها للاستمتاع بمنظر النيل(5). واتخذ العامة أمكنة على شاطئ النيل للنزه، والاستمتاع بمنظره، وبنوا البيوت حتى يُسَرَّوا عن أنفسهم اذا ضاقت عليهم حياة المدينة(6). وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى القرافة، حيث موقعها الخلاب، ظاهر جبل المقطم(7). وقد وصفها ابن سعيد، فقال: " لا تكاد تخلو من طرب ولا سيما في الليالي المقمرة، وهي معظم مجتمعات أهل مصر، وأشهر متنزهاتهم"(8). وأشار المقرئزي- في أحداث عام (402هـ/ 1011 م) - إلى " اجتماع الناس بالقرافة على عاداتهم في كثرة اللعب والمزاح" (9).

(1) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص522.

(2) الدواداري، كنز، ج6، ص282.

(3) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص381.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص11.

(5) ابن المأمون، أخبار، ص96-102، المقرئزي، المواعظ، مج 2، ص522-581.

(6) ظافر الحداد، ديوان، ص230.

(7) المقرئزي، المواعظ، مج4، ق2، ص849.

(8) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص849.

(9) المقرئزي، اتعاض، ج1، ص380.

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى البرك، التي كانت تشتهر بجمالها الأخاذ، ومنها بركة الفيل⁽¹⁰⁾، وهي " من منتزهات مصر، وكان من عادة ... الخلفاء أن يركبوا إليها بالليل، وحولها المناظر التي تكون منظراً عجبياً"⁽¹¹⁾.

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى بركة الحبش، وهي من أجل منتزهات مصر، تقع خلف القرافة⁽¹²⁾. وكانت محط لهو تميم بن المعز، الذي كان يملك قصراً وبساتين تطل عليها⁽¹³⁾. وجزت عادته أن يجتمع بأصحابه في تلك الرياض، ويختلط بعامّة الناس، ويقدم إليهم الطعام والشراب على سبيل الهدية⁽¹⁾.

وخرج أهل القاهرة للتنزه إلى الخليج، فيقول تميم بن المعز ناصحاً لمن يريد التنزه في الخليج:

يا سيدي لا تسر إليه	إلا إذا هـوم الظلام
---------------------	---------------------

والليل ستر على التصابي عليه من فضله لثام⁽²⁾
وخرج أهالي القاهرة للنزهة إلى الأديرة، مثل " دير مهنا" بالجيزة⁽³⁾. ودير " طرا" القريب من بركة الحبش، الذي كان " لا يخلو من قصف وشرب"⁽⁴⁾ ودير " شهران" ، وكان به قصر للخليفة الحاكم يقيم فيه عند خروجه للتنزه والصيد⁽⁵⁾. ومن أديرة التنزه، دير " مرحنا" - على شاطئ بركة الحبش - الذي كان " من مغاني اللعب، ومواطن القصف والطرب... حسن المنظر... لا يكاد يخلو من المتنزهين"⁽⁶⁾.
ومن أديرة التنزه، دير القصير، في أعلى جبل المقطم، الذي كان " أحد الديارات المقصودة والمنتزهات المطروقة؛ لحسن موضعه"⁽⁷⁾.

(10) المقرئزي، المواعظ، مج1، ص339، علي مبارك، الخطط، ج1، ص37.

(11) المقرئزي، المواعظ، مج2، ص225.

(12) المصدر نفسه، مج2، ص290.

(13) المصدر نفسه، مج2، ص298.

(1) تميم بن المعز، ديوان، ص242.

(2) المصدر نفسه، ص120.

(3) الشابشتي، الديارات، ص191.

(4) ابن فضل الله العمري، مسالك، ج1، ص373.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص366-369.

(6) المقرئزي، المواعظ، مج4، ق2، ص1031.

(7) المصدر نفسه، مج4، ق2، ص1029.

ومن أماكن التنزه، البساتين والرياض، " فكان للخلفاء عدة بساتين ينتزهون بها"⁽⁸⁾. كما أن الشعراء أعجبوا بجمال البساتين، واستراحوا بالجلوس فيها، وكانوا يذهبون إليها مع ندمائهم للنزهة، فتميم بن المعز يقول عن رحله له في جماعة من الندماء، قاصداً بستاناً له⁽⁹⁾:

نحن من البستان في نزهة ولفظنا مثل حلاه سوا
تذاكر يطفى غليل الجوى كأدمع المشتاق يوم النوى

ثالثاً / الألعاب: لقد تسلى الخاصة والعامة بالألعاب متنوعة، وهي:

* **الشطرنج**: لهذه اللعبة فوائد صحية، فهي تعلم الحرب، وتدريب الإنسان على التفكير، وتعلمه شدة البصيرة⁽¹⁰⁾. ولعل ذلك هو سبب شيوعها، بحيث احتلت فضاءات في تشبيهات الشعراء، فقد شبه الشريف العقيلي قوماً برخاخ الشطرنج، وشبه أعاديهم بالبيادق في قوله:

ونحن إن نصبت شطرنج معركة رخاخها، وأعادينا ببيادقها⁽¹⁾

وقد تلهى أهل القصر في الشطرنج، " ففي الشدة المستنصرية، أخرج من القصر الشطرنج، والنرد المعمولة من سائر أنواع الجواهر، والذهب، والفضة، والعاج، والأبنوس، برقاع الحرير والمذهب، ما لا يحده كثرة ونفاسه"⁽²⁾.

وكانت هذه اللعبة تأخذ من لاعبيها أوقاتاً طويلة، حتى وصفت بأنها لعبة المتعطلين⁽³⁾. وانشغل الناس بها عن أعمالهم، مما جعل الحاكم بأمر الله يأمر عام (402 هـ / 1011م)، بـ " جمع الشطرنج من أماكن متعددة، وحرقه"⁽⁴⁾. كما أمر عام (403 هـ / 1012م)، " بالقبض على جماعة؛ بسبب اللعب بالشطرنج، وضربوا وحبسوا"⁽⁵⁾.

(8) المصدر نفسه، مج2، ص582. حول البساتين التي أقامها الخلفاء في القاهرة انظر ص 29-30 من الأطروحة.

(9) تميم بن المعز، ديوان، ص34.

(10) التنوخي، نشوار، ج2، ص171.

(1) الشريف العقيلي، ديوان، ص112.

(2) ابن الزبير، الذخائر، ص257، المقرئ، المواعظ، مج2، ص375.

(3) التنوخي، نشوار، ج1، ص270-271.

(4) المقرئ، اتعاض، ج1، ص381.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص383.

* **لعبة النرد:** لقد شبه الحكماء رقعتها بالأرض الممهدة لساكنها، وشبهوا منازل الرقعة، وهي أربعة وعشرون بساعات الليل والنهار، وبيادقها، وهم ثلاثون بعدد أيام الشهر، واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار، وسواد الليل، وأنها أقيمت على أربع مراتب، وهي الفصول الأربعة، وشبهوا اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاة(6).

وهذه اللعبة غير صحية؛ لأنها تثير طباع لاعبيها؛ نظراً لتحكم الفصين في تحديد اللعبة(7). ولعل ذلك أدى إلى عدم شيوعها بين الناس، إذ لم يرد ما يشير إلى ممارسة الناس لهذه اللعبة، سوى في خبر واحد، ورد فيه أنه أخرج من القصر أثناء الشدة المستنصرية النرد المعمول من سائر أنواع الجوهر(8).

* **لعبة كرة الصولجان:** فهي لعبة الكرة على ظهور الخيل، وهي عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة كالفلين ونحوه، وتلقى في أرض الميدان، فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بالصولجان – وهو العصا الذي تضرب به الكرة – فمن سبق منهم إلى اصابتها وارسالها في الهواء كانت له الغلبة(9).

ولهذه اللعبة فوائد حربية، فهي تعلم الحرب، حيث ذكر السبكي، أن " ما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال، وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل والاقبال والادبار والكر والفر"(1). وان تعدد مستلزمات هذه اللعبة من خيول وأدوات، وميادين، جعلها لعبة ارسنقراطية لا يمارسها سوى الخلفاء والأمراء، فذكر المقرئ أن العزيز هو " أول من ضرب بالصولجان"(2)، كما مارس هذه اللعبة العسكريون من أرباب السيوف، ومنهم الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل(3)، والوزير ضرغام(4).

(6) الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج1، ص346.

(7) المسعودي، مروج، ج2، ص565-566.

(8) ابن الزبير، الذخائر، ص257، المقرئ، المواعظ، مج2، ص375.

(9) ابن قتيبة، عيون، ج1، ص133-134.

(1) السبكي، معيد، ص114.

(2) اتعاط، ج1، ص321.

(3) ابن سعيد، النجوم، ص48.

(4) المقرئ، اتعاط، ج2، ص312.

* **السباحة:** من وسائل الترفيه المرغوبة عند المصريين، الذين كانوا يعهدون بأولادهم الى معلمي السباحة؛ لتدريبهم على اتقانها(5)، وقد اتخذ أهل مصر من الخليج مكاناً للسباحة، فقد وصف الأسعد بن مماتي بعض النساء وهن يسبحن فيه، فقال: (6)

خليج كالحسام له صقال	ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوماً	كأنهم نجوماً في المجرة

* **المصارعة:** من الرياضات المهمة التي تسلى بها الناس في العصر الفاطمي، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بصحن خزف، يرجع الى العصر الفاطمي، قوام زخرفته رسوم تمثل صراعاً بين اثنين، يحيط بهما جمهور المتفرجين، حيث يغلب على بعضهم الحماس، الذي يتجلى من خلال ايماءات الأذرع(7). مما يشير إلى أن هذه اللعبة أصبحت من الأهمية بمكان، بدليل انها استحقت أن تكون موضوعاً تصويرياً على أثناء يستعمل بكثرة في المنازل وغيرها.

وقد وصف الانطاكي (ت 458 هـ / 1066م) مباراة مصارعة حضرها جمهور كبير، ومن شدة اندماج الناس في التشجيع لكل فريق، قام بينهم قتال؛ وقتل من الفريقين الكثير، وتطور الأمر إلى خلع ملابس المشاهدين، وكان يوماً سيئاً(8).

* **المبارزة:** وهي لعبة المبارزة بالعصا، ويبدو أن هذه اللعبة كانت من الألعاب الشائعة، بدليل انها سجلت على أنية من الخزف، ترجع إلى العصر الفاطمي، يشاهد عليها رسم لرجلين يتبارزان بعصا(9).

(5) ابن الطوير، نزهة، ص116-117.

(6) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج1، ص101.

(7) انظر الملاحق، لوحة (2)

(8) انظر تاريخ، ص255.

(9) انظر الملاحق، لوحة (45).

* الألعاب البهلوانية:

لقد ضاعفت تيارات الهجرة المتوالية من المغرب إلى مصر، وبأعداد كبيرة، من فرص التواصل الحضاري بين البلدين، فساهمت هذه الهجرات في نقل جزء من تراث المغرب إلى مصر، وشمل ذلك مختلف نواحي الحياة بما فيها الألعاب.

فقد وفد من المغرب إلى مصر مع مجيء الفاطميين إليها، جماعات من أهل برقة، عرفوا " بصبيان الخف"، كانوا يبدون فنوناً تذهل العين رؤيتها، فيركبون في مواكب الأعياد، "على خيول، فيركضون، وهم يتقلبون عليها، ويخرج الواحد من تحت إبط الفرس، وهو يركض، ويعود يركب من الجانب الآخر، ويعود وهو على حاله لا يتوقف، ولا يسقط منه شيء إلى الأرض، ومنهم يقف على ظهر الحصان، فيركض به، وهو واقف"⁽¹⁾.

كما مارست فرقة عرفت بـ " النخبارية"، ألعاباً بهلوانية⁽²⁾. ولا يستبعد أن أصول هذه الفرقة كانت مغربية، جلبها معهم الفاطميون إلى مصر، أسوة بفرقة صبيان الخف.

وكان أصحاب السماجة⁽³⁾ مغاربة، وفدوا إلى مصر مع مجيء المعز إليها عام (362هـ/ 973م)⁽⁴⁾، وكانوا يهزلون ليضحكوا الناس، حتى سماوا " بالضحكية"⁽⁵⁾.

وقد حظي السماجة باهتمام اجتماعي كبير، نظراً لدورهم في إدخال السرور على الناس، فعند طوافهم بالأسواق " يتعطل الناس .. عن أشغالهم ومعايشهم، ويجتمع في الأسواق خلق كثير لنظرهم"⁽⁶⁾. وكان القائد معضاد الأسود " يضحك منهم (أي السماجة) ويستظرفهم"⁽⁷⁾.

وكان السماجة محط اهتمام الدولة، التي منحتهم حق ممارسه العابهم بحرية تامة، فكانوا يخرجون إلى الأسواق، ومعهم سجل قد كتب لهم " الا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده، وأن يعتمد إكرامهم وصيانتهم"⁽⁸⁾، وكان لهم " جار ثقيل ورسوم كثيرة"⁽⁹⁾.

(1) المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص494.

(2) ابن الطوير، **نزهة**، ص198، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص556.

(3) السماجة: أصحاب الأفتنة المضحكة. انظر دوزي، معجم، ص115.

(4) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص177-178.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص177-178.

(6) المسبجي، **أخبار**، ج40، ص42-43، المقرئزي، **المواعظ**، مج1، ص564.

(7) المقرئزي، **المواعظ**، مج1، ص564.

(8) المصدر نفسه، مج1، ص564.

(9) المقرئزي، **اتعاط**، ج2، ص177-178.

* خيال الظل:-

المقصود بخيال الظل، الصورة الظلية التي يعكسها الخيال المادي للشخص من الدمى التي تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلفي، فيشاهدها النظارة، وكأنها خيالات تتحرك أمامهم⁽¹⁰⁾.
كان للناس شغف بالخيال، حيث كانت له سوق رائجة في الأعياد، فكان " الناس بمصر يخرجون في الأعياد، ويطوفون الشوارع بالخيال"⁽¹⁾. وكانت دمي الخيال ترافق أسمطة الأعياد، فيذكر المقرئ في أحداث عام (415هـ / 1024م)، أن نجيب الدولة الجرجرائي، حمل " سماط العيد على العادة، وفيه مائتا قطعة من التماثيل السكر، وسبعة قصور كبار من السكر، وشق البلد بالخيال"⁽²⁾.

لقد روى الغزولي أن صلاح الدين، خلال توليه وزارة العاضد، أخرج من القصر الفاطمي من " يعاني خيال الظل؛ ليفرجه للقاضي الفاضل، فقام القاضي الفاضل، فقال له صلاح الدين: إن كان حراماً فما تحضره، وكان حديث عهد بخدمته، قبل أن يلي السلطنة، فما أثر أن يتكدر عليه، ففعد إلى آخره، فلما انقضى ذلك، قال له السلطان: كيف رأيت ذلك؟ فقال: موعظة عظيمة؛ رأيت دولاً تمضي ما كأنها كانت، ودولاً تأتي"⁽³⁾.

ورواية الغزولي تدل على أن الخيال كان على نوعين: نوع جاد مفيد، يقدم الموعظة، حاز على إعجاب القاضي الفاضل⁽⁴⁾، ونوع هزلي ماجن، ويبدو أنه السائد، حتى أن القاضي الفاضل لم يفترض وجود سواه.

(10) احمد تيمور، خيال، ص19-20، ابراهيم حمادة، خيال، ص15-16.

(1) المسيحي، لطائف الحكمة، ص516.

(2) اتعاط، ج2، ص30.

(3) مطالع، ج1، ص78-79.

(4) عبد المنعم سلطان، المجتمع، ص222، حسن، هبة الله، (1983). الفنون الشعبية في مصر الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص34.

رابعاً : الصيد:

لقد حظي الصيد باهتمام اجتماعي كبير، فقد صورت المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، رسوماً لرحلات الصيد⁽⁵⁾، ويعد ذلك انعكاساً لانتشار هواية الصيد في المجتمع المصري في العصر الفاطمي.

لقد تعددت الإشارات في المصادر التي تدل على ولع الناس بالصيد، فورد أن العزيز كان " جيد المعرفة بالخيل والجراح، محباً للصيد"⁽⁶⁾. وكان الحاكم يركب " عدة مرار إلى ناحية سردوس، وإلى بركة الجب، وإلى عين شمس، وحلوان، للصيد وغيره"⁽⁷⁾. وذكر المقرئ في أحداث عام (415هـ/ 1024م)، أن الظاهر " ركب إلى الصيد بسردوس وعاد"⁽⁸⁾. وكان الحافظ كثير الخروج للصيد⁽¹⁾، وينزل إلى البحر، ويصيد السمك⁽²⁾، وكان الأمر محباً للصيد كثير الخروج في رحلات خارج القاهرة لهذا الغرض⁽³⁾.

ويمكن أن يعزى ولع الناس بالصيد؛ إلى فوائده الصحية، " فللصيد فضائل جمّة، وملاذ ممتعة، ومحاسن بيّنة، وخصائص في تهذيب النفس ونزاهتها، وجلالة المكاسب وطيبها كثيرة، به يستفاد النشاط والأريحية والمنافع الظاهرة والباطنة، والمران، والرياضة"⁽⁴⁾. كما أن الصيد، كما يقول تميم بن المعز: ⁽⁵⁾

فيه ضرب من السياسة والعزم	وفيه للزم عقد وحل
------------------------------	-------------------

وقد اتخذ البعض من الصيد حرفة، فقد أشار المقرئ إلى حرفة الصياد، فروى في أحداث عام (1402هـ/ 1011م)، أن الصيادين جمعوا، وحلفوا أن لا يصطادوا سمكاً بغير قشر، ومن فعل ذلك ضربت رقبتة⁽⁶⁾.

- (5) انظر الملاحق، لوحة (1)، (5)، (11)، (17)، (23)، (47)، (48)
- (6) القضاعي، عيون، ص268، ابن ظافر الأزدي، أخبار، ج1، ص193.
- (7) المقرئ، اتعاض، ج1، ص343.
- (8) المصدر نفسه، ج2، ص34.
- (1) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص298-299.
- (2) ابن إياس، بدائع، ج1، ص278.
- (3) ابو صالح الأرمي: كنائس، ص65.
- (4) ابن الحسين، البيزرة، ص18.
- (5) ديوان، ص355-356.
- (6) المقرئ، اتعاض، ج1، ص381.

وقد رأى البعض في الصيد مجالاً للشهرة، وميداناً للتفاخر، فهذا تميم بن المعز يستعرض بطولاته في الصيد، ويفتخر بإراقته دماء الطيور التي اصطادها، ليظهر شجاعته وقوته⁽⁷⁾. إن اهتمام الناس بالصيد في العصر الفاطمي، أدى إلى ازدهاره، فأصبح فناً قائماً بذاته، له أصول مستقرة، وقواعد معروفة، يؤكد ذلك ظهور التأليف في الصيد، فقد وضع ابن الحسين- بازيار⁽⁸⁾ الخليفة العزيز- كتاباً في تربية الجوارح، التي تستخدم في الصيد، أطلق عليه اسم " البيزرة"، أي علم أحوال الطيور الجارحة المستخدمة في الصيد⁽⁹⁾. لقد كان للصيد أوقات معلومة، فقد كان الخروج للصيد عادة في الصباح الباكر، قبل أن تبكر الطيور من أعشاشها، والحيوانات من أوكارها⁽¹⁰⁾. وكانت تستخدم في الصيد الطيور الجارحة الضخمة، المدربة على الصيد كالباز⁽¹¹⁾، والصقر⁽¹²⁾. حيث ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، بازيار يحمل على يده

صقر الصيد⁽¹⁾، وظهر على تحفة أخرى شخص يمسك بباز، ويجري حوله كلبان⁽²⁾. واستخدمت الكلاب المدربة للصيد⁽³⁾، ويصف تميم بن المعز هذه الكلاب، بأنها مرفوعة الأنف، واسعة الأشداق، سريعة، تفهر الوحوش من شدة سرعتها⁽⁴⁾. كما استخدمت الرماح للصيد، فقد ظهر على تحف خزفية رسم أشخاص يصطادون بالرمح⁽⁵⁾.

(7) ديوان، ص 20-21.

(8) البازيار: مدرب الحيوانات والطيور على الصيد. انظر الفلقشندي، صبح، ج 3، ص 59-60.

(9) ابن الحسين، البيزرة، ص 18.

(10) ابن قلاقس، ديوان، ج 1، ص 278.

(11) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص 299.

(12) المصدر نفسه، ص 298-299.

(1) انظر الملاحق، لوحة (11)

(2) انظر الملاحق، لوحة (5)

(3) الانطاكي، تاريخ، ص 258.

(4) ديوان، ص 239-240.

(5) انظر الملاحق، لوحة (17)، (47)

وقد اهتم الخلفاء بطيور الصيد وكلابها على اختلاف أنواعها، وعينوا لها من يقوم على خدمتها من البيازرة⁽⁶⁾. وأن دور البيازرة في تدريب الحيوانات والطيور على الصيد، جعل لهم مكانة رفيعة في الدولة، فقد أجزلت الدولة العطاء لهم، فبلغت نفقات البيازرة خمسين ألف دينار سنوياً⁽⁷⁾. وكتب الحاكم في عام (395هـ / 1004م)، أمانات لسائر البيازرة، أسوة بكبار خدم القصر⁽⁸⁾. كما خصصت الدولة في عهد الأمر، حارة للبيازرة في القاهرة⁽⁹⁾.

خامساً: تربية الحيوانات: كان الناس مولعين بتربية الحيوانات؛ من أجل التفرج عليها، حيث جذبتهم اشكالها، يدل على ذلك حرص فناني العصر الفاطمي على تسجيل صور الحيوانات المحببة اليهم على منتجاتهم الفنية⁽¹⁰⁾.

كان الميسورون من الناس ينشئون في بيوتهم حدائق للحيوانات، فيصف عمارة اليمنى حديقة الحيوانات التي أنشأها بنو رزيك في قصورهم، ويستترعيه الزراف بخلفته الغربية، التي تجمع بين الغزلان والنوق، فيقول: ⁽¹¹⁾

أبداً، ولا نبتت على وجه الثرى	فيها حدائق لم تجدها ديمة
وثمارها لم تستطع أن تنقرا	والطير قد وقعت على أعضانها
ليثاً، ولا ظيباً بوجرة أعفرا	لا تعدم الأبصار بين مروجها
في الطول ألوية تؤم العسكرا	وبها زرافات كأن رقابها

(6) ابن الحسين، البيازرة، ص111- 112.

(7) المصدر نفسه، ص111- 112.

(8) المقرئ، اتعاط، ج1، ص358- 359.

(9) المقرئ، المواعظ، مج3، ص72.

(10) انظر الملاحق، لوحة (36)، (37)، (38)، (39)، (40)، (41).

(11) النكت، ص103.

وقد كان لدى الخلفاء ولع شديد بتربية الحيوانات، حتى أن الهدايا التي كانت تقدم اليهم كثيراً ما كانت تشتمل على حيوانات، فذكر المقرئزي أنه وصلت للعزير عام (369هـ/980م)، هدية من برقة فيها، مائتا فرس، ومائة بغل، وخمسمائة نجيب⁽¹⁾، كما وصلت للظاهر عام (414هـ/1023م) "هدية من أسوان، وهي عشرون فرساً، وثمانون بختياً .. وفهد وغنم نوبية، وأنياب فيلة"⁽²⁾، وأهدى ملك الروم سنة (444هـ/1052م)، هدايا جليلة للمستنصر من جملتها "دباب عظام"⁽³⁾.

وقد أنشأ الخلفاء اسطبلين في القاهرة؛ لحفظ دوابهم⁽⁴⁾، التي أنشأوا لها المطاعم، وعينوا لها من يقوم على خدمتها، وجعلوا لهذه الحيوانات ديواناً خاصاً، كانت مهمة العاملين فيه الاشراف على تربية الدواب الخاصة بالخليفة، وتوفير المطاعم لها⁽⁵⁾.

ومما يدل على ما للحيوانات من أهمية، أن أصبح عرضها جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية، فكان يخصص بعض الوقت في المواكب الرسمية؛ لعرض الحيوانات، ففي موكب عيد الفطر كان يحضر متولي كل اسطبل، ويقوم بعرض دوابه أمام الخليفة وجيوشه، وكانت تلك الدواب تزين بأبهى زينة، فكانت تعرض "الوحوش بالأجلة الديباج، والديقي بقباب الذهب، والمناطق المذهبة"⁽⁶⁾. وفي موكب صلاة الجمعة، كانت تعرض أمام الخليفة وعساكره "الفيل والزرافات"⁽⁷⁾.

-
- (1) المقرئزي، **اتعاض**، ج1، ص291.
 - (2) المصدر نفسه، ج2، ص10.
 - (3) ابن الزبير، الذخائر، ص76-77.
 - (4) ابن الطوير، **نزهة**، ص135، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص457، 518.
 - (5) الفلقشندي، **صبح**، ج3، ص212.
 - (6) ابن المأمون، **أخبار**، ص84-85، المقرئزي، **المواعظ**، مج2، ص483.
 - (7) المقرئزي، **اتعاض**، ج2، ص30.

وكان الناس يقضون بعض وقتهم في مشاهدة الحيوانات التي تقوم بالألعاب المضحكة، فيجد الكثير عند ذلك مجالاً للمتعة. فقد كان للحيوانات مروضين من مهامهم تدريب الحيوانات على الألعاب المضحكة، فذاع صيت المروض " الابراري"، الذي كانت لديه مقدرة فائقة على تدريب الحيوانات على الألعاب المسلية، فكان يدرّب القروذ على صفع الخارجين على الدولة في موكب التشهير بهم، وكان العامة يحتشدون للفرجة على هذه القروذ، وهم في قمة انبساطهم(8).

سادساً: اللعب بالطيور: المقصود بالطيور هو الحمام الذي يألف السكنى في البيوت، وقد أصبح الاعتناء به، وتربيته في البيوت، هواية محببة لكثير من الناس تملأ عليهم فراغهم، وتشعرهم بلذة خاصة(9).

وكان للطيور سوق في الفسطاط(1)، يتردد عليها أهل هذه الهواية، لشراء الطيور منها أو بيعها. وكان محبو اللعب بالطيور، يبذلون في سبيلها الأموال الطائلة، فذكر المقرئزي - في أحداث عام (415 هـ / 1024م) - أن الظاهر " طلب الببغاء من الطيور، فحمل اليهم منها شيء كثير، فاتباع ما أحب بأوفر الأثمان"(2). وكان عند الظافر في قصر الروض ببغاء باهظة الثمن، بيضاء، تقرأ المعوذتين، وتستدعي كثيراً من الاستاذين بأسمائهم ونعوتهم(3).

إن المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، تدل على ولع الناس بالطيور، حيث حرص فنانون العصر الفاطمي على تسجيل صور الطيور المحببة اليهم على منتجاتهم الفنية، فقد ظهر على شريط منسوج يعود إلى العصر الفاطمي، رسوم طيور متقابلة(4). وقد نقش على أحد أزيار الماء التي تنسب إلى العصر الفاطمي رسم طاووس(5)، وقد ظهر على مخطوط ورقي ملون ينسب إلى العصر الفاطمي، رسم ديك باللون الأحمر والأخضر والبني(6)،

-
- (8) ابن ظافر الأزدي، ج1، ص197.
 - (9) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص327.
 - (1) المقرئزي، المواعظ، مج3، ص72.
 - (2) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص21.
 - (3) المصدر نفسه، ج2، ص273.
 - (4) انظر الملاحق، لوحة (49)
 - (5) انظر الملاحق، لوحة (34)
 - (6) انظر الملاحق، لوحة (35)

وظهر على شريط من الحرير رسوم طيور داخل حلقات، ويعلوها كتابات تنسب إلى العصر الفاطمي⁽⁷⁾، وظهر على طبق خزفي فاطمي رسم طائرين متدبرين بوجه آدمي⁽⁸⁾. وكان العزيز يقضي بعض وقته في مشاهدة الطيور وهي تسابق بعضها، فكان يملك مجموعة من الطيور المدربة على السباق، وكذلك وزيره يعقوب بن كلس، وكانت تجري مباريات في السباق بين حمام الخليفة والوزير، وحدث أن سبق حمام الوزير - في إحدى السباقات - حمام الخليفة، وأراد أعداء ابن كلس استغلال الفرصة للطعن فيه لدى الخليفة، فكتبوا إلى العزيز أن الوزير قد اختار من كل صنف أعلاه، ولم يترك للخليفة إلا أدناه حتى الحمام، فعندما بلغ هذا الأمر ابن كلس، كتب للخليفة:

قل لأمير المؤمنين الذي	له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه	لم يأت إلا وله حاجب

فأعجب الخليفة العزيز بذكاء وزيره، وزال ما بنفسه منه⁽⁹⁾.

وإلى جانب الوله باللعب بالحمام، كان البعض مولعاً كذلك بتربية أنواع أخرى من الطيور؛ من أجل مهارشتها ومناقرتها، كالديوك، فيجد الكثير عند ذلك مجالاً للمتعة وقضاء للوقت. فكانوا إذا أرادوا مهارشتها، جعلوا الواحد مقابل الآخر، فتبدأ هذه الديوك بالمهارشة، وقد ظهر على صحن خزفي فاطمي، رسم مهارشة الديوك⁽¹⁾.

(7) انظر الملاحق، لوحة (49)

(8) انظر الملاحق، لوحة (14)

(9) الغزولي، مطالع، ج2، ص260-261.

(1) انظر الملاحق، لوحة (10)

سابعاً : سباق الخيل: إن الجري على الخيل، فيه فوائد صحية وحربية، لما فيه " من التمرن على القتال، والحدق فيه، ورياضة الأعضاء"⁽²⁾، وذلك جعل الدولة الفاطمية تحرص على جعل عساكرها تتسابق على الخيول، فأصبح عرض الخيل جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية، فكان يخصص يوم قبل الموكب الرسمي؛ لعرض الخيل، يحضره الخليفة، وكبار رجال دولته، للتفرج على الخيول وهي تتسابق بعضها⁽³⁾.

(2) السخاوي، القول التام في الرمي بالسهم، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة 24 ب.
(3) ابن الطوير، نزهة، ص153-154، المقرئ، المواعظ، مج2، ص467-468 انظر صورة فارس منطلق بفرسه، الملاحق، لوحة (33)

سابعاً: الأسرة:

وجود الأسرة مرهون بالرباط الشرعي الذي يجمع بين الطرفين الزوج والزوجة. وكان تشجيع الزواج سياسة معمولاً بها، فقد كان متولي كتابة عقود الزواج، يلقي خطبة على الحاضرين، تحض على الزواج، وتبين أهميته⁽⁴⁾. وقد ورد في وثائق الجنيزة، رسالة كتبها شخص ارمل الى احد اقاربه في الفسطاط، يذكر فيها: أن القاضي اليهودي نسيم، كان يلومه يومياً، لكونه أعزباً بدون زوجة، وربما يتزوج نتيجة لهذا اللاح، الا ان هذا الزواج سيكون ضد رغبته⁽⁵⁾. ولاهمية الزواج في المنظور الاجتماعي، فقد كان يدعى للبت عند ولادتها بأن يكون لها بيت مبارك⁽⁶⁾.

كان الرجال حريصين على اختيار الزوجات المناسبات، اللواتي يحققن لهم الشرف، والمكانة الاجتماعية المرموقة، ولذلك كانوا يفضلون الحرائر على الجواري، فروى عمارة اليمني، ان الوزير ضرغام حضر دفن امرأة له ماتت، فسأله: أعندك حرة غيرها؟ فقال له: لا، فرد عليه " فلا خير في دار ليست فيها حرة مهيبة"⁽⁷⁾.

وقد وردت رسالة في وثائق الجنيزة، أرسلها أخ من المهديّة بتونس إلى أخيه بمصر " يهود بن موسى"، يهنأه فيها على مصاهرته لخير الأسر، فقال له: " لقد أخذت ملحوظة من وصفك لزفافك السعيد والمبشر بالنجاح، وفهمت أن الله قد بارك لارتباطك بأكثر الناس شهرة، واولئك الذين يستطيع الإنسان أن يتباهى بهم في الشرق والغرب، فهذا لا يقدر بثمن، أكبر من الارض وما تملؤها، أشكر وسبح الرب الذي أعطاك الكثير، وجعلك مثل كبار بني اسرائيل ... وفي الحقيقة يجب ان تقول: ... الله ... يكمل ما أعطاه لك، ويجعل سعادتك دائمة، ويقويهم من خلالك، ويقويك من خلالهم، ويبارك كل منكما بالآخر..."⁽¹⁾.

(4) القلقشندي، صبح، ج 1، ص 300-301.

(5) Goitein: op.cit., v.3, p48

(6) Ibid, v.3, p.49

(7) عمارة اليمني، النكت، ص 147.

(1) Goitein: op.cit.,v.3, pp56-57

وعندما هنا عمارة اليمني الخليفة العاضد بمناسبة زواجه، من ابنة الصالح بن رزيك، لم ينس أن يشير إلى عائلتها الكبيرة، فهنا قائلًا: (2)

زانت قصورك بنت قصر لم تنزل | رحب الفناء بصادر أو وارد

وقد كان التكافؤ في زيجات الأشراف مطلوباً، ففي ضوء التمايز الاجتماعي بين الأشراف والعامّة، فقد منعت الدولة الأشراف من التزواج من العامّة، فكان على نقيب الأشراف الطالبين أن " يحتاط في أمر المناكح (أي مناكح الطالبين) ويصنها من العوام" (3). وأحياناً كان يتم تزويج البنات، وفقاً لمصالح شخصية، فقصده الصالح بن رزيك من تزوج ابنته للعاضد " أن يرزق منه ولداً، فيجتمع لبني رزيك الخلافة مع الملك" (4). وكان الشركاء يزوجون بناتهم لأحد شركائهم عندما يكون متمتعاً بحالة مالية جيدة، حتى تضمن العائلات زواج بناتها من الميسورين لمواجهة متطلبات الحياة، وكذلك لاتمام صفقة، أو مصلحة معينة، أو لضمان المشاركة، والمحافظة على علاقة العمل (5). وكان الرجال يرغبون في الزواج من الفتاة صغيرة السن، ولذلك كان سن زواج الفتيات مبكراً (6)، وجاء في عقود الزواج الواردة في وثائق الجنيزة، زواج فتيات دون سن البلوغ (7). كان الرجل إذا أراد الزواج، إما أن يكلف الخطابة، لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجه له، يكون قد سبق وأن وضع لها المواصفات الواجب توافرها فيها (8)، وكان الرجال - في بعض الأحيان- يدخلون في سفارة الزواج لأصدقائهم (9). وقد يختار الرجل عروسه بنفسه، فقد ورد في

(2) عمارة اليمني، النكت، ص 210

(3) القلقشندي، صبح، ج6، ص113.

(4) المقرئزي، اتعاط، ج2، ص289.

(5) Goitein: op.cit, v.3, p.90

(6) Ibid: v.3, p71-72

(7) Ibid: v.3, p.77

(8) ابن دانيال الموصللي، طيف الخيال، ورقة 304.

(9) عمارة اليمني، النكت، ص147.

رساله في وثائق الجنيزة خطاب من أب لابنه يقترح عليه، أن يختار بين ثلاث بنات، كان الابن على معرفة بهن(1).

وقد كانت عادة زواج الأقارب متفشية في مصر بالعصر الفاطمي؛ لتقوية الروابط الاسرية، فمن المفضل زواج الأبناء من بنات عمهم أو خالهم، ومن الممكن أن تتزوج أخت الزوج أحد أشقاء الزوجة(2).

ومن عادات الزواج، وجود ممثل للعروس، فكانت العروس بعدما تكون قد وافقت على العريس تختار ممثلاً لها، يقوم بالاتفاق أو تقريب وجهات النظر بين ما يطلبه، وما يطلبه العريس. وهذا يظهر من معظم اتفاقات عقود الزواج الواردة في وثائق الجنيزة، فقد كانت تشتمل على عبارات تشير إلى أن العروس قد اختارت فلان كممثل لها؛ لكي يفاوض ويتم زواجها(3). ويكون الأب عادة هو الممثل، وفي حالة غياب الأب، كانت الأم عادة تقوم بترتيب الزواج لابنتها، وعندما يكون الأبوان متوفين كانت العممة أو الجدة- في الغالب- تقوم بترتيب الزواج(4). أما المرأة ذات الخبرة مثل الأرملة، أو المطلقة، فكانت تستطيع - كما تذكر الوثائق - أن تقوم بالتفاوض مع الزوج على متطلباتها، كما كانت تستطيع أن تقوم بكتابة عقد الزواج مع الزوج بنفسها، دون أن يكون هناك ممثل لها(5).

كان الزواج يتم بكتابة عقد في حضور اثنين من الشهود على الأقل(6)، تعطيم الفتاة موافقتها على الزواج قبل كتابة العقد(7)، ويتولى كتابة عقد الزواج أحد القضاة، أو الشهود، أو العدول، الذين يمنحهم القاضي حق ممارسة هذا العمل(8). أما الخلفاء وكبار رجال الدولة، فإن قاضي القضاة بنفسه كان يتولى كتابة عقد الزواج لهم(9).

(1) Goitein: op. cit, v.3, pp60-61.

Ibid, v.3, pp.40, 76 (2)

Ibid, v.3, p.72 (3)

Ibid: v.3, pp.72, 77, 84 (4)

Ibid: v.3, pp.72, 87-88 (5)

(6) جروهمان، أوراق، ج1، ص100-103.

Goitein: op.cit, v.3, p.72 (7)

(8) جروهمان، أوراق، ج1، ص80-81.

(9) المقريري، اعطاء، ج1، ص293.

ويشتمل عقد الزواج على بعض الالتزامات والحقوق بالنسبة للزوجين، كما يتم فيه تحديد يوم الزفاف، وقيمة الصداق⁽¹⁰⁾. وقد تبين للباحثة من خلال دراستها لعقود الزواج الواردة في أوراق البردي، ووثائق الجنيزة، أن الصداق الذي يدفعه الزوج للزوجة، كان مقدماً، ومؤخراً⁽¹¹⁾. ويقبض المقدم عند اتمام العقد⁽¹⁾، أما المؤخر، فيدفع للمرأة على قسط أو أقساط في مواعيد محددة بعد الزواج⁽²⁾؛ تيسيراً على الزوج الذي قد لا تسمح له أوضاعه المادية بدفع المهر دفعة واحدة. وفي حالات أخرى لا يدفع المؤخر للمرأة إلا في حالة طلاقها؛ وذلك لتأمين أوضاع المرأة المادية بعد طلاقها، وللمحد من تعسف الزوج ضد الزوجة، بحيث يعيقه عن طلاقها دفع مؤخر صداقها، وذلك ما حدث مع أحد الشعراء المصريين، الذي جعله العوز ملولاً من زوجته، إلى حد دفعه إلى التفكير في طلاقها، ولم يثته عن عزمه، سوى مؤخر صداقها، فقال: (3)

ولله زوجة متى نظرتة	حبلت ليتهها عجوز عقيم
ظل في أسرها لأجل كتاب	معلم يقتضى به المعلوم

فهو يخشى الطلاق فقداً.....

ويتبين من عقود الزواج أن قيمة الصداق قد تفاوتت بتفاوت الأوضاع المادية للأزواج، ففي عقد زواج عقد عام (419هـ / 1028م) كان الصداق دينارين، دينار يقبض عند إتمام العقد، وهو بمثابة مقدم الصداق، والآخر مؤخر يدفع بعد انقضاء سنة واحدة على العقد⁽⁴⁾. وفي عقد زواج آخر، كان الصداق 10 دينار مقدم، و60 ديناراً مؤخر⁽⁵⁾.

Goitein, op,cit, v.3, p69-70 (10)

Goitein: op.cit., v.3, pp57, 77, 84, 103, 100-96، ج1، ص96-100، (11) جروهمان، أوراق، ج1، ص99-96.

(1) جروهمان، أوراق، ج1، ص99-96.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص96-100، 103 p85 Goitein: op.cit, v.3

(3) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص38.

(4) جروهمان، أوراق، ج1، ص99-96.

(5) Goitein: op.cit, v.3, p.77

وفي عقد زواج عقد بالفسطاط عام (443هـ / 1051م)، حدد المقدم بمائة دينار، والمؤخر بمائة وخمسين ديناراً⁽⁶⁾. وفي عقد زواج عقد عام (541هـ / 1146م) كان المقدم 40 ديناراً، والمؤخر 100 دينار⁽⁷⁾.

أما ما يمهره الخلفاء وكبار رجال الدولة؛ فقد كان كبيراً جداً، فعندما عقد العزيز قرانه على ابنة عمه سنة (369هـ / 979م)، أمهرها مائتي ألف دينار ذهباً⁽⁸⁾، وعندما عقد الأمر قرانه على السيدة علم الأمرية، أمهرها أربعة عشر ألف دينار⁽⁹⁾. وبلغ مهر ابنتي القائد الحسين بن جوهر ألف دينار⁽¹⁰⁾. وعندما عقد بلتكين قرانه على أخت كاتب السيدة العزيزية، أمهرها مائة ألف دينار⁽¹¹⁾.

ويتبين من وثائق الجنييزة، أن العريس كان يتكفل فضلاً عن دفع المهر، بتأمين دار الزوجية، وبتكاليف الزواج، مثل الاحتفال الذي يقام ليلة الدخلة، وتكاليف تزيين العروس في ليلة زفافها⁽¹⁾، كما يتكفل العريس بتقديم هدية عقد القران، والتي عادة ما كانت تتكون من خاتم، أو عدة خواتم⁽²⁾. في حين تتكفل أسرة الزوجة بإعداد الجهاز اللازم للدار، فقد تعهد والد العروس في عقد زواج - يرجع إلى العصر الفاطمي - بمستلزمات الفرش، وأدوات المطبخ⁽³⁾.

ولما كان الجهاز الذي تحمله العروس إلى دار الزوجية، تتوقف قيمته على المهر الذي يعطيه العريس للعروس، وعلى الإمكانيات المالية لأسرة العروس - التي كان يقع عليها عبء توفير قسم من الجهاز - فقد تفاوتت قيمته تبعاً لتفاوت الإمكانيات المالية للزوجين، فبلغ جهاز بعض العرائس مائة دينار، واحتوى على أدوات الطعام المصنوعة من المعادن الثمينة، في حين كان جهاز بعض العرائس زهيداً، قلما توجد فيه ملابس حريرية، أو أدوات مصنوعة من المعادن الثمينة⁽⁴⁾.

Ibid: v.3, p.57 (6)

Ibid: v.3, p84 (7)

(8) المقرزي، اتعاض، ج1، ص293.

(9) المصدر نفسه، ج2، ص221.

(10) المصدر نفسه، ج1، ص386.

(11) المصدر نفسه، ج1، ص305.

(1) Goitein: op.cit, v.3, pp70-71, 77

(2) Ibid, v.3, pp 70-71

(3) Ibid, v.3, p85

(4) Ashtor, Histoire des prix et des salaries dans L'orient medievale, p.165

أما جهاز بنات العاملين في السلطة، فكان يساوي مبالغ باهظة، فقد جهز الوزير يعقوب بن كلس ابنته بحوالي مائتي ألف دينار⁽⁵⁾. وجهاز طلائع بن رزيك ابنته التي زوجها للخليفة العاضد، بجهاز لم يسمع بمثله⁽⁶⁾، وقدر جهاز أخت كاتب السيدة العزيزية، بمائة ألف دينار⁽⁷⁾. أما الأقسام الرئيسية التي كان يشملها جهاز العروس، فتتكون من الملابس، والحلي، وفرش السرير ولوازمه، والأدوات المنزلية الأخرى⁽⁸⁾.

وبعد أن تنتهي العروس من إعداد الجهاز، تبدأ الاستعدادات للاحتفال بالزواج في حفل عام. وكان الاحتفال بالزواج شيئاً أساسياً لكل العائلات، وتختلف مظاهر الحفل من أسرة إلى أخرى، حسب مستوى الدخل. فكان حفل العرس بالنسبة للفقراء يقام في منزل العروس⁽⁹⁾. أما المترفون، فكانت حفلات أعراسهم تقام في دور مخصصة لإقامة حفلات الزفاف، يؤجرها ملاكها بمبالغ كبيرة⁽¹⁰⁾، وبعد أن يتكامل عدد المدعوين في هذه الدور، تقدم إليهم الأسمطة الشهية⁽¹¹⁾.

وكانت هذه الدور تقسم إلى قسمين، قسم للرجال، وقسم للنساء، يحتفل كل منهم على إنفراد، حيث تشير وثائق الجنيزة، إلى أن المآدب في هذه الدور كانت تقام للرجال والنساء بقاعتين مختلفتين⁽¹⁾.

وكانت العروس تذهب في يوم الزفاف إلى البلانة، التي تقوم بإعدادها اعداداً كاملاً لتلك الليلة، فتدلك جسمها جيداً، وتزيل منه الزائد من الشعر⁽²⁾. وبعد انتهاء دور البلانة من عملها يبدأ دور الماشطة، فتأتي إلى العروس، ومعها أصناف كثيرة من الزينة، وتقوم بعمل اللازم لتجميل العروس، وتكحيلها، وتمشيطها⁽³⁾، والباسها أفخر الثياب، وتضع على رأسها تاجاً مرصعاً بالجواهر⁽⁴⁾. والعرائس اللائي يندرجن ضمن فقراء العامة يستعرن الثياب والحلي⁽⁵⁾.

(5) المقريري، اتعاض، ج1، ص302.

(6) ابن سعيد، النجوم، ص461.

(7) المقريري، اتعاض، ج1، ص305.

(8) Goitein: op.cit, v.3, p.129

(9) الشربيني، هز القحوف، ص9-10.

(10) المقريري، اتعاض، ج2، ص207-208.

(11) Goitein: op.cit, v.3, p114

(1) Goitein: op.cit: v.3, p114

(2) الشيزري، نهاية، ص112.

(3) العيني، عقد الجمان، ص507.

(4) Neufeld: op.cit, p.149

(5) العيني، عقد الجمان، ص507.

وكان العريس يذهب في يوم الزفاف إلى الحمام، في صحبة أصدقائه، ويقوم الحلاق بحلاقة شعره، وتهذيب لحيته وتزيينه، استعداداً لحفلة الزفاف(6)، ويلبس العريس ملابس فاخرة (7). وكانت العروس تزف في هودج(8)، ويطاف بها في شوارع المدينة، وأسواقها، وسط ضجيج الطبول والزمور(9)، وكانت تجلس في مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها، بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات(10)، وهي في أبهى زينة، وأجمل ثياب، وقد التف حولها أفراد أسرته، والمدعووات(11).

وكانوا يدورون بالعريس في الشوارع، والطبول تدق من حوله، والشعراء والمغنون حوله "والجدعان تخبط بالنباييت"(12)، ولا يزالان به حتى يصل إلى دار العروس مصحوباً بأفراد عائلته، وأصدقائه. ويكون في صحبة العروس أيضاً عائلتها وصديقاتها(13)، فيقام حفل صاخب، يشترك فيه أصحاب الرباب، والنساء يزغردن، وينشرن الملح على العروس، خوفاً من عين الحسود(1). ثم يأخذ العريس عروسه إلى منزله، وسط هذا الحشد، في زفة تضئها الفوانيس، وتصحبها الموسيقى والأغاني(2).

وتتبلور متانة الأسرة بعد الزواج بمجيء الأولاد. ويبدو أن كثرة الأولاد لم تكن من الأمور المرغوبة، ولذلك كان تنظيم النسل شائعاً في العصر الفاطمي، وربما أصبح يكرس ظاهرة اجتماعية، دفعت المحتسب إلى أخذ العهد على الأطباء أن "لا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل"(3).

(6) Goitein: op.cit, v.3, p.56

(7) Neufeld: op.cit, p.149

(8) الهودج: من مراكب النساء، انظر الفيروز آبادي القاموس، ص1209. انظر شكل الهودج، الملاحق، لوحة (52)

(9) ابو صالح الأرمني، تاريخ، ص129.

(10) المقرئزي، اتعاظ، ج2، ص207.

(11) Heufeld: op.cit, p.149

(12) الشريبي، هز القحوف، ص9-10.

(13) Neufeld: op.cit,p.149

(1) Goitein, op.cit, v.3, p70.

(2) Ibid, v.3, p70

(3) الشيزري، نهايه، ص98.

وقد تتضاءل الفرحة بالانجاب لدى البعض بازدياد عدد الاولاد، وضيق ذات اليد، فيتمنون عقم الزوجة، يعبر عن ذلك احد الشعراء المصريين، فيقول: (4)

ولله زوجة متى نظرتة	حبلت ليتهها عجوز عقيم
---------------------	-----------------------

ويشكى ظافر الحداد من كثرة العيال وسوء الحال، فيقول: (5)

وتكاثر الأطفال فاق تجلدي	لكنني كم قدر ما أتجد
فكأننا لبكائهم في ماتم	طول الزمان وما لنا من نفقد

ولما كانت رؤية الناس لأهمية الزواج تنبع من وجود الابناء؛ " لتعمير الديار، وإدراك الثأر، ومورد ضد الفاقة والعوز" (6)، فقد كان الناس يفضلون المولود الذكر على الأنثى، فإذا جاء المولود ذكراً عمت الفرحة، وأغدق الجميع على الأم الهدايا، وأصبحت أثيرة لدى زوجها (7). ويتضح تفضيل الناس المولود الذكر على الأنثى، في خطاب ورد في وثائق الجنيزة، أرسله أخ إلى أخيه بمصر " يهود بن موسى بن سيغمار"، عندما وصل إلى علمه أنه قد تزوج في مصر، فبعد أن هنأه بزواجه، قال له: " الله يكمل ما أعطاه لك، ويجعل سعادتك دائمة، ويبارك كل منكما بالأخر، وربما يباركك بولد ذكر.. " (8)

(4) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص38.

(5) ديوان، ص180.

(6) ابن دانيال، طيف الخيال، ورقة 164.

(7) المقرزي، السلوك، ج1، ق2، ص342.

(8) Goitein: op.cit, v.3, pp56-57.

ويلاحظ أن الإحتفال بالمواليد كان قاصراً على المولود الذكر، إذ لم يرد ما يشير إلى احتفالات خاصة بالمواليد الإناث، ويؤكد ذلك فرحة الناس بالمولود الذكر أكثر من الانثى. فكان من عادة الخلفاء عندما يرزقون بولد ذكر، الجلوس في اليوم السابع للمولود في ايوان القصر، ويقيمون إحتفالاً عظيماً بهذه المناسبة⁽¹⁾. وقد وصف ناصر خسرو مظاهر الإحتفال العام بمولود للخليفة المستنصر، فقال: أن الخليفة المستنصر عندما رزق بمولود عام (439هـ / 1047م)، " أمر الناس بإقامة الأفراح، فزينت المدينة، والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني"⁽²⁾.

ويمكن القول أن سرور الخلفاء بالمولود الذكر، يعزى إلى دوره في تأمين سلطانهم، وبقاء السلطة في نسلهم، حيث كان الذكر يتولى منصب ولي العهد في بعض الأحيان. وقد تضم العائلة فضلاً عن الزوجين والأولاد - حسبما ورد في وثائق الجنيزة - الجد والجددة، والبنات المطلقة، والحماة، والابن وزوجته. وقد يضم البيت زوجتين، (ضرتين)⁽³⁾ ويبدو أن تعدد الزوجات لم يكن من الأمور المستحسنة، ولهذا كان الخليفة المعز يحث حاشيته وأعوانه على عدم الاستكثار من النساء، والاكتفاء بزوجة واحدة، فخاطبهم قائلاً: " الزموا الواحدة التي تكون لكم، ولا تشرّهوا إلى التكاثر منهن، والرغبة فيهن، فيتنغص عيشكم، وتعود المضرة عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم، فحسب الرجل الواحد الواحدة"⁽⁴⁾. ومن الطبيعي أن يكون تعدد الزوجات من الأمور المتعبة للرجل، فعليه أن يرضيهن جميعاً، وكان الرجل إذا تزوج أكثر من واحدة، فكل امرأة تصبح بالنسبة للأخرى (ضرة)، وعند ذلك تشتد بينهن العداوة، وعبادة الضرائر من الأمور المشهورة؛ لذلك يقال للناس الذين تشتد عدواتهم، " كأن بينهم منافسة الضرائر"⁽⁵⁾.

(1) ابن ميسر أخبار، ص109، المقرئزي، اتعاط، ج2، ص224.

(2) سفرنامه، ص117.

(3) Goitein: op.cit, v,3, p.33-47

(4) المقرئزي، اتعاط، ج1، ص172.

(5) عمارة اليمنى، النكت، ص147-148.

كان الأب يتحمل مسؤولية الأسرة كرب لها في كل ما يخص بيته، وأولاده، فهو المسؤول عن توفير سبل العيش الكريم لأسرته⁽⁶⁾. إلا أن سلطة الأم داخل أسرتها – على ما يبدو – فاقت سلطة الأب، حيث كانت غلبة النساء على الرجال في العصر الفاطمي أمراً مسلماً به، " فغلب النساء الرجال على الخروج"⁽⁷⁾. وقد كانت الأم في حالات عديدة هي المسؤولة عن اختيار التعليم لابنائها، وليس الأب⁽⁸⁾.

وقد تعبر الشروط القوية التي كانت تفرضها المرأة على الزوج في عقود الزواج⁽¹⁾، عن موقعها داخل أسرتها. وأن الدعوة في المجالس الدينية إلى تكريم الأم، والبر بها⁽²⁾، تدل على مكانة الام داخل اسرتها.

وقد إستمدت المرأة مكانتها في أسرتها، من دورها الفاعل في بيتها، حيث كانت تقوم بالأعمال المنزلية في نطاق أسرتها كربة بيت، وتقوم بأعمال عديدة خارج نطاق اسرتها؛ لتأمين حياة كريمة لعائلتها⁽³⁾. ويقع على عاتقها دور كبير حين يسافر زوجها خارج البلاد، أو اذا طلب للحرب، فكانت تقوم بمهام كثيرة، فتدير المنزل، وتنظم، وتبيع، وتشتري، وتغزل، وتنسج⁽⁴⁾. لقد عكست بعض الروايات التاريخية والأشعار، الصلات الحميمة بين الزوج، وزوجته، وما جعل الله بينهما من مودة ورحمة. فقد حزن الخليفة العزيز على وفاة زوجته حزناً كبيراً، ولشدة تعلقه بها كان يزور قبرها كثيراً⁽⁵⁾.

Goitein: op.cit, v.3, pp33-47, 72 (6)

(7) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص348.

Goitein: op.cit, p.185, v.3, p.246 (8)

(1) حول هذه الشروط، انظر ص 149 من الأطروحة.

(2) المجالس المستنصرية، ص83.

(3) حول الاعمال التي مارستها المرأة خارج أسرتها، انظر ص 149-151 من الأطروحة.

(4) Goitein: op. cit, v.3, p.319

(5) المقرئزي، اتعاظ، ج1، ص

ومن الأزواج الذين عرفوا بحبهم لزوجاتهم، الخليفة الأمر، فروى المقرئ أن زوجته غضبت عليه حينما وهب غلاميه ثمانين ألف دينار، ولم يخصصها بما خصهما، فمعتة أن يدخل عليها القصر، الا حينما يهبها ما وهبه للغلامين، ولم يلبث الأمر أن حقق لها مطلبها، فأحضر الفراشين، وأرسل لها معهم مائتي ألف دينار ذهب، ولما صار اليها هذا المال رضيت عنه، وفتحت له باب القصر(6). وقد ارتبط ابو الحسن الكاتب البزاز بزوجه ارتباطا كبيرا، فحين توفيت حزن عليها حزنا كبيرا(7).

وقد تعلق المؤرخ المسيحي بزوجه أيما تعلق، فرثاها قائلاً: (8)

وقد حكمت أيدي المنايا بجورها	وقد سلبت من كان في القلب
فيا ليتني للموت قدمت قبلها	ويا فليت الموت أذهبنا معا

وهذا عمارة اليميني في رثاء زوجه، يصحو على حزنه وآلامه عند السحر، ويصف الوحشة التي خلفتها الزوجة برحيلها، فأضحت الديار مقفرة، موحشة بعد أن كان الانس يملؤها، فيقول: (9)

نبهتني حمامة بسحير	عند تغريدها على الأغصان
زدت همأ بنوحها فوق همي	واعتراني حزن على أحراني
وخلت بعدها الديار فأضحت	موطناً للذئاب والغربان
بعد عهدي بها أنيسة رسم	فرمتها المنون بالشنان

وتعد الهدايا التي كان يرسلها الأزواج إلى زوجاتهم في القاهرة، أثناء سفرهم(1)، صورة أخرى من صور الوفاء للزوجة.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص221.

(7) المسيحي، أخبار، ج40، ص224.

(8) المصدر نفسه، ج40، ص17، الصفدي، الوافي، ج4، ص8، اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص29.

(9) عمارة اليميني، النكت، ص377.

(1) Goitein, New light on the begining of the Karim Merchants, JEsHo1, 1958, p.179

والحياة الزوجية لا تدور في فلك الحب والانسجام دائماً، وإنما قد يتخلل هذه العلاقة شيء من الفتور، قد يصل إلى الخلاف فالخصام. وربما كان أقوى الأسباب في وجود المشاكل الزوجية، هو اتخاذ الرجل جارية للتسري، وتركه حقوق زوجته، فقد استطاعت بعض الجوارى استمالة الأزواج اليهن، وجذبهم، والإيقاع بهم في حبائلهن، فوردت في رسائل الجنيزة أمثلة عديدة على ترك الأزواج لزوجاتهم وأطفالهم، بسبب حبهم للجوارى⁽²⁾، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث مشاكل بين الأزواج، فروى عمارة اليميني أن رجلاً مصرياً أهدى إليه جارية؛ بسبب ما جرى بينه وبين زوجته من شر عليها⁽³⁾.

وقد تحدثت المشاكل الزوجية؛ نتيجة لطمع الزوج بأموال الزوجة، أو تصرف المرأة بأموال زوجها دون علمه⁽⁴⁾. وقد تحصل الخصومة بين الزوجين؛ نتيجة لصعوبة تكاليف المعيشة، التي تضطر الزوج إلى التقتير، وعدم إعطاء أهله ما يكفيهم، مما يدفع المرأة أن تلجأ إلى القضاء؛ للحصول على نفقة من زوجها الممتنع عن الإنفاق عليها، وعلى أولادها⁽⁵⁾.

أما إذ استحال إيجاد وفاق بين الزوجين فإنهما يلجآن إلى الطلاق⁽⁶⁾، وقد كانت المرأة تلجأ إلى طلب الطلاق حين تعرضها للضرب، أو نهب أموالها من قبل الزوج⁽⁷⁾.

وكانت ثمة عواطف رقيقة نحو البنوة، فمحببة الأبناء على علاتهم طبيعة فطر الله الناس عليها، يعبر عن هذه الحقيقة أحد الشعراء المصريين بقوله⁽⁸⁾:

لا فرق بينكم وبين فؤادي	في حال قربي منكم وبعادي
فلقد حبيتكم على علاتكم	كمحبة الأبناء للأولاد

Goitein: op. cit, v.1, pp.135- 136. (2)

(3) عمارة اليميني، النكت، ص144.

Goitein, op.cit, v.3, p.187 (4)

Ibid, v.2, p.174 (5)

(6) جروهمان، أوراق، ج1، ص100-103.

Goitein: op.cit, v.3, p.187 (7)

(8) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص1.

وخير من وصف عواطف الأبوة، وحنانها تلقاء الولد، الشاعر ظافر الحداد، فكان يتوسل إلى من يمدحهم بإثارة عاطفة الأبوة، وهي عاطفة تقوم على إثارة نوازع الرحمة والشفقة، فأخذ يعدد لمدوحه عدد اولاده، ويشكو عسر حالهم، وضيق أمرهم، وأنهم لا يريحهم من ذلك العناء الذي هم فيه الا عطاء الممدوح:⁽¹⁾

ولي حاجة يرضى بها الله اولا	وفيهما ثناء شائع ومديح
فلي عيلة عشر، وجاري خمسة	وباطن احوالي بذاك قبيح
وأحوالهم في فرط عسر وضيقه	وليس لهم الا انذاك مريح

وفي شكوى أخرى لأحد ممدوحيه من الأمراء، يزداد صراخه من كثرة العيال، وسوء الحال، وخوف المال، فيقول:⁽²⁾

مولاي قد أوليت عبدك نعمة	فله عليك بها ثناء سرمد
والآن قد أضحت حواشي حاله	هدبا فلا ترضى، ولا هي تعقد
وتكاثرت الاطفال فاق تجلدي	لكنني كم قدر ما اتجلد
فكأننا لبكائهم في مآتم	طول الزمان وما لنا من نفقد

ومن مظاهر حب الأب لابنته، تزيينها والباسها أحسن اللباس وأغلاه عند الزواج، حتى ترتفع في عين زوجها وأهله، ففي عقد زواج ورد في اوراق الجنيزة، تعهد فيه الأب بأن يعطي للعروس، وكانت ابنته الكبرى، الملابس الخاصة بزوجته المتوفية، والمجوهرات، وذلك بعد أن يقسمها مع أختها الصغرى، كما تعهد بمستلزمات الفرش، وقد قيمت هذه الهدايا بين (40 و 50 ديناراً)، كذلك تعهد الأب أن يعطي العروس – ابنته – نحاسا قدر بنفس القيمة⁽³⁾.

(1) ديوان، ص 99-100.
(2) ديوان، ص 101 – 102.
(3) Goitein: op.cit, v.3, p.85

وقد جهز يعقوب بن كلس ابنته بجهاز عظيم، قدر ثمنه بمائتي الف دينار⁽⁴⁾، و جهز بدر الجمالي ابنته " بجهاز عظيم، وأكثر من شراء الجواهر القيمة القدر لها"⁽⁵⁾. كما نقل طلائع بن رزيك جهازاً مع ابنته - التي زوجها للعاضد - لم يسمع بمثله⁽⁶⁾.

ومن مظاهر المودة بين الآباء وأبنائهم، سرورهم بزواجهم، فقد كان ابتهاج بدر الجمالي بزواج ولده عظيماً؛ فتعبيراً عن فرحته بهذه المناسبة، نثر الاموال الجلييلة على الناس، وقد أشار ظافر الحداد إلى ذلك في قوله:⁽⁷⁾

فتحت للناس أبواب السرور به	فالعرس في كل قلب غير مختصر
نثرت للناس من عين ومن ورق	فيه فلم يبق من لم يحظ بالبدر

وكان سرور القاضي محمد بن النعمان بزواج ابنته كبيراً، فقام تعبيراً عن فرحته بزواجها؛ بإطعام الناس ثلاثة أيام متوالية⁽¹⁾.

ومن علامات عطف الأب على أبنائه، تحمله مسؤوليتهم حتى بعد أن يكبروا، فقد ورد في وثائق الجنيزة، أن بعض الآباء كانوا يبنون لابنائهم بيوتا ملائمة ليتزوجوا فيها، وأحياناً كان الأب يبني لابنته أيضاً، وليس لابنه الذكر فقط⁽²⁾.

ومن مظاهر حب الآباء لابنائهم الحزن عليهم، والجزع لفقدهم، فعمارة اليمني يرثي ولده حسيناً بدمع غزير، وقلب ملوع، فقد كان مؤنسه، وعدته، وبه كان سيصول، ويجول، فإذا به صفر اليبدين:⁽³⁾

(4) المقرئزي، **اتعاضد**، ج1، ص302.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص162.

(6) ابن سعيد، **النجوم**، ص461.

(7) ظافر الحداد، **ديوان**، ص99-100.

(1) المقرئزي، **المقفي**، ج7، ص348.

(2) Goitein: op.cit., v.3, p.38

(3) عمارة اليمني، **النكت**، ص329.

والقلب في غمراته متبول	الدمع يهمل والفؤاد عليل
متأجج بالحر ليس يزول	ولقد أبيت وفي حشائي جمره
وبه على الأيام كنت أصول	من فقد طفل كان لي ومؤنسي

إن عاطفة الأبوة التي تجيش في صدر أسامة بن منقذ، جعلته يفرع من تلك الحجارة التي أهيلت على جسد ابنه، وكان أكثر ما يثير جراحه زيارة قبر ابنه ابي بكر⁽⁴⁾. واعتنت الام بأبنائها عناية كبيرة، فكانت تحرص على تعليمهم⁽⁵⁾، فترسلهم إلى الكتاتيب، واعتنت باكسابهم بعض المهارات، فكانت تعهد بهم إلى بعض معلمي السباحة؛ لتدريبهم على اتقانها⁽⁶⁾.

وكان للأم دور فاعل في الحفاظ على سلطان ولدها، فعندما وقع تشكك في أحقية المستعلي للخلافة من قبل الفرقة النزارية، سعت أم المستعلي الى اثبات احقية ابنها بالخلافة دون اخوته، فكتبت سجلاً شرحت فيه كيفية اختيار المستعلي دون اخوته، وارسلته الى البلاد التابعة للخلافة الفاطمية⁽⁷⁾.

ومن الامهات اللواتي عرفن بحرصهن على أولادهن، أم الوزير الافضل بن بدر الجمالي، فعندما كان ابنها غائباً عن القاهرة في مهمة القضاء على ثورة نزار، وأعوانه في الاسكندرية، كانت تندس بين الناس في الاسواق، والجوامع، وهي متكرة، وتلقي على أسماع الناس ذماً في الأفضل، مدعية أن لها ابناً في جيشه تخشى عليه من الحرب، وتستمع إلى ما يعلق به السامعون، ولما عاد الأفضل بعد انتصاره، نقلت اليه ما كان يقال عنه، وانتقم الأفضل من الذين قدحوا فيه، وأحسن إلى من قال فيه خيراً⁽¹⁾.

(4) أسامة بن منقذ، ديوان، ص298-299.

(5) Goitein: op.cit,v.2, p185 v.3, p.240

(6) ابن الطوير، نزهة، ص116-117.

(7) السجلات المستنصرية، ص109-118.

(1) المقرئزي، اتعاض، ج2، ص155-156.

وكانت العلاقة بين الابناء ووالديهم، تقوم على المودة والاحترام، فكانت المجالس الدينية تدعو الى تكريم الأم والبر بها⁽²⁾، وكان الابناء يحترمون أمهم، فيقبلون يديها، وينادونها " سيدتي"⁽³⁾. ومن مظاهر حب البنت لوالديها، خوفها عليهم، فعند زواجها، وفي حالة كبر سن أمها وأبيها، وعدم وجود من يرعاهم، كانت - أحياناً - تشتترط على الزوج في عقد الزواج العيش في منزل عائلتها، لرعاية والديها؛ نظراً لكبر سنهم⁽⁴⁾. وكانت البنت تشتترط - أحياناً - على زوجها في عقد الزواج، ألا يمنعها من زيارة أهلها، ولا يمنع أهلها من زيارتها⁽⁵⁾. وكان تعلق بعض الابناء بأمهاتهم سبباً في اشتراطهم على زوجاتهم في عقود الزواج، أن يعشن مع أمهاتهم في دار واحدة⁽⁶⁾.

ويظهر الترابط بين الابن وأبيه واضحاً، في تبادل المسؤوليات، والأعمال بينهما، فكان الابن - كما تشير وثائق الجنيزة - غالباً ما يعمل في تجارة أبيه، أو وظيفته⁽⁷⁾. ومن مظاهر حب الأبناء لوالديهم؛ الحزن عليهم، والجزع لفقدهم، حتى أن احد الابناء - كما تشير وثائق الجنيزة - مات حزناً على وفاة أمه⁽⁸⁾. وقد حزنت ابنة الخليفة العزيز على وفاة أمها حزناً عظيماً، وأقامت عند قبرها شهراً تقيم العزاء⁽⁹⁾. ورأى المسبحي في موت أبيه خطباً عظيماً، جاء به الزمان، فرثاه قائلاً:⁽¹⁰⁾

خطب ألم من الزمان عظيم	فالدمع سح للمصاب سجوم
------------------------	-----------------------

(2) المجالس المستنصرية، ص83.
(3) Goitein: op.cit., v.3, p.240
(4) Ibid: v.3, p.90
(5) جروهمان، أوراق، ج1، ص73، 78، 89، 97.
(6) Goitein: op.cit, v.3, p86
(7) Ibid: v.3, p40
(8) Ibid., v.3, p22
(9) المقريري، اعطاء، ج1، ص
(10) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص265.

أما تميم بن المعز، فلا يرى للحياة معنى، ولا جمالاً بعد فقد أبيه: (11)

فليذق غيري الحياة فإني	لا أرى للحياة بعدك طيباً
------------------------	--------------------------

كانت العلاقة بين الاخوة تقوم على الاحترام، يدل على ذلك شيوع عادة تقبيل يد الاخ الأكبر⁽¹⁾. وكانت الروابط بين الاخوة متينة، فعندما تحدث مشادة بين الاخ وأخيه، يتراجع أحدهما، معلناً تمسكه بالآخر⁽²⁾.

إن صدق العاطفة عند الأخ تجاه أخيه، تبدو جليلة في شعر الرثاء، والذي يبين حالة اليأس والحسرة التي يصل اليها الأخ الذي فقد أخاه، فقد بكى تميم بن المعز أخاه الشاب عقيل، فقال: (3)

فسأبكك يا عقيل بقلب	فيه من حزنه عليك سعيير
---------------------	------------------------

وهذا القاضي الفاضل، يستعيد بأسى ذكرياته مع أخيه، حين كانا يتخاصمان، فيصد عنه، فليته يعود، ويعود معه ذلك الخصام، الذي أضحى حبيباً إلى قلبه، يقول: (4)

وكان أجل الخطب عندي صده	فمن لي؟ وطوبى لو رجعت إلى الصدد
-------------------------	------------------------------------

وكان تعلق بعض الاخوة بإخوانهم، سبباً في اشتراطهم على زوجاتهم في عقود الزواج، أن يعشن مع امهاتهم، واخوانهم في دار واحدة⁽⁵⁾.

ومن مظاهر حرص الأخ على أخيه، تقديم المساعدة المادية له، فقد بلغ من توالي إنعام الخليفة العزيز على أخيه تميم بن المعز، أن تميماً كاد يدركه الافحام من لطائف بره به، حتى عبر عن ذلك بقوله: (6)

(11) تميم بن المعز، ديوان، ص57.

(1) Goitein: op.cit, v.3, p18

(2) Ibid: v.3, p15.

(3) تميم بن المعز، ديوان، ص288.

(4) القاضي الفاضل، ديوان، ج2، ص392.

(5) Goitein: op.cit, v.3, p86

(6) تميم بن المعز، ديوان، ص85.

أفحمتني بلطيف البر منك فما	ادري بأي مكافأة أكافيك
حارت براعة فهمي فيك فانحصر	عن وصف معنى وحيد من معانيك

كما كانت علاقة الأخت بأخيها متينة، فكانت عندما تتزوج، أو تلد يقوم اخوها بمجاملتها، باعطائها بعض النقود " كنقوط" لهذه المناسبة⁽⁷⁾. وكان الأخ يتكفل بأخته عند وفاة والديه، ولا يطمع في ارثها، وعندما يقسمان الارث يكتبان اقرارا بأن كل منهما اخذ حقه، وأنهما اقتسما ميراثهما حسب شريعة الله سبحانه وتعالى، ويشهدان الشهود على ذلك⁽⁸⁾.

وقد تعلق المستنصر بأخته أيما تعلق، فكان يطلعها على أمور الدولة، فقد استدعاها قبيل وفاته، وقبل يديها، واستوصاها بولاية العهد لابنه المستعلي⁽⁹⁾.

ان عاطفة الاخوة التي تجيش في صدر أخت الظافر، جعلتها تسعى فور مقتل أخيها الظافر، للتأثر من قتله، فاستجدت لتحقيق ذلك، بطلائع بن رزيك، وبالفرنج⁽¹⁾.

(7) Goitein: op.cit, v.3, p22

(8) جروهمان، أوراق، ج6، ص197-199.

(9) ابن ميسر، أخبار، ص100-101.

(1) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص400، رنسيان، تاريخ ج2، ص591.

الخاتمة

توصلت الباحثة من خلال دراستها للحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي، إلى النتائج التالية:

* اختير موقع القاهرة؛ لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، فروعى وقوعه على طرق التجارة، وهذا يوفر التمويل اللازم للجند، وللناس. وشكل جبل المقطم وخليج القاهرة في الموقع موانع طبيعية أمام أية هجمات خارجية.

* يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحصين؛ إذ إنَّ المدينة بنيت لتكون حصناً للفاطميين، وأنصارهم يحتمون بها من الأعداء؛ ولأجل ذلك شيدت للمدينة الأسوار التي تضمن لها الأمن والحماية.

* كان القصر الشرقي والجوامع محاور أساسية ثابتة في التخطيط، قامت مباني المدينة حولهما. * تخلّصت القاهرة من محتواها السكاني الطبقي، وفقدت مكانتها كمدينة " رسمية" مخصصة للخاصة بعد أن أباح بدر الجمالي - عام (466هـ / 1074م) - للمدنيين على اختلاف طبقاتهم بسكانها. فجمعت حينئذ بين التحصينات العسكرية، والأغراض المدنية، وصارت مركز التكتل للكثافة السكانية بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك.

* لم يكن النمو العمراني للقاهرة عملية متصلة، فثمة فترات متناوبة من النمو والتقلص عاشتها المدينة، توقفت على الظروف السياسية، أو الاقتصادية التي سادت بها.

* كان العصب الرئيس لسكان القاهرة عند تأسيسها من حيث العدد والمكانة من العسكر؛ لأنها بنيت لتكون مركزاً للخليفة والقوة العسكرية التي تسنده، وظل التفوق العددي في المدينة للعسكر، حتى بعد السماح للمدنيين بسكناها عام (466هـ / 1074م).

* قام حضور العناصر البشرية في المجتمع على أساس مقدرة رجالها العسكرية، إذ عمل الفاطميون على اصطناع العناصر التي تميزت بالمقدرة القتالية، كالمغاربة، والصقالبة، والأتراك، والسودان، والأرمن.

* لقد تراوحت أهمية العناصر السكانية في القاهرة حسب قوة مشاركتها في الاحداث العامة، وتأثيرها على المجتمع؛ الأمر الذي ارتبط ارتباطاً كبيراً بحجمها، ودرجة قوتها.

* كونت جيوش الفاطميين قوى فاعلة في المجتمع، من حيث احداث الاستقرار والفوضى معاً، حيث استندت عليهم الخلافة في الاطاحة بالمتأمرين عليها، وكان لهم دور في حفظ الأمن في المجتمع، كما تحولوا أحياناً إلى عصابات تثير الفوضى، وتقلق الأمن، فقاموا بحركات تمرد، وعصيان، ساهموا من خلالها في إحداث الازباقات الاجتماعية، لما يرافق حركاتهم من قتل وسلب واثارة الرعب بين السكان، وغالبا ما تكون هذه الحركات؛ لتلبية احتياجاتهم بأية وسيلة من خلال مطالبتهم الخلفاء بصرف رواتبهم المتأخرة، وبزيادة أرزاقهم، مما ساهم في تدهور الأحوال الاقتصادية.

* لم تكن نظرة الناس إلى جيوش الفاطميين نظرة ايجابية، فلم يرضوا عن اعمالهم، وضاقوا بتصرفاتهم، فاشتد كرههم لهم، وخاصة بعدما ثبت لهم أنهم لا يسعون الا الى الاستئثار بالأموال، وتحقيق أطماعهم.

* لم يعمل الفاطميون على تثبيت التوجهات التي تؤمن الاستقرار والانسجام بين جيوشهم الذين جاءوا من أماكن عديدة مع تقاليدهم، وأساليب حياتهم المتنوعة، فقد أخفقوا في تكوين جو من التفاهم والتعاون بينهم، حيث قامت سياسة الدولة الفاطمية على أساس حفظ توازن القوى في الدولة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر، للحد من نفوذه. مما جعل علاقة تلك العناصر مع بعضها أقرب إلى التداخل منها إلى التكامل، فاشتد النزاع بين عناصر الجيش؛ لمحاولة كل عنصر الاستئثار بالامتيازات، والنفوذ دون الآخر. وأصبح كل عنصر يحاول القضاء على العنصر الآخر دون الاهتمام باستقرار الدولة. وأصبح الجيش الخطر الرئيس على الدولة، ومصدر البلاء على الرعية، فقد أدت خصوماته إلى حدوث إرباك في الإدارة، وفي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، وفي عرقلة الأعمال الحضرية المفيدة.

* لقد حرصت الدولة على إرضاء كافة الاتجاهات الدينية في المجتمع المصري، عن طريق تأكيد البعد الديني في سياستها إزاء العامة- الذين يمثلون كافة الاتجاهات الدينية- من خلال السير على مبدأ لا إكراه في الدين، اذ لم يرد ما يشير إلى تدابير قسرية مارسها الدولة لاجبار العامة على اعتناق المذهب الاسماعيلي.

كما تمتع أهل الذمة بحرية الدين، ولم تتدخل الدولة في شعائرهم الدينية. وكان الذميون جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي، ولا تشير المصادر إلى معاملة خاصة لمهن وحرف الذميين، فقد مارسوا كافة أنواع النشاط الاقتصادي دون عقبات، مثل المسلمين. وأتاحت لهم الدولة قدراً من الحرية داخل نطاق الدولة، فكان لهم حضور في الوظائف العامة في الدولة، حيث أضحى أهل الذمة المتمرسون في شؤون الإدارة عنصراً لا غنى عنه في تصريف شؤون الدولة.

* كان الاتجاه العام نحو تعايش الطوائف الدينية في جو من الانفتاح، والعيش المشترك، فقد شارك أهل السنة الاسماعيليين الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، وارتبط أهل الذمة مع المسلمين بعلاقات اجتماعية متعددة.

* تميزت الحياة الاجتماعية بسيادة المظاهر الدينية، التي أظهرتها صور النشاط اليومي، والممارسات الاجتماعية في الأعياد والاحتفالات، واللهو والألبسة والأطعمة، حيث قام الفاطميون بفرض قيود اجتماعية على الناس في حال تجاوزهم المبادئ الدينية، والآداب الاجتماعية في نشاطهم اليومي، لا سيما وان الامام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الارض، فجاء حرص الخلفاء على تأكيد هذا المعنى من خلال التظاهر بالمحافظة على القيم، والآداب العامة في المجتمع.

* شهد المجتمع المصري في العصر الفاطمي، تكتلات اجتماعية قائمة على أساس أئني، وحرفي، ومذهبي، حيث شكل ذو الأصول المشتركة، وأصحاب الحرفة الواحدة، والمنتمين إلى مذهب واحد، كتلة اجتماعية كانت تربطها روابط تدفعها إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي، ويظهر دور هذه الروابط في الفترات الصعبة، حيث يتضامن المنتمون إلى هوية أئنية، أو أصحاب الحرفة الواحدة، والمذهب الواحد، ويتخذوا موقفاً موحداً في كثير من الاحيان.

* لم ينعزل الفاطميون عن رعاياهم، بل حاولوا التقرب منهم، في اطار الدعاية للنظام السياسي، فعملوا على تدعيم الروابط الاجتماعية، بينهم وبين رعاياهم، عن طريق منحهم الأموال، والمآكل، والألبسة في المناسبات المختلفة؛ بهدف كسب ولائهم.

* لم يرتبط عامة المصريين بالخلافة بولاء روحي، فوقفوا إلى جانبها، وتصدوا لصالح الدين عندما حاول اسقاط الخلافة الفاطمية، لما تمتعوا فيه من عطف ورعاية في ظل الدولة الفاطمية، الا ان موقفهم من الخلافة ما لبث أن تبدل، عندما سعى صلاح الدين إلى التقرب منهم، والغى عنهم ضرائب عديدة، فمالوا اليه وأحبوه، وعندما أسقط خلافة الفاطميين، لم يكن لهم أي دور ايجابي تجاه الخلافة الفاطمية؛ مما يؤكد أن المذهب الاسماعيلي لم يتغلغل بينهم بشكل يجعلهم يؤمنون به، ويدافعون عن بقائه.

* لقد بنيت الهرمية الاجتماعية في المجتمع المصري في العصر الفاطمي على أساس السلطة والثروة، حيث قسمت السلطة والثروة المجتمع المصري من الناحية الاجتماعية والاقتصادية إلى ثلاث طبقات:

طبقة الخاصة: وتضم جميع المشاركين في السلطة، الذين يتمتعون بالنفوذ والثراء. وطبقة العامة: وتضم غير المشاركين في السلطة، الذين يعانون من الفقر والعوز والحرمان. والطبقة الوسطى: تنتمي إليها الفئات التي يفصلها عن الخاصة عدم مشاركتها في السلطة، ويرفعها عن العامة ثراؤها.

وثمة ترابط بين مؤشري الموقع من السلطة والثروة، المعتمد عليهما في تحديد المنزلة الاجتماعية، حيث أن العمل في السلطة يؤدي إلى زيادة الثروة، كما ان ازدياد الثروة قد يؤدي الى الاقتراب من السلطة. وكان عامل السلطة أقوى من عامل الثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فرغم ثراء التجار، الا أنهم لم يندرجوا في طبقة الخاصة؛ لعدم مشاركتهم في السلطة.

* كانت الطبقة الاجتماعية الواحدة على مستويات، فهي قد تضم بين ثناياها أفراداً يتفاوتون من حيث درجة الثراء، أو يتفاوتون من حيث مستوى مهنتهم.

* ويصح القول أن المجتمع المصري في العصر الفاطمي اعترف بمراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحاً على بعض، فكان من الممكن أن يرتقي الفرد من طبقة أدنى إلى أعلى، أو ينحدر من طبقة أعلى إلى أدنى، تبعاً لموقعه من السلطة والثروة.

* لقد تمتعت نساء العصر الفاطمي بصفة عامة بالاحترام والنفوذ، فكان لهن دور على الساحة السياسية، وتمتعن بحرية العمل، حيث تعددت الأعمال التي قمن بها. كما كان للمرأة مكانة كبيرة في أسرتها، استمدتها من دورها الفاعل في بيتها، حيث كانت تقوم بالأعمال المنزلية في نطاق أسرتها كربة بيت، وتقوم بأعمال عديدة خارج نطاق أسرتها؛ لتأمين حياة كريمة لعائلتها.

* تنوعت أساليب المعيشة من مساكن وأطعمة وملابس، ووسائل تسلية؛ نتيجة للتنوع الاقتصادي والاجتماعي للأفراد، وبما يتناسب مع المستوى الحضاري لهم.

* لقد ضاعف اختلاط المصريين بالمغاربة والأرمن من فرص التواصل الحضاري بين بلاد المغرب والأرمن من جهة، ومصر من جهة أخرى، فساهم هذا الاختلاط في نقل جزء من تراث المغرب والأرمن إلى مصر، وشمل ذلك مختلف جوانب الحياة، بما فيها المأكل والملبس ووسائل التسلية.

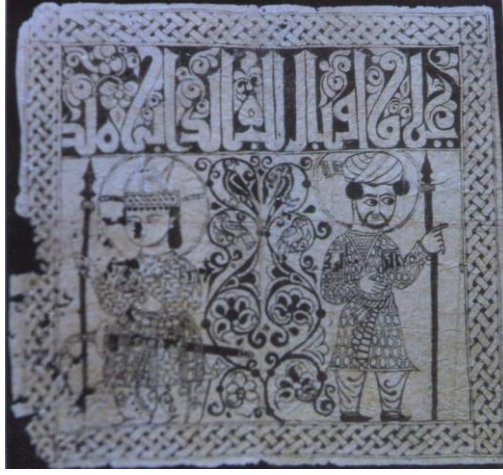
الملاحق



لوحة (1): رسم لحشوة من العاج المنقوش، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلاً عن : Jean- Jacques Aillagon:Tresors Fatimides du carue



لوحة (2): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (3): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".



لوحة (4): رسم لحشوة من العاج المنقوش ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف
برلين، نقلاً عن: Jean- Jacques Aillagon: op.cit



لوحة (5): رسم لحشوة من العاج المنقوش ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن: Jean – Jacques Aillagon: op.cit



لوحة (6): رسم لحشوة من العاج المنقوش، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين. نقلا عن Jean – Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (7): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة "



لوحة (8): رسم مفصل لحشوة من العاج ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين. نقلاً عن Jean- Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (9): رسم لحشوة من العاج، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين نقلاً عن: Jean- Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (10): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة "



لوحة (11): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة "



لوحة (12): رسم بالألوان المائية على جدران حمام فاطمي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي
بالقاهرة " من تصوير الباحثة "



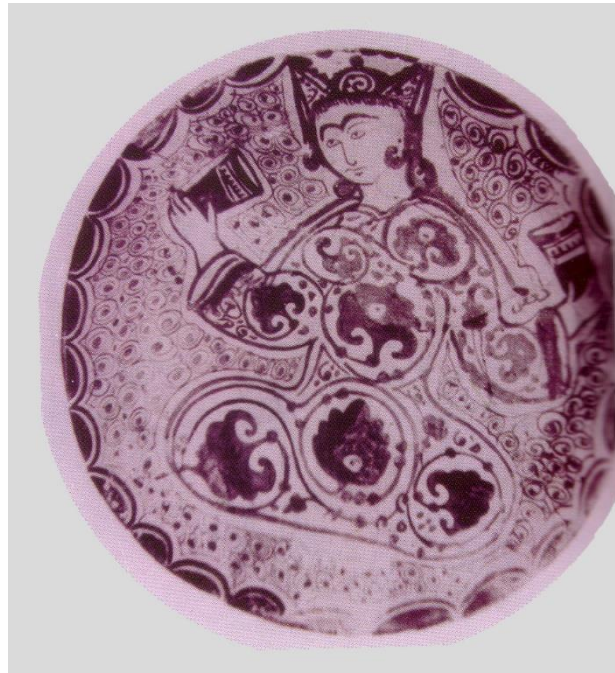
لوحة (13): حشوة عاجية ترجع إلى العصر الفاطمي محفوظة بمتحف الفن الإسلامي
بالقاهرة " من تصوير الباحثة ".



لوحة (14): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي
"من تصوير الباحثة".



لوحة (15): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".



لوحة (16): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".



لوحة (17): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين. نقل
عن : Jean- Jacques Aillagon: op.cit



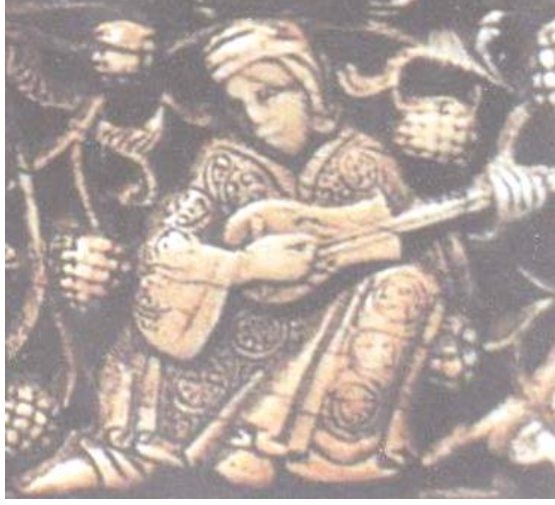
لوحة (18): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمجموعة كليكان، نقلا عن: Jean-
Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (19): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بالمتحف البريطاني، نقلا عن:
Jean- Jacques: Aillagon: op.cit



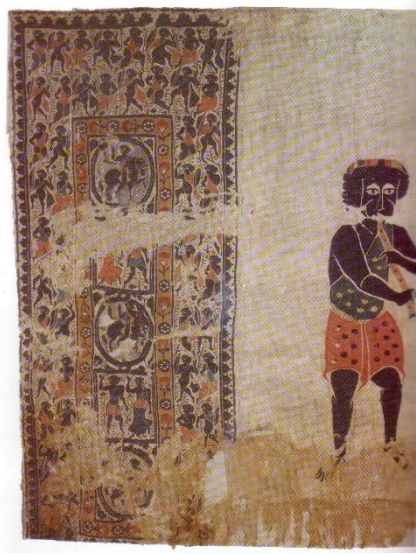
لوحة (20): رسم لحشوة من العاج محفوظة بمتحف برلين، نقلاً عن:
Jean- Jacques Aillagon: op.cit



لوحة (21): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين نقلاً عن :
Jean- Jacques Aillagon: op.cit



لوحة (22): طبق من الخزف الفاطمي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".

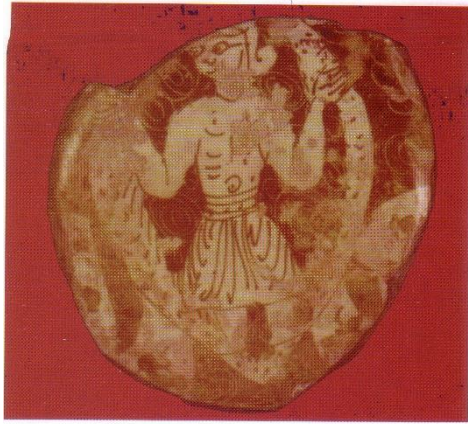


لوحة (23): رسم لحشوة من العاج ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين،
نقلا عن Jean- Jacques Aillagon: op.cit

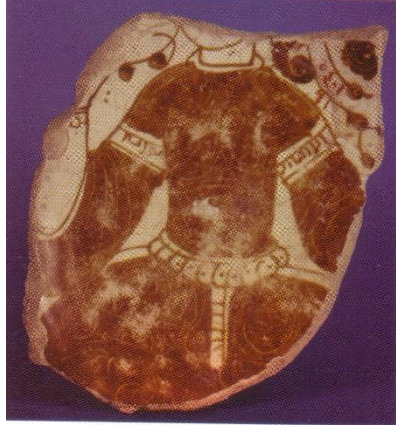
لوحة (24): ستارة منسوجة بخيوط الصوف والكتان ترجع للقرن الثالث وأوائل الرابع
الهجري، محفوظة بمتحف الفن القبطي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (25): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



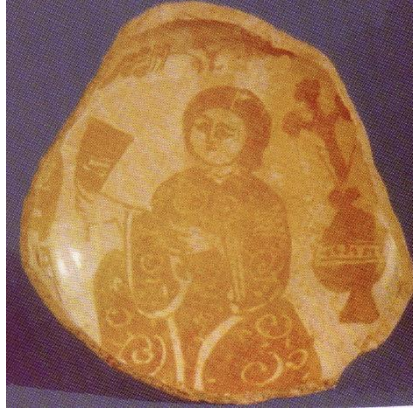
لوحة (26): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
"تصوير الباحثة"



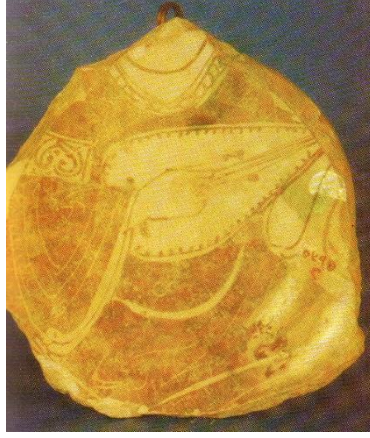
لوحة (27): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
"تصوير الباحثة"



لوحة (28): طبق من الخزف الفاطمي محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
"من تصوير الباحثة"



لوحة (29): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (30): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (31): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (32): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة.
" من تصوير الباحثة "



لوحة (33): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بمجموعة الأرشيدوق رينر
Jean – Jacques Aillagon: op.cit عن نقلنا، بالمكتبة الأهلية بفينا،



لوحة (34): زير ماء من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصويرا الباحثة "



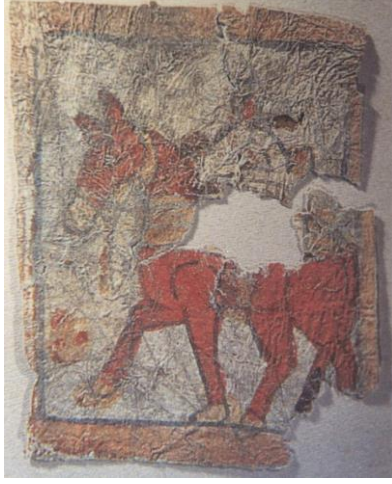
لوحة (35): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ ضمن مجموعة شريف صبري
نقلا عن Jean- Jacques Aillagon: op.cit



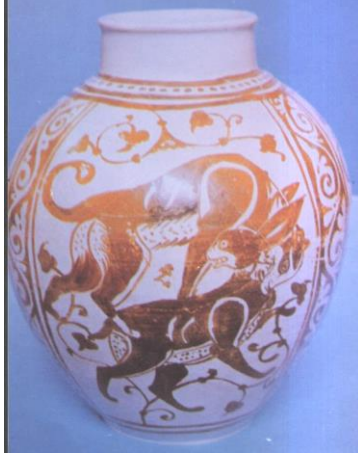
لوحة (36): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



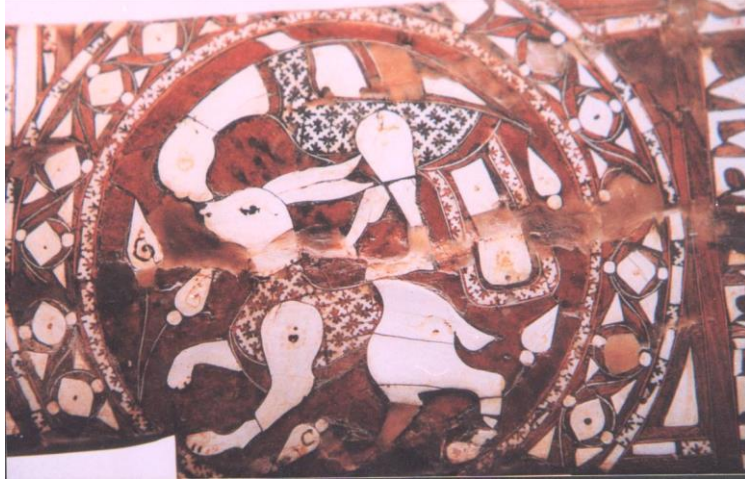
لوحة (37): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean- Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (38): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي يمثل رسم حمار، محفوظ بمتحف برلين
نقلا عن : Jean – Jacques Aillagon: op. cit



لوحة (39): أنية من الخزف الفاطمي، تمثل رسم حيوان ينقض على أرنب، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة "



لوحة (40): لوح من الخشب المطعم بزخارف عاجية لعقاب ينقض على أرنب، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (41): حشوة خشبية ذات زخارف حيوانية، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (42): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean- Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (43): صورة على الخشب تمثل رجل وامرأة، والرجل يعزف على آلة العود، ويسندها على ركبته، وينظر إلى المرأة التي ترقص أمامه، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة".



لوحة (44): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف كلية الآثار بجامعة القاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (45): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (46): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة،
" تصوير الباحثة "



لوحة (47): صورة على الخشب محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة "



لوحة (48): حشوة من العاج محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean – Jacques
Aillagon : op.cit



لوحة (49): قطعة من نسيج الكتان والحريير عليها رسوم طيور، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (50): جزء من زير ماء، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة " تصوير الباحثة "



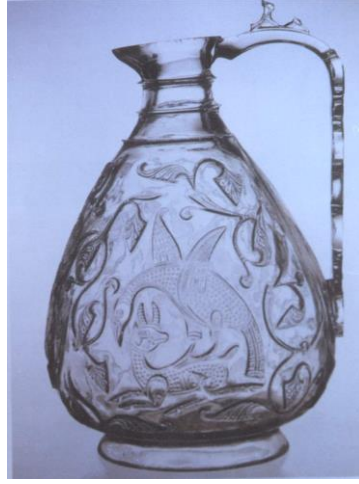
لوحة (51): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (52): حشوة من العاج منقوش عليها رسم جمل وهودج، ترجع الى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (53): جزء من زير ماء من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



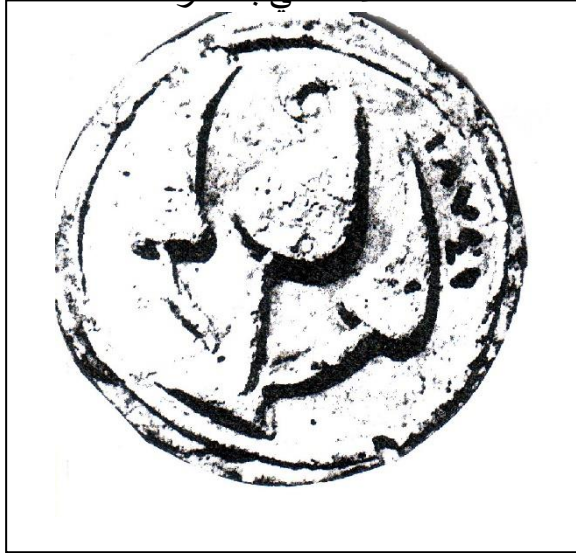
لوحة (54): إبريق من البلور الصخري، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف
فكتوريا وألبرت بلندن: نقلا عن Jean- Jacques Aillagon: op.cit



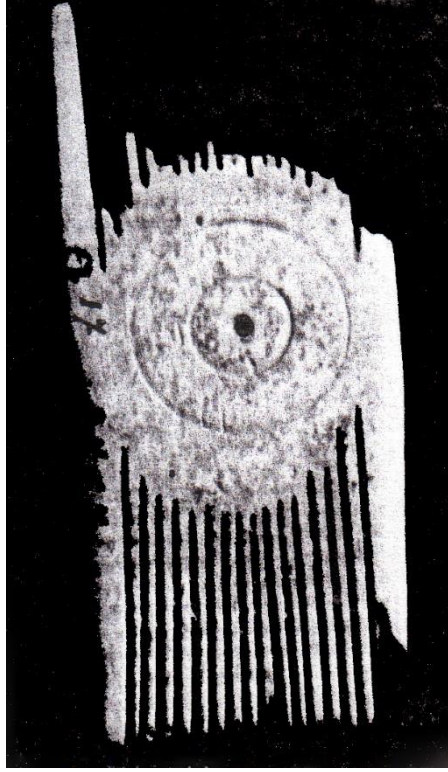
لوحة (55): إبريق من البلور الصخري، محفوظ بكاتدرائية سان مارك بمدينة البندقية :
نقلا عن Jean – Jacques Aillagon: op.cit



لوحة (56): ختم من الفخار قوام زخرفته نسر ناشر جناحيه، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة



لوحة (57): ختم من الفخار يتوسطه رسم شجرة، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة. " تصوير الباحثة "



لوحة (58): مشط للشعر له أسنان من الجهتين، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف آثار الإسماعيلية بالقاهرة



لوحة (59): مكحلة من الفضة ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي
بالقاهرة " من تصوير الباحثة "



لوحة (60): مبخرة ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة "



لوحة (61) : خاتم ذهب مرصع بفص من العقيق الأحمر يرجع إلى العصر الفاطمي،
محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (62): خاتم من الذهب به فص من الفيروز يرجع الى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



لوحة (63): إسورة من الذهب ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة " من تصوير الباحثة "



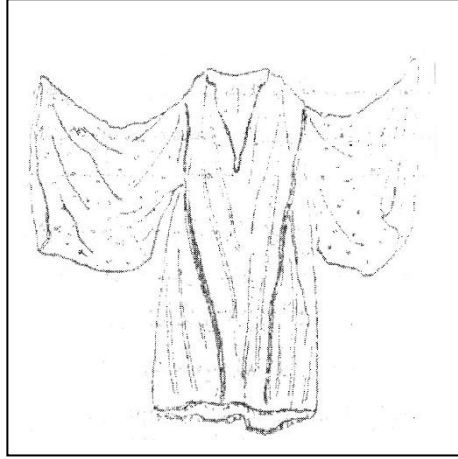
لوحة (64): عقد ذهب بدلاية وجواهر، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة "



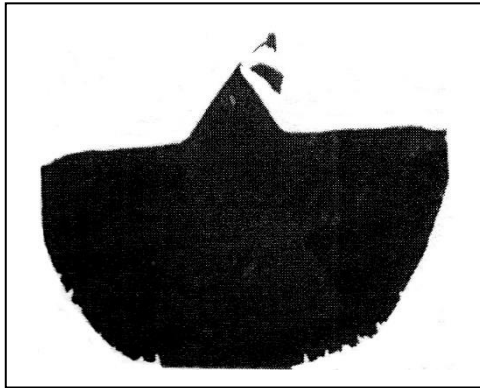
لوحة (65): قارورة عطر مصنوعة من الفضة، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة "



لوحة (66): قرط من الذهب مستدير الشكل، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف
الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة "



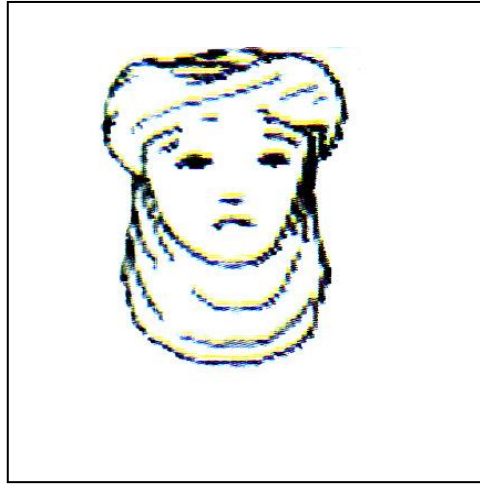
لوحة (67): صورة تقريبية للقميص " رسم الباحثة "



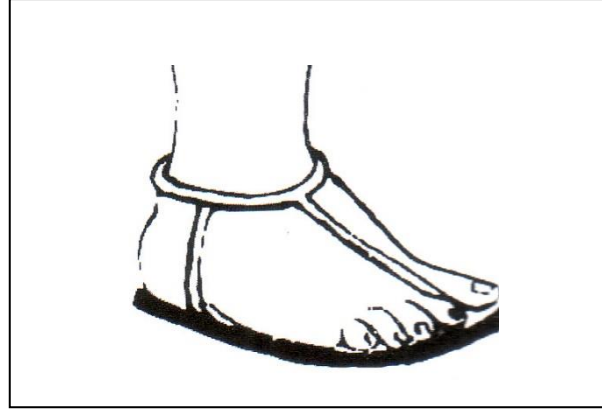
لوحة (68): صورة تقريبية للبرنس " رسم الباحثة "



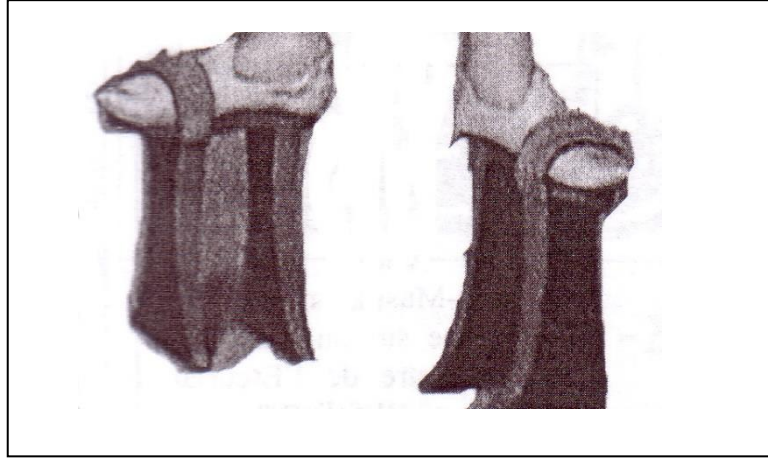
لوحة (69): صورة تقريبية للعباءة " رسم الباحثة "



لوحة (70): رسم لعمامة بحنك " رسم الباحثة "



لوحة (71): رسم تقريبي لشكل النعال " رسم الباحثة "



لوحة (72): رسم تقريبي للقباب

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر المخطوطة:

* ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف، (ت 874هـ / 1469م). مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، مخطوط في مكتبة جامعة مؤتة، مصور من مخطوطة ليدن.

* الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت 876هـ / 1471م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، مخطوط في جامعة القاهرة، تحت رقم 24031.

* الخاصكي آق بغا، دوادار السلطان قانصوه الغوري، (ت 729هـ / 1328م). التحفة الفاخرة بذكر رسوم خطوط القاهرة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس، ومنه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى.

* ابن دانيال، شمس الدين محمد الموصللي، (ت 710هـ / 1310م). طيف الخيال، مخطوط في دار الكتب المصرية، تحت رقم 16.

* ابن زولاق، أبو محمد الحسن بن ابراهيم، (ت 386هـ / 996م). فضائل مصر وصفاتها، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الاردنية، شريط رقم 4683.

* السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، (ت 902هـ / 1496م). القول التام في الرمي بالسهام، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 2 فنون حربية.

* الشارعي، موفق الدين أبو محمد عبد الرحمن، (ت 780هـ / 1378م). مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة، قسمان: القسم الأول برقم 469، والثاني برقم 798.

- * قائم الزمان، حمزة بن علي، (ت 433هـ / 1041م). الرسالة المنفذة إلى القاضي، مخطوط في مكتبة تشنتسريبشي، دبلن، إيرلندا مع مجموعة رسائل، تحت رقم 3373، نسخة مصورة لدى الدكتور محمد محاسنة.
- * الكافي الحنفي، أبي عبد الله محمد، سيف الملوك والحكام، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 24263.
- * مجهول، شرح اللمعة من أخبار المعز، مخطوط في جامعة القاهرة، تحت رقم 24022، نسخة مصورة من مكتبة الأسكوريال.
- * مجهول، الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 13 صناعات وأطعمة.
- * المقري، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت 1041هـ / 1631م)، زهرة الكمامة في العمامة، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 984.
- * المكي، محمد شكري، (ت 1333 هـ / 1914م). مجمع الأمثال العامية، مخطوط في دار الكتب المصرية، تحت رقم 519 - ميكرو فلم 10432.
- * ابن موفق، زين الدين عمر، (615هـ / 1218م)، كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 5129.
- * الهيثمي أبو العباس شهاب الدين، (ت 974هـ / 1566م)، در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكرو فيلم رقم 57902.

2- المصادر المطبوعة:

أ- العربية:

* القرآن الكريم.

* الأبشيهي، بهاء الدين محمد، (ت 850هـ / 1446م). المستظرف في كل فن مستظرف، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1989م.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (ت 630هـ / 1233م). الكامل في التاريخ، ط1، ج9، (تحقيق خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، 2002

* اخوان الصفا، (ق 4 هـ / 10م) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج4، (تحقيق علي زينهم)، دار التسامح، القاهرة، 2000م.

* ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد القرشي، (ت 729هـ / 1329م). معالم القرية في أحكام الحسبة، ط2، (تحقيق ابراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

* الادريسي، ابو عبد الله محمد الحسني، (ت 560هـ / 1164م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط2، ج2، (تحقيق شيرولي وآخرون نابولي)، ليدن، بريل، 1990م.

* الأدفوي، أبو الفضل جمال الدين، (ت 748هـ / 1347م). الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، (تحقيق سعد محمد حسن)، القاهرة، 1966.

* الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد، (ت 334هـ / 945م). حكاية أبي القاسم البغدادي، مطبعة كرل ونتر، هيد لبرج، 1902م.

* الأسدي، محمد بن أحمد بن خليل، (ت بعد 658هـ / 1260م). التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، (تحقيق عبد القادر طليمات)، دار الفكر العربي بالقاهرة، 1968م.

* الأسنوي، عبد الرحيم، (ت 772هـ / 1370م). طبقات الشافعية، (تحقيق كمال الدين يوسف)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

* الأضطخري، ابن اسحق ابراهيم بن محمد، (ت في القرن 4هـ / 10م). المسالك والممالك، (تحقيق محمد جابر عبد العال)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، 1961م.

* الأصفهاني، ابو الفرغ علي بن الحسين، (ت 356هـ / 966م). مقاتل الطالبين، (تحقيق السيد أحمد صقر). دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1949م.

* ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، (ت 688هـ / 1269م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، (تحقيق عبد الحافظ البنا)، دار العلم، القاهرة، 2001م.

* الأنطاكي، يحيى بن سعيد، (ت 458هـ / 1067م). تاريخ الأنطاكي " المعروف بصلة تاريخ أوتيا"، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، جروس برس، طرابلس، 1990.

* ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي، (ت 930هـ / 1524م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، (تحقيق محمد مصطفى)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1975.

* _____، نزهة، الامم في العجائب والحكم، ط2، (تحقيق محمد زينهم)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2001م..

* ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت 779هـ / 1377م). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (تحقيق يسري زيدان)، دم، 1999م.

* البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب، الف كتابه سنة (623هـ / 1226م). الطبيخ، (تحقيق داود الجلبي)، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1934.

* البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف، (ت 629هـ / 1231م). الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، (تحقيق حيدر البيات)، مكتبة العلا، القاهرة، 1999م.

- * البكري، ابو عبيد، (ت 487هـ / 1094م). المسالك والممالك، 2ج، (تحقيق ادريان فان ليوفن)، بيت الحكمة، تونس، 1992م.
- * _____، جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك، (تحقيق عبد الله يوسف الغنيم)، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1980.
- * البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279هـ / 893م). فتوح البلدان، (مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت.
- * البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد، (ت 440هـ / 1108م) الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1355م.
- * _____، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- * ابن البيطار، ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن الحسن، (ت 646هـ / 1248م). الدرر البهية في منافع الابدان الانسانية، ط3، (تحقيق محمد عبد الله الغزالي)، مطبعة كرم، دمشق . د.ت.
- * _____، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 4ج، مطبعة محمد باشا توفيق، القاهرة، 1291م.
- * التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد، (ت بعد سنة 717هـ / 1317م). رحلة التجاني، (قدم لها حسن حسني عبد الوهاب)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.
- * ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، (ت 874هـ / 1469م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط2، 19ج، (تحقيق محمد حسن شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- * التتوخي، القاضي ابو علي المحسن بن علي، (ت 384هـ / 994م). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 8ج، (تحقيق عبود الشالجي)، مطابع دار صادر، بيروت، 1973م.

- * الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت 255هـ / 868م). الحيوان، ط1، ج7، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، 1943.
- * _____، العثمانية، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، مصر، 1955م.
- * _____، رسائل الجاحظ، ط1، ج4، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الفانجي، مصر 1955م.
- * الجرجاني، علي بن محمد، (816هـ / 1461م). التعريفات، مكتبة مصطفى البابلي، القاهرة، 1938م.
- * جروهمان، أدولف، أوراق البردي العربية، (ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون)، دار الكتب المصرية، 1949م.
- * الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (ت 540 هـ / 1145م). المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (تحقيق وشرح احمد محمد شاكر)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1361هـ.
- * الجوزي، أبو علي منصور العريزي، (ت بعد 386هـ / 996م). سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، (تحقيق محمد كامل حسين ومحمد شعيرة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.
- * ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت 597هـ / 1200م). المنتظم، 10 ج، (تحقيق سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، 1995م.
- * _____، صيد الخاطر، (تحقيق الشيخ محمد الغزالي)، دار الكتب الإسلامية، 1988م.

- * الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت 393هـ / 1002م). تاريخ اللغة وصحاح العربية، ج6، (تحقيق أحمد عطار)، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة 1377هـ.
- * ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت 737هـ / 1336م). مدخل الشرع الشريف على المذاهب، (تحقيق علي جاد الحق)، دار المعرفة، القاهرة، 1997.
- * ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي، (ت 852هـ / 1448م). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 17 ج، (تحقيق مصطفى الباي)، القاهرة، 1959م.
- * _____، رفع الاصر عن قضاة مصر، (تحقيق محمد تدمري)، مكتبة النهضة، القاهرة، 2003م.
- * الحريري، ابو محمد القاسم بن علي، (ت 516هـ / 1122م). درة الغواص في أوهام الخواص، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299م.
- * _____، مقامات الحريري، ط3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1903.
- * ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت 456هـ / 1064م). جمهرة أنساب العرب، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، دار المعارف، 1977.
- * الحسين بن عبد الله، محمد بن عمر، (ت ق 8هـ / 15م). آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، 1295م.
- * الحسين، أبو عبد الله الحسن، (ت 386هـ / 996م). البيزرة، (تحقيق محمد كرد علي)، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1953م.
- * ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي، (ت 626هـ / 1230م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، (تحقيق جلال البديوي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- * الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ق 9هـ / 15م). الروض المعطار في أخبار الأقطار، (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- * ابن حوقل، ابو القاسم محمد، (ت في القرن 4هـ / 10م). صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964.

- * الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت 463 هـ / 1070م). تاريخ بغداد، 17 ج، ط1، (تحقيق بشار عواد معروف)، دار الغرب الاسلامي، 2001م.
- * ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت 300 هـ / 912م). اللها والملاهي، (نشره الأب اغناطيوس)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961م.
- * ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت 808 هـ / 1406م). تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 15 ج، دار صادر، بيروت، 1986.
- * ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد، (ت 681 هـ / 1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 ج، (تحقيق احسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1978، دار الثقافة، 1998م.
- * الخليل بن أحمد، أبو عبد الله بن احمد الفراهيدي، (ت 175 هـ / 792م)، معجم العين، (تحقيق مهدي المخزومي)، العراق، 1980.
- * الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف، (ت 387 هـ / 1997م). مفاتيح العلوم، (تحقيق ابراهيم الابياري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990.
- * ابن دقماق، ابراهيم محمد المصري، (ت 809 هـ / 1406م). الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، ج5، (تحقيق محمد مدبولي)، 1995م.
- * الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (عاش في القرن 6 هـ / 12م). الاشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق، 1318م.
- * الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، (ت 808 هـ / 1405م). حياة الحيوان الكبرى، ج2، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1956م.

- * الدواداري، أبو بكر عبد الله بن ابيك، (ت 736هـ / 1235م). كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرّة المضوية في أخبار الدولة الفاطمية، ج6، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، القاهرة، 1961، ج7، المسمى الدر المطلوب في أخبار ملوك بني ايوب، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الالمانى للآثار، القاهرة، 1972.
- * الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد، (ت 748هـ / 1347م). سير أعلام النبلاء، 25 ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1966م.
- * _____، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، (تحقيق عمر تدمري)، دار الكتاب العربي، 1995م.
- * الرازي، محمد بن أبي بكر، (عاش في سنة 666هـ / 1268م). مختار الصحاح، (عني بترتيبه محمود خاطر بك)، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1926م.
- * الراغب الأصفهاني، ابو القاسم حسين بن محمد، (ت 502هـ / 1108م). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 2ج، مكتبة سيدي محمد، تونس، 1995م.
- * ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان، (تحقيق محمد شقرون)، بيروت، 1984.
- * ابن رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب المصري، (ت 453هـ / 1061م). دفع مضار الأبدان بأرض مصر، (تحقيق عبد المجيد دياب)، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، 1995.
- * ابن الزبير، احمد بن الرشيد، (توفي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي). الذخائر والتحف، (تحقيق محمد حميد الله)، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1959م.

- * الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، (ت 538هـ / 1143م). أساس البلاغة، ط1، (تحقيق عبد الرحيم محمود). مطبعة اولاد اوفانر، 1953م.
- * ابن زولاق، أبو محمد الحسن، (ت 386هـ / 996م). أخبار سيويه المصري، (تحقيق محمد ابراهيم وحسن الديب)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1933.
- * ابن الزيات، أبو عبد الله محمد بن ناصر، (ت 814هـ / 1411م). الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، (تحقيق ميساء خليفة)، دار العلم، القاهرة، 1995م.
- * السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت 803هـ / 1400م). معيد النعم ومبيد النقم، (تحقيق محمد علي النجار وآخرون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م.
- * _____ ، طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق محمود محمد الطناجي)، مطبعة عيسى الحلبي، 1995.
- * السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله إلى دعاة اليمن، (تحقيق عبد المنعم ماجد)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954.
- * السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ / 1496م). تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، هذا الكتاب في هامش ج4، من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، المطبعة الأزهرية، القاهرة. ديت
- * ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي (ت 685هـ / 1286م). النجوم الزاهرة في حلى القاهرة، (تحقيق حسين نصار)، مركز تحقيق التراث، 1972.
- * _____ ، المغرب في حلى المغرب، ج1 القسم الخاص بمصر الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط، (تحقيق شوقي ضيف وسيدة كاشف)، مطبعة جامعة فؤاد الاول، 1953.
- * ابن سنان، ثابت بن قره، (ت 365هـ / 975م). تاريخ أخبار القرامطة، (تحقيق ونشر سهيل زكار)، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 1987م.

* ابن سيدة، أبو الحسن، علي بن اسماعيل النحوي، (ت 458هـ / 1066م). المخصص، ج5، ط1، (تحقيق مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1996م.

* السيوطي، جلال الدين أبو الفضل بن أبي بكر، (ت 911هـ / 1505م). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، ج2، (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، 1960.

* _____، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ط2، (تحقيق محمد أبو الفضل)، دار الفكر، 1979م.

* الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت 388هـ / 998م). الديارات، ط2، (تحقيق كوركيس عواد)، مطبعة المعارف، بغداد، 1966م.

* أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، (ت 665هـ / 1267م). الروضتين في أخبار الدولتين، (تحقيق محمد حلمي)، دار المعارف، القاهرة، 1994.

* ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، (ت 827هـ / 1423م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (صححه بولس راويس)، دار العرب، 1989م.

* الشربيني، يوسف بن محمد بن عبد الجواد، (ت بعد عام 1075هـ / 1664م). هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة، دار النهضة، 1963م.

* الشريف العقيلي، (ت 450هـ / 1058م). الديوان، (تحقيق محمد عطا)، دار المعارف، القاهرة، 1998م.

* الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله، (ت 470هـ / 1077م). المجالس المؤيدية، (تحقيق محمد المتولي)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1990.

* الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، (ت 589هـ / 1192م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ط2، (تحقيق السيد الباز العريني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1971م.

- * ابن صاعد الاندلسي، صاعد بن أحمد، (ت 462هـ / 1070م). طبقات الأمم، (تحقيق لويس شيخو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م.
- * أبو صالح الأرمني، ابو المكارم سعد الله، (ت 605هـ / 1208م). كنائس وأديرة مصر، اكسفورد، 1895م.
- * الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت 764هـ / 1362م). كتاب الوافي بالوفيات، ج13، (تحقيق اسماعيل بيومي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
- * _____، نكت الهميان في نكت العميان، (وقف على طبعة أحمد زكي بك، المطبعة المطبعة الحجازية، القاهرة، 1911م.
- * ابو الصلت، أمية بن عبد العزيز، (ت 528هـ / 1132م). الرسالة المصرية، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، 1959.
- * ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة ابي القاسم، (ت 542هـ / 1148م). الاشارة الى من نال الوزارة، (تحقيق عبد الله مخلص)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1935.
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ / 923م). تاريخ الرسل والملوك، ج10، (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، دار سويدان، بيروت، لبنان، د.ت
- * الطرطوشي، ابو بكر محمد بن الوليد، (ت 520هـ / 1126م). سراج الملوك، ج2، (تحقيق محمد أبو الفتوح)، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1990م.
- * ابن الطوير، ابو محمد عبد السلام القيسراني، (ت 617هـ / 1220م). نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية، (تحقيق ايمن فؤاد سيد)، دار النشر فرانتس شتاينر، 1992.

- * ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي، (ت 612هـ / 1215م). أخبار الدول المنقطعة، (تحقيق عصام الهزايمة وآخرون)، دار الكندي، اربد، 1999م.
- * _____، بدائع البدائة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970م.
- * ظافر الحداد، ظافر بن القاسم، (ت 529هـ / 1134م). الديوان، ط2، (تحقيق حسين نصار)، مكتبة الفقي، القاهرة، 1985م.
- * ابن ظهيرة، (ت في القرن 9هـ / 15م). الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، (تحقيق محمد كامل)، دار العلم، القاهرة، 1991م.
- * ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل المصري، (ت 692هـ / 1293م). الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، (تحقيق ايمن فؤاد سيد). دار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م.
- * ابن عبد ربه، احمد بن محمد، (ت 327هـ / 939م). العقد الفريد، 5ج، (تحقيق احمد أمين وآخرون)، دار الاندلس، بيروت، 1996م.
- * ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم، (ت 660هـ / 1216م). زبدة الحلب من تاريخ حلب، 3ج، (تحقيق سامي الدهان)، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1968.
- * _____، بغية الطلب في تاريخ حلب، 11ج، (تحقيق سهيل زكار)، دمشق، 1988.
- * ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت 695هـ / 1295م). البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، 2ج، (تحقيق عمر السيد)، القاهرة، 1995م.
- * ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين، (ت 571هـ / 1176م). تاريخ مدينة دمشق، 80ج، (تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي) دار الفكر، بيروت، 1995.

- * العماد الاصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفى الدين، (ت 597هـ / 1200م) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (تحقيق محمد علي الطعاني)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 1994م.
- * العماد الأصفهاني، محمد أبو عبد الله، (ت 597هـ / 1200م). خريدة القصر وجريدة العصر، ج1، تحقيق باسل العمري، مكتبة النهضة، القاهرة، ج2، قسم شعراء الشام، د. ط، (تحقيق أحمد الألوسي)، دار العلم، القاهرة، 1989م.
- * ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي الحنبلي، (ت 1089هـ / 1678م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ط1، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- * عمارة اليميني، نجم الدين أبو محمد الحكمي، (ت 569هـ / 1174م). النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، (تحقيق هرتويج دربنرغ، شالون)، 1897م.
- * العمري، شهاب الدين أحمد، (ت 749هـ / 1348م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث، ممالك الشرق الاسلامي والترك ومصر والشام والحجاز، (تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي)، المجمع الثقافي، الامارات، 2003م.
- * ابن العميد، المكين جرجس ابي المكارم، (ت 672هـ / 1273م). تاريخ المسلمين، (تحقيق علي البدوي)، القاهرة، 1999م.
- * العيني، بدر الدين ابو محمد بن احمد، (ت 855هـ / 1451م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (تحقيق محمد أمين)، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

- * _____ ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ المحمودي " ، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1987م.
- * الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله، (ت 815هـ / 1412م). مطالع البدور في منازل السرور، 2ج، (تحقيق رضا عمري)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م.
- * أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، (ت 732هـ / 1332م). المختصر في أخبار البشر، 2ج، ط1، (علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- * ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت 807هـ — / 1404م). تاريخ ابن الفرات، م4، ج1، (تحقيق حسن الشماع)، منشورات جامعة البصرة، 1967م.
- * ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد، (ت 309هـ / 921م). رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس، (تحقيق سامي الدهان)، دمشق، 1987م.
- * الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817هـ — / 1318م). القاموس المحيط، (تحقيق حسان عبد المنان)، بين الأفكار الدولية، د.ت.
- * القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، (ت 596هـ / 1199م). الديوان 2ج، (تحقيق متولي بيومي)، دار المدى، القاهرة، 1990م.
- * القاضي النعمان، محمد بن حيون التميمي، (ت 393 هـ / 973م). رسالة افتتاح الدعوة الفاطمية، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، ط2، (تحقيق وداد القاضي)، دار الثقافة، بيروت 1998م.
- * _____ ، المجالس والمسائرات، (تحقيق عبد الرحيم السيد)، دار المعارف، القاهرة، 1988م.

- * _____ ، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، 2ج، (تحقيق آصف بن علي فيضي)، دار المعارف، القاهرة، 1965.
- * ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الكوفي، (ت 276هـ / 890م). عيون الأخبار، 4ج، ط1، (تحقيق محمد الاسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.
- * القرشي، ادريس عماد الدين، (872هـ / 1467م). تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، (تحقيق محمد اليعلاوي). دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985.
- * _____ ، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، (تحقيق مصطفى غالب)، دار الاندلس، بيروت، 1980.
- * القضاء، ابو عبد الله محمد بن سلامة، (ت 454هـ / 1062م). عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، (تحقيق عبد الرحيم محمد علي)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 1997م.
- * القفطي، جمال الدين أبو الحسن، (ت 624هـ / 1226م). أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (تحقيق علي الأسقا)، دار المعرفة، القاهرة، 1998م.
- * ابن قلاقس، نصر بن عبد الله السكندري، (ت 567هـ / 1171م). الديوان، ط2، (تحقيق سهام الفريخ)، مكتبة المعلا، الكويت، 2001م.
- * ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد، (ت 555هـ / 1160م). تاريخ دمشق (360-555هـ)، (تحقيق سهيل زكار)، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983.
- * _____ ، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1980.
- * القلقشندي، شهاب الدين احمد بن عبد الله الشافعي، (ت 821هـ / 1418م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 15 ج، (تحقيق زكريا بيومي)، دار نافع، القاهرة، 1999.
- * الكتبي، صلاح الدين محمد الدمشقي، (764هـ / 1362م). فوات الوفيات، 2ج، (تحقيق محسن الكثيري)، المكتبة التونسية، تونس، 1980م.

- * ابن كثير، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت 774هـ / 1373م). البداية والنهاية، ط1، ج14، دار الحديث، القاهرة، 1992م.
- * الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف، (355هـ / 961م). كتاب الولاية وكتاب القضاة، (تحقيق علي الصاوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.
- * ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان، (ت 956هـ / 1549م)، وصف افريقيا، (ترجمة محمد عجمي)، بيروت، 1983.
- * المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، (ت 438هـ / 1047م). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية، ج3، (تحقيق بشير البكوش)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م.
- * ابن المأمون البطائحي، جمال الدين أبو علي موسى، (ت 588هـ / 1192م). نصوص من أخبار مصر، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1983.
- * الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت 450هـ / 1058م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط1، (تصحیح السيد محمد بدر الحلبي)، مطبعة السعادة، مصر، 1909.
- * مقتنيات متحف الفن الاسلامي في القاهرة.
- * مقتنيات متحف آثار الإسماعيلية بالقاهرة.
- * المجالس المستنصرية، (تحقيق محمد كامل حسين)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946.

- * مجهول مراکشى، (ق 6هـ / 12م). الاستبصار في عجائب الأمصار، (نشر وتعليق سعد زغلول)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
- * مجهول، الف ليلة وليلة، ج1، راجعه سعيد جودة السحار، مكتبة القاهرة، 1986.
- * مجهول، المؤرخ، (فارس صليبي في جيش بوهيمند عاصر القرن 5هـ / 11م). اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، (ترجمة حسن حبشي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958.
- * المجوسى، علي بن العباس البرجيسى، (كان حيا قبل عام 384هـ / 994م). كامل الصناعة الطبية، 2ج، المطبعة الكبرى، 1294م.
- * المسبحى، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله، (ت 420هـ / 1029م). أخبار مصر، ج40، (تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى)، المعهد الفرنسى للأثار الشرقية، القاهرة، 1978.
- * المسعودى، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 345هـ / 1957م). التنبيه والاشراف، (عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله الصاوي)، المكتبة التاريخية، دم، 1938م.
- * _____، مروج الذهب، 4ج، ط3، (تحقيق محمد عبد الحميد)، مؤسسة سعادة، مصر، 1958م.
- * ابن المعز، تميم، (ت 374هـ / 984م). الديوان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- * المقدسى، شمس الدين ابو عبد الله، (ت في القرن 4هـ / 10م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (تحقيق عبد الحميد زكي)، دار النهضة، 1990م.
- * المقرئى، تقي الدين أحمد، (ت 845هـ / 1441م). اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 2ج، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

* _____ ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، (تحقيق سيد بسطاوي)، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.

* _____ ، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ط2، (تحقيق عبد المجيد عابدين)، عالم الكتب، القاهرة، 1981م.
* _____ ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، 25ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

* _____ ، المقفى، (تحقيق محمد العيلاوي)، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1991م.

* _____ ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، 4 مج، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 2002م.

* ابن المقفع، ساويرس، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المعروف بـ " سير البيعة المقدسة"، (المنسوب إلى)، 4ج، (تحقيق عبد العزيز جمال الدين)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م.

* ابن مماتي، أسعد أبو المكارم، (ت 606هـ / 1209م). قوانين الدواوين، ط1، (تحقيق عزيز سوربال عطية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ / 1311م). لسان العرب، ط1، 18ج، دار صادر بيروت، 2000م.

* ابن منقذ، أسامة، (ت 584هـ / 1188م). الاعتبار، ط1، (دقق نصوصه وقدم له وعلق عليه عبد الكريم الأشر)، المكتبة الاسلامي، بيروت، 1999م.

- * ابن الميداني، احمد بن محمد النيسابوري، (ت 531هـ / 1136م). السامي في الأسامي، (نشره ورتب اخراجه محمد هندراوي)، القاهرة، 1967م.
- * ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي، (ت 677هـ / 1278م). المنتقى من أخبار مصر، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1981م.
- * النابلسي، علاء الدين أبو عمر عثمان، (ت 632هـ / 1234م). تجريد سيف الهمة لاستخراج ما في ذمة أهل الذمة، (نشره كلود كاهن)، د.ت.
- * ناصر خسرو علوي، (ت 481هـ / 1088م). سفرنامه، ط1، ط2، (ترجمة يحيى الخشاب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، 1993م.
- * ابن النفاش، ابو إمامة محمد بن علي، (ت 763هـ / 1361م). المذمة في استعمال أهل الذمة، ط1، (تحقيق سعد بن حسين عثمان)، المملكة العربية السعودية، 1989م.
- * النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ / 1332م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، ج1، ج28، ج29، (تحقيق مجموعة من الباحثين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
- * ابن واصل، جمال الدين محمد، (ت 679هـ / 1297م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 5ج، من الجزء الأول إلى الجزء الثالث، (تحقيق جمال الدين الشيبان)، والجزء الرابع والخامس، (تحقيق حسنين محمد ربيع)، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج1، 1953، ج2، 1957، ج3، 1960، ج4، د.ت، ج5، 1975.
- * ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت 749هـ / 1348م). تاريخ ابن الوردي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996

- * الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى، (325هـ / 936م). الموشى أو الظرف والظرفاء، ط2، (تحقيق كمال مصطفى)، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1953م.
- * وليم الصوري، (ت 581هـ / 1185م)، تاريخ الحروب الصليبية، (ترجمة وتعليق حسن حبشي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
- * اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، (ت768هـ / 1366م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، 4ج، (تحقيق خليل منصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977.
- * ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت 626هـ / 1229م). معجم الأدياء، ط1، 7ج، (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.
- * _____، معجم البلدان، 5ج، دار صادر، بيروت، 1986.

ب/ المصادر الأجنبية:

* Goitein, S.D, Amediterranean Society: The jewish communities of the Arab World as Portrayed in the documents of the cairo Geniza, vol. 1-5, university of California Press, 1967,1971, 1978, 1983 and 1988.

3- المراجع الحديثة:

أ- العربية والمعربة:

* أحمد، حسن خضيري، (1998) علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، القاهرة: مكتبة مدبولي.

* ادريس، محمد محمود، (1986م). تاريخ الحضارة الاسلامية في العصر الفاطمي، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

* ادى، شير، (1988م)، الالفاظ الفارسية المعربة، القاهرة: دار العرب للبستاني.

* اسماعيل كاشف، سيدة، (1970م)، مصر في عهد الاخشيديين، القاهرة: دار النهضة العربية.

* ايوب، ابراهيم رزق الله، (1997م). التاريخ الفاطمي السياسي والاجتماعي، 2ج، لبنان، الشركة العالمية للكتاب.

* بارتولد، فاسيلي، (1958). تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ترجمة أحمد السعيد سليمان)، القاهرة: الانجلو المصرية.

* الباشا، حسن، (1965م). الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة: دار النهضة.

- * _____ ، (1970م). القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية.
- * _____ ، (1989م). الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع.
- * البقلي، محمد قنديل، (1983م). التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- * بنمليح، عبد الاله، (2004م). الرق في بلاد المغرب والاندلس، بيروت، الانتشار العربي.
- * بهجت، علي، (1928م). حفريات الفسطاط، القاهرة، دار الكتب.
- * بيومي، علي، (1952م)، قيام الدولة الايوبية في مصر، القاهرة، دار الفكر الحديث.
- * تامر، عارف، (1982م). المعز لدين الله الفاطمي، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
- * _____ ، (1982م). الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله قاهر القرامطة وافتكين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
- * تيمور، أحمد، (1986م)، الامثال العامية، القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر.
- * الجهيني، محمد، (2000م). احياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية، القاهرة: دار نهضة الشرق.
- * جومار، (1988م). وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، (ترجمة أيمن فؤاد سيد)، القاهرة.
- * حسن، حسن ابراهيم، (1959م). الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة: نشر وزارة المعارف العمومية.

- * حسن، زكي محمد، (1981م). كنوز الفاطميين، بيروت، دار الرائد العربي.
- * _____، (1935م). الفن الاسلامي في مصر، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- * حسن، علي، (1993م). تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، القاهرة، مطبعة حجازي.
- * حسين، محسن، (1986م). الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، تركيبه، تنظيمه، اسلحته، بحريته، وابرز المعارك التي خاضها، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- * حسين، محمود ابراهيم، (1983م). المرأة في انتاج المصور المسلم، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.
- * حمادة، ابراهيم، (1963)، خيال الظل وتمثيلات ابن دانيال، القاهرة.
- * حمزة، عبد اللطيف، (1968م). الحركة الفكرية في مصر في العصر الايوبي والمملوكي الاول، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي.
- * خرابشة، سليمان، (2003م). أسرة بني رزيك ودورهم في تاريخ الدولة الفاطمية، عمان، منشورات جامعة اليرموك.
- * خطاب، عطية مصطفى، (1947م). التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، القاهرة، دار الفكر العربي.
- * دراجي، بوزياني، (2000 م). القبائل الامازيغية، ادوارها، مواطنها، اعيانها، ج2، الجزائر، دار الكتاب العربي.
- * الدشرراوي، فرحات، (1994م). الخلافة الفاطمية بالمغرب التاريخ السياسي والمؤسسات، (نقله إلى العربية حمادي الساطلي)، بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- * الدوري، عبد العزيز، (1945م). دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان.

- * _____ ، (1945م). العصر العباسي الأول، بغداد: مطبعة النفيس.
- * _____ ، (1950م). النظم الإسلامية ، الخلافة، الضرائب، الدواوين، والوزارة، بغداد: وزارة المعارف العراقية.
- * _____ ، (1974م). تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، بيروت: دار الشرق.
- * _____ ، (1984). التكوين التاريخي للأمة العربية، ط1، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- * دوزي، رينهارت، (1971م). معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب، عربي – فرنسي، (ترجمة أكرم فاضل)، بغداد: دار الحرية.
- * دينيت، دانييل، (1960م). الجزية والاسلام، (ترجمة فوزي جاد الله)، بيروت، 1960.
- * رزق، عاصم محمد، (2000م). معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية: القاهرة، مكتبة مدبولي.
- * رنسيان، ستيفن، (1981)، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، (ترجمة السيد الباز العريني)، بيروت، دار الثقافة.
- * ريمون، اندريه، (د.ت). القاهرة تاريخ حاضرة، (ترجمة لطيف فرج)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
- * الزركلي، خير الدين، (1990م). الاعلام، ج8، ط9، بيروت: دار العلم للملايين.
- * زيدان، عبد الكريم، (1982م). أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- * ستانلي، لين بول، (1993م)، سيرة القاهرة، (ترجمة حسن ابراهيم حسن)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

- * أبو سديرة، طه، (1991). الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- * سرور، محمد جمال الدين، (1995). تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي.
- * _____، (1976). سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- * سلطان، عبد المنعم، (1985م)، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، القاهرة: دار المعارف.
- * _____، (1997م). الاسواق في مصر في العصر الفاطمي، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- * السيد، أديب، (1972م)، في التاريخ العربي، حلب، المطبعة الحديثة.
- * سيد، أيمن فؤاد، (1997م). التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ انشائها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- * _____، (2000م). الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للطباعة.
- * سيمينوفا، (2001م) تاريخ مصر الفاطمية، (ترجمة حسن بيومي)، المجلس الاعلى للثقافة.
- * شافعي، سلام، (1995م). أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
- * الشوربجي، امينة، (1994)، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.
- * الشيال، جمال الدين، (1958م). مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

- * عاشور، سعيد، (1977م). بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، جامعة بيروت العربية.
- * عامر، توفيق، (1996م). الحضارة الاسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، تونس، الجامعة التونسية.
- * عبد العظيم، هويدا، (1994م). المجتمع في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
- * عبد الكريم، نريمان، (1993). المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
- * _____، (1996). معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
- * العبيدي، صلاح حسين، (1980). الملابس العربية في العصر العباسي، بغداد: دار الرشد.
- * عثمان، فتحي، (1966م). الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتلال الحربي والاتصال الحضاري، 3 ج، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- * غالب، عبد الرحيم، (1988م). موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت: جروس برس.
- * فالتر، هنتس، (1970). المكابيل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، (ترجمة كامل العسلي)، عمان: الجامعة الاردنية.
- * قاسم، قاسم عبده، (1977م). أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعارف.
- * القوصي، عطية، (1976م). تاريخ دولة الكنوز الاسلامية، القاهرة: دار المعارف.
- * كازانوف، بول، (1926). تاريخ ووصف قلعة القاهرة، (ترجمة أحمد دراج)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- * كاهن، كلود، (1972م). تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، (ترجمة بدر الدين قاسم)، دار الحقيقة.
- * كحالة، عمر، (1959م). أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، 5 ج، ط2، دمشق: المطبعة الهاشمية
- * لقبال، موسى، (1979م). دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- * لويس، ارشيبالد، (1960م). القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م). (ترجمة أحمد محمد عيسى)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- * ماجد، عبد المنعم، (1955م). نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، 2 ج، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- * _____، (1982م). الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- * مبارك، علي، (1306هـ). الخطط التوفيقية، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- * متز، آدم، (1986م)، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، 2 ج، (نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة) تونس: الدار التونسية.
- * محمد، سعيد مغاوري، (2000م). الألقاب واسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- * مشرفه، عطية مصطفى، (1948م). نظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي، القاهرة، دار الفكر العربي.
- * المناوي، حمدي، (د.ت). الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة: دار المعارف.
- * هاينز هالم، (1999م)، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، (ترجمة سيف الدين القصير)، دمشق: دار المدى.

ب- المراجع الأجنبية:

- * Arthur Gold Schmidt: OConcise History of the Middle East (second Edition) cairo, the American university, 1983.
- * Ashtor. E., A social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, London, Collins, 1976.
- * _____, Histoire des Prix et des salaries dans L' orient médiévale , paris, 1969.
- * Ayman Fu'ad Sayyid, La capitale de L' Egypte Jusqu, alepoque fatimide (al- Qahira et al – Fusta)- Essai de reconstitution topographique, Beirut, 1996.
- *chase F. Robinson, Amedieval Islamic city Reconsidered An Interdisciplinary approach to samarra, published by oxford university press for the Board of Faculty of oriental studies university of oxford, without Date.
- * Grunebaam.G.E. Von, Mohammadan Festivals, New York, (1951).
- * Hamblin, William James: The Fatimid Army During the early crusades, the university of Michigan, 1985.
- * Jean – Jacaques Aillagon : Trésors Fatimides du Carue, exposition présentée àl'institut du mond arabe du 28 Avril 30 Août, 1998.
- * Lanne Pool, Stanley, AHistory of Egypt in the Middle Ages, London, 1901.
- * _____, saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem, Beirut, 1964.

- * Mann, J., The jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliphs, vol.1, KTAV Publishing house, New York, 1970.
- * Neufeld, E., Ancient Hebrew marriage laws, Williams, Lea, and Go, London, 1944.
- * Osman A. Ismail, Mutasim and Turks, Leiden, Brill, (1960).
- * R. Stephen Humphre: Islamic History AFrame work for inquiry, cairo, the American university, 1992.
- * Wiet, G., Album du musee Arabe du caire, Cairo, 1930.

4- المقالات والدوريات:

أ- العربية:

* الأطرقي، رمزية، (1979م). الأزهر في ظل الفاطميين، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع25.

* الباشا، حسن، (1956م). طبق من الخزف باسم (غين) مولى الحاكم بأمر الله، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج18.

* جواد، مصطفى، (1964م). أزياء العرب، مجلة التراث الشعبي، ع8.

* حسين، محمد كامل، (1953م) التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج 15.

* خرابشة، سليمان، (2001م). المأمون بن البطاحي وزير الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي، مقال في كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، المكتبة الوطنية، عمان.

* خضير، محمد، (1976م). يعقوب بن كلس التاجر الذي أصبح وزيراً وفتياً للفاطميين، مجلة الدارة، ع2.

* الخفاف، ليث، (1977م). وشم جسم المرأة، مجلة التراث الشعبي، ع6.

* دفترى، فرهاد، (1999). حسن الصباح وأصول الحركة الاسماعيلية، بحث بكتاب الاسماعيليين في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، دار المدى للثقافة.

* الدوري، عبد العزيز، (1959م). نشوء الأصناف والحرف، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ج8، ع1.

* _____، (1989م). اليهود في المجتمع الاسلامي عبر التاريخ، بحث في كتاب القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج1.

- * زكي ، عبد الرحمن، (1980م). امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك، بحث منشور بكتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، القاهرة، ج2.
- * عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1980م). الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، مج11، ع1.
- * _____، (1971م). صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج18.
- * العبادي، عبد الحميد، (1955م). كتب الحسبة وفائدها في وضع المعجمين الوسيط والكبير، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج8.
- * عبد الرسول، سليمة، (1981م). ملابس العمل لذوي المهن والحرف، مجلة سومر، ع37.
- * عبد الوهاب، حسن، (1940م). البناء بالطوب في العصر الاسلامي، مجلة العمارة، مج2، ع3-4.
- * عثمان، محمد عبد الستار، (1988م). المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع128.
- * العريني، السيد الباز، (1950م). الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مج3، ع1.
- * عليوه، حسين، (1981م). المكان والفن الاسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع2.
- * القوصي، عطية، (1977)، صلاح الدين واليهود، المجلة التاريخية المصرية، مج24.
- * كرسويل، (1335هـ). تأسيس القاهرة، مجلة المقتطف، القاهرة، مج85، ج4.
- * ل. سيمينوف، (1972م). حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر، المجلة التاريخية، بغداد، ع2.

* محاسنة، محمد حسين، (2003م). الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، م30، ع2.

* _____، (2004م). القضاء في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله، مجلة مؤتة، م19.

* محرز، جمال، (1970م). منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة.

* محفوظ، حسين، (1946م). النوروز في الأدب العربي، مجلة التراث الشعبي، ع8.

ب- الدوريات الأجنبية:

- Beshir, B.J: Fatimid Military orgnaization, Der Islam, Berlin, New York, 1978.

- Goitein, New Light on the begining of the Karim Merchants, Jesh01, 1958.

5- الرسائل الجامعية:

- * الشامي، عبد العال، (1973م)، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- * الصاوي، أحمد، (د.ت)، المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- * العميرة، محمد، (1999م)، الجيش الفاطمي (297-567هـ / 909-1171م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، الأردن.
- * بوخالفة، نور الهدى، (1986م). الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القرون الثلاثة للهجرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- * بني خالد، موسى أحمد، (1990م)، ثورة أبي زيد الخارجي ضد الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- * أحمد، أميرة، (1995م). الأوضاع الادارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والايوبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- * الأحمدى، خلود، (2006م). سامراء عاصمة الخلافة العباسية (221-279هـ / 836-892م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- * سليم، عبد الله، (1978م)، العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي (358-568هـ / 969-1171م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- * بني عامر، هارون، (2002م)، الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- * مرقص، عاطف، (1986م)، الأرمن وعلاقتهم بالبيزنطيين والمسلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

النعيمات، محمد، (2006). ابن الصيرفي كاتبا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن.

* دياب، فكري محمد، (1994م). زي الرهبان على رسوم الفرسكو في الكنيسة المصرية بعد الفتح الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، طنطا، مصر.

* هبة الله، حسن، (1983م). الفنون الشعبية في مصر الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* الطواهيّة، فوزي، (2003م). الزراعة في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن.

* ادريس، محمد محمود، (1976م). الحياة الزراعية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* كامل، عباس حلمي، (1968م). تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* عبد الباسط، محمود، (1992م). النافورات والفساقي في منازل ومساجد القاهرة منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* اسميسة، سعد رحومة، (2003م). انتقال الدولة الفاطمية الى مصر، الأسباب والدوافع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا.

6. الأبحاث المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، د.ت:

* بارتولد، مادة (ترك) ج5.

* _____، مادة (أرمينية)، ج1.

* يروفنسال، مادة (الصقالبة)، ج7.

Cairo, The capital of The Fatimid
Caliphate (358-567 A.H/ 969-1171 A.D)

A Study In Social Life

By

Kholoud Mohammad Al Ahmadi

Supervisor

Dr. Abdul Aziz Al Douri- Prof

Abstract

This study handled social life in cairo city in the Fatimid Period. It aimed at Showing ting the demographic status, basis of the urbanic Life and its aspects in cairo.

The study attempted to focus on some aspects that did not obtain full care or attention in research.

It studied The topography of cairo with a focus on the population, their ethnic origins, social levels, and showed the city's expansion and development.

The study sought to trace the ethnic origins of the population, their roles, and investigated their social status.

The study showed the influence of authority and wealth on the social position, and studied the social classes of Cairo community, and showed the social and economic position of people of each class.

The study talked about the people, way of living – for the various social classes-, regarding their residence, food, Clothes, feasts, occasions and their entertainment.